
النبأ العظيم
في تفسير القرآن الكريم
الجزء الأول



مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rd
رقم الاستدعاء : BP97.5.K41 N3 2017
المؤلف : الخراساني الحائري ، محمد عبد النبي ، 1178-1232 للهجرة.
العنوان : النبأ العظيم في تفسير القرآن الكريم /
بيان المسؤولية : العلامة السيد الميرزا محمد بن عبد النبي الخراساني الحائري، تحقيق الدكتور عادل عبد الجبار ثامر الشاطي.
المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر والتوزيع.
بيان الطبعة : الطبعة الأولى 2017 - 1438 للهجرة.
بيان النشر : كربلاء، العراق : العتبة الحسينة المقدسة، دار القرآن الكريم، 1438 للهجرة/ 2017.
الوصف المادي : 3 مجلد ؛ 24 سم .
سلسلة النشر : العتبة الحسينة المقدسة ؛ 317.
سلسلة النشر : (دار القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات القرآنية ؛ 24 ؛).
تبصرة ببليوغرافية : يتضمن مراجع ببليوغرافية.
الموضوع بالعنوان : القرآن - تفاسير الشيعة الامامية.
مصطلح موضوعي : تفاسير الشيعة الامامية- القرن 13 للهجرة.
مدخل اضافي : الشاطي، عادل عبد الجبار ثامر- محقق.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

الإخـــراج الفني: قحطان عامر محمد
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٨١٣) لسنة ٢٠١٧م



العلّامة السيّد الميرزا

محمّد بن عبد النبيّ الخُراساني الحائريّ

ت ١٢٣٢هـ

الجُزءُ الأوّلُ

تحقيق

الدكتور عادل عبد الجبار ثامر الشّاطي



(من سورة الفاتحة الى آَخر سورة الحجر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق:

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلى خَيرِ خَلقِ اللهِ أَجمَعِين، مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهِرين.

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّهُ لَم تَنعَم البَشرِيَّةُ جَمعَاءَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمِثلِ القُرآنِ الكَرِيمِ، المُنزَلِ وَحياً عَلَى صَدرِ خَيرِ الخَلقِ ؛ لِيُنجِيهِم مِن ظُلُماتِ الجَهلِ وَالظَّلَامِ الَى نُورِ الحَقِيقَةِ وَالعِلمِ.

وَانطِلَاقاً مِن ذَلِكَ فَقَد حَثَّت الشَّرِيعَةُ الإِسلَامِيَّةُ السَّمحَاءُ علَى تَعلِيمِه وَتَعلُّمِه، وَتفسِيرِه وَتَدَبُرِهِ، لِلسَيرِ قُدُماً عَلى نَهجِه القَويم وَهُدَاه العَظِيم.

لِذَا تَجدُ أَنَّ اهتِمَامَ وَتعَاهُد المُسلِمينَ مُنذُ نُزولِه وَحتَّى قِيَامِ السَّاعةِ بِهذَا الكِتَابِ الكَريمِ مُنقَطِعُ النَّظِيرِ، فَسَبروا أغوَارَه دِرَاسَةً وَتَحلِيلاً لَمعرِفَة أَبعَادِه العِلمِيَّةِ بِكُلِّ جَوَانِبِهَا، فَأُلِّفَت في ذَلكَ مَوسُوعَات كَبِيرَة تَعنَى بِالدِّرَاسَاتِ القُرآنيَّة وَبِمُختَلفِ فُروعِهَا، لِتَظَلَّ مَائدتهُ مَفتُوحَةً مَبسُوطَة في كُلِّ عَصرٍ وَزَمَانٍ، لِيَنتَقِي البَاحِث فِيهِ مِن ثَمرَاتِهِ اليَانِعَة.

رُوي عَن الإمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: إنَّ الْقُرْآنَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ وَ إِنَّهُ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ كَمَا يَجْرِي الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ يَجْرِي عَلَى آخِرِنَا كَمَا يَجْرِي عَلَى أَوَّلِنَا)[1].

فَشَحَذَت أَقلَامَهُم، وَجَالَت أَفكَارَهُم، وَتَفَتَّقَت أَذهَانَهُم، فَأَنتَجَت لَنَا مَا أَنتَجَت مِنَ البُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ، وَالتَّفَاسِيرِ وَالمُؤَلَّفَات كَمَّاً كَبيراً، لَا يُشبِهُ وَاحِدُهَا الآخَر مَضمُوناً وَفِكرَاً، فَأَنتَجت أَقلَامَهُم مَا أَنتَجَت، وَأَبدَعَت أَفكَارَهُم مَا أَبدَعَت.

فَنَشَأت حَولَ القُرآنِ العَظِيم حَرَكَةً تَفسِيرِيَّة وَبحَثِيَّة مُنقَطِعَةُ النَّظِيرِ مِن حَيث السَّعَةِ وَالشُّمُولِ وَالضَخَامَةِ، كَانَت بِدَايَاتُها مُنذُ قُرونٍ مِن حِيث بَدَأَ وَنشَأَ الإِسلَام، وَهي مَا زَالَت تَمضِي قُدُمَاً وَالى عَصرِنَا الحَاضِر.

وَلِذَا فَقَد نَشَأت تَيَّارَاتٌ، وَبَرَزَت مَنَاهِجَ، وَبَانَت مَشَارِبَ لِدرَاسَةِ القُرآنِ الكَرِيم دِرَاسَةً مُستَفِيضَة وَمُتنَوعَة، حَيثُ شَكَّلَت البِيئةُ الفِكرِيَّةِ وَالتَّارِيخيَّة لِتَترُكَ أَثرهَا عَلَى فِكرِ المُفسِّرِ الَّذِي قَد لَعِبَ فِكرَهُ وَثقَافتُه وَمُعتَقَدَاتُه وَأَهدَافه دَورَاً بَارِزَاً فِيمَا يَكتُب، وَعلَى ذَلِكَ فَلَا تَكَادُ تَجِد تَفسِيرَاً جَامِعَاً مَانِعَاً، مُتكَامِلَاً شَامِلَاً لِلقُرآنِ الكَرِيم.

وَتَفسِيرُ النَّبأ العَظِيم للسيِّد المِيرزَا محمَّد الخُرَاسَاني الحَائِري هُوَ أَحدُ نَتَاجَاتِ مَا تَوصَّلَ إِليهِ الفِكرُ البَشَرِيُّ، وَأَبدَعَه يَرَاعُ أَحَدُ أَعلَامِ الأُمَةِ الإِسلَامِيَّة العِظَام، فَقَد جَاءَ فِي عَصرٍ قَلَّت فِيهِ الدِّرَاسَاتُ التَّفسِيرِيَّة؛حَيثُ كَانَ العُلَمَاءُ مَشغُولِينَ بِالدِّرَاسَاتِ الفِقهِيَّةِ وَالأُصولِيَّة وَالفَلسَفِيَّةِ وَالفِكرِيَّة.

جَمعَ فِيهِ مُؤلِّفه رَحمهُ اللهُ بَينَ البَسَاطَةِ فِي الأُسلُوبِ وَالمَنهَجِ مِن جِهَةٍ، وَمِن جِهَةٍ أُخرَى بَينَ الفِكرِ الثَّاقِب الوَقَّادِ مِن خِلَالِ اختِيَارَاتِه لِمَا يَطرَحُ مِن آرَاءٍ وَأفكَارٍ.

فَكَانَ المُصنِّفُ يَتنَقَّلُ بَينَ الحَقَائِقِ اللُّغويَّةِ وَالتَّفسِيرِيَّةِ وَالفِقهيَّة وَالرِّوَائِيَّة، فَيَنتَقِي

(١) تفسير العياشي، ج٢، ص: ٢٠٤

أَوضَحها وَأَنضَجها، وَأَسهَلُها فَهماً، وَأَقرَبُها الى أَذهَانِ النَّاسِ، كَأَنَّه يَتَنَقَّلُ بَينَ رَيَاحِينَ عَطِرَة.

لِهذَا فَقَد جَاءَ تَحقِيقُ هَذَا السِّفرُ القَيِّم لِلتَعرُّفِ علَى آرَاءِ العُلَمَاءِ، وَإِيفَاءً لِمَا قَامَت بِه هَذهِ الثُّلَّةُ الْمُؤمِنَة مِن فَضلٍ وَخِدمَةٍ لِهدَايَةِ الأُمَّةِ، وَجهدٌ كَبِيرٌ لِتَعرِيفهُم بِدِينَهُم القَويم.

وَأَخذَ مَركزُ الدِّرَاسَات وَالبُحوث القُرآنِيَّة التَّابعُ لِدار القرآنِ في العَتَبَةِ الحُسَينيَّةِ المُبَارَكَة العَهدَ علَى نَفسهِ لِلاهتِمَامِ بِالدِّرَاسَاتِ القُرآنيَّة، بَحثاً وَنَشراً، تَأَلِيفاً وَتَحقِيقاً، وَعلَى رَأسِ هَذَا المَركَزِ سَمَاحَة السيِّد مُرتَضَى جَمَالُ الدِّينِ، فَهوَ خَيرُ مُعِينٍ لِلبَاحِثِينَ وَالدَّارِسِين، وَفَقَه اللهُ تعَالَى لِخدمَة الدِّينِ الحَنِيفِ.

وَأَتوجَّهُ بِالشُّكرِ الجَزِيلِ وَالكَبِيرِ الَى كُلِّ مَن أَعَانَني علَى إِنجَازِ هذَا العَمل الْمُضنِي سِيَّمَا المَركَزُ المَذكُور؛ حَيثُ تَفَضَّلَ طَاقمُه الكَرِيم وَأَفرَادُه العَامِلين في إِخرَاجِ هَذَا العَمَلِ، فَجَزَاهُم اللهُ خَيرَ الجزَاءِ.

وَآخِرُ دَعوَانَا أَن الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

الدكتور

عادل عبد الجبار ثامر الشَّاطي

١٥-٨-٢٠١٧م

ترجمة المؤلِّف:

إنَّ مِن أوثق التَّراجم هو أَن يُترجِم المؤلِّفُ لِنفسِه، سَوَاءٌ كان ذلك في أَحدِ مُصنَّفاته أو ترجمةً مُستقلَّة؛ مِن حيث أَنَّه أعلمُ بما قَدَّم ومرَّ عليه مِن زَمنٍ ونشَاط، ليتبيَّن لنا مِن خلال ذلك جهده الكبير الَّذي قام به، ومعرفةً لأُموره العلميَّة وغيرها، ولم يكن مُصنِّفنا بِدعاً مِن ذلك، فقد تَرجَم لنفسه في كتابه الرِّجال المُسمَّى بصحيفة الصفا في ذكر أهل الإجتبا، في القسم الثاني مِن مخطوطه.

إلَّا أن النَّاظر لهذه التَّرجمة المُقتضَبة الَّتي تنطِقُ بالتَّواضع، أَنَّه رحمه الله لم يذكُر جميعَ مُصنَّفاته، ولم يُبيِّن لنا بعض الجزئيات مِن حياته العِلميَّة، مما سنستدركه بعد هذه التَّرجمة، ونُضيفهُ لمعرفة حياة هذا العَلَم الكبير.

قال رحمه الله:

محمَّد بن عبد النَّبيِّ بن عبد الصَّانع، أبو أحمد، المعروف بالمُحدِّث، الاسترآبادي جَدَّاً، النَّيسابوري وَالِدَاً، الهنديُّ مَولِداً، المشاهدي نُزُلاً، مُصنِّفُ هذا الكتاب، له يدٌ طُولى في الكلام والإِلهيَّات والحديث، والفقه والأُصول، وعلم التَّطبيق والمعارِف.

ولد يومُ الاثنين، الحادي والعشرين مِن ذي قعدة سنة ١١٧٨هـ وهاجَر مِن الهند حاجَّاً زائراً مُحصِّلاً سنة ١١٩٨هـ وجاور الغري، ثُمَّ الحائر، ثُمَّ مقابر قريش ببغداد، له ثمانون مُصنَّفاً في فنون عقليَّة ونقليَّة وشُهوديَّة، أَشهرُها:

كتاب تسلية القلوب الحزينة الجاري مجرى الكشكول والسَّفينة، (عشرة مجلَّدات) تبلغ ثمانون ألفاً، وكتاب المبين في إثبات إمامَة الطَّاهرين عشرون ألفاً، وكتاب مُنيَة المُرتَاد في ذِكر نُفَاةِ الإجتهاد كبيرٌ، وكتاب كُليَّات الرِّجال، وكتاب تقويم الرِّجال، وكتاب مَصادِر الأَنوار في الإجتهاد والأَخبار، وكتاب فتح الباب إلى الحقِّ والصَّواب،

وكتاب الشِّهاب الثَّاقب، وكتاب ميزان التَّمييِّز في العِلم العزيز، وكتاب دوائر العلوم وجداول الرُّسوم، وكتاب ذَخيرَة الأَلباب إلى كُلِّ عِلمٍ فيه باب، وكتاب فصلِ الخِطاب في نقض مقالة ابن عبد الوهاب.

وكتاب الصَّارم البتَّار لِقَطِّ الفُجَّارِ وقَدِّ الأَشرارِ (ثلاثُ مجلَّدات)، ورسالة آينة العباسي في الرَّد على النَّصارَى، وكتاب مَنصَّةُ النُّور مِن شاهِق الطُّور، وكتاب (التُّحفَة اللارية) في أَبواب الفقه إلى آخر الديَّات، ورسالة مجالي الأَنوار، ورسالة مجالي المجَالي، ورسالة نجم الولاية، ورسالة شمس الحقيقة، ورسالة حقيقةُ الأَعيان في معرفة الإِنسان، ورسالة حقيقة الشُّهودِ في معرفة المَعبُود.

ورسالة البرهان في التَّكليف والبيان، ورسالة الحَجَرِ المُلقِم، ورسالة الصَّيحة بالحقِّ على مَن أَلحدَ وتزَندَق، ورسالة كشف القِناع عن عَوَرِ الأَجماع، ورسالة حِرز الحواسِّ عن وسوسَة الخنَّاس، ورسالة النُّور المَقذُوف في القلب المَشغُوف، ورسالة الطُّهر الفاصِل بين الحقِّ والباطل، ورسالة الدُّرِ الغَزيرِ ومِعرَاج التَّوحيد، ورسالة حُسن الإِتِّفاق في تحقيق الصُّدَاق، ورسالة الشُّعلة النَّاريَّة في أَجوبة المسائل اللَّاريَّة، ورسالة نشرَة الإِخوان في مسأَلة الغَليَان، ورسالة القَسورَة.

وله ديوان شعر بالعربيَّة، وديوانٌ آخر كبيرٌ بالفارسيَّة، وله رسالة نَفثَةُ المصدور في ردِّ الصُّوفيَّة، ورسالة قبسَة العَجُولِ، ورسالة أنموذج المُرتَاضِين، ورسالة الإِعتذَار، وكتاب تُحفة الأَمين والدُّرِ الثَّمين، وكتاب إِنسان العين، وكتاب موارِد الرَّشاد، وكتاب نبراس العُقول، وكتَاب قلعُ الآس في نقضِ أَساسِ الأُصول، ورسالة النَّبأ العظِيم[1].

مِن آثاره:

(١) وهو هذا التفسير الذي بين يديك

تكية الخاقان، وَوَقَفَهَا على موالي صاحِب الزَّمان، بناها في دار السُّلطة طهران، عاصَر أبا المظفر جلال الدِّين عالي كهر المعروف بشاه عالم التَّيموري الهندي، وابنه محمّد أكبر شاه الثاني، والسُّلطان مصطفى، والسُّلطان محمود العثمانيين

وقَدِم البلاد العجميَّة في دولة السُّلطان محمّد خان القاجار، ودولة السُّلطان، فتحعلي شاه القاجار، وقد مضى مِن عمره إلى الآن ٤٤ سنة.

أساتذته:

تَلمذَ المُتَرجَم لهُ على أَساتِذة كِبَار أَعلَام، يُشَارُ لهم بِالبَنَانِ في عصره وإلى يومِ الدَّيان، وهم كُثرٌ، ذكَر في المُقدَّمةِ الثَّانيةَ عشرةَ من الجزءِ الأوَّلَ من كتابهِ (صحيفةِ الصَّفا)[1] ثلاثةَ مشايخَ هم:

١ ـ السَّيِّدُ الميرزا محمَّدُ مهديُّ ابنُ أبي القاسمِ الموسويُّ الشِّهرستانيُّ المُتوفَّى بكربلاءَ سنةَ ١٢١٦هـ يروي عنه إجازةً وقراءةً وسَماعاً عن صاحبِ الحدائقِ الشَّيخِ يوسفَ آلِ عصفور.

٢ ـ الشَّيخُ الآغا محمَّدُ عليُّ نجلُ الآغا محمَّدِ باقرٍ وهو ابنُ آغا محمَّدِ باقرِ البهبهانِيِّ المولود سنةَ ١١٤٤هـ والمتوفَّى سنةَ ١٢١٦هـ يروي عنهُ إجازةً عن صاحبِ الحدائقِ أيضاً.

٣ ـ الشَّيخُ موسى بنُ عليِّ البحرانيُّ يروي عنه إجازةً من طريقينِ عن صاحبِ الحدائقِ، وعن الحاجِّ عبدِ الهادي المدفونِ بالغريِّ.

٤ – السَّيِّدُ مُحَمَدُ مَهدي بَحرُ العُلوم:وَهوَ السَّيِّدُ مُحَمَدُ مَهدي بن السَّيِّدِ مُرتَضى

(١) صحيفة الصفا في ذكر أهل الاجتبا (مخطوط مكتبة مجلس الشورى الاسلامي تسلسل ٩٨٧٠، ص٣/ ٤.

الطَبَاطَبَائِي، قَالَ عَنهُ المُؤلف:أُستاذنا السَّيِّدُ مُحَمَدُ مَهدي بَحرُ العُلوم عَالمٌ جَليلُ القَدرِ وَهوَ من الفُقَهاء الأُصوليين البَارزين في عَصرهِ[1].

٥- السَّيِّدُ عَلي الطَبَاطَبَائِي صَاحبُ الرِياضِ وَهوَ السَّيِّدُ عَلي بن السَّيِّدُ مُحَمد عَلي الطَبَاطَبَائِي المَعروف بأبي المَعالي، توفي في كربلاء ١٢٣١هـ ودفن في الحرم الحسيني
٦- ومن مشايخِهِ إجازةً الشَّيخُ حسنُ ابنُ الشَّيخِ حسينِ ابنِ الشَّيخِ محمَّدِ ابنِ آلُ عصفورٍ البحرانِيُّ المُتوَفَّى سنةَ ١٢٦١هـ كما ذكر في إجازاتِ مشايخِهِ[2].

تنقلاته:

نَزح مِن موطن أَجداهِ في الحِجاز، وكان منهم الشاعرُ السيد حسين المتوفي في حدود ٩٠٠هـ[3]، ثم استوطن جده وأبوه في خراسان، وولد في الهند لما تاجر أبوه في أَحد سفراته ثم رجع الى نيسابور وخراسان ثم استوطن النجف مُحصلاً ، وكانَ يصلي إماماً في مقام الامام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام القريب من المرقد الشريف، ثم استوطن كربلاء قبل عام ١٢١٦هـ ودَرس على يد أكابر أساتذتها لذا لُقب بالحائري ويعد من علماء كربلاء حيث دَرسَ ودرَّسَ فيها وأَلفَ، ثم استوطن طهران في عهد فتحعلي شاه القاجاري، ثم خَتمَ عُمرهُ مجاوراً الكاظميةَ مسكناً ومدفناً.

---

(١) الرجال الكبير، محمد الاخباري، مخطوط موجود في مكتبة السيد عناية الله في ذي قار، ورقة ٤٠٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تحفة الازهار في نسب السادة الاطهار، السيد ضامن بن شدقم ج٣ ص٤٣٠.

أهمُّ تلامذتِهِ والرَّاوينَ عنهُ:

حَمَلَ عَن المُصنِّف العِلمَ، وَأَخذَ عنه المَعرِفَة تَلَامِذَة عَدِيدُون، وَمِن أَشهرهم:

١ـ ابنُهُ الأكبرُ السيد الميرزا أحَمدُ المستشهدُ معهُ في بلدةِ الكاظميَّةِ المقدَّسةِ سنة ١٢٣٢هـ، كانَ مُجَازاً من أبيـهِ.

٢ـ المولى فتحُ عليّ بنُ محمَّدِ حسن بنِ كريمِ خانَ زندَ الشِّيرازيُّ صاحبُ الفوائدِ الشِّيرازيَّةِ ؛ الَّذي نَقَلَ فيهِ عن مُصنَّفاتِ أستاذِهِ[1].

٣ ـ الميرزا محمَّـدُ باقرُ بنُ محمَّدِ علـيٍّ الدَّشتيُّ الَّلاريُّ صاحبُ كتـابِ (الكلماتِ الحقَّانيَّةِ في شرحِ الرِّسالةِ البرهانيَّـةِ).

٤ ـ الشَّيخُ محمَّدُ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ عليٍّ بنِ محمَّدِ بنِ مقصودٍ الطَّبسيُّ الخراسانيُّ صاحبُ كتابِ (تذكرةِ المُحدِّثِينَ)[2].

٥ ـ الشَّيخُ محمَّدُ رضا بنُ محمَّدِ جعفرٍ الدُّاوَّنيُّ ؛ وصَفهُ الطَّهرانِيُّ في ذريعتِهِ بأَنَّهُ تلميذُ المُترجَمِ المُغالي في حقِّهِ[3].

٦ـ الشَّيـخُ أبو الحسنِ عبدُ الصَّاحـبِ بنُ محمَّـدِ جعفرِ بـنِ عبدِ الصَّاحبِ المتوفَّى حدودَ سنةِ ١٢٧٤هـ أو قبـلهَا بقليـلٍ، وعدَّ الحسينيُّ في تراجمِ الرِّجالِ المصنِّفِ من مشايخِ إجازتِهِ[4].

---

(١) الذَّريعةُ: ج٣: ص١٥٢: رقم ٥٣٠، وج٢١: ص٣٥٣: رقم ٥٤٢٣..

(٢) ذُكِرَ في (نابغه فقه وحديث سيِّد نعمة الله جزائري) « فارسي « (نشُر مجمَّعِ الفكر الإسلاميِّ، قمُّ، ط٢، ١٤١٨هـ) تأليفُ سيِّدُ محمَّدُ جزائري..

(٣) الذَّريعةُ: ج١٥: ص١٢٩: رقم ٨٦٦.

(٤) تراجمُ الرِّجالِ: ج١: ص٢٩٥: حرفُ العينِ.

٧ ـ السَّيِّدُ محمَّدُ جوادُ بنُ السَّيِّدِ محمَّدِ زيني بنِ السَّيِّدِ أحمدَ العطَّارِ البغداديُّ ؛ المُلقَّبُ بـ (سياه پوش) ـ لابسَ السَّوادِ ـ المتوفَّى سنةَ ١٢٤٧هـ، كَتَبَ على ظهرِ كتابِ أستاذِهِ (ذخيرةِ الألبابِ) وقد قرأهُ عليهِ وصحَّحهُ وقابلهُ معهُ، وأخذ منهُ إجازتَهُ[١].

٨ ـ المولى أحمدُ بنُ زينِ العابدينَ بنِ محمَّدِ شفيعِ بنِ عبدِ الصَّانعِ الَّذي ألَّفَ لهُ كتابَ ضياءِ المتَّقينَ وقالَ عنهُ: إنَّهُ قرَّةُ العينِ[٢].

٩ ـ السَّيِّدُ محمَّدُ سعيدُ بنُ السَّيِّدِ مهديِّ الرَّضويُّ القُمِّيُّ المدعوُّ بـ (فاضل خان). تلميذُهُ وصهرُهُ على ابنتِهِ كما في الذَّريعةِ[٣].

١٠ـ الشَّيخُ محمَّدُ عليُّ ابنُ الشَّيخِ محمَّدِ ابنِ الشَّيخِ مُحمَّدِ تقيِّ الشَّهيرُ بملا عليِّ البرغانِيِّ الكربلائي ؛ المُتوفَّى سنةَ ١٢٧٢هـ، ذكَرَ صاحبُ مستدركاتِ الأعيان أنَّه أخذَ عنهُ علمَ الحديثِ[٤].

١١ ـ السَّيِّدُ مُحمَّدُ خانُ ابنُ معصوم خانَ الطَّباطبائيُّ، لهُ ألَّفَ (سلاحَ المؤمنِ) ؛ وفي خاتمتِهِ أجازَهُ قراءةً[٥].

١٢ـ المولى محمَّدُ جعفرُ بنُ مهديِّ النَّائينيُّ كَتَبَ بخطِّهِ الرِّسالةَ البرهانيَّةَ وقرأَها على المُترجَمِ[٦].

١٣ ـ الشَّيخُ عبدُ الصَّمدِ بنُ عبدِ الرِّضا الفيروزآباديُّ كَتَبَ لهُ المترجَمُ إجازةً في

---

(١) العبقاتُ العنبريَّةُ: ص١٨٦.

(٢) الذَّريعةُ: ج١٤: ص٢٣٢: ح٢٢٨٥.

(٣) الذَّريعةُ: ج٢٢: ص١٦٩: رقم ٦٥٤١.

(٤) مستدركات الاعيان: ج٢:ص٢٩٩.

(٥) نقلا عن الذريعة: ج١٢:ص٢٠٩: رقم١٣٨٨.

(٦) الرسالة البرهانية: ص١٥ مخطوط موجود في مكتبة المرعشي.

آخرِ النُّسخةِ الَّتي كتبَهَا عن نسخةِ المصنِّفِ لكتابِ فتحِ البابِ في سنةِ ١٢١٦هـ [١].

١٤ـ عبد الله بن محمّد.

كَتبَ مَجموعَةً مِن كُتب أُستاذه، حتَّى أَجازَه بالرِّواية عنه في خصوص كتبه الَّتي قرأها عنه [٢].

١٥- لسان العارفين: محمّد عليّ بن محمّد رشيد القُمِّي، لسَانُ العارِفين، صُوفيٌّ أَديب، كانَ شَديدَ الاعتِقَادِ بأُستاذِه، كتبَ مجموعَةً مِن كُتبِه [٣].

نسبُ المترجمِ:

ذَكَرَ حفيدُهُ السيد الميرزا إبراهيمُ جمالُ الدِّينِ في خاتمةِ كتابِ المُترجَمِ (إيقاظِ النَّبيهِ) نَسَبَهُ كاملاً إلى الإمامِ الجوادِ (عليه السلام) مِن ذُرِيةِ السَيدِ موسى المُبَرقَع [٤]

أولاده:

كان للمُصنِّف وَلَدَان، الأَكبرُ مِنهُما اسمه أَحمد، وهوَ مِن أَهلِ العِلم والفَضِيلَة، قُتِلَ معه رَحمَه الله، تَارِكَاً وَلَدَين، هَربَت بِهما أُمُّهما الى سبزوار حَيثُ مَوطِنها وَأَهلُها، فَكثرُوا هُنَاك وتنَاسَلوا.

أَمَّا وَلدُه الثَّاني وَاسمُه الميرزا عليّ، فقد انتهى به المقام الى مُحافَظة العِمَارَة، وبَقِي هنَاك زَمناً طَويلاً، ثم رَجَعَ الى النَجَفِ مُحصلاً ثُمَّ تَنقَّلَ مِن مَنطقة الى أُخرى، الى أن

---

(١) فتح الباب الى الحق والصواب (للمؤلف)، مخطوط في مكتبة مجلس الشورى الاسلامي، رقم ٨٤٨١.

(٢) ينظر ترجمته في: هدية العارفين، البغدادي: ٢/ ٣٦٨، معجم المؤلفين، كحالة: ١١/ ٤٣.

(٣) تراجم الرجال، الحسيني: ٢/ ٧٤٧.

(٤) إيقاظُ النَّبيهِ: ص٣١٣ طبعةُ سنةِ ١٣٥٦هـ ترجمتُهُ للسيد ميرزا إبراهيمَ جمَالِ الدِّينِ، تحفة الازهار في نسب السادة الأطهار السيد ضامن بن شدقم الحسيني.

استقرَّ به المُقَام في قرية السورة مِن لِواءِ المنتفج(الناصرية)، وَانتشرت ذريَّته، في العِراقِ وايرانَ والخَليجِ وَهُم مَوجُودون الى الآن، كَثيرٌ مِنهُم مِن طَلَبةِ العلُوم الشرعيَّة، وَهُم مَعروفُون بآل جَمَال الدِّين [1] ومِنهُم الشَاعِرُ العَربيُ الكَبيرُ العَلامةُ الدُكتور السَيدُ مُصطَفى جَمَالُ الدِينِ.

مؤلفاته:

كان المُصنِّف رحمه الله كَثير التآلِيف، وفي مُختَلف وشتَّى صُنوفِ العِلم والمَعرِفَة، وباللُّغتين العربيَّة والفارسيَّة، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على سَعةِ مُدركاته، وفِطنتِه الكَبيرَة، وعِلميِّته الوَاسعَة، وذَكر هوَ نَفسُه ستَّة وأَربعِين مُصنَّفاً وَعُمرُه لَمَّا يَزيدُ عَن الأَربعِين عاماً بكَثيرٍ، وأَضافَ مَن ترجَم لهُ ـ على قلَّتهم ـ مُؤلَّفات غير الَّتي ذَكرَ، وهي:

١ ـ أُصُولُ الدِّينِ [2].

٢ـ الأَمرُ الصَّريحُ في جَهرِ الذِّكرِ وَالتَّسبِيحِ، بِالفَارسيَّة [3].

٣ ـ أُنمُوذَجُ المُرتَاضِينَ [4].

٤ ـ البُنيَانُ المَرصُوص بالبَرَاهِينُ وَالنُّصُوصِ [5].

٥ ـ تَارِيخُ وَفَيَاتُ العُلَماءِ الإمَامِيَّة [6].

---

(١) أعيان الشيعة، الأمين: ٩/ ١٧٣.

(٢) الذريعة، الطهراني: ٢/ ١٩٢.

(٣) كشف الحجب والأستار، إعجاز الحسيني: ٦١.

(٤) الذريعة، الطهراني: ٢/ ٤٠٨.

(٥) الذريعة، الطهراني: ٣/ ١٥٢.

(٦) الذريعة، الطهراني: ٣/ ٢٩٥.

٦ ـ التُّحفَةُ اللَّارِيَّة [١].

٧ ـ الحُجَّةُ البَالِغَة [٢].

٨ ـ حَدِيقَةُ الأَزهَارِ فِي تَلخِيصِ البحَارِ [٣].

٩ ـ حَقُّ التَّحقِيقِ فِي مَعرِفَةِ حُكمِ العَقلِ وَالتَّصدِيق [٤].

١٠ ـ الحِكمَةُ البَالِغَةُ [٥].

١١ ـ الدُّرُّ الفَرِيدُ وَمِعرَاجُ التَّوحِيدِ [٦].

١٢ ـ الدَّمدَمَةُ الكُبرَى فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ الصُّغرَى [٧].

١٣ ـ الرَّسَائِلُ الجَفرِيَّةُ [٨].

١٤ ـ وَمضَةُ النُّورِ مِن شَاهِق الطُّورِ [٩].

١٥ ـ سِلَاحُ المُؤمِنِ وَإِصلَاحُ المُهَيمِنِ [١٠].

---

(١) الذريعة، الطهراني: ٢٦/ ١٧١.

(٢) الذريعة، الطهراني: ٦/ ٢٥٩.

(٣) الذريعة، الطهراني: ٦/ ٣٨٠.

(٤) الذريعة، الطهراني: ٧/ ٣٧.

(٥) الذريعة، الطهراني: ٧/ ٥٦.

(٦) الذريعة، الطهراني: ٨/ ٦٩.

(٧) الذريعة، الطهراني: ٨/ ٢٦٣.

(٨) الذريعة، الطهراني: ١٠/ ٢٤٥.

(٩) كشف الحجب والأستار، إعجاز الحسيني: ٢٩٣.

(١٠) الذريعة، الطهراني: ١٢/ ٢٠٩.

١٦ ـ السُّلَّم الرَّونَق فِي مَن تَكَفَّرَ وَتَزَندَق [١].

١٧ـ السَّيفُ المَسلُولُ علَى مُخَرِّبِي دِينِ الرَّسُولِ، المُلقَّب: بِالصَّارِمِ البَتَّارِ لِقَدِّ الفُجَّارِ وَقَطِّ الأَشرَارِ بِالفَارِسيَّة [٢].

١٨ ـ شَجَرَةُ أُصُول الفِقهِ [٣].

١٩ـ شَجَرَةُ دِرَايَة الحَدِيثِ [٤].

٢٠ ـ شَرحُ القَوَانِين [٥].

٢١ ـ صَاحِبُ الزَّمَانِ [٦].

٢٢ـ صَحِيفَةُ الصَّفَا فِي ذِكرِ أَهلِ الإِجتِبَا وَالإِصطِفَا [٧].

٢٣ ـ ضِيَاءُ المُتَّقِينَ [٨].

٢٤ ـ غَمزَةُ البُرهَانِ لَنبهَةِ الوَسنَانِ [٩].

٢٥ ـ كَوثَرُ الأَسرَارِ فِي شَرحِ مُعضِلَاتِ الأَخبَارِ [١٠].

---

(١) الذريعة، الطهراني: ١٢/ ٢٢١.
(٢) كشف الحجب والأستار، إعجاز الحسيني: ٣١٤.
(٣) الذريعة، الطهراني: ١٣/ ٢٨.
(٤) الذريعة، الطهراني: ١٣/ ٢٨.
(٥) الذريعة، الطهراني: ١٤/ ٢٤.
(٦) إيضاح المكنون، البغدادي: ٢/ ٦١٧.
(٧) الذريعة، الطهراني: ١٥/ ٢٢، وهذا الكتاب في طور التحقيق.
(٨) الذريعة، الطهراني: ١٥/ ١٢٩.
(٩) الذريعة، الطهراني: ١٦/ ٦٠.
(١٠) إيضاح المكنون، البغدادي: ٢/ ٣٩٢.

٢٦ ـ لارية، فِي الكَلَامِ وَالفِقهِ، فارِسيٌّ [١].

٢٧ ـ مَعَاولُ العُقُولِ جَوَابُ أَسَاسِ الأُصُولِ فِي الأُصُولِ وَالأَخبَارِ [٢].

٢٨ ـ مِفتَاحُ النَّبِيهُ فِي شَرحِ الفَقِيهِ [٣].

٢٩ ـ نَتِيجَةُ الخَلَفِ فِي ذِكرِ السَّلَفِ [٤].

٣٠ ـ الوَسِيلَةُ فِي بَيَانِ نَجمٍ مِن دُعَاءِ العَدِيلَةِ [٥].

وفاته:

تُوفِّي المُصنِّفُ رحمه الله مَقتُولاً في الفِتنَةِ الَّتي نَشأت بَينَ الأُصوليَّة وَالأخبارِيَّة سنة ١٢٣٢ هـ في الكاظميَّة المُقدَّسة، فكان ضحيَّةً لجرَأة الطَّرحِ، وَالتَّمسُّك بِالمُعتَقَد، وَحُريَّةُ الرَّأي [٦].

النُّسخة الخطيَّة:

اعتَمدَ التَحقِيقُ علَى نُسخَةٍ خَطيَّةٍ فَرِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، حَصلَ عَليهَا مِن مَركَزِ التُّرَاثِ الإِسلَامِي فِي قُم، مِن قِبَلِ السيِّدِ أَحمَد الأَشكُورَي مَشكُورَاً، وعليها ختم (جلال محدث ١٣١٩).

---

(١) الذريعة، الطهراني: ١٨/ ٢٧٦.

(٢) كشف الحجب والأستار، إعجاز الحسيني: ٥٦٣.

(٣) الذريعة، الطهراني: ٢١/ ٣٥٣.

(٤) الذريعة، الطهراني: ٢٤/ ٤٩.

(٥) الذريعة، الطهراني: ٢٥/ ٧٤.

(٦) ينظر ترجمته في: روضات الجنات، الخوانساري: ٧/ ١٢٧، هدية العارفين، البغدادي: ٢/ ٣٦٢، أعيان الشيعة ٩/ ١٧٣، الأعلام، الزركلي ٦/ ٢٥١، معجم المؤلفين: ١٠/ ٢٦١، تراجم الرجال، الحسيني: ١/ ٥٢٤، موسوعة طبقات الفقهاء، السبحاني: ١٣/ ٤٨٠.

وَعَدَدُ صَفَحَاتِهَا (٥٦٣) صَفحَةً بِالقَطعِ الكَبِيرِ، وَهي مِن ثَلَاثَةِ أَجزَاءٍ، صَفَحَاتُهَا مُختَلِفَةٌ مِن حَيث عَدَدِ الأَسطُرِ، وَهي نُسخَةٌ وَاضِحَةٌ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَت مَطمُوسَةُ المَعَالِمِ في بَعضِ المَوَاضِعِ، وَغَيرُ مَقرُوءةٍ إِلَّا بِعنَايَةٍ شَدِيدَةٍ. وهي نسخة من مكتبة المحدث الأرموي مكتوب على الصفحة الأولى (من العاريات لدى الأفقر الفاني حسن علي واعظ الإيرواني).

وَنَسبَ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ هَذَا الكِتَاب لِنَفسِه عِندَ تَرجَمَتِهِ لِشَخصِه الكَرِيم فِي كِتَابِهِ فِي الرِّجَالِ عِندَ تِعدَادِ مُصَنَّفَاتِه، وَعلَى ذَلِكَ اعتَمَدَ مَن تَرجَم لَهُ في نِسبَتِهِ إِلَيهِ بِأَجمَعِهِم، وَلَم يُذكُر اسم نَاسِخهَا وَلَا تَارِيخ وَزَمَنِ نَسخِهَا.

منهج المؤلِّف:

لَا بُدَّ لِلمُفَسِّرِ لِلقُرآنِ الكَرِيمِ أَن يَتَّبِعَ مَنهَجاً مُعَيَّناً وَطَرِيقَةً وَاضِحَةً فِي تَفسِيرِه، أَو أَنَّهُ يَجمَعُ بَينَ مَنَاهِجَ مُتَعَدِّدَةٍ وَبِحَسَبِ مَا يَراهُ صَحِيحَاً لِنَفسِه، وَأَنَّه يَخدِمُ مَا هوَ بِصَدَدِه.

وَاتَّبعَ المُصَنِّف فِي ذَلِكَ الرَّأيِ الثَّانِي لِيَجمَعَ بَينَ المَنهجِ اللُّغَوي وَالأَثرِي وَالعَقلِي أَحيَاناً أُخرَى، وَهي وَاضِحَةُ المعَالِمِ فِي هَذَا التَّفسِير.

إِلَّا أَنَّه ثمَّة مِيزَاتٍ وَاضِحَةٍ اتَّبعهَا المُصَنِّف رَحِمَه اللهُ في تَفسِيرِه، وَمَلَاحِظَ سَارَ عَليهَا، وَخَطَواتٍ نَفَّذَهَا، يُمكِن تَلخِيصُها بِالآتي:

١ ـ أَنَّه رَحِمهُ اللهُ اهتَمَّ وَبِشَكلٍ كَبِيرٍ فِي بَيانِ معَانِي الأَلفَاظ القُرآنيَّة لُغَويَّاً، وَبِها يُفصِحُ عَن مَعنَاهَا وَيُبيّنُ المُرادُ مِنهَا، كَمَا أَنَّهُ كَانَ يَختَارُ المَعنَى الَّذِي يَذهَبُ إِلَيهِ بِصُورَةٍ مُبَاشرَةٍ، رُغمَ اختِلَافِ أَصحَابِ المَعَاجِم اللُّغويَّةِ فِي تَعَدُّدِ المعَانِي لِلكَلمَةِ الوَاحِدَة، فَكانَ يَختَارُ الأَوضَح مِنهَا وَالأَبيَن وَالأَقرَب أَحيَاناً للمُرادِ.

٢ ـ استَعانَ رَحمهُ اللهُ كَثيرَاً في تَفسِيرِه للآيَاتِ القُرآنيَّةِ علَى مَا رُوِي عَن النَّبِي الأَكرَم صلى الله عليه وآله وسلم وَأهل البَيتِ عليهم السلام في التَّفسِيرِ، علَى اعتِبَارِ أَنَّهُم عليهم السلام عِدلُ القُرآنِ الكَرِيم وَالثّقلِ الأَكبرِ في ذَلكَ، وَهُم أَهلُ التَّفسِيرِ وَالتَّأوِيلِ، وَهوَ جُزءٌ مِنَ المَنهَجِ الأَثرِي أَو الرِّوَائي في تَفسيرِ القُرآنِ الكَرِيم.

٣ ـ أَنَّه رَحمَه اللهُ كَثيرَاً مَا يَعرِضُ لِلبَيانِ النَّحوي للآيَاتِ القُرآنيَّة الكَرِيمَةِ الَّتي هُوَ بِصَدَدِ تَفسِيرهَا، فَيذكُر الخِلَافَ بَينَ المَدَارِس النَّحوِيَة أَحيَاناً، وَيَمُرُّ علَى اختِلَافِ النُّحَاةِ وَالُمفَسِّرين لِيَعرِضَ آرَائهُم وَبِصُورَةٍ شَدِيدَةِ الاختِصَارِ، وَبِأَبلَغِ العِبَارَاتِ، مُبتَعِداً عَن المَلَلِ الَّذِي يَحصَلُ لِلقَارِئ لِيَبتَعِدَ بِه عَن التَّطوِيلِ وَالتَّعقِيدِ.

٤ ـ وَكانَ رَحِمَه اللهُ يَعرِضُ لِآرَاءِ المَدَارِس التَّفسِيرِيَّةِ المَعرُوفَةِ كَمَدرَسَةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعينَ.... وَغَيرُهَا.

٥ ـ ابتَعدَ رَحِمه اللهُ عَن ذِكرِ اختِلَافَاتِ الُمفَسِّرينَ في ذِكرِ آرَائِهم الُمختَلِفَة لِتَفسِيرِ مَوضِعٍ مُعَيَّنٍ لآيَةٍ مُعَيَّنةٍ بِمَا لَا نَفعَ مِنهُ، وَهوَ مُجَرَّد تَكثِيرٍ لِلآرَاءِ وَتسطِيرٌ لِلكَلِماتِ، لِيَبتَعِد بِذلِكَ عَن الشُّروحِ الفَضفَاضَةِ، وِلَعَدَم التِّكرَارِ.

٦ ـ كَان رَحِمَه اللهُ كَثيرَاً مَا يَعرِضُ لِلآرَاءِ الفِقهيَّةِ عِندَ تَفسيرِه للآيَاتِ الَّتي ذَكَر فِيهَا مَسأَلة فِقهِيَّة مُعيَّنة ظَاهِرَةُ الدَّلَالَة أَو غَيرُ ظَاهِرَة، إلَّا أَنَّه كَانَ شَدِيدَ الاختِصَارِ فِي العَرضِ لهَا خُصُوصَاً في المَوَارِدِ الُمتَّفَق عَليهَا، فَلَا يَعرِضَ لِلخلَافَاتِ الفِقهِيَّةِ.

٧ ـ وَكَانَ رَحمَه اللهُ يُبيِّنُ كَثيرَاً بَعضَ المطَالِب العَقَدِيَّة وَالكَلامِيَّة وَبِبَيانٍ وَاضحٍ بَليغٍ وَبِصُورَة شَديدَةِ الاختِصَارِ.

٨ ـ ابتَعدَ الُمصَنِّفُ رَحمَه اللهُ عَن الخِلَافَاتِ الطَّائفِيَّةِ وَالعَقَديَّة بَينَ المِلَلِ وَالطَّوَائفِ، مِمَّا يَكسِبُ هذَا التَّفسِيرِ شُمولِيَّةً وَاضِحَةً وَإِطلَاقاً وَفَائدَةً لِجَميعِ الفِرَقِ الإِسلَامِيَّةِ وَغيرُها.

٩ـ وكان رحمه الله يعرض للنكت البلاغية، وبعض القراءات القرآنية.

١٠ ـ وَأَخيرَاً فَإِنَّ القَارِئ لِهذَا التَّفسِير يَرى فِيهِ ضَالَّتُه المَنشُودَة؛ حَيثُ جَمعَ فِيهِ المُؤلِّفُ رَحِمَه اللهُ بَين البَسَاطَةِ فِي التَّعبِيرِ وَالوُضُوحِ وَالدِّقَّةِ في التَّفسِير وَبِمَا يُخرِجُه عَن التَّطويلِ وَالإِثَارَةِ وَالحَشوِّ، بِمَا يَجعلُه تَفسِيرَاً مَفهُومَ العِبَارَةِ دَقِيقُهَا، مُقَرِّبَاً العِبَارَة وَمطَالِبهَا لأَبسَطِ النَّاسِ إِدرَاكَاً وَالَّذِينَ هُم مَحَلُّ التَّكلِيفِ وَالسُّؤالِ.

منهج التَّحقيق:

نَظرَاً لأَهمِيَّة المَخطُوطِ، وَعِلمِيَّةِ مُؤلِّفهَا، وَسعَةِ اطلَاعِه، وَتَعدُّدِ مدَارِكه، وَتنوُّعِ مَـوارِدِه وَمشَارِبه، وَمَا وَردَ فِيهِ مِن مَعلُومَاتٍ في اللُّغَةِ وَالتَّفسِيرِ وَالنَّحوِ وَالفِقهِ وَالحَديثِ وَغيرُها مِن العُلومِ.

فَقد اتَّبعنَا مَنهجِيَّةً مُعيَّنة سَارَت مِن أَوَّلِ الشُّروعِ في تَحقِيقِ هذَا السِّفرِ القيِّم وَحتَّى نهَايَته، وَيُمكِن لنَا أَن نُدرِجَ وَلو بِشَكلٍ مُختصَرٍ إِجمَاليٍّ مَا قُمنَا بِه وَمَا اتَّبعنَاهُ مِن مَنهجيَّة بِالخطَواتِ التَّالِيَةِ:

١ ـ قِراءَة المَخطُوطَةِ قرَاءةً جَيِّدَةً وَمُتأنِيَّةً، ثُمَّ طِبَاعَتهَا على جِهَازِ الحَاسُوبِ وَبِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ.

٢ ـ مُقَابَلَةُ مَا تَمَّ طِبَاعَتُه علَى الحَاسُوبِ مَعَ المَخطُوطِ لِلكَشفِ عَن الأَخطَاءِ الطِّبَاعِيَّةِ ثُمَّ تَصحِيحُهَا.

٣ ـ إِتِّبَاعَاً لِلأَمَانَةِ العِلمِيَّةِ فَقَد تَمَّ الإِبقَاءُ علَى الأَخطَاءِ الَّتي كَانَت فِي المَخطُوطَةِ وَالنَّاتِجَةِ عَن سُوءِ النَّسخِ، أَو عَدَمِ الاستِطَاعَةِ مِن القِرَاءةِ الوَاضِحَةِ نَظرَاً لِعدَمِ وُضُوحِ المَخطُوطَةِ، وَانطِمَاسٍ لِبَعضِ كَلِمَاتِهَا وَعبَائرِهَا، وَمِن ثَمَّ الإِشَارَةُ إِلى الصَّحِيحِ في الهَامِشِ.

٤ ـ وَلأَنَّ الكِتَاب المُحقَّق هُو تَفسِيرٌ لِلقُرآنِ الكَرِيم، فَقَد مُيِّزَت الآيَاتُ القُرآنيَّةُ الكَرِيمَةُ المُرادُ تَفسِيرُهَا وَبِلَونٍ مُختَلِفٍ عَن الكِتَابِ، أَمَّا مَا وَرَد مِن آيَاتٍ قُرآنيَّةٍ في مَعرِض الشَّرحِ وَالبَيانِ فَقَد مُيِّزَت عَن بَقِيَّةِ التَّفسيرِ لِغرَضِ التَّمايُز مَع تَوثِيقِهَا.

٥ ـ تَوثِيقُ الأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ عَن قَائلِيهَا وَمِنَ المصَادِرِ المُعتَمدَةِ ـ إن ذَكرَهَا ـ تَحدِيداً، وَالاستِعَانَةُ بمصَادِرَ أُخرَى إِن لَم يُقَيِّدهَا المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ بِمَصدَرٍ مُعَيَّنٍ، وَحَصرُهَا بَينَ قَوسَينِ لِلدِّلَالَةِ عَليهَا.

٦ ـ تَخرِيجُ الآرَاءِ وَالأَقوَالِ اللُّغويَّة وَالتَّفسِيرِيَّة وَغيرُهَا مِن مظَانِّها المأَخُوذَةِ مِنهَا، مُعتَمِدينَ علَى المَصَادِرِ القَدِيمَةِ اللُّغويَّةِ خُصُوصاً، وَذَلكَ لِكَثرَتهَا وَاعتِمَادِ المُؤلِّف عَلَيهَا، حَيثُ كَانَ المُصنِّف يِذكُرهَا أَحيَانَاً، وَأَحيانَاً أُخرَى لَا يَنصُّ عَليهَا.

٧ ـ مُقابَلَةُ النُّصوصِ المَذكُورَةِ مِن أَحادِيثَ شَرِيفَة أَو آرَاء عِلميَّة مَع مَصادِرهَا، وَذِكرُ الاختِلَافَاتِ بَينَهُما فِي الهوَامشِ المَذكُورَةِ، وَفِي نَفسِ السِّيَاقِ إِكمَالُ مَا كانَ غَير وَاضِح أَو غيرُ مَقرُوءٍ مِنَ النُّصوصِ مِنَ المصَادِرِ.

٨ ـ تَرجَمَةُ الأَعلَامِ الَّذِينَ وَرَدت أَسمَاؤهُم في مَتنِ المَخطُوطَة تَرجمَةً مُختَصَرَةً مَع الإِشَارَة إلى مَصادِرهَا، وَالإِبتعادُ عَن تَرجمَة المشَاهِيرِ المَعرُوفِينَ مِنهُم.

٩ ـ تَوضِيحُ الكَلِماتِ غَيرُ المَفهُومَةِ وَبَيَانُها لُغَويَّاً، مَعَ التَّعرِيف بِالأَمَاكِن وَالبِقَاعِ، وَتَوضِيحُ الغَامِضِ مِنهَا مَع ذِكرِ مَصَادِر ذَلِك.

١٠ ـ ضَبطُ النَّصِّ مِن خِلَالِ وَضعِ عَلامَاتِ التَّرقِيمِ، وَتَشكِيل النُّصوصِ بِما يُوضِّحُها وَيُبعِدُها عن الأَوهَامِ والالتبَاسِ.

١١ ـ إِعدَاد فهَارِس فَنيَّةٍ مُتكَامِلَةٍ؛ وَذَلكَ لِكثرَة المطَالِب وَتنوعهَا وَتفرُّقهَا وَتَشتُّتِها في مطَاوِي الكِتَابِ، وَلِغرَضِ استِفَادَةِ البَاحِثينَ مِنَ هَذا السِّفرِ القَيِّم.

مصورة الصفحة الأولى من النسخة الخطيَّة

مصورة الصفحة الاخيرة من النسخة الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

نَحمِدُكَ اللَّهُمَّ يا مَن أَنزَلتَ عَلَى عَبدِكَ الكِتَاب، ونشكُركَ يا مَن أكرَمتَ نَبِيُّك بإِنزالِ القرآن، الَّذى فيه آيَاتٌ بَيِّنَات، ونُورٌ وهُدى، نسأَلُك أن تُشفِى صُدورُنا بأياريجِ[1] تصدِيقِ أَوامِره ونَواهِيه، وسُلَّماً نَعرُجُ فيه إلى محلِّ السَّلامَة.

وهَب لنا حُسنَ شَمائل الأَبرارِ، وارزُقنَا تِلاوَتَهُ في طاعتك، آناء اللَّيل وأَطرافَ النَّهار. وصَلِّ على نجيُّك مِن خَلقِكَ، ونَجِيبُك مِن عِبَادِكَ، محمَّدٌ سيِّدُ الأَبرار، وعلى آلهِ الطيبينَ الأَطهار ما دجى ليلٌ وأَضاءَ نهار.

وقَبلَ أَن نشرُع، فنحنُ نُصَدِّرُ الصَّحيفَة بذِكرِ بعضِ ما جاءَ مِنَ الأَخبارِ الـمَشهُورَةِ في فضلِ القرآن وأَهله.

أنس بن مالك، عن النَّبي صلى الله عليه وآله قال: (أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ)[2].

وعنه صلى الله عليه وآله: (أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)[3].

---

(١) جمع أرج، وهي: الريح الطيبة الفواحة، الصحاح، الجوهري، مادة (أرج) ١/ ٢٩٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ٢٠٤، مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٢٧، السنن الكبرى للنسائي ٥/ ١٧ ح ٨٠٣١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٤، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦/ ١٦٨ح٧٦٤٥، كنز العمال، المتقي الهندي: ١/ ٥١١ح٢٢٦٣.

وكذا: (الْقُرْآنُ غِنًى لَا غناء دُونَهُ وَلَا فَقْرَ بَعْدَه) [١].

(حَمَلَةُ الْقُرْآنِ مَخْصُوصُونَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، الْـمُعَلَّمُونَ كَلَامَ اللَّهِ، الْـمُقَرَّبُونَ الى اللَّهِ، مَنْ وَالاهُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّه.

يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ مُسْتَمِعِ الْقُرْآنِ بَلْوَى الدُّنْيَا، وَيدفع عَنْ قَارِئِهِ بَلْوَى الْآخِرَة. يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ تَحَبَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِتَوْقِيرِ كِتَابِهِ يَزِدْكُمْ حُبّاً وَيُحَبِّبْكُمْ إِلَى عباده) [٢].

وعنه ﷺ: (لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ قَلْباً أَسْكَنَهُ الْقُرْآنَ) [٣].

وعنه ﷺ: (أَشْرَفُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ، وَأَصْحَابُ اللَّيْل) [٤].

وعنه ﷺ: (أَنَ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ تعالى، فَتَعَلَّمُوا من مَأْدُبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ، وَهُوَ النُّورُ الْبَيِّنُ [٥] وَالشِّفَاءُ به النَّافِعُ [٦] عِصْمَةٌ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِـمَنْ تَبِعَه .

لَا يَعْوَجُ فَيُقَوَّمَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعتَبُ، لَا ينْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى [٧] كَثْرَةِ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٤، بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ١٩، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٤/ ٨٢٦ح١١، شعب الإيمان، البيهقي: ٢/ ٥٢٩ح٢٦١٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٣ح١، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٤، كنز العمال، المتقي الهندي: ٢/ ٢٩١ح ٤٠٣١، عن الرسول ﷺ.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٤، بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ١٨٤ح١٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤/ ٣٩٩ح٥٨٥٥، الخصال، الصدوق: ٧ح٢١، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري:٦، وفي جميعها: (أشراف) بدل: أشرف.

(٥) في المصادر: (المبين).

(٦) في المصادر: (والشفاء النافع).

(٧) في المصدر: (عن).

الرَّدِّ، فاتْلُوهُ؛ فَإِنَّ اللَّـهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ [١]) [٢].

وعن عليٍّ عليه السلام عنه: (كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ، ونبأ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بينكم، لَيْسَ بِالْهَزْلِ، ولَا يزِيغُ بِهِ الْأَهْـوَاءُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ تَرَكَهُ جَبَّارُ قَصَمَهُ[٣] وَمَن ابتَغَى الهُدَى فِي غَيرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هُوَ حَبلُ اللَّـهِ، وَصِرَاطُهُ الـمُستَقِيم، مَنْ عَمِلَ بِهِ أجر، وَمَن حَكَمَ بِهِ عَدَل، وَمَن دَعَا إِلَى اللَّـهِ دَعَا إِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ) [٤].

وَعَنهُ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى يَسْتَظْهِرَهُ وَيَحْفَظَهُ، أَدْخَلَهُ اللَّـهُ الْـجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيتِهِ، كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ) [٥].

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّمَا أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ)[٦].

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله: (وَحَمَلَتهُ عُرَفَاءُ أَهْلِ الْـجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [٧].

---

(١) في المصادر: (بكل حرف عشر حسنات).

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٤، سنن الدارمي:٢/ ٤٣١، المصنف، ابن أبي شيبة: ٣/ ٣٧٥ح٦٠١٧.

(٣) في المصادر: (من تركه من جبار قصمه الله).

(٤) المصنف، ابن أبي شيبة: ٧/ ١٦٤ح٢، عيون الأخبار، ابن قتيبة: ٢/ ١٤٨، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٠/ ١١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٥، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦/ ١٦٩ح٧٦٤٩، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ١٢.

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٠٤ح٥، عنه الوافي، الفيض الكاشاني: ٩/ ١٧٠٦ح٨٩٧٣.

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٠٦ح١١، معاني الأخبار، الصدوق: ٣٢٣ح١، النوادر، الراوندي: ١٣٧، جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٣/ ١٥ح٣٢، وفيها جميعاً: (حملة القرآن).



الفصل الأول

سورة الفاتحة



فاتحة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سبعُ آياتٍ إجماعاً، إلّا أنَّ أهلَ مكَّة والكُوفة عدُّوا: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ**﴾ آيةٌ منها، وغيرهُم:عدَّ ﴿**أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾آية ١.

وعن ابن عبَّاس: مَن تَرَكَ ﴿**بِسْمِ اللَّهِ**﴾ فَقَد ترَكَ مَائَةً وَأربعِ عَشْرَةَ آيَةً مِن كِتَابِ اللَّهِ[(١)].

وسُئل الصَّادقعليه السلام: مَن سَبعَاً مِن المثاني؟ فقال: (هِي الحَمدُ، مِنهَا: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾)[(٢)].

وسُمِّيت بالحَمدِ أَيضاً؛ لأَنَّ فيها ذِكرُ الحَمدِ[(٣)] وأُمَّ الكِتَابِ؛ لِتَقَدُّمِها على سَائرِ سُورِ القُرآنِ أَيضاً، والعَرَبُ[(٤)] تُسَمِّي كُلَّ جَامِعٍ لأَمرٍ إذَا كانَت لهُ تَوابِعُ تَتبِعُه[(٥)] أُمَّاً،

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥١، الكشاف، الزمخشري: ١/ ٢٦.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ١٩ح٣، وفيه: (... هي سورة الحمد وهي سبع آيات، منها بسم الله الرحمن الرحيم...) عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٢/ ٢٠ح١٠.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: ١/ ١٢٦، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١/ ١١١.

(٤) العين، الفراهيدي، مادة (أمم) ٨/ ٤٢٦.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٧.

لأَنَّها أَصلُ القُرآنِ كَالأُمِّ [١] وَالسَّبعُ؛ لأَنَّها سَبعٌ، وَالـمَثَانِي لأَنَّها تُثَنَّى في الصَّلاةِ، أو نَفل، أو نَزَلَت مَرَّتَينِ [٢].

وَفي كِتَابِ مُحَمَّد بن مَسعُودٍ العيَّاشي: بإِسنَادِهِ عَن رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ قَالَ لِجَابِر: (يَا جَابِر، أَلَا أُعَلِّمُكَ أَفضَلَ سُورَةٍ أَنزَلَهَا اللهُ فِي كِتَابِه؟

فَقَالَ: بَلَى، بِأَبِي أَنتَ يَا سَيِّدي وَأُمِّي، عَلِّمنِيهَا.

فَقَالَ ﷺ: أُمُّ الكِتَابِ.

قَالَ ﷺ: هِي شِفَاءٌ مِن كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامِ، وَالسَّام الـمَوتَ) [٣].

وَعَن الصَّادِق عليه السلام: (مَنْ لَمْ يُبْرِئْهُ الْـحَمْدُ، لَمْ يُبْرِئْهُ شَيْءٌ) [٤].

وعن عليٍّ عليه السلام: (... قَالَ ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْـمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾[٥] أَشْرَفُ مَا فِي كُنُوزِ الْعَرْشِ، وَإِنَّ اللَّـهَ خَصَّ مُحَمَّداً، وَلَمْ يُشْرِكْ فِيهَا أَحَداً مِنْ أَنْبِيَائِهِ مَا خَلَا سُلَيْمَانَ، فَإِنَّهُ أَعْطَاهُ: ﴿**بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ ...[٦].

واتفَقَ أَصحابُنا: أَنَّها آيةٌ مِن الحَمدِ، ومِن كُلِّ سُورَةٍ، ومَن تَرَكَهَا فِي الصَّلاَةِ بَطَلَت، فَرضاً أَو نَفلاً، ويَجِبُ الجَهرَ بها في مَا يُجهَرُ، ويُستَحَبُّ فيما يُخافَت [٧].

---

(١) تفسير السمعاني، السمعاني: ١/ ٣١، الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١/ ١٤٩.
(٢) زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: ١/ ١٧.
(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٠ح٩ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ٢٣٧ح٣٣، البرهان في تفسير القرآن، البحراني:١/ ٩٨ح٢٤١.
(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٢٦ح٢٢، تفسير العياشي: ١/ ٢٠ح١٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي:١/ ٤٨.
(٥) الحجر:٨٧.
(٦) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٩ح١٠، الأمالي، الصدوق: ٢٤١ح٢٥٥، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٨. قطعة من حديثٍ طويل.
(٧) المبسوط، الطوسي: ١/ ١٠٥، المعتبر، العلامة الحلي: ٢/ ١٦٧، الدروس الشرعية،الشهيد الأول: ١/ ١٧١، الحبل المتين، البهائي: ٢٢٣.

وكُلُّ مَن عدَّها آيةً جَعَلَ مِن ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾إلخ آيةً، ومَن لم يُعِدُّها آيةً جَعلَ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية[1].

وعن الرِّضاعليه السلام: (﴿بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أَقْرَبُ إِلَى اسْمِ اللَّـهِ الْأَعْظَمِ مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَى بَيَاضِهَا)[2].

وَعَن ابنِ عبَّاسٍ: (إِذَا لَقَّنَ الـمُعلِّمُ الصَّبِيَّ، كتَبَ اللهُ بَرَاءَةً لَهُ، وَلِأَبَوَيهِ، وَلِلـمُعَلِّمِ)[3].

﴿بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾

وأصلُ الإسمِ[4]: سَمَوَ؛ لأَنَّ جَمعُه أَسمَاء، وتَصغِيرُه: سُميّ.

واللهُ: أَصلُهُ إِلَه، فحُذِفَت الهَمزَةُ، وَعُوِّضَ عَنهَا حَرفُ التَّعرِيفِ، وَلِذلِكَ قيلَ في النِّداءِ: يَا اللهُ، بِقَطعِ الهَمزَةِ، كَما يُقالُ: يَا إِلَه، وَمَعنَاهُ: ابدَأوا وافتَتِحُوا بِتَسمِيَةِ اللَّـهِ الَّذِي يَحِقُّ لهُ العِبَادَة؛ لقُدرَتِه عَلى أُصُولِ النِّعَمِ.

فَهذَا الإِسمُ مُختَصٌّ بِالمعبُودِ بِالحَقِّ، لا يُطلَقُ عَلى غَيرِه، وَهوَ اسمٌ غَيرُ صِفَةٍ؛ لأَنَّك تَصِفَهُ، فتقولُ: إِلهٌ وَاحِدٌ، وَلا تَصِفُ به[5].

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٧٤، البيان في تفسير القرآن، الخوئي: ٤٢٠.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام الصدوق: ٢/ ٩ح١١، المصباح، الكفعمي: ٣٠٨، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله ابن شعبة: ٤٨٧، تفسير العياشي: ١/ ٢١ح١٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٥٠، عنه جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٥/ ٤٧ح١١١.

ووردت الرواية في جميع المصادر هكذا: (روي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله براءة للصبي، وبراءة لأبويه، وبراءة للمعلم).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سمو) ١٤/ ٤٠١.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٨٢.

والبَاءُ مُتعلِّقٌ بِمحذُوفٍ؛ إمَّا عَلى الَّذي عَرَفتَ، أو عَلى تَقدِيرِ بِسمِ اللَّهِ أُقِرُّ وَهوَ الأَولَى.

يَختَصُّ[1] بسمِ اللَّهِ بِالإِبتدَاءِ بِه، كَما يُقَالُ لِلـمُعرِسِ: بِاليُمنِ وَالبَرَكَةِ؛ يَعنِي: أَعرَستَ، وَإِنَّما قُدِّرَ الـمَحذُوفِ مُتأخِّر، إِلَّا أَنَّهُم يَبدأونَ بِالإِسمِ عِندَهُم، ويَدُلُّ على ذَلكَ قَولُه تَعالَى: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾[2].

وفِي الرَّحمن: مِنَ الـمُبالَغَةِ مَا لَيسَ فِي الرَّحِيمِ؛ ولذلك قِيلَ: الرَّحمنُ بِجَمِيعِ الخَلقِ، والرَّحيمُ بِالـمُومِنينَ خَاصَّةً[3].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

الحَمدُ وَالـمَدحُ أَخَوَانِ؛ وهو: الثَّناءُ عَلَى الجَمِيلِ مِن نِعمَةٍ أو غَيرُهَا، وأَمَّا الشُّكرُ فَعلَى النِّعمَة خَاصَّة[4].

وَالحَمدُ باللِّسَانِ وَحدُهُ: الشُّكرُ، وَالشُّكرُ يَكوُنُ بِه وبِالقَلبِ وَالجَوَارِحِ[5].

وَمِنهُ قَولُهُ صلى الله عليه وآله: (الحَمدُ رَأسُ الشُّكرِ)[6].

والـمَعنَى فِي كَونِه رَأسُ الشُّكرِ: أَنَّ الذِّكرَ بِاللِّسَانِ أَوضَحُ وأَجلَى، وأَدَلُّ عَلى مَكانِ النِّعمَةِ، وأَشيَعُ لِلثَّناءِ عَلَى مُولِّيها مِنَ الإعتِقَادِ وعَمَلِ الجَوَارِح[7].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٥٣.
(٢) هود: ٤١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٥٣، وهو المروى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ينظر: المحاسن، البرقي: ١/ ٢٣٨ح٢١٣، الكافي، الكليني: ١/ ١١٤ح١، معاني الأخبار، الصدوق: ٣ح٢.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٣.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ١/ ٥١.
(٦) المصنف، ابن أبي شيبة: ١/ ٤٢٤ح١٩٥٧٤، شعب الايمان، البيهقي: ٤/ ٩٧ح٤٣٩٣، تفسير البيضاوي: ١/ ٤٤، مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٩.
(٧) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥/ ٥٢.

وَنَقيضُ الحَمدِ: الذَّمُّ وَالعُدولُ عَن النَّصِيبِ الَّذى هوَ الأَصلُ في كَلَامِهِم [١].

عَلى أَنَّه مِنَ المَصادِرِ الَّتي تُنصَبُ بأَفعَالٍ مُضمَرَة، كَقولِهِم: شُكرَاً وَحَمدَاً وَعَجَباً ونَحوِ ذَلكَ، إِلى الرَّفعِ عَلى الإبتداءِ لِلدِلَالَةِ عَلى ثَبَاتِ الـمَعنَى وَاستِقرَارُه، دُونَ التَّجُدِّد وَالحُدوثِ في نَحوِ قَولِكَ: الحَمدُ للَّـهِ حَمدَاً [٢].

والرَّبُّ: السيِّد وَالـمَالِك، ولَم يُطلِقُوا إلَّا فِيهِ تَعَالَى شَأْنُه وَحدَه، ويُقَيَّدُ في غَيرِه بالإِضَافَةِ، مثلُ: رَبُّ الضَّيعَةِ [٣].

وَالعَالَمُ: اسمٌ لأُولِي العِلـمِ مِنَ الـمَلَائكَةِ وَالثَّقلَين، وقِيلَ: لِـمَا يَعلَمُ بِه الصَّانِعُ مِن الجَوَاهِرِ وَالأَجسَام وَالأَعرَاضِ، وجَمعُ جَمعِ السَّالِمِ وَإِن كَانَ اسَماً غَيرَ صِفَةٍ لِدِلَالَتِه عَلى مَعنَى، ولِيَشمِلَ كُلَّ جِنسٍ مِمَا سُمِّي بِه [٤].

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾

هوَ إِضَافَةُ اسمِ الفَاعِلِ إِلى الظَّرفِ عَلَى طَرِيقِ الإِتِسَاعِ، أُجرِي الظَّرفُ مجَرَى الـمَفعُولِ بِه، وَالمعنَى عَلى الظَّرفِيَّة [٥].

وَالـمُرَادُ: مَالِكُ الأَمرِ كُلِّه في يَومَ الدِّينِ؛ أي: يَومِ الجَزَاءِ، مِن قَولِهِم: كَمَا تَدِينُ تُدَان [٦].

وَهذِه الأَوصَافُ مِن كَونِه سُبحَانَهُ رَبَّا مَالِكَاً لِلعَالِمين، لَا يَخرُجُ شَيءٌ مِن مَلَكُوتِه

---

(١) تفسير البيضاوي: ١/ ٤٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٤.

(٣) تفسير السمعاني: ١/ ٣٦، القواعد والفوائد، الشهيد الثاني: ٢/ ١٧٤.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري:١/ ٥٤، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٤.

(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٥.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٨٢.

ورَبُوبيتُه، فمَن كَانَ هَذهِ صِفَاتُه لَم يَكُن أَحَداً أَحَقُّ مِنهُ بِالحَمدِ وَالثَّنَاءِ.

وَالتَخصِيصُ بِذِكرِ الـمَلِكِ فِي يَومِ الجَزَاءِ؛ لِتَعظِيمِ شَأنِه، وَتَفخِيمِ أَمرِه [١].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)

إِيَّا: ضَمِيرٌ مُنفَصِلٌ للمَنصُوبِ، وَالكَافُ وَالهَاءُ وَاليَاءُ اللَّاحِقَة بِهَا فِي إِيَّاكَ وَإِيَّاهُ وَإِيَّاي؛ لبَيَانِ الخِطَابِ وَالغَيبَة وَالتَّكَلُّم، وَلا محَلَّ لهَا مِنَ الإِعرَابِ؛ إِذ هِي حَرفٌ عِندَ الـمُحَقِّقين، وَلَيسَت بِأَسمَاءٍ مُضمَرَةٍ كَما قالَ بَعضُهُم [٢].

وَتَقدِيمُ الـمَفعُولِ لِقَصدِ الإختِصَاصِ، أَي: نَخُصُّكَ بِالعِبَادَةِ، وَنَخُصُّكَ بِطَلَبِ الـمَعونَةِ [٣].

وَالعِبَادَةُ: ضِربٌ مِنَ الشُّكرِ، وغَايَةٌ فِيه، وَهي أَقصَى غَايَةُ الخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ؛ وَلِذَلك لَا تَحسُنُ إِلَّا للَّهِ [٤].

وَإِنَّما عَدِلَ فِيهِ عَن لَفظِ الغَيبَةِ إِلى لَفظِ الخِطَابِ عَلى عَادَة العَرَبِ فِي تَفَنُّنِهم في مُحَاوَرَاتِهم، وَيُسَمَّى هَذَا إِلتِفَاتَاً، وَقَد يَكُونُ مِنَ الغَيبَةِ إِلى الخِطَاب، ومِنَ الخِطَابِ إِلَى الغَيبَة، وَمِنَ الغَيبَةِ إِلى التَّكلُّم، كَقَولِه سُبحَانَه: **﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾** [٥] وقَولُه: **﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾** [٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٥، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٧.
(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ١١٦، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٢٩، مقتنيات الدرر، الحائري: ١/ ١٧.
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٦.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٨٢،مجمع البيان في تفسير القرآن،الطبرسي: ١/ ٤٧٣.
(٥) يونس: ٢٢.
(٦) فاطر: ٩.

وَأَمَّا الفَائدَةُ الـمُختَصَّةُ بِه فِي هَذَا الـمَوضِعِ؛ فهي: إنَّه الـمَعبُود، وَالحَقِيقُ بِالحَمدِ وَالثَّنَاءِ لـِمَا أَجرَى عَلَيه.

وَقَدَّم نَعبُدُ عَلَى نَستَعِينَ؛ أَي: العِبَادَةُ عَلَى الإِستِعَانَةِ؛ لأَنَّكَ بَعدَ أَن قُلتَ: إِيَّاكَ يَا مَن هَذِه صِفَاتُه، نَخَصُّ بِالعِبَادَةِ وَالإستعَانَة؛ فَلأَنَّ تَقدِيمَ الوَسِيلَة يَكُونُ قَبلَ طَلَبِ الحَاجَةِ لِيَستَوجَبُوا الإِجَابَةَ إِلَيهَا.

وَأُطلِقَت الإِستِعَانَةُ لِيَتَنَاوَلَ كُلَّ مُستَعَانٍ فِيهِ، وَالأَحسَنُ أن يُرَاد الإِستِغَاثَةُ بِه، فَهوَ حَقِيقَةٌ عَلَى أَدَائه العِبَادَة[1].

فَيكُونُ قَولُه: ﴿ٱهْدِنَا﴾بَيَانًا لِلمَطلُوبِ مِن الـمَعُونَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيفَ أُعِينُكُم؟ فَقَالُوا: إهدِنَا الصِّرَاطَ الـمُستَقِيمِ.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

وأَصلُ هَدَى: أَن يَتعدَّى باللَّامِ، أو بإلى، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2] وقَولُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] فعُومِلَ مُعَامَلة: اختَارُ، في قَولِهِ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [4] [5].

والهِدَايَةُ: الإرشَادُ وَالدِّلَالَةُ عَلى الشَّيء، يُقالُ لِـمَن تَقدَّمَ القَومَ، وَيُدلُّهم عَلى الطَّرِيقِ: هَادٍ، والـمُرَادُ هُنا: التَّوفِيقُ[6].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٦.
(٢) الإسراء: ٩.
(٣) الشورى: ٥٢.
(٤) الأعراف: ١٥٥.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ١/ ٥٧.
(٦) الصحاح، الجوهري، مادة (هدى) ٦/ ٢٥٣٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٦٥.

والسِّرَاطُ بالسِّين: الجَادَّةُ، مِن سَرَطَ الشَّيء، إِذا ابتَلَعَهُ؛ لأَنَّه يَسرِطُ الـمَارَّةُ إِذا سَلَكَهُ، والصَّادُ: مِن قَلبِ السِّينِ صَاداً؛ لأَجلِ الطَّاءِ، وهي اللُّغةُ الفَصِيحَة [١].

وَالـمُستَقِيمُ: الـمُستَوِي، الَّذِي لَا اعوجَاجَ فِيه [٢].

والصِّرَاطُ الـمُستَقِيم، هو: الدِّينُ الحَقُّ الَّذى لا يَقبَلُ اللهُ عَن العِبَادِ غَيرُه؛ وإِنَّما سُمِّي الدِّين صِرَاطَاً؛ لأَنَّه يُؤدِّي بِمَن سَلَكَهُ إِلى الجَنَّةِ، كَما إِنَّ الصِّرَاط يُؤدِّي السَّالِك إِلى الـمَقصَد [٣].

وعَلى هَذا، فمَعنَى: ﴿**اهدِنَا**﴾ زِدنَا هُدَىً بِمَنحِ الأَلطَافِ، كقَولِه تَعالَى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾ [٤][٥].

وعن عليٍّ (عليه السلام): مَعنَاهُ: (ثَبِّتنَا) [٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٧، لسان العرب، مادة (سرط) ٧/ ٣١٣.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٢٧٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٧، غريب القرآن، الطريحي: ٣٤٨، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٣٠.
(٤) محمد: ١٧.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٧.
(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٧، متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهرآشوب: ١/ ١٢٩.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧)

﴿صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾:

هُو بَدَلٌ مِن الصِّرَاط الـمُستَقِيم، وهوَ في حُكم تَكرُر العَامِل، فكَأَنَّه قَالَ: إهدِنَا صِرَاطَ الَّذينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم، وفَائدَةُ البَدَل التَّوكِيدُ، وِالإشعَارُ بِأَنَّ الطَّرِيقَ الـمُستَقِيم بَيَانُه وَتَفسِيرُه صِرَاطَ مَن خَصَّهُم اللهُ بِعِصمَتِه، وَأَمَدَّهُم بِخَواصِّ نِعمَته، وَاحتَجَّ بِهِم عَلى بَرِيَّته، وَفَضَّلَهُم عَلى كَثيرٍ مِن خَلِيقَتِه، فَيَكُونُ ذَلكَ شَهَادَةً لِصِراطِهِم بِالإِستِقَامَةِ عَلَى آكَدِ الوُجوهِ.

كَما يُقالُ: هَل أَدلُّكَ عَلى أَكرَمِ النَّاسِ فُلَانٌ؟ فَيكُونُ أَبلَغُ فِي وَصفِه بِالكَرَم مِن قَولِكَ: هَل أَدُلُّكَ عَلى فُلانٍ الأَكرَم؟ لأَنَّك بَيَّنت كَرَمَهُ مُجمَلاً أَوَّلاً، وَمُفصَّلاً ثَانِياً، وَأَوقَعتَ فُلَاناً تَفسِيراً لِلأَكرَمِ، فَجَعَلته عَلَماً لِلكَرَمِ، فَكَأَنَّك قُلتَ: مَن أَرَادَ رَجُلاً جَامِعَاً لِلكَرَمِ، فَعَلَيه بِفَلانٍ، وَهوَ الـمُعَيَّنُ لِذلِكَ غَيرَ مُدَافِعٍ؛ أَي: غَيرَ مُمَاطِلٍ. وَأَطلَقَ الإِنعَام لِيَشمَلَ الجَميع(١).

قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾:

بَدَلٌ مِن الَّذينَ أَنعَمتَ عَليهِم، عَلى مَعنَى: أَنَّ الـمُنعَم عَلَيهِم هُم الَّذينَ مَن سَلِمُوا مِن غَضَبِ اللَّهِ وَالضَّلَالِ، أَو صِفَةً عَلى مَعنَى: أَنَّهُم جَمَعُوا بَينَ النِّعمَةِ الـمُطلَقَة؛ وهي: نِعمَةُ الإِيمَانِ، وبينَ السَّلامَةِ مِن غَضَبِ اللَّهِ وَالضَّلَالَة.

وَيَجوزُ أَن يَكُونَ ﴿غَيْرِ﴾ هاهُنا صِفَةً، وإن كانَ ﴿غَيْرِ﴾ لَا يَقَعُ صِفَةً لِلـمَعرِفَةِ، وَلَا يَتعَرَّفُ بِالاضَافَةِ إِلى الـمَعرِفَة؛ لأَنَّ: ﴿الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا تَوقِيت فِيهم؛ وَلأَنَّ الـمَغضُوبِ عَلِيهِم وَالضَّالِّينَ خِلَافَ الـمُنعَمِ عَلَيهِم، فَلَيسَ في ﴿غَيْرِ﴾ إِذ الإِبهَامُ

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٨، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٣١.

الَّذي يَأَبى أَن يَتَعَرَّف [١].

وقيل[٢]: أَنَّ الـمَغضُوبِ عَلَيهِم، هُم: اليَهُود؛ لقَولِه: ﴿**مَن لَّعَنَهُ اللّـهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾[٣].

و ﴿**الضَّالِّينَ**﴾: النَّصارَى؛ لقَوله: ﴿**قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ**﴾[٤].

ومَعنَى: غَضَبِ اللَّـهِ: إِرَادَةُ الإِنتِقَامِ مُنهُم وَتَعذِيبَهُم، وَأَن يَفعَلَ بِهِم مَا يَفعَلُه الـمَلِكُ إِذَا غَضِبَ مَن تَحتَ يَدِه، وَحَملُ عَلَيهِم الأُولَى: نَصبٌ عَلَى الـمَفعُولِيَّة، وحَملُ عَلَيهِم الثَّانِيَة: رَفعٌ عَلى الفَاعِلِيَّة [٥].

وَأَصلُ الضَّلَالِ: الهَلَاكُ [٦] ومنه: ﴿**وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [٧] أي: أَهلَكَهَا، والضَّلَالُ فِي الدِّينِ: الذِّهَابُ عَن الحَقِّ [٨].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٨، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩، مجمع البحرين، الطبرسي: ٣/ ٤٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١/ ١٤٩، الدر المنثور، السيوطي: ١/ ١٦.

(٣) المائدة: ٦٠.

(٤) المائدة: ٧٧.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩.

(٦) الصحاح، الجوهري، مادة (ضلل) ٥/ ١٧٤٩.

(٧) محمد: ٨.

(٨) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٦.



الفصل الثاني

سورة البقرة



وفي الحَدِيث: عَن أُبَيٍّ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قال: (يَا أُبَيُّ، مُرِ الْـمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا سُورَةَ البَقَرَة؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، لَا يَستَطِيعُهَا البَطَلَةُ) قلتُ: يا رسول اللَّـهِ، ومَا البَطَلَة؟ قالَ: (السَّحَرَةُ) [1].

وعَنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قَالَ: (مَنْ قَرَأَ البَقَرَة، فَصَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيهِ وَرَحمَتُه، أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَالْـمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، سَنَةً لَا تَسْكُنُ رَوْعَتُه) [2].

وعَنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: (لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ الْبَقَرَةِ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ نَهَاراً لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْطَانٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَكَذَا فِي اللَّيلِ) [3].

وعَن الصَّادِق عَلَيْهِ السَّلَام: (مَنْ قَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمرَانَ، جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ تُظِلَّانِهِ عَلَى رَأسِهِ

---

(١) تفسير الامام العسكري عَلَيْهِ السَّلَام: ٦٠، المصباح، الكفعمي: ٤٣٨، بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ٢٦٨ح ١٦.

(٢) المصباح، الكفعمي: ٤٣٨، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٧٤.

(٣) المصباح، الكفعمي: ٤٣٨، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٧٤، المعجم الكبير، الطبراني: ٦/ ١٦٣، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٦/ ٣١١.

مِثْلَ الغَمَامَتَينِ)[١].

وقِيلَ: الغَيَابَتَينِ[٢].

وَالغَيَابِيَةُ بِاليَائَينِ التَّحتَانِيَتَينِ: كُلُّ مَا يَظِلُّ عَلَى الرَّأسِ[٣].

﴿الم ۝١﴾

وَاعلَم: أَنَّ الحُروف فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ مَأخُوذَةٌ مِن أَسمَاءِ اللَّهِ، كَقولِ ابن عبَّاس[٤]: أَنَّ الكَاف مِن كَافٍ، وَالهَاءُ مِن هَادٍ، وَاليَاءُ مِن حَكِيمٍ في كَهيَعَص، وَالعَينُ مِن عَلِيمٍ، وَالصَّادُ مِن صَادِقٍ.

وألم: مَعنَاهُ: أَنَا اللهُ، أَعلَمُ، وَالـمُرَادُ: أَنَا اللهُ أَعلَمُ وَأَرَى[٥] وَالمص: أَنَا اللهُ، أَعلَمُ وَأُفَصِّلُ[٦].

وَالحُروفُ الهَجَائِيَةُ الـمَبسُوطَةُ الَّتي تَرَكَّبَت مِنهَا الكَلِم، حُكمُهَا أَن يَكُونَ مَوقُوفَةٌ كَحِسَابِ الأَعـدَادِ، تَقُولُ: أَلِف، لَام، مِيم، كَمَا: وَاحِد، إِثنَان، ثَلاثَة، فَإِذَا وَلَّيتَها العَوامِل أُعرِبَت، فَقِيلَ: هَذِه أَلِف، وَكُتِبَت لَاماً، ونَظَرت إلى مِيم[٧].

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢٥ح٢، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦١.

(٢) ثواب الأعمال، الصدوق: ١٠٤، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ٢٦٥ح ٨.

(٣) تاج العروس، الزبيدي، مادة (غيا) ٢٠/ ٣٥.

(٤) معالم التنزيل، البغوي: ١٤٤، غريب القرآن، الطريحي: ٥٧١، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١١/ ٧٤.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٧٥، معالم التنزيل، البغوي: ١/ ٤٤.

(٦) التبيان في تفسير القرأن، الطوسي: ٤/ ٣٤١، عن ابن عباس، وهو اختيار الزجاج.

(٧) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦٣، تفسير الرازي:٢/ ٢، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٢.

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾

إن جَعلَت ﴿الم﴾ اسماً لِلسُورَةِ فَفِيهِ أَوجُهٌ:

أَحدُهَا: أَن يَكُونَ: ﴿الٓمٓ﴾ مُبتَدَأ، و: ﴿ذَلِكَ﴾ مُبتَدَأ ثَانٍ، و: ﴿الْكِتَابُ﴾ خَبَرُهُ، وَالجُملَةُ خَبَرُ الـمُبتَدَأ الأَوّل، فيَكُونُ الـمَعنَى: إنَّ ذَلِكَ الكِتَاب الكَامِل الَّذى يَستَأهِلُ أَن يُسَمَّى كِتَابَاً، كَانَ مَا سِواهُ مِنَ الكُتُب نَاقِصٌ بِالإِضَافَةِ إِلَيه، كَما تَقُولُ: هُوَ الرَّجُلُ: أي: الكَامِلُ في الرُّجُولِيَّة [١].

وَالثَّاني: أَن يَكُونَ ﴿الْكِتَابُ﴾ صِفَةً، فَيَكُونُ الـمَعنَى: مِن ذَلِكَ الكِتَاب الموعُودِ، لِـمَا رُوي: (أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وَعَدَ نَبِيَّهُ ﷺ أَن يُنَزِّلَ عَلَيهِ كِتَاباً لَا يَمحُوهُ الـمَاءَ، وَلَا يَخلُقُ عَلَى كَثرَةِ الرَّدِّ، فَلَـمَّا أَنزَلَ القُرآنَ، قَالَ: هُو ذَلِكَ الكِتَابِ الَّذي وَعدتُك).

وَقِيلَ: مَعنَاهُ: هَذَا القُرآن، ذَلِكَ الكِتَابُ الَّذِي وَعَدُتُكَ بِهِ فِي الكُتُبِ السَّالِفَةِ [٢].

والثَّالِثُ: أَنَّ يَكُونَ التَّقدِيرُ هَذِه ﴿الٓمٓ﴾ فِيكُونُ جُملَةً و: ﴿ذَلِكَ﴾ جُملَةٌ أُخرَى، وَإِن جُعِلَت ﴿الٓمٓ﴾ بِمَنزِلَةِ الصَّوتِ، كَان: ﴿ذَلِكَ﴾ مُبتَدَأ، و: ﴿الْكِتَابُ﴾ خَبَرُه.

أي: ذَلِكَ الكِتَابُ الـمُنزَلُ، هُو الكِتَابُ الكَامِلُ، أَو الكِتَابِ الكَامِلِ صِفَتُهُ، وَالخَبَرُ مَا بَعدَهُ، أَو قُدِّرَ مُبتَدأ مَحذُوف؛ أي: هُوَ يَعنِي الـمُؤلَّف مِن هَذِه الحُرُوف انتَهَى ذَلِكَ الكِتَاب، وَالـمُرَادُ بِه القُرآنُ [٣].

وَالرَّيبُ: مَصدَرُ رَابَهُ يَرِيبُه، إِذَا حَصَلَ فِيهِ الرِّيبَة، وَحَقِيقَةُ الرِّيبَة: قَلَقُ النَّفسِ وَاضطِرَابُهَا [٤].

وَالهُدَى: مَصدَرٌ عَلَى فُعَل كَالسُّرَى، وُضِعَ مَوضِعُ الوَصفِ؛ أي: هَادٍ [٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦٣، تفسير الرازي:٢/ ١٨، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٢، مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ١٥٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٨٢.
(٣) تفسير الرازي: ٢/ ١٨، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٣.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٧٥، مجمع البحرين، الطريحي:٢/ ٧٧.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٣، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤٢.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾

ثُمَ وَصَفَهُم سُبحَانَهُ، فقَالَ: **﴿الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾**.

الـمَوصُولُ أَن يَكُونَ مجْرُوراً بِأَنَّه صِفَةً لِلـمُتَّقِينَ، أَو مَنصُوبَاً، أَو مَرفُوعَاً عَلَى الـمَدحِ، عَلَى تَقدِيرِ: أَعنِي الَّذِينَ يُؤمِنُونَ، وَهُم الَّذِينَ يُؤمِنُون [1].

وَأمَّا: أَن يَكُونَ مُنقَطِعَاً عمَّا قَبلَهُ، مَرفُوعَاً عَلى الإِبتدَاءِ، وَخَبرُه: **﴿أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى﴾** [2].

وَيُقالُ: أَمَّنَهُ؛ إِذَا صَدَّقهُ، وَعُدِّي بِالبَاء، وَالإِيمَانُ شَرعَاً: مَعرِفَةُ اللَّـهِ، وَكُلُّ عَارِفٍ بِشَيءٍ فَهوَ مُصَدِّقٌ بِهِ [3].

ويَجـوُزُ [4] أَن يَكونَ قولُه: **﴿بِالْغَيْبِ﴾** في مَوضِعِ الحَالِ، ولَا يَكُونُ صِلَةً لِـ: **﴿يُؤْمِنونَ﴾** أَي: يُؤمِنُونَ غَائِبِينَ مِن مَرَأى النَّاسِ، وَحَقِيقَتُه مُتَلَبِّسِينَ، كقوله: **﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾** [5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٨٤، كنز الدقائق، المشهدي: ١/ ١١٣.

(٢) البقرة: ٥.

(٣) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٤.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٨٠.

(٥) الأنبياء: ٤٩.

﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤)

الآخِرَةُ: تَأْنِيثُ الآخَر، والدَّارُ الآخِرَة؛ هِي صِفَةُ الدَّار، وهي مِنَ الصِّفَاتِ الغَالِبَة، وكَذَلِك الدُّنيَا [١] وإِنَّما وُصِفَت بالآخِرَة لِتَأَخُّرِهَا عَن الدُّنيَا، كَما سُمِّيَت الدُّنيَا: دُنيَا؛ لِدُنوِّهَا مِنَ الخَلقِ، وَقيلَ لِدَنَائتِهَا [٢].

وَالإِيقَانُ وَاليَقِينُ؛ هو: العِلمُ الحَاصِلُ بَعدَ استِدلَالٍ وَنَظَرٍ، وَلذَلِك لَا يُطلَقُ: الـمُوقِنُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لاستِوَاءِ الأَشيَاءِ في الجَلَاءِ عِندَهُ جَلَّ ذِكرُهُ [٣].

﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥)

قولُه: **﴿أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْـمُفْلِحُونَ﴾**

الجُملَةُ في مَحَلِّ الرَّفعِ، إن كَانَ: **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾** [٤] مُبتَدَاء، وإلَّا فَلَا مَحَلَّ لَهُما.

وَفي الاسِمِ الَّذي هُو **﴿أُوْلَـئِكَ﴾** إيذَانٌ بِأَنَّ مَا يَرِد عُقَيبَهُ، فَالـمَذكُورُونَ قَبلَه أَهلٌ لَهُ مِن أَجلِ الخِصَالِ الَّتي عَدَدتُ لَهُم [٥] فَإِنَّ أَوَّلُ الآيةِ قَالَ: **﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾** يَعنِي القُرآنَ **﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾** يَعنِي: الكُتُبِ الـمُتقَدِّمَة **﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾** أي: وَيُؤمِنُونَ بِالدَّارِ الآخِرَةِ؛ يَعنِي: البّعثَ بَعدَ الـمَوتِ.

---

(١) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٨٨، تفسير العز بن عبد السلام: ١/ ١٠٠.
(٣) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٦.
(٤) البقرة: ٣.
(٥) الكشاف عن حقائق التأويل،الزمخشري: ١/ ٨٤، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦.

وَالـمُرادُ بِهؤلَاءِ، يُحتَمَلُ أَن يَكوُنَ: مُؤمِنُوا أَهلِ الكِتَابِ، كعَبدَ اللَّـهِ بن سَلَام [١] وَغَيرُه، فيَكُونُ الـمَعطُوف غَير الـمَعطُوفِ عَلَيهِ.

وَيُحتَمَلُ أَن يَكُونَ الأَوَّلَينِ وَوَصَفَهُم بِه فَيَكُونُ الـمَعنَى: أَنَّهُم الجَامِعُونَ بَينَ تِلك الصِّفَاتِ وَهذِه [٢].

وَقَولُه: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

تَعرِيضٌ بِأَهلِ الكِتَابِ، وَأَنَّهُم يُثبِتُونَ أَمرَ الآخِرَة عَلى خِلَافِ حَقِيقَتِه، وَلَا يَصدُرُ قَولهُم عَن إِيقَانٍ أَصلاً.

وَالآخِرَةُ: تأَنِيثُ الدَارِ، بِدَلِيلِ قَولُه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [٣] وَهي مِنَ الصِّفَاتِ الغَالِبَة، وكَذلِك الدُّنيَا وَهي مَعنَى الإستعلَاءِ في قولِه: ﴿عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [٤] ومَنَحُوهُم وَأَعطَوهُم مِن عِندِه، وَهوَ: اللُّطف والتَّوفِيق عَلَى أَعمَالِ البِرِّ.

وَنكَّر ﴿هُدًى﴾ لِيُفِيدَ ضَرباً مِنهَا لَايبلُغ كُنهَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: عَلَى أَيِّ هُدَىً، وفي تكرير: ﴿أُوْلَـئِكَ﴾ تَنبِيهٌ عَلَى أَنَّهُم تَمَيَّزُوا بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الأَثرَتَينِ اللَّتين هُما: الهُدَى وَالفَلَاح مِن غَيرِهم [٥].

وقوله: ﴿هُمْ﴾ سَمَّاهُ البَصرِيُون فَصلاً، والكُوفِيُون عِمَاداً، وَفَائدتُه الدِّلَالَة عَلى أنَّ

---

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف، أنصاري، من بني قنيقاع، حليف، كان اسمه الحصين، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله حين أسلم، توفي سنة (٧١هـ) ينظر ترجمته في: أسد الغابة، ابن الأثير: ٣/ ١٧٧، تذكرة الحفاظ، الذهبي: ١/ ٢٦، تقريب التهذيب، ابن حجر: ١/ ٥٠٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٨٢،جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦.

(٣) القصص: ٨٣.

(٤) تفسير الرازي: ٢/ ٣٣، جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٦.

(٥) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٦، تفسير أبي السعود: ١/ ٣٣.

الـمَذكُور بَعدَه خَبرٌ لَا صِفَة وَتوكِيد، وَإيجَاب أَن فَائدَةُ الخَبرِ ثَابتَةٌ لِلـمُخبَرِ عَنهُ دُونَ غَيرِه [٦].

وَيَجـوزُ أَن يَكُونَ: ﴿**هُمْ**﴾ مُبتَدأ، و: ﴿**الْـمُفْلِحُونَ**﴾ خَـبَره، والجُملَةُ خَبرُ ﴿**أُوْلَـئِكَ**﴾.

وَالـمُفلِحُ: الفَائزُ بِالبُغيَةِ، كَأَنَّهُ الَّذِي انفَتَحَت لَهُ وُجُوهُ الظَّفَرِ [٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

وَلـمَّا قَدَّم سُبحَانَهُ ذِكرَ الأَتقِيَاءِ عَقَّبَهُ بِذكرِ الأَشقِيَاءِ؛ وهُم: الكُفَّارُ الَّذِينَ لَا يَنفَعُ فِيهِم اللُّطفُ، وَ: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**﴾ وُجُودُ الكِتَابِ وَعَدَمِه، وَإِنذَارُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وَعَدَمُ إِنذَارِه [٨].

﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ (٧)

الخَتمُ وَالكَتمُ أَخوَانِ [٩].

وَالغِشَاوَةُ: فُعَالَةٌ، مِن غَشَّاهُ إِذَا غَطَّاهُ، وَهذَا البِنَاءُ لِمَا يَشتَمِلُ عَلِيهِ الشَّيء كَالعَمَامَة [١٠].

وَالخَتمُ عَلَى القُلوبِ وَالأَسمَاعِ، وَتغشِيَةُ الأَبصَارِ مِن بَابِ الـمَجَازِ.

---

(٦) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٦.

(٧) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٨٦،مقتنيات الدرن الحائري:١/ ٦٤.

(٨) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٨.

(٩) تفسير الرازي: ٢/ ٤٩.

(١٠) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٨٨، كنز الدقائق، المشهدي: ١/ ١٤٩.

وَأَمَّا إِسنَادُ الخَتمِ إِلى اللَّهِ فَلِلتَنبِيهِ عَلى أَنَّ هَذِه الصِّفَة في فَرطِ تَمكُّنِهَا كَالشَّىء الخَلقِي غَير العَرَضِي، كَما يُقَالُ: فُلَانٌ مَجبُولٌ عَلى كَذَا، وَمَفطُورٌ عَلِيه، يُرِيدُونَ: أَنَّه مُبَالِغٌ فِي الثَّبَاتِ عَلَيهِ [(١)].

العَذَابُ: مِثلُ النَّكَالِ بِنَاءً ومَعنَىً؛ لأَنَّك تَقُولُ: أُعَذِّبُ عَن الشَّىء، إِذَا أَمسَكتَ عَنهُ، كَما تَقُولُ: نَكلَ عَنهُ، وَثَمَّ اتُسِعَ فِيهِ فَسُمِّي كُلُّ أَلَمٍ فَادِحٍ عَذَابَاً وإِن لَم يَكُن نَكَالاً، أَي: عِقَابَاً يَرتَدِع بِه الجَانِي [(٢)].

وَالعَظِيمُ: نَقِيضُ الحَقِير، كَما أَنَّ الكَبِير نَقِيضُ الصَّغِيرِ؛ فَإِنَّ العَظِيمَ فَوقَ الكَبِير، كَمَا أَنَّ الحَقِير دُونَ الصَّغِير [(٣)] وَيُستَعمَلَان في الجُثَثِ أَو الأَحدَاثِ جَمِيعَاً، يُقَالُ: رَجُلٌ عَظِيمٌ جُثَّته، أو خَطَرُه [(٤)].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿**النَّاسِ**﴾: أَصلُ النَّاسِ أُنَاس، حُذِفَت الهَمزَةُ تَخفِيفَاً، وَحذفُهَا مَع لَامِ التَّعرِيفِ كاللَّازِمِ، لَا يَكَادُ يُقَالُ: الأُنَاس [(٥)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩.
(٢) تفسير الرازي: ٢/ ٥٤، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٦.
(٣) تفسير الرازي: ٢/ ٥٤، تفسير البيضاوي: ١/ ١٥٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٩، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٥٧.
(٥) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٦، كنز الدقائق، المشهدي: ١/ ١٥٨.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

يُقالُ: قَالَ الـمَلِكُ كَذَا دَائماً، وَأَنَّ القَائل وَزِيـرُه، أَو خَاصَّتُه، أَو الَّذِينَ قَولهُم قَولهُم[1].

النَّفسُ: ذَاتُ الشَّيء وَحَقِيقَتُه، ثُمَّ قِيلَ: لِلقَلبِ: نَفسٌ؛ لأَنَّ النَّفس بِه، قَالُوا: الـمَرءُ بِأَصغَرَيهِ؛ أَي: بِقَلبِهِ وَلِسَانِه، وَقِيلَ أَيضاً لِلرُوحِ: نَفسٌ، وَلِلدَمِ: نَفسٌ؛ لأَنَّ قِوَامُها بِالدَّمِ، وَلِلـمَاءِ: نَفسٌ؛ لِفَرطِ حَاجَتِهَا إِليه[2].

وَالـمُرَادُ بِالأَنفُسِ فِي ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ ذَوَاتهُم[3].

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وَالشُّعورُ: عِلـمُ الإِنسَانِ بِالشَّيء عِلمٌ حَسٍ[4] يُقَالُ: أَلَمَ فَهوَ أَلِيمٌ، كَوَجَعٌ فَهوَ وَجِيعٌ، وَالأَلَمُ فِي الحَقِيقَةِ لِلـمُولِمِ[5].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

الفَسَادُ: نَقِيضُ الصَّلَاحِ[6] أي: خُرُوجُ الشَّيء عَن حَالِ استِقَامَتِه، وَكَونُه مُنتَفَعاً بِهِ[7].

وَالفَسَادُ فِي الأَرضِ: هَيَجُ الحُروبِ وَالفِتَن بِعَمَلِ الـمَعَاصِي، وَتَفرِيقِ النَّاس؛ لأَنَّ فِي ذَلِكَ فَسَادُ مَا فِي الأَرضِ، وَانتِفَاءُ الإِستِقَامَة عَن أَحوَالِ النَّاسِ، وَالزُّرُوعِ، وَمَنَافِعُ الدَّارَينِ[8].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٦٠.
(٢) الكشاف عن حقائق التاويل، الزمخشري: ١/ ٩٦، جوامع الجامع،الطبرسي: ١/ ٧٢.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٩٨.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣.
(٦) العين، الفراهيدي، مادة (فسد) ٧/ ٢٣١.
(٧) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٠٠.
(٨) تفسير البيضاوي: ١/ ١٦٩، تفسير أبي السعود: ١/ ٤٣.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾

وَأَلَا: مُرَكَّبَةٌ مِن هَمزَةِ الإِستِفهَامِ وَحَرفُ النَّفِي؛ لإِعطَاءِ مَعنَى التَّنبِيهِ عَلَى تَحقِيق مَا بَعدَهَا، والإِستِفهَامُ إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّفِي أَفَادَ تَحقِيقاً، نَحوَك ﴿**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ**﴾[1] [2].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾

السَّفَهُ: خِفَّةُ الحِلمِ، وَسَخَافَةُ العَقلِ[3].

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٤﴾

وَخَلَوتُ بِفُلَانٍ، وَخَلَوتُ إِلَيهِ، بِمَعَنَى: انفَرَدتُ مَعَه[4].

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١٥﴾

يُقَالُ: مَدَّ الجَيشَ، وَأَمَدَّهُ، إِذَا زَادَهُ[5].

---

(١) القيامة: ٤٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٠١.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٧٧.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٥.

(٥) تفسير الرازي: ٢/ ٧١، غريب القرآن، الطريحي: ٢١١.

الطُّغيَانُ: الغُلوُّ في الكُفرِ، وَمُجَاوَزَةُ الحَدِّ في العُتوِّ [١].

العَمَهُ: مِثلُ العَمَى، إِلَّا أَنَّ العَمَه في الرَّأي خَاصَّة، وَهوَ التَّحَيُّر وَالتَّرَدُّد، وَلَا يَدرِي أَينَ يَتَوجَّه [٢].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٦)

الرِّبحُ: الفَضلُ عَلَى رَأَسِ المَالِ [٣].

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧)

وَالإِستِيقَادُ: طَلَبُ الوُقودِ [٤].

وَالوُقُودُ: سُطُوعُ النَّارِ، وَارتِفَاعُ لَهَبُهَا [٥].

وَالإِضَاءَةُ: فَرطُ الإِنَارَة [٦].

الفَرقُ بَينَ أَذهَبَهُ وَذَهَبَ بِه: أَنَّ مَعنَى الأَوَّل: أَزَالَهُ وَجَعلَهُ ذَاهِبَاً، وَذَهَبَ بِه: استَصحَبَهُ، وَمَضَى بِهِ مَعهُ، وَهوَ أَبلَغُ مِنَ الإِذهَابِ [٧].

التَّركُ: الطَّرحُ.

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل،الزمخشري:١/ ١٠٦ ،زاد المسير،ابن الجوزي: ٢/ ٢٩٩.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٦.
(٣) تفسير البيضاوي: ١/ ١٨٥، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ١/ ٢٠٦.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٨٦، التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ١/ ٧٢.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٧.
(٦) تفسير الرازي: ٢/ ٧٥، تفسير أبي السعود: ١/ ٥٠.
(٧) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٧٨، تفسير الرازي: ٢/ ٧٦.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٩﴾

الصَّيِّبُ: الـمَطَرُ الَّذِي يُصوِّب؛ أي: يَنزِلُ وَيقَعُ، وَيُقَالُ لِلسَحَابِ: صَيِّب أَيضاً[١].

صَعِقَتهُ الصَّاعِقَةُ بِصَعقٍ؛ أي: مَاتَ أَمَّا بِشِدَّةِ الصَّوتِ،أَو بِالإِحرَاقِ[٢].

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾

الخَطفُ: الأَخذُ بِسُرعَةٍ خِفقِ البَرقِ ضِدَّ خَفتَ[٣].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾ أَي: وَلَو شَاءَ أَن يُذهِبَ بِسَمعِهِم وَأَبصَارَهُم لَذَهَبَ بِهَا، وَلَقَد كَثُرَ هَذَا الحَذفُ فِي شَاءَ وَأَرَادَ، وَلَم يُبَرِّزُوا الـمَفعُولَ إِلَّا فِي النَّادِرِ[٤] كَقولِه: ﴿**لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً**﴾[٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٢١﴾

لَعَلَّ: لِلتَرَجِّي وَالإِشفَاقِ[٦] وقَد جَاءَ فِي مَوَاضِعَ مِنَ القُرآنِ عَلَى سَبِيلِ الإِطمَاعِ[٧].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١١٥، تفسير الرازي: ٢/ ٧٩.
(٢) تفسير البيضاوي: ١/ ٢٠٣، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٧٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٥٤.
(٤) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٨١.
(٥) الزمر: ٤.
(٦) تفسير الرازي: ٢/ ١٠٠، شرح ابن عقيل: ١/ ٣٤٦.
(٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٤/ ٣٩٣، مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ٤٢٩.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)

النِّدُّ: الـمِثلُ، وَلا يُقَالُ: النِّد إِلَّا لِلـمِثلِ الـمُخَالِف، نَحو: ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّه**﴾[١].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣)

الشَّهِيدُ: الحَاضِرُ، أَو القَائمُ بِالشَّهَادَة [٢].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤)

الوَقُودُ: مَا يُوقَدُ بِه النَّار، وَهوَ: الحَطَبُ [٣].

وَالـمُرَادَ بِـ: ﴿**الْحِجَارَةُ**﴾ في قَولِه: ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ قِيلَ: حِجَارَةُ الكِبرِيتِ؛ لأَنَّها أَحَرُّ شَيءٍ إِذَا حُمِيَت [٤].

وَقِيلَ: ذِكرُ الحِجَارَة دَلِيلٌ عَلَى عِظَم تِلكَ النَّار؛ لأَنَّها لَا تَأكُلُ الحِجَارِة إِلَّا وَهي فِي غَايَةِ الفَضَاعَةِ وَالهَولِ [٥].

(١) البحر المحيط، أبي حيان: ١/ ٢٣٢، آيات الأحكام، الاسترآبادي: ٢٥٥.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٢٩،تفسير البضاوي: ١/ ٢٣٢.
(٣) الكشف والبيان، الثعلبي: ١/ ١٦٩، مقتنيات الدرر، الحائري: ١/ ٩٢.
(٤) تفسير الإمام العسكريعليه السلام: ٢٠٢، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ١٠٦.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٢٩ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٣٥.

وَالـمَعنَى فِي قَوله: ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ**﴾ أَنَّهَا نَارٌ مُمتَازَةٌ عَن النِّيرَانِ الأُخَر؛ بِأَنَّهَا لَا تَتَقِدُ إِلَّا بِالنَّاسِ وَالحِجَارِة.

وَقَرَنَ النَّاسَ بِالحِجَارَةِ؛ لأَنَّهُم قَرَنُوا بِهَا أَنفُسَهُم، حَيثُ نَحَتُوهَا أَصنَامَاً، وَجَعَلُوهَا أَندَادَاً لَهَ تَعَالَى، وَعَبَدُوهَا مِن دُونِه، وَالـمُعَدُّ: الـمُهَيَأ [(١)].

وَاستُدِلَّ [(٢)] بِـ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ**﴾ عَلَى أَنَّ النَّار مَخلُوقَةَ الآن؛ لأَنَّ الـمُعَدَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَوجُودَاً، وَكَذَلِكَ الجَنَّةُ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [(٣)].

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥)

البِشَارَةُ: الإِخبَارُ بِمَا يُظهِرُ سُرورَ الـمُخبَرَ بِه [(٤)].

وَالجَنَّةُ: البُستَانُ مِنَ النَّخلِ وَالشَّجَرِ [(٥)].

الخُلدُ: الثَّبَاتُ الدَّائمُ، وَالبَقَاءُ الدَّائمُ الَّذِي لَا يَنقَطِع [(٦)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٨٥.
(٢) الكشف والبيان، الثعلبي: ١/ ١٦٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٢٩.
(٣) آل عمران: ١٣٣.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٦١، مختصر المعاني، التفتازاني: ٢٢٧.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٨٦.
(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٣٩.

﴿كَيفَ تَكفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُم أَموَاتًا فَأَحيَاكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحيِيكُم ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ (٢٨)

﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ**﴾: مَعنَى كَيفَ هَاهُنا: إِستفهَامٌ فِي مَعنَى الإِنكَارِ وَالتَّعَجُّبِ؛ أَي: عَجِبُوا عَن هَؤلَاءِ كَيفَ تَكفُرُونَ بِاللَّـهِ مَعَ الدَّلَائلِ الظَّاهِرَةِ عَلَى وَحدَانِيَّتِهُ[1].

﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجعَلُ فِيهَا مَن يُفسِدُ فِيهَا وَيَسفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعلَمُ مَا لَا تَعلَمُونَ﴾ (٣٠)

الخَلِيفَةُ: الـمُخَلِّفُ غيرَهُ[2].

﴿وَإِذ قُلنَا لِلمَلَائِكَةِ اسجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبلِيسَ أَبَى وَاستَكبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾ (٣٤)

﴿**قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾: أي: اذكُر يَا مُحَمَّد، إِذ قُلنَا لِلـمَلَائكَةِ: اسجُدُوا لِآدَم سُجُودَ تَعظِيمٍ وَتَسلِيمٍ وَتَحِيَّة، والتَّعظِيمُ يَقتَضِي أَنَّ الأَمر بِالسُّجُودِ لَهُ كَانَ لِجَمِيعِ الـمَلَائكَةِ حَتَّى جَبرَئيل[3].

وَالـمُرَادُ: إِنَّ الأَمرَ كَانَ خَاصًّا لِطَائفَةٍ مِنَ الـمَلَائكَةِ كَانُوا مَعَ إِبلِيس، وطَهَّرَ اللهُ بِهِم الأَرضَ مِنَ الجَانِّ[4].

﴿**فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ**﴾: أَي: امتَنَعَ وَتَكَبَّرَ.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٤١.

(٢) العين، الفراهيدي، مادة (خلف) ٤/ ٢٦٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ١٤٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٦١.

وَاختُلِفَ في إِبلِيس؛ هَل كَانَ مِنَ الـمَلَائكَةِ أَم لَا، فَذَهَب قَومٌ: أَنَّه كَانَ منِهُم، وَقَالَ قَومٌ: إِنَّه كَانَ مِنَ الجِنِّ.

قالَ الـمُفِيدُ (ره): وَقَد جَاءَت الأَخبَارُ الوَارِدَةُ الـمُتَواتِرَةُ بِذَلِك عَن أَصحَابِ العِصمَةِ ـ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيهِم ـ وَهوَ مَذهَبُ الإِمَامِيَّة [١].

وَاحتَجُّوا عَلَى صِحَّةِ هَذَا القَولِ بِأَشيَاء:

أَحَدُهَا: قَولُه سُبحَانَهُ: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْـجِنِّ**﴾ [٢] وَكُلُّ مَا فِي القُرآنِ مِن ذِكرِ الجِنِّ مَعَ الإِنسِ يَدلُّ عَلَيهِ [٣].

وَثَانِيهَا: قَولُه سُبحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُون**﴾ [٤] فَنَفَى الـمَعصِيَّةِ عَنهُم نَفياً عَامّاً [٥].

وَثَالِثُهَا: إِنَّ إِبلِيس لَهُ نَسلٌ وَذُرِّيَّـة، وُهوَ أَب الجِنَّ [٦] كَمَا أَنَّ آدَم أَب الإِنسِ، وَخَلقَهُ مِنَ النَّارِ، وَالملَائكَةُ رَوحَانِيُون، خُلِقُوا مِنَ الرِّيحِ، أَو النُّورِ، لَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَطعَمُونَ، وَلَا يَشرَبُون [٧].

وَرَابِعُهَا: قَولُه تَعَالَى: ﴿**جاعِلِ الْـمَلائِكَةِ رُسُلاً**﴾ [٨] وَلَا يَجُوزُ عَلَى رُسُلِ الله الكُفرَ

(١) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ١٣٣.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٦٣.

(٤) التحريم: ٦.

(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١٢٣.

(٦) استدلوا على هذا بقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ الكهف: ٥٠.

(٧) مقتنيات الدرر، الحائري: ١/ ١١٨.

(٨) فاطر: ١.

وَلَا الفِسق، وَلَو جَازَ عَلَيهِم الفِسقَ لَجَازَ عَلَيهِم الكَذِب [١].

وَقَالُوا: إِنَّ استِثنَاء الله تَعَالى إِيَّاه مِنهُم لَا يَدُلُّ عَلَى كَونِه مِن جُملَتِهم، وَإِنَّما استُثنِي مِنهُم؛ لأَنَّه: كَانَ مَأَمُوراً بِالسُّجُودِ مَعَهُم، فَلـمَّا دَخَلَ مَعَهُم فِي الأَمرِ جَازَ إِخرَاجُهُ بِالإِستِثنَاءِ.

وَكَانَ إِبلِيس قَبلَ أَن يَرتَكِب الـمَعصِيَّة اسمُه عَزَازِيل، مِن سُكَّانِ الأَرضِ، أَشَدُّ اجتِهَاداً، وَأَكثَرُ عِلـماً، فَلـمَّا تَكَبَّرَ عَلَى رَبِّهُ وَعَصَاهُ لُعِنَ وَجُعِلَ شَيطَاناً، وَسَمَّاهُ إِبلِيس [٢].

وَأَمَّا الإِستِثنَاءُ عِندَ مَن ذَهَبَ إِلى أَنَّ إِبلِيسَ مِنَ الجِنِّ فَمُتَصِلٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الإِستِثنَاء أَيضاً مُتَصِلٌ عِندَ مَن ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الـمَلَائِكَةِ.

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مُنقَطِعاً؛ أَي: لَكِن امتَنَعَ مِمَّا أَمرَ وَاستَكبَرَ عَنهُ، وَكَانَ مِن جِنسِ كَافِرِي الجِنِّ وَشَيَاطِينِهِم [٣].

وَأَمَّا قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ**﴾ أَي: وَكَانَ كَافِراً فِي الأَصلِ، أَو فِي سَابِقِ عِلـمِ اللَّـهِ [٤].

وَقِيلَ [٥]: مَعنَاهُ صَارَ مِنَ الكَافِرِينَ، كَقَولِه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَكَانَ مِنَ الْـمُغْرَقِينَ**﴾ [٦].

وفِي الآيَةِ دِلَالَةٌ عَلَى فَضلِ آدم عَلَى جَمِيعِ الـمَلَائِكَةِ؛ لأَنَّه قَدَّمَهُ عَلَى الـمَلَائِكَةِ إِذ أَمَرَهُم بِالسُّجُودِ، وَلَا يَجُوزُ تَقدِيم الـمَفضُولِ عَلَى الفَاضِلِ [٧].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١٢٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٦٥.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٩٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٦٥.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ١٥٤.

(٦) هود: ٤٣.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٩٤.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٥﴾

الرَّغَدُ: الوَاسِعُ مِنَ العَيشِ [١].

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾

الهُبُوطُ: النُّزُولُ إِلَى الأَرضِ [٢].

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾

مَعنَى تَلَقَّى كَلِمَاتٍ فِي: ﴿**فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ**﴾ استقبَالُهَا بِالأَخذِ وَالقَبُولِ، وَالعَمَلِ بِهَا؛ أَي: أَخَذَهَا مِن رَبِّهِ عَلَى سَبِيلِ الطَّاعَةِ، وَرَغِبَ إِلَى اللَّـهِ بِهَا[٣] أَو سَأَلَهُ بِحَقِّهَا[٤].

وَالكَلِمَاتُ: هِيَ: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا**﴾[٥] ... إِلَخ [٦].

وَفِي رُوَايَةِ أَهلِ البَيتِ ﷺ: هِيَ أَسمَاءُ أَهلِ الكِسَاءِ [٧].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (رغد) ٢/ ٤٧٥، تفسير السمعاني: ١/ ٦٨.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٩٦، تفسير النسفي: ١/ ٣٩.

(٣) رسائل الشريف المرتضي:٣/ ١١٤، متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهريشوب: ١/ ٢١٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٩٧.

(٥) الأعراف: ٢٣.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٧٥.

(٧) تفسير العياشي: ١/ ٤١ح ٢٧، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٧٥.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨)

﴿**هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ اعلَم: أَنَّه قَد يَكُون جَوَاب الشَّرطِ الأَوَّلِ الشَّرط الثَّانِي، كَمَا فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ**﴾ [١] أَي: بِأَن يُقتَدَى بِرَسُولِي وَيُؤمَنُ، فَلَا خَوف مَعَ جَوَابِه عَلَيهِم، وَلَا هُم يَحزَنُون فَمَن تَبعَ هُدَاي وَلَا هُم يَحزَنُون [٢].

مِثلَ قَولِكَ: إِن جِئتَنِي، فَإِن قَدِرتُ أَحسَنتُ إِلَيكَ [٣].

يُقَالُ: رَأَيتُ عَالِـماً، وَيُرَادُ بِه الكَثرَة.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)

﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾: الهَمزَةُ لِلتَقرِيرِ وَالتَّوبِيخِ، وَالتَّعجُّبِ مِن حَالِهِم [٤].

وَالبِرُّ: سَعَةُ الخَيرِ، وَمِنهُ قَولُهُم: صَدَقتَ وَبَرَرتَ، وَالبِرُّ هُنَا: الإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله [٥].

عَن أَنَس بِن مَالِك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (مَرَرتُ لَيلَةَ أُسرِيَ بِي عَلَى أُنَاسٍ تُقرَضُ شِفَاهُهُم بِمَقَارِيضَ مِن نَارٍ، فَقُلْتُ: مَن هَؤُلَاءِ يَا جَبرَئِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا، مِمَّن كَانُوا يَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَيَنسَونَ أَنفُسَهُم) [٦].

---

(١) البقرة: ٣٨.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٩٧، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ١٣٢.
(٣) تفسير الرازي: ٣/ ٢٧.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٦١.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠٠، تفسير النسفي: ١/ ٤١.
(٦) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٢٠، المصنف، ابن أبي شيبة: ٨/ ٤٤٦، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٩٢.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾:

ثُمَّ أَمَرَهُم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بِالصَّومِ وَالصَّلَاةِ؛ لأَنَّهُم إِنَّما كَانَ يَمنَعَهُم عَن الإِسلَامِ الشَّرَهِ، وَخَوفَ ذَهَابِ مَأَكَلتِهِم، وَحُبُّ الرِّئاسَةِ، فَأُمِرُوا بِالصَّومِ الَّذِي يُذهِبُ الشَّرَهِ، وَبِالصَّلَاةِ الَّتي تُورِثُ الخُضُوعَ[1].

قَالَ فِي الصِّحَاحِ[2]: الشَّرَهُ غَلَبَةُ الحِرصِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة﴾ أَي: بِالصَومِ وَالصَّلَاة؛ لأَنَّ الصَّومَ يُذهِبُ الشَّرَه، وَهَوَى النَّفس، وَالصَّلَاةُ تَنهَى عَن الفَحشَاءِ وَالـمُنكَرِ؛ لأَنَّهَا تَتضَمَّنُ التَّوَاضُعَ لله تَعَالَى، فَيَدفَعُ الرِّئَاسَةَ.

وَالصَّبرُ هُنَا: الصَّومُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لَشَهرِ رَمَضَان: شَهرُ الصَّبرِ[3].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ استَعِنُوا فِي حَوائِجِكُم عَلَى البَلَاءِ بِالصَّبرِ عَلَيهَا، وَالإِلتِجَاءِ إِلى الصَّلَاةِ[4].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ادَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)[5].

---

(١) الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، الواحدي: ١/ ١٠٣.

(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (شره) ٦/ ٢٢٣٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠١.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١٦٢.

(٥) المعجم الأوسط، الطبراني: ٦/ ١٠٦، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٥٦٦، أعلام الدين، الديلمي: ٢٥٢، مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠/ ٣٧٨.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

العَدَلُ: الفِداءُ [١] وَإِنَّما سُمِّي الفِدَاء عَدلاً؛ لأَنَّهَا مُعادَلَةٌ وَمُمَاثَلَةٌ لِلـمُفَدَّى [٢].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾

يُقَالُ: يَسُومُه العَذَابَ؛ أَي: يُلزِمَهُ وَيُكَلِّفَهُ سُوءُ العَذَابِ، وَأَصلُهُ مِن: سَامَ السِّلعَةَ، إِذَا طَلَبَهَا، كَأَنَّه بِمَعنَى: يَبغُونَكُم سُوءَ العَذَابِ، وَيَرُدُّونَكُم عَلَيهِ [٣].

فِرْعَوْن: فِرعَون، عَلَمٌ لِـمَن مَلَك العَمَالِقَة، مِثلُ قَيصَر لِـمَلِك الرُّومِ، وَكِسرَى لِـمَلِكِ الفُرسِ [٤].

يُقَالُ: السَّببُ فِي قَتلِ فِرعَون أَبنَاءَ بَنِي إِسرَائيلَ، وَاستِحيَاءُ نَسَائِهِم: أَنَّه رَأى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ نَاراً أَقبَلَت مِن بَيتِ الـمَقدِسِ، حَتَّى اشتَمَلَت عَلَى بُيوتِ مِصرَ فَأَحرَقَتهَا، وَأَحرَقَت القِبط، وَتَرَكَت بَنِي إِسرَائيل.

فَهَالَهُ ذَلِك، وَدَعَى السَّحَرَةَ وَالكَهَنَةَ وَالقَافَة، فَسَأَلَهُم عَن رُؤيَاه وَمَا هَالَهُ؟ فَقَالُوا: إِنَّه يُولَدُ فِي بَنِي إِسرَائيلَ غُلَامٌ، يَكُونُ عَلَى يَدِهِ هَلَاكُكَ، وَزَوَالُ مُلكِكَ، وَتَبدِيلُ دِينِكَ. فَأَمَرَ فِرعَونُ بِقَتلِ كُلِّ غُلَامٌ يُولَدُ فِي بَنِي إِسرَائيلَ، وَجَمَعَ القَوَابِل، فَقَالَ لَهُنَّ: لَا

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (عدل) ١١/ ٤٣٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٠٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠٣، تفسير الرازي: ٣/ ٦٧.

(٤) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٢٠، البحر المحيط، أبي حيان التوحيدي: ١/ ٣٥٠.

يَسقُطُ عَلَى أَيدِيكُنَّ غُلَامٌ مِن بَنِي إِسرَائيل إِلَّا قُتِل، وَلَا جَارِيَةً إِلَّا تُرِكَت، فَكُنَّ يَفعَلنَ ذَلِك، وَأَسرَعَ الـمَوتُ فِي مَشيَخَةِ بَنِي إِسرَائيلَ.

وَدَخَلَ رَأسُ القِبطِ عَلَى فِرعَون، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ الـمَوتَ قَد وَقَعَ فِي بَنِي إِسرَائيلَ؛ فَتَذبَحُ صِغَارَهُم، وَتُمَوِّتَ كِبَارَهُم، فَيُوشَكُ أَن يَقَعَ العَمَل فِينَا، فَأَمَرَ فِرعَونُ أَن يَذبَحُوا سَنَةً، وَيَترُكُوا سَنَةً، فَوُلِدَ هَارُون عليه السلام فِي السَّنَةِ الَّتي لَا يَذبَحُونَ فِيهَا فَتُرِكَ، وَوُلِدَ مُوسَى عليه السلام فِي السَنَةِ الَّتِي يَذبَحُونَ فِيهَا [١].

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ**﴾ أي: يُلزِمُونَكُم وَيُكَلِّفُونَكُم، وَأَصلُهُ: مِن سَامَ السِّلعَةَ؛ إِذَا طَلَبَهَا، كَأَنَّه بِمَعنَى: يَبغُونَكُم [٢].

﴿**سُوءَ الْعَذابِ**﴾: وَالسُّوءُ: مَصدَرُ السَّيىء؛ وَهَوَ القَبِيحُ [٣].

﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ**﴾ أَي: بَنَاتُكُم، أَي: يَستَبقُونَهُنَّ وَيَدَعُونَهُنَّ أَحيَاء لِيُستَعبَدنَ، وَيُنكَحنَ عَلَى وَجهِ الإِستِرقَاقِ، وَهَذَا أَشَدُّ مِنَ الذَّبحِ [٤].

﴿**وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾: أَي: وَفِي سَومِكُم العَذَابَ، وَذَبحِ الأَبنَاءِ، وَاستِحيَاءِ النِّسَاءِ، اختِبَارٌ وَامتِحَانٌ مِن رَبِّكُم.

جَودَةُ القَرِيحَةِ، وَحِدَّةُ الفِطنَةِ، وَذَكَاءُ النُّهَى، وَقُوَّةُ الفَهمِ بِمَعنًى.

---

(١) جامع البيان، الطبري: ١/ ٣٨٩، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ١٢٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٠٦، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ١/ ١٧٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٦٦، تفسير الرازي: ٣/ ٦٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٠٥ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٧٥.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٤)

البَارِئ: الَّذِي خَلَقَ الخَلقَ، بَرِيئاً مِنَ التَّفَاوُتِ، وَمُتَمَيِّزاً بَعضُهُم مِن بَعضٍ بِالصُّوَرِ وَالأَشكَالِ الـمُختَلِفَةِ.

البَلبَلَةُ وَالبَلبَالُ: الهَمُّ وَوَسوَاسُ الصَّدرِ [١].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧)

الـمَنُّ: التَرَنجَبِينَ[٢] وكَانَ يَقَعُ عَلَى أَشجَارِ بَنِي إِسرَائِيلَ بِالأَسحَارِ مِثلُ الثَّلجِ [٣].

وَالسَّلوَى: هُوَ طَيرٌ أَبيَضٌ يَشبَهُ السَّمَانِي [٤].

وَكَانَ يَسقُطُ عَلَيهِم الـمَنُّ مِن أَوَّلِ طُلُوعِ الفَجرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمسِ، وَكَانُوا يَأَخُذُونَ مِنهَا مَا يَكفِيهِم لِيَومِهِم [٥].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (... كَانَ يَنزِلُ الْـمَنُّ عَلَى بَنِي إِسرَائِيلَ مِنْ بَعدِ الفَجرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمسِ، فَمَن نَامَ فِي ذَلِكَ الوَقتِ لَم يَنزِل نَصِيبُهُ؛ فَلِذَلِكَ يُكرَهُ النَّومَ فِي هَذَا الوَقتِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمسِ) [٦].

(١) الصحاح، الجواهري، مادة (بلل) ٤/ ١٦٤٠.
(٢) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: ٣/ ٢٦٢.
(٣) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٢٥٨، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠٧.
(٤) جامع البيان، الطبري: ١/ ٤٢٢، غريب القرآن، الطريحي: ٣٧.
(٥) كنز الدقائق، الكاشاني: ١/ ٤٤٧.
(٦) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٥٠٣ح١٤٤٩، تهذيب الأحكام، الطوسي: ٢/ ١٣٩ح٥٤٠ عنه البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/ ٢٢٣ح٤٨٣.

وَكَانَ الرَّجُلُ مِنهُم، إِذَا أَخذَ مِنَ الـمَنِّ وَالسَّلوَى زِيَادَةً عَلى طَعَامِ يومٍ وَاحِدٍ فَسَد، إِلَّا يومُ الجُمعَة، فَإِنَّهُم إِذَا أَخَذُوا طَعَامَ يومَينِ لَم يَفسُد [١].

وَكَانُوا يَأَخُذُونَ مِنهَا مَا يَكفِيهِم لِيَومِ الجُمعَةِ وَالسَّبتِ؛ لأَنَّهُ كَانَ لَا يَأتِيهِم يَوم السَّبتِ، وَكَانُوا يَخبِزُونَهُ مِثلَ القُرصَةِ، وَيُوجَدُ لَهُ طَعمٌ كَالشَّهدِ الـمَعجُونِ بِالسَّمنِ.

وَكَانَ اللهُ تَعَالَى يَبعَثُ لَهُم السَّحَابَ بِالنَّهَارِ، فَيدفَعُ عَنهُم حَرَّ الشَّمسِ، وَكَانَ يَنزِلُ عَلَيهِم بِاللَّيلِ [٢] عَمُوداً مِن نُورٍ، يُضِيءُ لَهُم مَكَانَ السِّرَاجِ.

وَإِذَا وُلِدَ فِيهِم مَولُودٌ، يَكُونُ عَلَيه ثَوبٌ بِطُولِهِ [٣] فَلَـمَّا انقَضَت مُدَّة حَبسِهِم بَدَّل صَبَّهُم خَرَجُوا مِنَ التِّيهِ [٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ**﴾ هَذِهِ القَريَةُ: وَهي البَيتُ الـمُقَدَّس [٥] وَقِيلَ: أَرِيحَا؛ مِن قُرَى الشَّام [٦].

﴿**فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً**﴾ أَي: فَكُلُوا مِن طَعَامِ القَريَةِ بَعدَ الـمَنِّ وَالسَّلوَى أَينَ شِئتُم [٧].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٢٥٩، عن ابن جريح.

(٢) في المصدر: في الليل.

(٣) في المصدر: يطول بطوله كالجلد.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٢٦.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٢٦٢، جامع البيان، الطبري: ١/ ٤٢٦.

(٦) تفسير الامام العسكري عليه السلام ٢٥٩، غريب القرآن، الطريحي: ٥٩.

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٢٩.

رَغَدَاً ؛ يَعنِي: مُوَسَّعَاً عَلَيكُم، مُستَمتِعِينَ بِهِ [١].

الحِطَّةُ: فُعْلَةٌ، مِنَ الحَطِّ، كَالجِلسَةِ وَالرُّكبَةِ [٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ أَي [٣]: يَا بَنِي إِسرَائيل، وَهِي: خَبَرُ مُبتَدَأ مَحذُوفٍ؛ أَي: مَسأَلَتُنَا حِطَّةٌ، وَالأَصلُ النَّصبُ، بِمَعنَى: حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا حِطَّةً، فَرَفَع لِيُعطِي مَعنَى الثَّبَاتِ، كقوله: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ [٤].

وَرُوِي عَن بَاقِرِ العُلُومِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (نَحنُ بَابُ حِطَّتِكُم) [٥].

﴿**نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ**﴾ أَي: نَصفَحُ وَنَعفُ عَن ذُنُوبِكُم [٦].

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٦٠)

يُقَالُ: إِنَّ عَصَى مُوسَى عليه السلام هُو مِن آسِ الجَنَّةِ، دَفَعَهُ إِلَيهِ شُعَيبُ عليه السلام وَكَانَ آدَمُ عليه السلام حَمَلَهُ مِنَ الجَنَّةِ إِلَى الأَرضِ، وَطُولَهُ عَشرَةَ أَذرُعٍ، عَلَى طُولِ مُوسَى عليه السلام وَلَهُ شُعبَتَانِ تَتَقِدَانِ، لَهُ نُورَاً، وَبِهِ ضَرَبَ البَحرَ [٧].

وَكَذَا الحَجَرُ، حَيثُ قَالَ: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِعَصاكَ الْحَجَرَ**﴾ فاللَّام؛ إِمَّا لِلعَهدِ

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ١٦٨، تفسير البيضاوي: ١/ ٧٦.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠٧.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠٧.
(٤) يوسف: ١٨.
(٥) تفسير العياشي: ١/ ٤٥ح ٤٧، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ١٦٨.
(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ١٥٤.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٣٢، تفسير البيضاوي: ١/ ٧٧.

وَالإِشَارَة إلى حَجَرٍ مَعلُومٍ.

وَقَد رُوِي، أَنَّهُ: حَجَرٌ حَمَلَهُ مِنَ الطُّورِ، وَكَانَ مُرَبَّعَاً، وَلَهُ أَربَعَةُ أَوجُهٍ، وَكَانَت تَنبُعُ مِن كُلِّ وَجهٍ ثَلَاثُ أَعيُنٍ لِلأَسبَاطِ، يَسِيلُ فِي جَدوَلٍ إِلَى السِّبطِ الَّذِي هِي لَهُ [١].

وَإِمَّا لِلجِنسِ، أَي: اضرِب الشَّيء الَّذِي يُقَالُ لَهُ الحَجَر [٢].

فَانفَجَرَت، أَي: فَضَرَبَك ﴿**فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً**﴾.

﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ**﴾ أَي: كُلُّ سِبطٍ مَشرَبَهُم، أَي: عَينَهُم الَّتي يَشرَبُونَ مِنهَا [٣].

وَالسَّبَبُ فِي سُؤالِه: أَنَّ بَنِي إِسرَائيلَ شَكَوا إِلَيهِ الظَّمَأ فِي التَّيهِ، فَأَوحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيهِ: أَن اضرِب بِعَصَاكَ الحَجَرِ [٤].

العِثِيُّ: أَشَدُّ الفَسَادِ [٥].

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٧٢، تفسير الرازي: ٣/ ٩٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٠٩.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ٢/ ٢٣.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٢٦٩.

(٥) تفسير أبي السعود: ١/ ١٠٦، العين، الفراهيدي، مادة (عثو) ٢/ ٢٣١.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (٦١)

إعلَم: أَنَّهُ لَو كَانَ عَلَى مَائدَةٍ أَلْوَانٌ عِدَّةٌ، تُدَاومُ عَلَيهَا كُلَّ يَوم، لَا تُبَدِّلُهَا، جَازَ أَن يُقَالَ: لَا يَأكُلُ فُلَانٌ إِلَّا طَعَامَاً وَاحِدَاً، وَيُرَادُ بِالوُحدَةِ: نَفيُ التَّبَدُّلِ وَالإِختِلَافِ[١].

البَقلُ: مَا أَنبَتَتهُ الأَرضُ مِنَ الخُضَرِ[٢].

وَالقِثَّاءُ[٣]: نَوعٌ مِنَ الخُضرَاوَاتِ[٤].

وَالفُومُ: الحِنطَةُ، وَمِنهُ قَولُهُم: فَوِّمُوا لَنَا؛ أَي: اخبِزُوا، وَقِيلَ: هُوَ الثُّومُ[٥].

الدُّنُوّ وَالقُربِ: يُعَبَّرُ بِهِمَا عَن قِبلَةِ المِقدَارِ، فَيُقَالُ: هُوَ أَدنَى المَحَلِّ، وَقَرِيبُ المَنزِلَةِ، كَمَا يُعَبَّرُ بِالبُعدِ عَن عَكسِ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: بَعِيدُ المَحَلِّ، وَبَعِيدُ المَنزِلَةِ، يُرِيدُ: الرِّفعَةَ وَالعُلُوِّ[٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١٠.
(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (بقل) ٤/ ١٦٣٦.
(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي: ١/ ١٠٩.
(٤) المروي عن أهل البيت عليهم السلام أنه الحنطة، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٢٧٥، وقيل: هو: الخيار، العين، الفراهيدي، مادة (قثأ) ٥/ ٢٠٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٣٥، غريب القرآن، الطريحي: ٥١٥.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١٠، البحر المحيط، أبي حيان الاندلسي: ١/ ٣٩٦.

﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ أَي: انحَدِرُوا إِلَيهِ مِنَ التَّيهِ [١].

مِصرُ: يَجُوزُ فِيهِ الصَّرفُ وَعَدَمُه، مَعَ العَلَمِيَّةِ وَالتَّأنِيثُ بِسُكُونِ وَسَطِهِ [٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

يُقَالُ: هَادَ فُلَانٌ، إِذَا تَهَوَّدَ [٣].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ يُقَالُ: هَادَ، يَهُودُ، وَتَهَوَّدَ؛ إِذَا دَخَلَ في اليَهُودِيَّةِ، وَهوَ هَائدٌ، وَالجَمعُ هُودٌ [٤].

﴿وَالنَّصارى وَالصَّابِئِينَ﴾ النَّصَارَى: جَمعُ نَصرَان، وَامرَأَةٌ نَصرَانَةٌ، وَاليَاءُ في النَّصرَانِيّ كَالَّتي فِي أَحمَرِيّ لِلمُبَالَغَةِ، وَإِنَّمَا سُمُّوا بِالنَّصَارَى؛ لِنَصرِهِم المَسِيحَ عليه السلام [٥].

وَالصَّابِئِيُّ: الخَارِجُ عَن الدِّينِ، وَالصَّابِئُون: قَومٌ عَدِلُوا عَن دِينِ يَهُود وَالنَّصرَانِيَّة، وَعَبَدُوا المَلَائِكَةَ وَالنُّجُوم [٦].

السَّبتُ: مَصدَرٌ، سَبَتَت اليَهُود إِذا عَظَّمَت يومَ السَّبتِ، مِن تَعظِيمِه [٧].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١٠.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٧٤.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٤٦.
(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٤٨.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١١، تفسير الرازي: ٣/ ١٠٥.
(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١٧٥.
(٧) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٣٧، التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٢٤٥.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٦٧)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾.

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِك الأَمر: أَنَّ شَيخاً مُوسِراً مِن بَنِي إِسرَائيل قَتَلَ قَرَابَةً لَهُ لِيَرِثَهُ، فَطَرَحُوهُ عَلَى طَرِيقِ أَفضَلِ سِبطٍ مِن أَسبَاطِ بَنِي إِسرَائيل عليه السلام جَاؤا يَطلِبُونَ بِدَمِهِ، فَأَمَرَهُم اللهُ تَعَالَى بِذَبحِ البَقَرَةِ، وَأَن يَضرِبُوهُ بِبعَضِهَا لِيَحيَى، فَيُخبِرُ بِقَاتِلِهِ، قَالُوا: أَتَتَخِذُنَا يَا مُوسَى هُزوًا، أَي: أَهلَ هَزوٍ، وَتَهزَأ بِنَا حِينَ نَسأَلُك عَن القَتِيلِ، وَتَأمُرُنَا بِذَبحِ البَقَرَةِ[١].

﴿قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾ أَي: مِنَ الـمُستَهزِئينَ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الإِستِهزَاءِ لَا يَصدُرُ إِلَّا عَن الجَاهِلِ[٢].

وَقَرَأ أَبُو بَكرٍ: هُزُؤاً، بِالهَمزَةِ وَبِالضَّمَّتَينِ فِي جَمِيعِ القُرآنِ؛ لأَنَّ مَا كَانَ عَلَى فُعُل مِن الجُمُوعِ قَد استَمَرَّ فِيهِ الوَجهَانِ، وَمِثلُه: كُفُواً وَكُفُؤاً[٣].

فَإِن قِيلَ: لِـمَ أُمِرُوا بِذَبحِ البَقَرَةِ دُونَ غَيرِهَا؟

قُلتُ: لأَنَّهَا مِن جِنسِ مَا عَبَدُوهُ مِنَ العِجلِ، لِيَهُونَ عِندَهُم مَا كَانُوا يَرَونَهُ مِن تَعظِيمٍ، فَيَزُولُ مَا كَانَ فِي نُفُوسِهِم مِن عِبَادَتِه[٤].

فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ ذَبحِهَا أَمرٌ مِنَ اللَّهِ سَأَلُوا عَنهَا؟ قَالُوا: أَرسِل لَنَا رَبُّك يُبَيِّنُ لَنَا مَا

(١) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢/ ١٦، تفسير العياشي: ١/ ٤٦ح٥٧.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١٣.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١٤.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٥٩.

هِي، وَحَالُهَا؟ وَ كَم سَنَتُهَا؟ وَكَيفَ صِفَتُهَا؟ وَذَلِك أَنَّهُم تَعَجَّبُوا مِن بَقَرَةٍ مَيِّتَةٍ يُضرَبُ بِبَعضِهَا مَيِّتٌ فَيَحيَى، فَسَأَلُوا عَن صِفَةِ تِلكَ البَقَرَةِ [1].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٨)

قَالَ: مُوسَى؛ وَيَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكرٌ.

الفَارِضُ: الـمُسِنَّةُ، خِلَافُ البِكرِ [2].

عَوَانٌ: أَي وَسَطٌ بَينِ ذَلِك، الصَّغِيرَةُ وَالكَبِيرَة [3].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (٦٩)

السُّرُورُ: لَذَّةٌ فِي القَلبِ عِندَ حُصُولِ نَفعٍ أَو تَوقُّعٍ [4].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (٧٠)

رُوِي: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّهُم أَمِرُوا بَأَدنَى بَقَرَةٍ، وَلَكِنَّهُم لـمَّا شَدَّدُوا عَلَى أَنفُسِهِم شَدَّدَ اللهُ عَلَيهِم) [5].

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٧٦، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٤٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (فرض) ٧/ ٢٠٣.

(٣) تفسير الامام العسكري: ٢٧٦، الصحاح، الجوهري، مادة (عون) ٦/ ٢١٦٨.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١٤، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٥٠.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٢٩٩، الدر المنثور، السيوطي: ١/ ٧٧.

وَالإِستِقصَاءُ شُؤمٌ [١].

وَفِي الحَدِيثِ: (لَو لَم يَستَثنُوا، مَا بُيِّنَت لَهُم إِلَى آخِرِ الأَبَدِ) [٢].

أَي: لَو لَم يَقُولُوا: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧١)

النَّوَاضِحُ: جَمعُ نَاضِحَة، وَالظَّاهِرُ، أَنَّهَا البَقَرَةُ الَّتِي تَسقِي [٣].

الشِّيَةُ [٤]: فِي الأَصلِ مَصدَرٌ، وَشَى، وَشياً، وَشِيَه، إِذَا خُلِطَ بِلَونِه لَونٌ آخَر، وَمِنهُ ثَورٌ مُوَشَّى القَوَائِم.

حُكِي: إِنَّ بَنِي إِسرَائيلَ اشتَرَوا البَقَرَةَ بِمِلئِ جِلدِهَا ذَهَباً مِن مَالِ المَقتُولِ [٥] وَقِيلَ: مِلئِ جِلدِهَا عَشرُ مَرَّاتٍ ذَهَباً [٦] وَمَا كَانَ ثَمَنُهَا إِلَّا ثَلَاثَةُ دَنَانِير [٧].

وَقِيلَ: لِخَوفِ الفَضِيحَةِ فِي ظُهُورِ القَاتِلِ [٨].

رُوِي أَنَّ رَسول اللَّهِ ﷺ عَن هَذه البَقَرَة وَشَأنُها؟ فَقَالَ ﷺ: (إِنَّ فَتىً مِنْ بَنِي

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ١/ ٢٠٣.
(٢) هو تمام الحديث السابق.
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٧٩.
(٤) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ١١٥، كنز الدقائق، المشهدي: ٢/ ٤٢.
(٥) أمالي المرتضى: ٢/ ١١، السنن الكبرى، البيهقي: ٦/ ٢٢١.
(٦) جامع البيان، الطبري: ١/ ٥٠٣، تفسير ابن كثير: ١/ ١١٣.
(٧) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٢٦٢.
(٨) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٤٣.

إِسْرَائِيلَ، كَانَ بَارّاً بِأَبِيهِ، وَإِنَّهُ اشْتَرَى تَبِيعاً، فَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ، فوجده نائماً وَالمَقَالِيدُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَكَرِهَ أَنْ يُوقِظَهُ، فَتَرَكَ ذَلِكَ الْبَيْعَ، فَاسْتَيْقَظَ أَبُوهُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، خُذْ هَذِهِ الْبَقَرَةَ فَهِيَ لَكَ عِوَضاً لِمَا فَاتَكَ)[١].

وَلهذَا قَال اللهُ تَعَالى: ﴿**وَما كادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ وَهذَا استِبطَاءٌ لهُم، وَاستِثقَالٌ لاستِقصَائهُم، أَي: وَمَا كَادُوا يَذبَحُونَها، وَمَا كَادَت تَنتَهِي سُؤالَاتهِم[٢].

وَقِيلَ: وَمَا كَادُوا يَذبَحُونَها؛ لِغَلَاءِ ثَمَنِهَا، فَقد حُكِيَ مَا قُلنَا[٣].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢)

الإِدرَاءُ: الإِختِلَافُ وَالإِختِصَامُ فِي الأَمرِ؛ لأَنَّ المُتخَاصِمِينَ يَدرَؤوا بَعضَهُم بَعضَاً[٤].

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤)

قَسَت القَلبُ: اشتَدَّت[٥].

---

(١) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢/ ١٧ ح ٣١، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٧٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٨٠، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١١٥.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٣٠١، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ١٦٨.

(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٥١، تفسير الرازي: ٣/ ١٢٣.

(٥) العين، الفراهيدي، مادة (قسو) ٥/ ١٨٩.

التَّفجِيرُ: التَّفتُّيح بِالسَّعَةِ وَالكَثرَة [١].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَمَا يَشَّقَّقُ**﴾ وَالمعنَى: إِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ مَا فِيهَا مِن خُرُوقٍ يَتَدَفقُ مِنهُ الماءُ الكَثِيرُ.

وَيَشَقَّقُ: أَصلُه يَتَشَقَّقُ، أُدغِمَت التَّاء في الشِّين؛ أَي: يَشَقَّقُ طُولاً وَعَرضاً، فَيخرُجُ مِنهُ الماء، فَيَكُونُ عَيناً نَابِعَةً لَا أَنهَاراً جَارِيَة [٢].

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩)

يُقالُ: رَآهُ بِعَينِه، وَسَمِعه بِأُذنِه،وَبِإذنِه تَأَكِيدٌ، كَذلِكَ قَولُه تَعَالَى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ**﴾ أَي: يَكتُبونَ الكِتَابَ المُحَرَّف، فَقولُه بِأَيديهِم أَيضَاً تَأَكِيدٌ [٣].

وَالوَيلُ: كَلِمَةُ تَحسُّرٍ وَتَفَجُّع، وَفي الآيةِ العَذَاب [٤].

وَقِيلَ: هُوَ جَبَلٌ في النَّارِ [٥].

وَفي الحَدِيثِ: (إِنَّهُ دَارٌ فِي جَهَنَّم، يَهوِي فِيهَا الكَافِرُ أَربَعِينَ خَرِيفَاً قَبلَ أَن يَبلُغَ قَعرَهُ) [٦].

---

(١) تفسير الرازي: ٣/ ١٣٠، البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ١/ ٤٣١.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ١٧١، المحرر الوجيز، ابن عطية: ١/ ١٦٧.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل،الزمخشري: ١/ ١٨٩، مدارك التنزيل،النسفي: ١/ ٥٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٠.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٣٢١.

(٦) صحيح ابن حبان: ١٦/ ٥٠٨، كنز العمال، المتقي الهندي: ٢/ ١٢ح٢٩٣٧.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ اليَهُودِ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ أَي: لَن تُصِيبُنَا إِلَّا أَيَّاماً؛ أَربَعِينَ يوماً، عَدَدُ أَيَّامِ عِبادَةِ العِجلِ [١].

وَعَن مُجاهِد: لَـمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المدِينَة، قَالَت اليَهُودُ: مُدَّةُ الدُّنيَا سَبعَةَ الآف؛ فَإِنَّما نُعَذَّبُ مَكَانَ كُلِّ أَلفِ سنةٍ يوماً، فنَزَلَت: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً﴾ [٢].

أَي: قُل مَا عَهِدَ لهُم اتخَذتُم عِندَ اللَّهِ موثِقاً إِنَّه لَا يُعَذِّبكُم إِلَّا هَذِه الـمُدَّةِ.

﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ، تَقدِيرَهُ: إِن اتخَذتُم عِندَهُ عَهدَاً فَلَن يُخلِفَ اللهُ عَهدَهُ [٣].

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ جهلاً مَعكُم، وَأَم: أَمَّا أَن تَكُونَ مُعَادِلَةٌ لِهَمزَةِ الإِستِفهَام، بِمَعنَى: أَيُّ الأَمرَينِ كَائِنٌ، عَلَى سَبِيلِ التَّقرِيرِ؛ لأَنَّ العِلـمَ وَاقِعٌ بِكَونِ أَحَدِهِمَا، وَأَمَّا مُنقَطِعَةٌ، بِمَعنَى: أَتَقَوَّلُ [٤].

﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٨١﴾

وَقولُه: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ رَدَّ عَلَيهِم بِهَذَا القَولِ.

وَبَلَى: إِثبَاتٌ لِـمَا بَعدَ حَرفِ النَّفيِ فِي: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ أَي:بَلَى تَمَسَّكُم النَّارُ عَلَى سَبِيلِ

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل،الزمخشري: ١/ ١٨٤،مدارك التنزيل،النسفي: ١/ ٥٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٠، تفسير السمرقندي: ١/ ٢٢٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٠، تفسير السمرقندي: ١/ ٢٢٨.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل،الزمخشري: ١/ ١٨٤.

الخُلُودِ، بِدَلِيلِ قَولِه: ﴿**هُمْ فيها خالِدُونَ**﴾[(١)].

وَالسَيِّئَةُ هُنَا: الشِّركُ، وَهوَ الصَّحِيحَ؛ لأَنَّ مَا عَدَا الشِّركَ بِاللَّهِ لَا يَستَحِقُّ الخُلودَ في النَّارِ عِندَنَا[(٢)].

﴿وَإِذْ أَخَذْنا ميثاقَ بَني إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَذي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَليلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٨٣)

يُقالُ: أَحدَقَه أَحَاطَهُ؛ أَي: سَدَّ عَلَيهِ الطُّرُق[(٣)] وَقَد يُذكَرُ الكَلَامَ عَلَى سَبيلِ الإِخبَارِ في الظَّاهِرِ، وَيُرَادُ بِهِ الأَمرَ، تَقُولُ: تَذهَبُ إِلَى فُلَانٍ تَقُول كَذَا، تُرِيدُ الأَمرَ مِنهُ[(٤)].

وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنا ميثاقَ بَني إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ وَهوَ أَبلَغ مِن صَرِيحِ الأَمرِ وَالنَّهي؛ لأَنَّه كَانَ قَد سُورِعَ إِلى امتِثَالِه، فَأَخبَرَ عَنهُ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ جَوَابُ القَسَمِ؛ لأَنَّ أَخذِ الـمِيثَاقِ فِي مَعنَى القَسَم، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِذَا قَسَمنَا عَلَيهِم لَا تَعبُدُونَ[(٥)].

وَقِيلَ: أَن لَا تَعبُدُوا، فَلَـمَّا حَذَفَ أَن رَفَعَ[(٦)].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ١٧٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢١.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (حدق) ٤/ ١٤٥٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢١.

(٥) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٥٤، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣/ ٣٥١.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٢.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥)

يُقَالُ: تَظَاهَرَ، تَعَاوَنَ [(١)].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ**﴾ أَي: تتعَاوَنُون[(٢)].

وَقُرِئ بِحَذفِ التَّاءِ وَإِدغَامُهَا [(٣)].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧)

يُقَالُ: قَفَّينَا؛ اتبَعنَا [(٤)].

وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ**﴾ أَي: أَرسَلنَا عَلَى إِثرِ مُوسَى ﷺ كَثِيرَاً مِنَ الرُّسُلِ، رَسُولاً بَعدَ الرَّسُولِ [(٥)].

وَيُقَالُ: قَفَّاهُ بِه، إِذ أَتبَعَهُ إِيَّاهَ عيسى ﷺ كُلِّمَ بِقَولِه بِالسِّريَانِي: إِيشُوع، وَمَريَم؛

(١) العين، الفراهيدي، مادة (ظهر) ٤/ ٣٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/ ٢٠.
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٨٧.
(٤) تاج العروس، الزبيدي، مادة (قفو) ٢٠/ ٩٢.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٥.

بِمَعنَى: الخَادِم [١].

قِيلَ: القُدسُ البَرَكَة [٢] وَقِيلَ: الطُّهر [٣] وَقِيلَ: هُو اللهُ تَعالَى [٤] القُدسُ وَالقُدُّوس وَاحِدٌ [٥].

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)

وَغُلفٌ: جَمعُ أَغلَف [٦] وَقَد يَكُونُ القِلَّة؛ بِمَعنَى: العَدَم [٧] نَحوَ: ﴿**فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ**﴾.

وَمَا مَزِيدَةٌ؛ لأَنَّ الَّذِي يَسبِقُ لِذِهنِنَا أَن يَكُونَ الـمُرَادُ: أَنَّه لَا إِيمَانَ لَهُم أَصلاً، وَ يَجُوزُ أَن تَكُون القِلَّة بِالحَقِيقَةِ، أَي: يُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩)

الإِستِفتَاحُ: الإِستِنصَارُ [٨].

وَمِنهُ قَولُه: ﴿**وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ أَي: يَستَنصِرُونَ عَلَى

---

(١) تفسير الرازي: ٣/ ١٧٦.

(٢) جامع البيان، الطبري: ١/ ٥٧٠.

(٣) تفسير القمي: ١/ ٣٩٠.

(٤) جامع البيان، الطبري: ١/ ٥٧٠.

(٥) جامع البيان، الطبري: ١/ ٥٧١.

(٦) العين، الفراهيدي، مادة (غلف) ٤/ ٤١٩، مفردات غريب القرآن، الراغب: ٣٦٤.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٦.

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٨٢.

الـمُشرِكِين إِذ قَاتَلُوهُم، يَقُولُونَ ـ أَي: الـمُؤمِنُون فِي الحُرُوبِ: اللَّـهُمَّ انصُرنَا بِالنَّبِيِّ الـمَبعُوثِ آخِر الزَّمَانِ الذى نجد نعته في التوراة [(١)].

وَقَالَ ابن عبَّاس: كَانَت اليَهُودُ يَستَفتِحُونَ؛ أَي: يَستَنصِرُونَ عَلَى الأَوسِ وَالخَزرَجِ بِرَسُولِ اللَّـهِ ﷺ قَبلَ مَبعَثِه، فَلَـمَّا بَعَثَه اللهُ مِنَ العَرَبِ، وَلَم يَكُن مِن بَنِي إِسرَائيل كَفَرُوا بِه، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ فِيه.

فَقَالَ لهُم مَعَاذ بِن جَبَل [(٢)] وَبِشرُ بن البَرَّاءِ بِن مَعرُور[(٣)]: يَا مَعشَرَ اليَهُود، اتَقُوا اللهَ، فَقَد كُنتُم تَستَفتِحُونَ عَلَينَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَنَحنُ أَهلَ شِركٍ، وَتَصِفُونَهُ وَتَذكُرُونَ أَنَّهُ مَبعُوثٌ.

فَقَالَ سَلَام بِن مِشكِم: مَا جَاءَنَا بِشَيءٍ نَعرِفَهُ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذكُرُهُ لَكُم، فَأَنزَلَ الله تَعَالَى هَذِه الآيَة [(٤)].

فَقَالَ: ﴿فَلَـمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ عَرَفُوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَبعَثِه [(٥)].

﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حَسَدَاً، وَبَغيَاً، وَحِرصَاً عَلَى الرِّئَاسَة [(٦)].

﴿فَلَعْنَةُ اللَّـهِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ أَي: فَغَضَبُه وَعَذَابُه.

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٩٠.

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، صحابي جليل، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، عالم من أعيان الصحابة، توفي سنة ٢٨هـ أو ٣٢ هـ، ينظر في ترجمته: رجال الطوسي: ٨٢، التاريخ الكبير، للبخاري: ٧/ ٣٥٩، تقريب التهذيب، ابن حجر: ٢/ ١٩١.

(٣) عداده في الصحابة، شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحداً والخندق، وخيبر فأكل مع الرسول ﷺ من الشاة المسمومة، فمات منها، ينظر ترجمته في: خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٧٩، الثقات، ابن حبان: ٣/ ٣٠، الوافي بالوفيات، الصفدي: ١٠/ ٩٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٢٩٩.

(٥) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ١/ ٥٣، الكشف والبيان، الثعلبي ١/ ٢٣٥.

(٦) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٥٩.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٩٠)

وَمَعَهُ وَضعَ عَلَى الآخِرَة بِقَولِهِ: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً**﴾.

مَا: نَكِرَةٌ مَنصُوبَةٌ، مُفَسِّرَةٌ لِفَاعِل بِئسَ؛ أَي: بِئسَ شَيئَاً ﴿**اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ**﴾ وَالـمَخصُوصِ بِالذَّمِّ ﴿**أَنْ يَكْفُرُوا**﴾.

وَ: ﴿**اشْتَرَوْا**﴾ بِمَعنَى: بَاعُوا.

وَ: ﴿**بَغْياً**﴾ حَسَدَاً وَطَلَبَاً لِـمَا لَيسَ لَهُم، وَهوَ مَفعُولٌ لَهُ[١].

وَالـمَعنَى: لَيسَ شَيئَاً بَاعُوا به أَنفُسَهُم أَن يَكفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ؛ القُرآنُ وَدِينُه الـمُنزَلُ عَلَى نَبِيِّهُ ﷺ حَسَدَاً، وَطَلَبَاً بِمَا يَسألُهُم؛ إِذ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِن وَلدِ إِسمَاعِيل عليه السلام وَكَانَت الرُّسُل قَبلُ مِن بَنِي إِسرَائِيل.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٣)

تَركِيبُ ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أَي: تَغلغَلَ فِي بَوَاطِنَهُم، وَتَدَاخَلَهَا حُبُّ العِجلِ، وَالحِرصُ عَلَى عِبَادَتِه، كَمَا يَتَدَاخَلُ الثَّوبُ الصِّبغَ؛ بِسَبَبِ كُفرَهُم[٢].

وَقَولُه: ﴿**فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**﴾ بَيَانٌ لِـمَكَانِ الإِشرَابِ[٣] كَقَولِه: ﴿**إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً**﴾[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٨.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٢٩.
(٣) تفسير الرازي: ٣/ ١٨٨.
(٤) النساء: ١٠.

رُوِي: أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام وَهوَ يَطُوفُ بَينَ الصَّفَين بِصِفِّين فِي غَلالَةٍ، فَقَالَ ابنُه الحَسَن عليه السلام: (مَا هَذَا بِزَيِّ الـمُحَارِبِينَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ أَبَاكَ لَا يُبَالِي وَقَعَ عَلَى الـموتِ، أَو وَقَعَ الـمَوتُ عَلَيهِ) [1].

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٤)

لِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْـمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ لأَنَّ مَن أَيقَنَ أَنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ اشتَاقَ إِلَيهَا، وَتَمَنَّى سُرعَةُ الوُصُولِ إِلَى نَعِيمُهَا [2].

رُوِي: أَنَّ حَبِيبُ بنُ مُظَاهِر [3] ضَحِكَ يَومَ الطَّفِّ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِك؟ فَقَالَ: وَأَيُّ مَوضِعٍ أَحَقُّ بِالسُّرُورِ مِن هَذَا الـمَوضِعِ؛ وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَن يُقبِلَ عَلَينَا هَؤلَاءِ القَوم بِسِيُوفَهُم، فَنُعَانِقُ الحُورَ العِينِ [4].

وَيُؤَيِّدُه قَولُ عَمَّار بن يَاسِر: اليَوم أَلقَى الأَحِبَّة؛ مُحَمَّدٌ وَحِزبَه [5].

وَفِي الحَدِيثِ: (لَوْ تَمَنَّوُا الْـمَوْتَ لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ بِرِيقِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ، وَمَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ) [6].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ١/ ٣٨٥، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥/ ١٩٩.
(٢) حبيب بن مظاهر أو مظهر، من التابعين، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام استشهد مع الامام الحسين عليه السلام في الطف، ينظر ترجمته في: رجال الطوسي: ٦٠، رجال ابن داود٧٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٣٠.
(٤) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ١/ ٢٩٣ ح ١٣٣.
(٥) الاختصاص، الشيخ المفيد: ١٣، الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣/ ١١٣٨.
(٦) تفسير البيضاوي: ١/ ٣٦٥، تفسير أبي السعود: ١/ ١٢٢.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦)

الزَّحزَحَةُ: التَّنحِيَّةُ وَالتَّبعِيدُ[١].

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨)

رُوِي: أَنَّ عَبدَ اللَّهِ صَوريَا[٢] وَهوَ مُؤمِنُ أَحبَارِ فَدَك، سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّن يَهبِطُ عَلَيهِ بِالَوحي؟ فَقَالَ: جَبرَئِيلُ، فَقَالَ: ذَاك عَدُوُّنَا؛ يَنزِلُ بِالقِتَالِ وَالشِّدَّةِ، وَلَو كَانَ غَيرُهُ لآمَنَّا بِكَ، فَنَزَلَت ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ...**﴾ جَوَابَاً لِقَولِه، ورَدَّاً عليه[٣].

اعلَم: أَنَّ التَّغَايُر فِي الوَصفِ يُنَزَّلُ مَنزِلَة التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ؛ كَرَأَيتُ المَلَائِكَةَ وَجَبرَئيل وَمِيكَائِيل، وَيُؤيدهُ قَولُ اللَّهِ: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ أَي: مُعَادِيَاً لأَحَدِهِمَا، وَلجَبرَئيل وَمِيكَائيل.

وَإِنَّمَا أَعَادَ ذِكرَهُمَا بَعدَ ذِكرِ المَلَائكَةِ؛ لِفَضلِهَا، فَأَفرَدَهُمَا بِالذِّكرِ، كَأَنَّهُمَا مِن جِنسٍ آخر، وَهُمَا مِمَّا ذَكَر[٤].

(١) العين، الفراهيدي، مادة (زح) ٣/ ١٨، البحر المحيط، أبي حيان: ٣/ ١٣٥.

(٢) ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ١/ ١٦٤، الإصابة، ابن حجر: ٤/ ١١٥، البداية والنهاية، ابن كثير: ٣/ ٢٨٩.

(٣) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٤٠٦ح٢٧٧، أسباب النزول، الواحدي: ١٨.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٩٦.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (٩٩)

اعلَم: أَنَّ الفِسقَ إِذَا استُعمِلَ في نَوعٍ مِن الـمَعَاصِي، وَقَعَ عَلَى أَعظَم ذَلِكَ النَّوعِ مِن كُفرٍ وغَيرِه، كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِها﴾ أَي: بِآيَاتِنَا: ﴿إِلَّاَ﴾ جِنسٌ: ﴿الْفاسِقُونَ﴾ وَاللَّامُ لِلجِنسِ [1].

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠)

النَّبذُ: الرَّميُ بِالشَّيءِ وَرَفضِه [2].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٩٧، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٣٣.
(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (نبذ) ٢/ ٥٧١.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢)

﴿مَا أُنْزِلَ عَلَى الْـمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ﴾: عَطفُ بَيَانٍ لِلـمَلَكَينِ، وَعَلَمَانِ لَهُمَا [١].

الخَلَاقُ: النَّصِيبُ [٢].

قِيلَ: سَبَبُ هُبُوطِ هَارُوت وَمَارُوت؛ أَنَّ الـمَلَائكَة تَعَجَّبَت مِن مَعَاصِي ابن آدَم، مَعَ كَثرَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيهِم! فَقَالَت طَائفَةٌ: أَمَا تغضب عَمَّا يَعمَلُ خَلقُكَ فِي أَرضِكَ، وَعَمَّا يَفتَرُونَ عَلَيكَ مِنَ الكَذِبِ وَالزُّورِ، وَيَركَبُونَ مِنَ الـمَعَاصِي، وَقَد نَهَيتَهُم عَنهُ، وَهُم فِي قَبضَتِكَ، وَتَحتَ قُدرَتِك.

فَأَحَبَّ اللهُ سُبحَانَهُ أَن يُعَرِّفَهُم مَا مَنَّ عَلَيهِم مِن عَجِيبِ خَلقِهِم، وَمَا طَبَعَهُم عَلَيهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وَعِصمَتُهُم مِنَ الذُّنُوبِ.

فَقَالَ لَهُم: اندُبُوا مِنكُم مَلَكَينِ، حَتَّى أُهبِطَهُمَا إِلَى الأَرضِ، وَأَجعَلُ فِيهِمَا مِن طَبَائعِ الـمَطعَمِ وَالـمَشرَبِ، وَالشَّهوَةِ، وَالحِرصِ وَالأَمَلِ، مِثلَ مَا جَعَلتُ فِي وُلدِ آدَم، ثُمَّ أَختَبِرُهُمَا فِي الطَّاعَةِ.

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٣٤.
(٢) معاني القرآن، النحاس: ١/ ١٤٢، الفروق اللغوية، العسكري: ٢٢٣، تفسير الرازي: ٣/ ٢٢٢.

فَندَبُوا لِذَلِك هَارُوتَ وَمَارُوت، فَقَد جَعَلتُ فِيكُمَا مِن طَبَائع المطعَم، وَالمشرَب، وَالشَّهوَة، وَالحِرص وَالأَمَل، مِثلَ مَا جَعَلتُ فِي وُلدِ آدَم، فَانظُرَا أَن لَا تُشرِكَا بِي شَيئاً، وَلَا تَقتُلَانِ النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ مِنهُ، وَلَا تزنيَا، وَلَا تَشرَبَا الخَمرَ.

ثُمَّ أَهبطَهُمَا إِلَى الأَرضِ عَلَى صُورَةِ البَشَرِ وَلبَاسُهُم، فَرُفِعَ لَهُمَا بِنَاءٌ مُشرِفٌ، فَأَقبَلَا نَحوَهُ، فَإِذَا امرَأَةٌ جَمِيلَةٌ حَسنَاءٌ أَقبَلَت نَحوَهُمَا، فَوَقَعَت فِي قُلُوبِهِمَا مَوقِعاً شَدِيداً.

ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَكَرَا مَا نُهِيَا عَنهُ مِنَ الزِّنَا فَمَضَيَا، ثُمَّ حَرَّكَتهُمَا الشَّهوَة، فَرَجِعَا إِلَيهَا، فَرَاوَدَاهَا عَن نَفسِهَا، فَقَالَت: إِنَّ لِي دِيناً أُدِنُ بِه، وَلَستُ أَقدِر فِي دِينِي عَلَى أَن أُجِيبُكُمَا إِلَى مَا تُرِيدَان، إِلَّا أَن تَدخُلَا فِي دِينِي.

فَقَالَا: وَمَا دِينُكِ؟ فَقَالَت: إِنَّ لِي آلَهٌ مَن عَبَدَهُ وَسَجَدَ لَهُ، كَانَ لِي السَّبِيلُ إِلَى أَن أُجِيبَهُ إِلَى كُلِّ مَا سَأَلَنِي، قَالَا: وَمَا إِلَهُكِ؟ قَالَت: هَذَا الصَّنَمُ، فَوَضَعَتهُ بَينَهُمَا.

فَغَلَبَتهُمَا الشَّهوَةُ، فَقَالَا لَهَا: سَنُجِيبُكِ إِلَى مَا سَأَلتِ، قَالَت: فَدُونَكُمَا فَاشرَبَا الخَمرَ، فَإِنَّهُ قُربَانٌ لَكُمَا عِندَهُ، وَبِه تَصِلَان إِلَى مَا تُرِيدَان.

فَقَالَا: هَذِهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ، قَد نَهَانَا رَبُّنَا عَنهَا، قَالَا لَهَا: مَا أَعظَمَ البَلِيَّة بِكِ، قَد أَجبنَاكِ، فَشَرِا الخَمرَ، وَسَجَدَا لِلصَنَمِ، ثُمَّ رَاوَدَهَا عَن نَفسِهَا، فَلَمَّا تَهَيَأَت لَهُمَا، دَخَلَ عَلَيهِمَا سَائِلٌ.

فَلَمَّا رَأَيَاهُ فَزِعَا مِنهُ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّكُمَا لَمُرِيبَانِ، قَد خَلَوتُمَا بِهَذِهِ المرأَةِ الحَسنَاءِ، إِنَّكُمَا لَرَجُلَا سُوءٍ، وَخَرَجَ عَنهُمَا.

فَقَالَتَ لَهُمَا: بَادِرَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاقتُلَاه قَبلَ أَن يَفضَحَكُمَا وَيَفضَحُنِي مَعَكُمَا، ثُمَّ دُونَكُمَا فَاقضِيَا حَاجَتكُمَا وَأَنتُمَا مُطمَئنَانِ آمِنَانِ.

قَالَ: فَقَامَا إِلَى الرَّجُلِ، فَأَدرَكَاهُ فَقَتَلَاهُ، ثُمَّ رَجَعَا إِلَيهَا، فَلَم يَرَيَاهَا، وَبَدَت لَهُمَا سَوآتِهِمَا، وَنُزِعَ عَنهُمَا رِيَاشُهُمَا، وَسَقَطَ فِي أَيدِيهِمَا.

فَأَوحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيهِمَا إِنَّمَا أَهبَطتُكُمَا إِلَى الأَرضِ سَاعَةً مِن نَهَارٍ، فَعَصَيتُمَا فِي أَربَعِ مَعَاصٍ، قَد نَهَيتُكُمَا عَنهَا، وَقَد تَقَدَّمتُ إِلَيكُمَا فِيهَا، فَلَم تُرَاقِبَانِي، وَلَم تَستَحِيَا مِنِّي، وَقَد كُنتُمَا أَشَدَّ مَن يَنقِمُ عَلَى أَهلِ الأَرضِ مِنَ الـمَعَاصِي، فَاختَارَا عَذَابَ الدُّنيَا أَو عَذَابَ الآخِرَة.

فَاختَارَا عَذَابَ الدُّنيَا، وَكَانَا يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحرَ بِأَرضِ بَابِل، ثُمَّ لـمَّا عَلَّمَا النَّاس رُفِعَا مِنَ الأَرضِ إِلَى الهَوَءِ، فَهُمَا مُعَذَّبَانِ مُنَكَّسَانِ، مُعَلَّقَانِ مِن بَينِ الهَوَاءِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ[1].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَقُولُوا انْظُرْنا وَاسْمَعُوا وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤)

يُقَالُ: رَاعِهِ رَاعَةً؛ أَي رَاقِبهُ[2].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام قَالَ: (حَقُّ تِلَاوَتِهِ هُوَ: الوُقُوفُ عِندَ ذِكرِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَسأَلُ فِي الأُولَى، وَيَستَعِيذُ مِنَ الأُخرَى)[3].

(١) تفسير العياشي: ١/ ٥٢ح٧٥، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٣٠، بحار الأنوار، المجلسي: ٥٦/ ٣١٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٢١٤.

(٣) تفسير العياشي: ١/ ٥٧ح٨٤، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ٢١٤ح ١٢.

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾

﴿**لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ العِصمَةِ لِلإِمَامِ؛ لأَنَّ الـمُؤمِن لَيسَ الـمَعصُوم، فَقَد يَكُونُ ظَالِـماً؛ إِمَّا لِنَفسِهِ، وَإِمَّا لِغَيرِه [١].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ﴿١٢٥﴾

النَّجمُ: اسمٌ لِلشَّيء، ثُمَّ غَلَبَ فِي سَائرِ النُّجُومِ، وَكَذَلِك البَيتُ؛ اسمٌ لِبَيتِ اللَّـهِ تَعَالَى، ثُمَّ غَلَبَ فِي بَيتِ غَيرِهِ، كما فِي قَولِه: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ**﴾[٢].

وَرُوِي: أَنَّه سُمِّي فِي قَولِه: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ**﴾ البَيتَ الحَرَامِ؛ لأَنَّهُ حُرِّمَ عَلَى الـمُشرِكِين أَن يَدخُلُوه [٣].

وَإِنَّما سُمِّيَت الكَعبَةُ؛ لأَنَّها مُربَّعَةٌ، وَصَارَت مُرَبَّعَةٌ لأَنَّها بِحِذَاءِ البَيتِ الـمَعمُورِ، وَهوَ مُرَبَّعٌ، وَصَارَ البَيتُ الـمَعمُورِ مُرَبَّعَاً؛ لأَنَّهُ بِحِذَاءِ العَرشِ وَهوَ مُرَبَّعٌ، وَصَارَ العَرشُ مُرَبَّعَاً؛ لأَنَّ الكَلِمَات الَّتي بُنِيَ عَلَيهَا الإِسلاَمُ أَربَعَةٌ؛ وَهي سُبْحَانَ اللَّـهِ، وَالْـحَمْدُلِلَّـهِ، وَلا الهَ الّاَاللَّـهُ، وَاللَّـهُ أَكْبَرُ [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٤٧.

(٢) البقرة: ١٢٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ١٩١ ح٢١١١، علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٣٩٨ح١، عن الامام الصادق عليه السلام.

(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ١٩٠ح٢١١٠، علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٣٩٨ح٢، عن الامام الصادق عليه السلام.

﴿**مَثَابَةً لِّلنَّاسِ**﴾ قَضَاهُ؛ أَي: النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَيهِ فِي كُلِّ عَامٍ، يَعنِي مَرجِعاً [١].

وَقِيلَ: مَعَاداً، يَعُودُونَ إِلَيهِ [٢].

وَفِي الحَدِيثِ: (مَن رَجعَ مِن مَكَّةَ، وَهوَ يَنوِي الحَجَّ مِن قَابِل، زِيدَ فِي عُمرِهِ) [٣].

وَ: (مَن خَرَجَ مِنهَا وَهوَ لَا يَنوِي العَودَ إِلَيهَا، فَقَد قَرُبَ أَجلُهُ، وَدَنَا عَذَابُهُ) [٤].

أَي: تَكُونُ مَكَّةَ أَمناً: ﴿**وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**﴾[٥] لأَنَّ العَائذَ بِهِ، وَالـمُلتَجِئ بِهِ لَا يَخَافُ عَلَى نَفسِهِ مَا دَامَ فِيهِ؛ وَلأَنَّ الجَانِي يَأوِي إِلَيهِ، فَلَا يُتَعَرَّض لَهُ حَتَّى يَخرُجُ، لِعِظَمِ حُرمَتهُ [٦].

وَكَانَ قَبل الإِسلَامِ يَرَى الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الحَرَم، فَلَا يَتَعَرَّضَ لَهُ، وَهَذَا الشَّيءُ كَانُوا قَد تَوَارَثُوهُ مِن دِينِ إِسمَاعِيلَ عليه السلام فَبَقَوا عَلَيهِ إِلَى أَيَّامِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله [٧].

عَن ابن عَبَّاس: أَنَّهُ لَـمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمَ بِإِسمَاعِيلَ وَهَاجَرَ، فَوَضَعَهُمَا بِمَكَّةَ، وَأَتَت عَلَى ذَلِكَ مُدَّةٌ، وَنَزَلَهَا الجُرهُمِيُّونَ، وَتَزَوَّجَ إِسمَاعِيلُ إِمرَأَةً مِنهُم، وَمَاتَت هَاجَرُ.

وَاستَأذَنَ إِبرَاهِيمُ سَارَةَ أَن يَأتِيَ هَاجَرَ فَأَذِنَت لَهُ، وَشَرَطَت عَلَيهِ أَن لَا يَنزِلَ، فَقَدِمَ إِبرَاهِيمُ عليه السلام وَقَد مَاتَت هَاجَرُ، فَذَهَبَ إِلَى بَيتِ إِسمَاعِيلَ، فَقَالَ لِامرَأَتِهِ: أَينَ صَاحِبُكِ؟

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٧٩.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي: ١/ ١٣٠.

(٣) الكافي، الكليني: ٤/ ٢٨١ح٣، عن الامام الصادق عليه السلام عنه وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١١/ ١٥١ح١٤٤٩٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ٢٢٠ ح ٢٢٢٤.

(٥) العنكبوت: ٦٧.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٤٧.

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٠، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٢٢٨.

فَقَالَت: ذَهَبَ يَتَصَيَّدُ.

وَكَانَ إِسَاعِيلُ عليه السلام يَخرُجُ مِنَ الحَرَمِ فَيَتَصَيَّدُ ثُمَّ يرجِعُ، فَقَالَ لَهَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام: هَل عِنْدَكِ ضِيَافَةٌ؟ قَالَت: مَا عِندِي شَيءٌ، فَقَالَ لَهَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام إِذَا جَاءَ زَوجُكِ فَأَقرِئِيهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: فَليُغَيِّر عَتَبَةَ بَابِهِ، وَذَهَبَ إِبرَاهِيمُ عليه السلام.

فَلَمَّا جَاءَ إِسَاعِيلُ عليه السلام وَوَجَدَ رِيحَ أَبِيهِ، فَقَالَ لِامرَأَتِهِ: هَل جَاءَكَ أَحَدٌ؟ قَالَت: جَاءَنِي شَيخٌ، صِفَتُهُ كَذَا وَكَذَا كَالْمُستَخِفَّةِ بِشَأنِهِ، قَالَ: فَمَا قَالَ لَكِ؟ قَالَت: قَالَ لِي: أَقرِئِي زَوجَكِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ فَليُغَيِّر عَتَبَةَ بَابِهِ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ بِأُخرَى.

فَلَبِثَ إِبرَاهِيمُ عليه السلام مَا شَاءَ اللهُ أَن يَلبِثَ، ثُمَّ اسْتَأذَنَ سَارَةَ أَن يَزُورَ إِسَاعِيلَ، فَأَذِنَت لَهُ، وَاشتَرَطَت عَلَيهِ أَن لَا يَنزِلَ، فَجَاءَ حَتَّى انتَهَى إِلَى بَابِ إِسَاعِيلَ، فَقَالَ لِامرَأَتِهِ: أَينَ صَاحِبُكِ؟ فَقَالَت: ذَهَبَ يَتَصَيَّدُ، وَهُوَ يَجِيءُ الآنَ إِن شَاءَ اللهُ، فَانزِل يَرحَمُكَ اللهُ.

قَالَ لَهَا: هَل عِندَكِ ضِيَافَةٌ؟ قَالَت: نَعَم، فَجَاءَت بِاللَّبَنِ وَاللَّحمِ، وَدَعَا لَهُمَا بِالبَرَكَةِ، فَلَو جَاءَت يَومَئِذٍ بِخُبزِ بُرٍّ، أَو شَعِيرٍ، أَو تَمرٍ، لَكَانَ أَكثَرُ أَرضِ اللَّهِ بُرّاً، أَو تَمراً، أَو شَعِيراً.

فَقَالَت لَهُ: إِنزِل حَتَّى أَغسِلَ رَأسَكَ؟ فَلَم يَنزِل، فَجَاءَت بِالْمَقَامِ فَوَضَعَتهُ عَلَى شِقِّهِ الأَيمَنِ، فَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيهِ، فَبَقِيَ أَثَرُ قَدَمِهِ عَلَيهِ، فَغَسَلَت شِقَّ رَأسِهِ الأَيمَنَ، ثُمَّ حَوَّلَتِ المَقَامَ إِلَى شِقِّهِ الأَيسَرِ، فَبَقِيَ أَثَرُ قَدَمَيهِ عَلَيهِ، فَغَسَلَت شِقَّ رَأسِهِ الأَيسَرَ، فَقَالَ لَهَا: إِذَا جَاءَ زَوجُكِ، فَأَقرِئِيهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: لَقَدِ اسْتَقَامَت عَتَبَةُ بَابِكَ.

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ، وَجَدَ رَائِحَةَ أَبِيهِ، فَقَالَ لِامرَأَتِهِ: هَل جَاءَكِ أَحَدٌ؟ قَالَت: نَعَم، شَيخٌ مِنْ أَحسَنِ النَّاسِ وَجهاً، وَأَطيَبِهِم رِيحاً، وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَغَسَلتُ رَأسَهُ،

وَهَذَا مَوضِعُ قَدَمَيهِ عَلَى الْـمَقَامِ، قَالَ لَهَا إِسمَاعِيلُ: ذَلِكَ إِبرَاهِيمُ عليه السلام[١].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (الرُّكنُ وَالْـمَقَامُ يَاقُوتَتَانِ مِن يَاقُوتِ الجَنَّةِ، طَمَسَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُورَهُمَا، وَلَو لَا ذَلِكَ لَأَضَاءَتَا مِن بَينِ الْـمَشرِقِ وَالْـمَغرِبِ)[٢].

وَفِي الحَدِيثِ: (أَنَّ اللَّهَ يُنزِلُ كُلَّ يَومٍ عَلَى مَكَّةَ مِائَةً وَعِشرِينَ رَحمَةً؛ سِتُّونَ مِنهَا لِلطَّائِفِينَ، وَأَربَعُونَ لِلعَاكِفِينَ، وَعِشرُونَ لِلنَّاظِرِينَ)[٣].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٢٦)

يُقَالُ: ﴿**بَلَداً آمِناً**﴾ أَي: ذُو أَهلٍ[٤].

وَمِنهُ: قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا**﴾ أَي: مَكَّة.

﴿**بَلَداً آمِناً**﴾ أَي: ذَا أَمنٍ، كَقَولِه تَعَالَى: ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾[٥] أَي: ذَاتُ رِضاً، أَو أَمنَاً، بِمَعنَى: يُؤمَنُ فِيهِ، كَقَولِهِم: لَيلٌ نَائمٌ؛ أَي: يُنَامُ فِيه، وَلَا يَجُوزُ أَن يَجتَلِي أَحَدٌ جِلدَهُ[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٠، الكشف والبيان، الثعلبي: ١/ ٢٧٠.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٠/ ٦٨ح١٤٤، مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ٤/ ١٩١.

(٣) أخبار مكة وما جاء من الآثار، الأزرقي: ٢/ ٨، نور الثقلين، الحويزي: ١/ ١٢٣ح٣٥٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٤٨.

(٥) الحاقة: ٢١.

(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ١٢٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٤.

الرَّغَدُ: العَيشِ الوَاسِع مِنهُ[١].

صَدَّه: مَنَعَهُ[٢].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧)

﴿وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ﴾ مَن يَرفَعُ: حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ[٣].

وَالقَوَاعِدُ: جَمعُ قَاعِدَةٍ؛ وَهَي: الأَسَاسُ لِـمَا فَوقَهُ، أَو هِي: صِفَةٌ غَالِبَةٌ، وَمَعنَاهَا: الثَّابِتَةُ، وَرَفعُ القَوَاعِدِ عَلَى البِنَاءِ: عَلَيها ارتَفَعَت، وَ يَجُوزُ أَن يَكُونَ الـمُرَادُ بِهَا: سَافَاتُ البِنَاءِ؛ لأَنَّ كُلَّ سَافٍ[٤] قَاعِدَةٌ لِـمَا يُبنَى عَلَيهَا[٥].

عَن ابنِ عَبَّاس، وَعَطَاء، قَالَا: قَد كَانَ آدَم بِنَاهُ، ثُمَّ عَفَا أَثَرُهُ، فَجَدَّدَهُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام وَهوَ الـمَروِيُّ عَن أَئِمَّتِنَا صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيهِم[٦].

وَرُوِي عَن البَاقِرِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللهَ وَضَعَ تَحتَ العَرشِ أَربَعَ أَسَاطِينٍ، وَسَمَّاهُنَّ الضُرَاح[٧] وَهوَ البَيتُ الـمَعمُورِ، وَقَالَ لِلـمَلَائِكَةِ: طُوفُوا بِهِ، ثُمَّ بَعَثَ مَلَائِكَةً، فَقَالَ:

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (رغد) ٤/ ٣٩٢.

(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (صدد) ٢/ ٤٩٥.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٧٠، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٤٩.

(٤) الساف: كل عرق من الحائط، الصحاح، الجوهري، مادة (سوف) ٤/ ١٣٧٨.

(٥) الكشاف حن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢١٣.

(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٦٢.

(٧) هكذا في الأصل، ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٧، وفي التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٦٣، الصراح، بالصاد المهملة.

ابنُوا فِي الأَرضِ بَيتاً بِمِثَالِهِ وَقَدرِه، وَأَمرَ مَن فِي الأَرضِ أَن يَطَوَّفُوا بِالبَيتِ) [١].

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَنزَلَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ لِآدَمَ مِنَ الجَنَّةِ، وَكَانَ البَيتُ دُرَّةً بَيضَاءَ، فَرَفَعَهُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَقِيَ أُسُّهُ، فَهُوَ بِحِيَالِ هَذَا البَيت.

وَقَالَ: يَدخُلُهُ كُلَ يَومٍ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ، لَا يَرجِعُونَ إِلَيهِ أَبداً، فَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ عليهما السلام بِبُنيَانِ البَيتِ عَلَى القَوَاعِدِ) [٢].

وَعَن أَميرِالـمُؤمِنِينَ عليه السلام: قُلتُ لِعَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَوَّلُ شَيءٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا هُوَ؟ قَالَ:

(أَوَّلُ شَيءٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرضِ فَهُوَ البَيتُ الَّذِي بِمَكَّةَ، أَنزَلَهُ اللهُ يَاقُوتَةً حَمرَاءَ، فَفَسَقَ قَومُ نُوحٍ فَرَفَعَهُ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ**﴾) [٣].

أَي: يَرفَعُ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ عليهما السلام أَسَاسَ الكَعبَةِ، يَقُولَا: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**﴾ أَي: أَثبِتنَا عَلَى عَمِلِهِ.

وَفِي قَولَه تَعَالَى: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**﴾ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمَا بَنَيَا الكَعبَةَ مَسجِداً لَا مَسكَناً؛ لأَنَّهُمَا إِلتَمَسَا الثَّوَابَ عَلَيهِ، وَالثَّوَابُ إِنَّمَا يُطلَبُ عَلَى وَجهِ الطَّاعَةِ [٤].

وَعَن البَاقِرِ عليه السلام: (إِنَّ إِسمَاعِيلَ أَوَّلُ مَن شُقَّ لِسَانُهُ بِالعَرَبِيَّةِ، فَكَانَ أَبُوهُ يَقُولُ لَهُ ـ

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٦٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٧.
(٢) الكافي، الكليني: ٤/ ١٨٨ح٢، من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ٢٤٢ح ٢٣٠٢، علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٣٩٩ح١، بحارالأنوار، المجلسي: ٩٦/ ٥٨ح١٢.
(٣) تفسير العياشي: ١/ ٦٠ح١٠٠، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٩٦/ ٦٤ح٤٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٧.

وَهُمَا يَبنِيَانِ البَيتَ: يَا إِسمَاعِيلُ، هَاتِ ابن؛ أَي: أَعطِنِي حَجَراً، فَيَقُولُ لَهُ إِسمَاعِيلُ: يَا أَبَه هَاكَ حَجَراً؛ فَإِبرَاهِيمُ يَبنِي وَإِسمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ) [١].

وَرَوَى عَلِيّ بن إِبرَاهِيم بِن هَاشِم [٢] في قِصَّة مَهَاجِر إِسمَاعِيل عليه السلام وَهَاجر، عَن أَبِيه، عَن نَضر بِن سُوَيد[٣] عِن هِشَام، عَن الصَّادِق عليه السلام قال:

(إِنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام كَانَ نَازِلًا فِي بَادِيَةِ الشَّام، فَلَـمَّا وُلِدَ لَهُ مِن هَاجَرَ إِسمَاعِيلُ عليه السلام اغتَمَّت سَارَةُ مِن ذَلِكَ غَمّاً شَدِيداً؛ لِأَنَّهُ لَم يَكُن لَهُ مِنهَا وَلَدٌ، وَكَانَت تُؤذِي إِبرَاهِيمَ فِي هَاجَرَ فَتَغُمُّهُ، فَشَكَا إِبرَاهِيمُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَوحَى اللهُ إِلَيهِ إِنَّمَا مَثَلُ الْـمَرأَةِ مِثْلُ الضِّلعِ العَوجَاءِ، إِن تَرَكتَهَا استَمتَعتَ بِهَا، وَإِن أَقَمتَهَا كَسَرتَهَا.

ثُمَّ أَمَرَهُ أَن يُخرِجَ إِسمَاعِيلَ عليه السلام وَأُمَّهُ عَنهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِلَى أَيِّ مَكَانٍ؟ قَالَ: إِلَى حَرَمِي وَأَمنِي، وَأَوَّلِ بُقعَةٍ خَلَقتُهَا مِنَ الأَرضِ؛ وَهِيَ مَكَّةُ، فَأَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ جَبرَئِيل بِالبُرَاقِ، فَحَمَلَ هَاجَرَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِبرَاهِيمَ عليهم السلام.

وَكَانَ إِبرَاهِيمُ لَا يَمُرُّ بِمَوضِعٍ حَسَنٍ، فِيهِ شَجَرٌ وَنَخلٌ وَزَرعٌ إِلَّا وَقَالَ: يَا جَبرَئِيلُ، إِلَى هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، فَيَقُولُ جَبرَئِيلُ: لَا، إِمضِ إِمضِ، حَتَّى وَافَى بِهِ مَكَّةَ، فَوَضَعَهُ فِي مَوضِعِ البَيتِ.

وَقَد كَانَ إِبرَاهِيمُ عليه السلام عَاهَدَ سَارَةَ أَن لَا يَنزِلَ حَتَّى يَرجِعَ إِلَيهَا، فَلَـمَّا نَزَلُوا فِي ذَلِكَ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٦٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٨ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٢/ ٨٧.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٦٠.

(٣) الصيرفي، من اصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ثقة، له كتاب، ينظر ترجمته في: رجال الطوسي: ٣٤٥، معالم العلماء، ابن شهرآشوب: ١٦١، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٢٨٣، نقد الرجال، التفريشي: ٥/ ١٣، طرائف المقال، البروجردي: ١/ ٣٦٦.

الْـمَكَانِ، كَانَ فِيهِ شَجَرٌ، فَأَلقَت هَاجَرُ عَلَى ذَلِكَ الشَّجَرِ كِسَاءً كَانَ مَعَهَا، فَاستَظَلُّوا تَحتَهُ، فَلَـمَّا سَرَّحَهُم إِبرَاهِيمُ وَوَضَعَهُم، وَأَرَادَ الاِنصِرَافَ عَنهُم إِلَى سَارَةَ، قَالَت لَهُ هَاجَرُ: يَا إِبرَاهِيمُ، لِـمَ تَدَعُنَا فِي مَوضِعٍ لَيسَ فِيهِ أَنِيسٌ، وَلَا مَاءٌ، وَلَا زَرعٌ؟ فَقَالَ إِبرَاهِيمُ: الَّذِي أَمَرَنِي أَن أَضَعَكُم فِي هَذَا الْـمَكَانِ هُوَ يَكفِيكُم.

ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُم، فَلَـمَّا بَلَغَ كُدىً [١] وَهُوَ جَبَلٌ بِذِي طُوَى، التَفَتَ إِلَيهِم إِبرَاهِيمُ: ﴿**رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْـمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[٢].

ثُمَّ مَسضَى، وَبَقِيَت هَاجَرُ، فَلَـمَّا ارتَفَعَ النَّهَارُ عَطِشَ إِسمَاعِيلُ، وَطَلَبَ الْـمَاءَ، فَقَامَت هَاجَرُ فِي الوَادِي، فِي مَوضِعِ الْـمَسعَى، فَنَادَت: هَل فِي الوَادِي مِن أَنِيسٍ؟ فَغَابَ إِسمَاعِيلُ عَنهَا، فَصَعِدَت عَلَى الصَّفَا، وَلَمَعَ لَهَا السَّرَابُ فِي الوَادِي، وَظَنَّت أَنَّهُ مَاءٌ، فَنَزَلَت فِي بَطنِ الوَادِي وَسَعَت، فَلَـمَّا بَلَغَتِ الْـمَسعَى غَابَ عَنهَا إِسمَاعِيلُ.

ثُمَّ لَمَعَ لَهَا السَّرَابُ فِي نَاحِيَةِ الصَّفَا، فَهَبَطَت إِلَى الوَادِي تَطلُبُ الْـمَاءَ، فَلَـمَّا غَابَ عَنهَا إِسمَاعِيلُ عَادَت حَتَّى بَلَغَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَت حَتَّى فَعَلَت ذَلِكَ سَبعَ مَرَّاتٍ، فَلَـمَّا كَانَ فِي الشَّوطِ السَّابِعِ، وَهِيَ عَلَى الْـمَروَةِ نَظَرَت إِلَى إِسمَاعِيلَ، وَقَد ظَهَرَ الْـمَاءُ مِن تَحتِ رِجلَيهِ، فَعَدَت حَتَّى جَمَعَت حَولَهُ رَملًا، فَإِنَّهُ كَانَ سَائِلًا، فَزَمَّتهُ بِمَا جَعَلَتهُ حَولَهُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَت زَمزَمَ.

وَكَانَت جُرهُمُ نَازِلَةٌ بِذِي الْـمَجَازِ وَعَرَفَاتٍ، فَلَـمَّا ظَهَرَ الْـمَاءُ بِمَكَّةَ، عَكَفَتِ الطَّيرُ وَالوَحشُ عَلَى الْـمَاءِ، فَنَظَرَت جُرهُمُ إِلَى تَعَكُّفِ الطَّيرِ عَلَى ذَلِكَ الْـمَكَانِ، وَاتَّبَعُوهَا

---

(١) اسم لعرفات أو جبل بأعلى مكّة، دخل النبيّ صلى الله عليه وآله مكّة منه، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (كدى) ٤/ ٣٨٢.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

حَتَّى نَظَرُوا إِلَى امرَأَةٍ وَصَبِيٍّ نَازِلَينِ فِي ذَلِكَ الْـمَوضِعِ، قَدِ استَظَلَّا بِشَجَرَةٍ، وَقَد ظَهَرَ الْـمَاءُ لَهُمَا، فَقَالُوا لِهَاجَرَ: مَن أَنتِ، وَمَا شَأْنُكِ، وَشَأنُ هَذَا الصَّبِيِّ؟.

قَالَت: أَنَا أُمُّ وَلَدِ إِبرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحمَنِ، وَهَذَا ابنُهُ، أَمَرَهُ اللهُ أَن يُنزِلَنَا هَاهُنَا، فَقَالُوا لَهَا: فَتَأذَنِينَ لَنَا أَن نَكُونَ بِالقُربِ مِنكُم؟ قَالَت لَهُم: حَتَّى يَأتِيَ إِبرَاهِيمُ عليه السلام.

فَلَـمَّا زَارَهُم إِبرَاهِيمُ يَومَ الثَّالِثِ، قَالَت هَاجَرُ: يَا خَلِيلَ اللَّـهِ، إِنَّ هَاهُنَا قَوماً مِن جُرهُمَ، يَسأَلُونَكَ أَن تَأذَنَ لَهُم حَتَّى يَكُونُوا بِالقُربِ مِنَّا، أَفَتَأذَنُ لَهُم فِي ذَلِكَ؟.فَقَالَ إِبرَاهِيمُ: نَعَم.

فَأَذِنَت هَاجَرُ لِجُرهُمَ، فَنَزَلُوا بِالْقُربِ مِنهُم، وَضَرَبُوا خِيَامَهُم، فَأَنِسَت هَاجَرُ وَإِسمَاعِيلُ بِهِم، فَلَـمَّا زَارَهُم إِبرَاهِيمُ فِي الْـمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، نَظَرَ إِلَى كَثرَةِ النَّاسِ حَولَهُم، فَسُرَّ بِذَلِكَ سُرُوراً شَدِيداً.

فَلَـمَّا تَرعرَعَ إِسمَاعِيلُ عليه السلام وَكَانَت جُرهُمُ قَد وَهَبُوا لِإِسمَاعِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم شَاةً وَشَاتَينِ، وَكَانَت هَاجَرُ وَإِسمَاعِيلُ يَعِيشَانِ بِهَا.

فَلَـمَّا بَلَغَ إِسمَاعِيلُ مَبلَغَ الرِّجَالِ، أَمَرَ اللهُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام أَن يَبنِيَ البَيتَ، فَقَالَ: يَارَبِّ، فِي أَيَّةِ بُقعَةٍ، قَالَ: فِي البُقعَةِ الَّتِي أَنْزَلتُ عَلَى آدَمَ القُبَّةَ، فَأَضَاءَ لَهَا الْرَمُ، فَلَم تَزَلِ القُبَّةُ الَّتِي أَنزَلَهَا اللهُ عَلَى آدَمَ قَائِمَةً، حَتَّى كَانَ أَيَّامُ الطُّوفَانِ أَيَّامُ نُوحٍ عليه السلام فَلَـمَّا غَرِقَتِ الدُّنيَا، رَفَعَ اللهُ تِلكَ القُبَّةَ، وَغَرِقَتِ الدُّننَا إِلَّا مَوضِعَ البَيتِ، فَسُمِّيَتِ البَيتَ العَتِيقَ؛ لِأَنَّهُ أُعتِقَ مِنَ الغَرَقِ.

فَلَـمَّا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبرَاهِيمَ أَن يَبنِيَ البَيتَ، لَم يَدرِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَبنِيهِ، فَبَعَثَ اللهُ جَبرَئِيلَ عليه السلام فَخَطَّ لَهُ مَوضِعَ البَيتِ، فَأَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ القَوَاعِدَ مِنَ الجَنَّةِ، وَكَانَ الحَجَرُ الَّذِي أَنزَلَهُ اللهُ عَلَى آدَمَ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلجِ، فَلَـمَّا مَسَّتهُ أَيدِي الكُفَّارِ اسوَدَّ).

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨)

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (الـمُرَادُ مِن دُعَاءِ إِبرَاهِيمَ عليه السلام ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً**﴾ بَنُو هَاشِمَ خَاصَّةً) [١].

وَالـمَعنَى: اجعَلنَا مُطِيعِينَ، مُنقَادِينَ لِحُكمِك فِي مُستَقبَلِ عُمرِنَا، وَاجعَل مِن ذُرِّيَتِنَا؛ أَي: أَولَادُنَا جَمَاعَةً مُوَحدَةٍ، مُنقَادَةٌ لَكَ؛ يَعنِي: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِدَلَالَةِ قَولُه:

﴿**وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾ [٢][٣].

وَ: مِن لِلتَبعِيضِ، أَو لِلتَبيِّن، كَقَولِه: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ**﴾[٤].

النُّسُك: العِبَادَةُ [٥].

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٩)

وَمِن دُعَاءِ إِسمَاعِيلَ عليه السلام: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ**﴾ أَي: فِي ذُرِّيَتِنَا[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٩٢.

(٢) البقرة: ١٢٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٩٢.

(٤) النور: ٥٥.

(٥) العين، الفراهيدي، مادة (نسك) ٥/ ٣١٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٧٨.

﴿رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ﴾ أَي: آيَاتِ وَحيِكَ [١].

﴿وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ﴾ أَي القُرآنُ.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أَي: العِلمُ بِالأَحكَامِ، وَقِيلَ: الحِكمَةُ: شَيءٌ يَجعَلُهُ اللهُ فِي القَلبِ يُنَورِه، كَمَا يُنَوِّرُ البَصَرُ لِيُدرِكَ الـمُبصِرُ [٢].

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أَي: يُطَهِّرهُم مِنَ الشِّركِ وَالأَدنَاسِ [٣].

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْـحَكِيمُ﴾ وَفِي صُدُورِ هَذَا الدُّعَاءِ مِن إِسمَاعِيلَ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ الـمَدعُو بِهِ مِن وُلدِهِ، لَا مِن وُلدِ إِسحَاق، وَلَم يَكُن فِي وُلدِ إِسمَاعِيل نَبِيٌّ غَيرُ نَبِيِّنَا، سَيِّدُ الأَنبِيَاءِ، فَلَمَّا بَيَّنَ سُبحَانَهُ قِصَّتَهُ، وَأَنَّ مِلَّتَهُ مِلَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه [٤].

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾

السَّفَهُ: فِي الأَصلِ؛ الخِفَّةُ [٥].

وَمَعنَى قَولُه تَعَالَى: ﴿إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ استَخَفَّ بِهَا، وَالـمُرَادُ: لَا يُترَكُ دِينُ إِبرَاهِيمَ ﴿إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٥١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٩٤.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٦٧.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٩٤.
(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (سفه) ٦/ ٢٢٣٤.
(٦) جامع البيان، الطبري: ١/ ٧٧٧ ح ١٧٢٠.

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيا﴾ أَي: آثرنَاهُ بِالرِّسَالَةِ وَاجتبَينَاهُ، وَهَذَا بَيَانٌ لِخَطَأ رَأي مَن رَغِبَ عَن مِلَّتِهِ [١].

قَالَ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ﴾ الَّتِي هُوَ الحَقُّ وَالحَقِيقَةُ: ﴿إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أَي: أَملَكَ نَفسَهُ وَأَوبقَهَا؛ وَهوَ: الكُفَّارُ، وَاستبعَادٌ لَا يَكُونُ فِي العُقَلَاءِ.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ﴾ وَ: ﴿مَنْ سَفِهَ﴾ فِي مَحَلِّ الرَّفعِ عَلَى البَدَلِ الضَمِيرِ الـمُستكِّنُ فِي ﴿يَرْغَبُ﴾ [٢].

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ هِي مِلَّةُ نبِيِّنَا؛ لأَنَّ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ دَاخِلَةٌ فِيهَا، فَتبَيَّنَ بِذَلِك؛ أَنَّ الَّذِين يرغَبُونَ مِنَ الكُفَّارِ عَن مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الَّتِي هِي مِلَّةُ إِبرَاهِيمَ عليه السلام قَد سَفِهُوا أَنفُسَهُم [٣].

﴿وَوَصَّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢)

مَسأَلَةٌ: يَعقُوبُ عليه السلام إبن إِسحَاقَ عليه السلام إبن إِبرَاهِيمَ عليه السلام إِنَّمَا سُمِّيَ بِيعقُوبَ؛ لأَنَّهُ وعِيص كَانَ توأَمينِ، فَتَقَدَّم عِيصٌ، وَخَرَجَ يَعقُوبَ عَلَى إِثرِهِ، آخِذاً بِعقِبِه [٤].

إِعلَم: إِنَّ الـموتَ إِذَا كَانَ عَلَى خِلَافِ الإِسلَامِ فَلَا خَيرَ فِيهِ.

وَوَصَّى يَعقُوبُ النَّبيُّ عليه السلام بَنِيهِ: ﴿يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ﴾ أَي: دِينُ

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢١٦.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٥١.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٧١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/ ١٣٦، البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ١/ ٥٦٨.

إِبرَاهِيمَ جَدُّكُم: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

وَالنُّكتَةُ فِي إِدخَالِ حَرفِ النَّفِي عَلَى الـمَوتِ: أَنَّ فِيهِ إِظهَارَاً لِكَونِ الـمَوتِ عَلَى خِلَافِ الإِسلَامِ موتَاً لَاخَيرَ فِيه [١].

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دِلَالَةٌ عَلَى التَّرغِيبِ فِي الوَصِيَّةِ عِندَ الـمَوتِ، فَيَنبَغِي أَن يُوصِي الرَّجُلُ بِتَقوَى اللَّهِ، وَلُزُومِ الطَّاعَةِ [٢].

﴿وَقالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥)

الحَنِيفُ: الـمَائِلُ مِن كُلِّ دِينٍ إِلَى دِينِ الحَقِّ [٣].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفاً﴾ أَي: قُل: يَا مُحَمَّد، بَل نَكُونُ مِن أَهلِ مِلَّةِ إِبرَاهِيمَ [٤].

وَ: ﴿حَنيفاً﴾ حَالٌ مِنَ الـمُضَافِ أَو الـمُضَافِ إِلَيهِ [٥] كَقَولِك: رَأَيتُ وَجهَ هِندٍ قَائمَةً.

وَالسَّبب فِي نُزُولِ الآيَةِ: أَنَّهُم كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالُوا﴾ أَي: لِلـمُسلِمِينَ: ﴿كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا﴾ وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿قالُوا﴾ يَرجِع إِلَى اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ أَي: قَالَت اليَهُودُ: وَكُونُوا هُودَاً، وَقَالَت النَّصَارَى: كُونُوا نَصَارَى [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٥٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٩٩.
(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ٢/ ١٦٦.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٢٤٧.
(٥) تفسير البيضاوي: ١/ ٤٠٩.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٥٤.

﴿**تَهْتَدُوا**﴾ أَي: تُصِيبُوا طَرِيقَ الهُدَى [١].

نَزَلَت [٢] فِي عَبدَ اللَّهِ بِن صُوريَا [٣] وَكَعبُ الأَشرَف [٤] وَجَمَاعَةٌ مِن يَهُودِ الـمَدِينَةِ وَنَصَارَى أَهلِ نَجرَانَ؛ وَذَلِك لأَنَّ كُلَّ فِرقَةٍ خَاصَمُوا أَهلَ الإِسلَامِ، وَتَزعُمُ أَنَّهَا بِدِينِ اللَّـهِ مِن عِزِّهَا.

وَقَالَت اليَهُودُ: نَبِيُّنَا مُوسَى عليه السلام أَفضَلُ، وَكِتَابُنَا التَّورَاةُ أَفضَلُ الكُتُبِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَبِيُّنَا عَيسَى عليه السلام أَفضَلُ الأَنبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا الإِنجِيلُ أَفضَلُ الكُتُبِ، وَكُلُّ فَرِيقٍ مِنهُمَا، قَالُوا لِلـمُؤمِنِينَ: كُونُوا عَلَى دِينِنَا تَهتَدُوا [٥].

وَقِيلَ: إِنَّ ابن صُوريَا، قَالَ لِرَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: مَا الهُدَى إِلَّا مَا نَحنُ عَلَيهِ، فَاتَّبِعنَا يَا مُحَمَّد [٦].

وَقَالَت نَصَارَى نَجرَانَ مِثلُ ذَلِكَ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى الآية: ﴿**وَقالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنيفاً وَما كانَ مِنَ الْـمُشْرِكينَ**﴾ الآية.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٧٩.

(٢) أسباب النزول، الواحدي: ٢٥.

(٣) ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى: ١/ ١٦٤، الإصابة: ٤/ ١١٥، سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٥٩، البداية والنهاية، لابن كثير: ٢/ ٣٩٥.

(٤) ينظر ترجمته في: مستدركات علم رجال الحديث: ٦/ ٣٠٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٠٣.

(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٧٩.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾

الأَسباطُ[١]: جَمعُ سِبط، وَهُم حَفَدَةُ الرَّجُل؛ أَي: ذَرَارِي أَبنَائه.

وَهُم الأَسبَاطُ فِي قَولِه تَعالَى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ الآيَة.

﴿**قُولُوا**﴾ الخِطَابُ لِلمُسلِمِينَ، أَمَرَهُم اللهُ سُبحَانَهُ بِإِظهَارِ مَا تَدَيَّنُوا بِهِ عَلَى الشَّرحِ، فَبَدَأَ بِالإِيمَانِ؛ لأَنَّه أَوَّلُ الوَاجِبَاتِ، وَثَنَّى بِالإِيمَانِ بِالقُرآنِ، وَسَائِرِ الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ[٢].

وَالأَسبَاطُ هُنَا: حَفَدَةُ يَعقُوبَ؛ أَي: ذَرَارِي أَبنَائَهُ الإِثني عَشَر - كَما قُلنَا - جَمعُ سِبط؛ وَهوَ: الحَافِدُ، وَكَانَ الحَسَنُ وَالحُسَينُ سِبطَي رَّسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٣].

وَالأَسبَاطُ: هُم يُوسُف عليه السلام وَيَامِين، وَرُوبيل، وَيَهُوذا، وَشَمعُون، وَلَاوِي، وَدَان، وَقِهَاب، وَيَشجُر، وَرُؤبَان، وَيَساخَار، وَنَفتَالِي، وَجاد، وَآشر[٤].

وَاختُلِفَ فِي أَنَّهُم أَنبِيَاء أَم لَا، وَالَّذِي يَلِيقُ بِمَذهَبِنَا: أَنَّهُم لَم يَكُونُوا أَنبِيَاء جَمِعُهُم؛ لأَنَّ مَا وَقَعَ مِنهُم مِنَ المَعصِيَّةِ فِيمَا فَعَلُوهُ بِيُوسُف مَا لَا خَفَاءَ فِيهِ، وَالنَّبِيُّ عِندَنَا

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (سبط) ٣/ ١١٢٩.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٥٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٢١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٨٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٠٥، جامع البيان، الطبري: ١/ ٧٨٩، ١٧٣٨، وفي المصدر تفاوت بين الاسماء ترتيباً واختلافاً فيها.

مَعصُومٌ مِنَ القَبَائحِ مُطلَقاً.

وَلَيسَ فِي ظَاهِرِ القُرآنِ مَا يَدُلُّ أَنَّهُم أَنبِيَاء؛ لأَنَّ الإِنزَالَ يَجُوزُ أَن يَكُونَ عَلَى بَعضِهُم مِمَّن كَانَ نَبيَّاً، وَلَم يَقَع مِنهُ مَا ذَكَرنَاهُ مِنَ الأَفعَالِ القَبِيحَةِ[1].

وَقَد رَوَى العَيَّاشِي فِي تَفسِيرِهِ[2] عَن حَنَّان بن سُدَير[3] عَن أَبِيهِ، عَن أَبي جَعفَر عليه السلام قَالَ: قُلتُ لَهُ: كَانَ وُلدِ يَعقُوبَ أَنبِيَاء؟ قَالَ: (لَا وَلَكِنَّهُم كَانُوا أَسبَاطَ أَولَادِ الأَنبِيَاءِ، وَلَم يَكُونُوا يُفَارِقُوا الدُّنيَا إِلَّا سُعَدَاء، تَابُوا، وَتَذَكَّرُوا مَا صَنَعُوا).

﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**﴾ أَي: لَا نُؤمِنُ بِبَعضٍ، وَنَكفُرُ بِبَعضٍ، كَمَا فَعَلَت اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَكُنَّ لَهُ؛ أَي: لِمَا تَقَدَّمَ مُسلِمُون[4].

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣٧)

قَولُه تَعَالَى: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا**﴾ أَي: سَلَكُوا طَرِيقَ الهِدَايَةِ[5] وَالبَاءُ مَزِيدَةٌ.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٨٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٠٥.
(٢) تفسير العياشي: ١/ ٦٢ح١٠٦، عنه البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/ ٣٣٧ح٦٥٣.
(٣) أبو الفضل، الصيرفي، كوفي، روى عن الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام ثقة، له كتاب، ينظر: رجال النجاشي: ١٥٦، فهرست الطوسي: ١١٩، معالم العلماء، ابن شهرآشوب: ٨٠، التحرير الطاووسي، العاملي: ١٦٣.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٤٨٢، جوامع الجامع،الطبرسي: ١/ ١٥٥.
(٥) جوامع الجامع،الطبرسي: ١/ ١٥٥.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾

وَقَولُه: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مَصدَرٌ مُؤكَّدٌ، يَنتَصِبُ عَن قَولِه: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [١] كَمَا انتَصَب.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾

الوَسَطُ: إِستَوَى فِيهِ الوَاحِدُ وَالجَمعُ، وَالـمُذَكَّرُ وَالـمُؤنَّثُ [٢].

قَولُه تَعَالَى: ﴿لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إِنْ في: ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، يَلزَمُهَا اللاَّم الفَارِقَة [٣].

وَقَولُه: ﴿لَكَبِيرَةً﴾ أَي: لَثَقِيلَةً [٤].

وَالـمَعنَى: وَقَد كَانَت التَّحويلَةُ، أَي: مِن بَيتِ الـمَقدِسِ إِلَى الكَعبَةِ، وَهيَ لَثَقِيلَةٌ ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أَي: صَدَقُوا فِي إِتِّبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ لَطَفَ اللهُ بِهِم، وَهُم أَهلُ لُطفِه [٥].

(١) البقرة: ١٣٦.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٥٩.
(٣) البحر المحيط: أبي حيان التوحيدي: ١/ ٤٣٠، بحار الأنوار، المجلسي: ٨١/ ٣٧.
(٤) تفسير السمعاني: ١/ ٧٤.
(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٢٦، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٦٠.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾

وَلَّيتُهُ كَذَا: جَعلتُهُ.

وَقولُه تَعالَى: ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها**﴾ أَي: فَلنُعطِيَنَّكَ[1].

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾

قَولُه تَعالَى: ﴿**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ هُوَ مُبتَدَأ وَخَبَر، وَفِيهِ وَجهَانِ: أَن تَكُونَ اللَّام لِلعَهدِ وَالإِشَارَةِ إِلَى الحَقِّ الَّذِي عَلَيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَن تَكُونَ لِلجِنسِ، عَلَى مَعنَى ﴿**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ أَي: لَا مِن غَيرِه.

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الحَقُّ خَبَرُ مُبتَدَأ محذُوفٍ، فَيَكُونُ: ﴿**مِنْ رَبِّكَ**﴾ فِي محَلِّ نَصبٍ عَلَى الحَالِ، أَو يَكُونُ خَبراً بَعدَ خَبَر[2].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٦١.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٣٠.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨)

الوِجهَةُ: القِبلَةُ [(١)].

قَالَ أَمِيرُ الـمُؤمِنينَ عليه السلام: (النِّعَمُ سِتَّةٌ: الإِسلَامُ، وَالقُرآنُ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَالسِّترُ، وَالعَافِيَةُ، وَالغِنَى عَمَّا فِي أَيدِي النَّاسِ) [(٢)].

وَفِي الحَدِيثِ: (تَمَامُ النِّعْمَةِ: دُخُولُ الْـجَنَّةِ) [(٣)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣)

الصَّبرُ: حَبسُ النَفسِ عَلَى الـمَكرُوهِ، وَحَبسُهَا مِنَ الـمَحبُوبِ [(٤)].

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦)

الإِستِرجَاعُ: قَولُ: إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُون [(٥)].

وَرَوى الصَّادِقُ عليه السلام عَن آبَائِهِ، عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: (أَربَعٌ، مَن كُنَّ فِيهِ كَتَبَهُ اللهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ: مَن كَانَ عِصمَتُهُ شَهَادَةَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّـهِ، وَمَن إِذَا

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٧/ ٣٦٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٣٢.

(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٩٣ح٢٣، عن الامام الصادق عليه السلام وعن الرسول صلى الله عليه وآله كما في المصنف، ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٦ح٧، المعجم الكبير، الطبراني: ٢٠/ ٥٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٦٦، مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٥٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن ابي حاتم الرازي: ١١/ ٨٨ .

أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِ بِنِعمَةٍ قَالَ: الحَمدُ لِلهِ، وَمَن إِذَا أَصَابَ ذَنباً قَالَ: أَستَغفِرُ اللهَ، وَمَن إِذَا أَصَابَتهُ مُصِيبَةٌ قَالَ: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ**﴾)[١].

أي: نَحنُ عَبِيداً لله، وَمُلكِه، وَهَذَا إِقرَارٌ بِالعُبُودِيَّةِ، وَإِنَّا إِلَى حُكمِهِ رَاجِعُون.

وَعَن أَمِيرِ الـمُؤمِنِينَ‌عليه السلام: (إِنَّ قَولَنَا: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ**﴾ إِقرَاراً لَهُ مِنَّا بِالـمِلكِ، وَقَولُنَا: ﴿**إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ**﴾ إِقرَاراً عَلَى أَنفُسِنَا بِالهَلك)[٢].

وَإِنَّمَا البِشَارَةُ لِلـمُستَرجِعِينَ عِندَ البَلَايَا.

وَفِي الحَدِيثِ: (مَنِ استَرجَعَ عِندَ الـمُصِيبَةِ، جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحسَنَ عُقبَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفاً صَالِحاً يَرضَاهُ)[٣].

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧)

الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: الرَّأفَةُ، وَالعَطفُ، وَالشَّفَقَةُ.

(١) دعائم الاسلام، النعماني: ١/ ٢٢٣، الأمالي، المفيد: ٧٦ح١، تفسير العياشي: ١/ ٦٩ح١٢٧.

(٢) نهج البلاغة: ٤/ ٢٢خ ٩٩، أعلام الدين، الديلمي: ١٧٥.

(٣) المعجم الكبير، الطبراني: ١٢/ ١٩٨، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٢/ ٣٣١، مستدرك الوسائل، النوري: ٢/ ٤٠٣ح٢٣٠٦.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨)

الشَّعَائِرُ: جَمعُ شَعِيرَة؛ أَي: العَلَامَةُ [(١)].

الحَجُّ: القَصدُ [(٢)].

وَالإِعتِمَارُ: الزِّيَادَةُ [(٣)].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩)

اللَّعنُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: الإِبعَادُ مِنَ الرَّحمَةِ [(٤)].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١٦٦)

الأَسبَابُ: الوَصلَاتُ الَّتِي كَانَت يُتَوَصَّلُ عَلَيهَا [(٥)].

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (شعر) ١/ ٢٥١،التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٤٢.

(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (حجج) ١/ ٣٠٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (عمر) ٤/ ٦٠٥.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٦٩.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي: ١/ ١٤٣، البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠/ ٢٣٦، غريب القرآن، الطريحي: ١٠٥.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٦٨)

الخُطوَةُ: مَا بَينَ قَدَمَي الخَاطِي، وَالخَطوَةُ: المَرَّةُ مِنَ الخَطوِةُ، كَالغُرفَةُ وَالغرفَة [1].

وَاتبَعَ خُطوَاتِهِ، وَوَطِيء عَلَى عَقِبِهِ، فِي مَعنَى: اقتَدَى بِهِ، وَاستَنَّ بِسُنَّتِهِ [2].

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (١٧١)

نَعَقَ الرَّاعِي بِالغَنَمِ، بَابُه ضَرَب، وَأَمَّا نَعَقَ الغُرَابُ، فَمَعنَاه: صَاتَ.

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعاءً**﴾ لَا بُدَّ فِيهِ مِن حَذفِ المُضَافِ، وَالتَّقدِيرُ: وَمَثَلُ دَاعِي الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعَقُ، أَو مِثلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَالبَهَائم الَّتِي تَنعَق.

وَالمَعنَى: وَمَثَلُ دَاعِيهِم إِلَى الإِيمَانِ؛ فِي أَنَّهُم لَايَسمَعُونَ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا جرَسُ النَّغمَةِ وَالصَّوت، مِن غَيرِ تَفَهُّمٍ وَاستِبصَارٍ، هُم كَمَثَلِ النَّاعِقِ بِالبَهَائِمِ، الَّتِي لَا تَسمَعُ إِلَّا دُعَاءَ النَّاعِقِ، وَ نِدَاءً، وَلَا تَفقَهُ شَيئَاً آخَر، وَلَا تَعِي كَمَا يَفهَمُ العُقَلَاءُ وَيَعُونَ [3].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٧١،مجمع البيان في تفسير القرآن،الطبرسي:١/ ٤٦٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٧٣، تفسير البيضاوي: ١/ ٤٤٦، غريب القرآن، الطريحي: ٢٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٧٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾

يُقَالُ: أَكَلَ فُلَانٌ فِي بَطنِهِ، وَأَكَلَ فِي بَعضِ بَطنِهِ، وَقَولُهُم: أَكلَ فَلَانٌ الدَّمَ ؛ مَعنَاهُ: أَكلَ الدِّيَةَ الَّتِي هِي بَدَلٌ مِنهُ [(١)].

يُقَالُ: صَبَّرَهُ وَأَصبَرَهُ عَلَيهِ، بِمَعنًى [(٢)].

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾

البِرُّ، اسمٌ لِكُلِّ فِعلٍ مَرضِيٍّ [(٣)].

وَالبَرُّ: بِمَعنَى؛ ذِي البِرِّ [(٤)].

وَقَالَ الـمُبَرِّدُ: وَلَو كُنتَ مِمَّن يَقرَأُ القُرآنَ لَقَرَأتَ قَولُه تَعَالَى: (وَلَكِنَّ البَرَّ...) بِفَتحِ البَاءِ [(٥)].

(١) تفسير الرازي: ٥/ ٢٩، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٧٦.
(٢) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ١/ ٦٦٩.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٧٧.
(٤) تفسير السمعاني: ١/ ١٧٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ١٠٢.
(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٤٣.

البَأَسَاءُ: الشِّدَّةُ وَالفَقرُ [١].

وَالضَرَّاءُ: الـمَرَض [٢].

وَالبَأَسُ: القِتَالُ وَالجِهَادُ [٣].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثى بِالْأُنْثى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَداءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٨﴾

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (لَا يُقتَلُ حُرٌّ بِعَبدٍ، وَلَكِن يُضرَبُ ضَرباً شَدِيداً، وُيغرَمُ دِيَةِ العَبدِ، وَلَا يُقتَلُ الرَّجُلُ بِالمَرأَةِ إِلَّا إِذَا أَدى أَهلُهَا إِلَى أَهلِه نِصفُ دِيَته) [٤].

يُقَالُ: عَفَوتُ لَهُ ذَنبِهِ، وَعَفَوتُ لِفُلَانٍ عَمَّا جَنَى، فَيُعَدَّى إِلَى الذَّنبِ بِاللَّامِ، وَيُعَدَّى إِلَى الجَانِي وَإِلَى الـمُذنِبِ بِعَن [٥].

وَيُقَالُ: عَفَوتُ عَن زَيدٍ، وَعَن ذَنبِهِ [٦].

---

(١) معالم التنزيل، البغوي: ١/ ١٤٤، لسان العرب، ابن منظور، مادة (بأس) ٦/ ٢٠.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٦٤، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٣٧٩، معاني القرآن، النحاس: ٣/ ٥٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٨٨، تفسير السمرقندي: ١/ ١٤٣.

(٤) الكافي، الكليني: ٧/ ٣٠٤ح ١، الاستبصار، الطوسي: ٤/ ٣٧٢ح١٠٣٢، تهذيب الأحكام، الطوسي: ١٠/ ١٩١ح٧٥٤.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٨٠.

(٦) تفسير الآلوسي: ٢/ ٥٠.

﴿فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨٢﴾

الجَنَفُ: الـمَيلُ عَن الحَقِ بِالخَطأَ[1].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾

وَهَذَا الـمَضمُونُ عَن أَمِيرِ الـمُؤمِنِينَعليه السلام: (إِنَّ الصَّومَ عِبادَةٌ قَدِيمَةٌ، مَا أَخلَى اللهُ تَعَالَى أُمَّةٌ إِيجَابُهَا عَلَيهِم، وَلَمْ يُوجِبهَا عَلَيكُم وَحدَكَم)[2].

﴿أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٤﴾

وَفِي الحَدِيثِ: (الصَّائِمُ فِي السَّفَرِ كَالْـمُفْطِرِ فِي الْـحَضَرِ)[3].

---

(١) الوافي، الفيض الكاشاني: ١٦/ ١٠٣٩، العين، الفراهيدي، مادة (جنف) ٦/ ١٤٣.

(٢) جوامع الجوامع، الطبرسي: ١/ ١٨٢، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٢٩٧.

(٣) سنن النسائي: ٤/ ١٨٣، كنز العمال، المتقي الهندي: ٨/ ٥٠٥ح٢٣٨٥٤، وقريب منه عن الامام الصادقعليه السلام ولفظه: (الصائم في السفر في شهر رمضان كالمفطر فيه في الحضر) الكافي، الكليني: ٤/ ١٢٧ح٣.

﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كانَ مَريضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُريدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُريدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥)

الرَمَضَانُ: مَصدَرُ رَمضَ، فَأُضِيفَ إِلَيهِ الشَّهر، وَصارَ عَلَماً، وَمُنِعَ الصَّرف لِلتَعرِيفِ وَالأَلِف وَالنُّون [١].

الفُرقَانُ: الفَارِقُ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ [٢].

اعلَم: إِنَّ حَدَّ المَرضِ الَّذِي يُوجِبُ الإِفطَارَ لِلصَائِمِ؛ مَا يُخَافُ بِالصَّومِ لِلزِيَادَةِ المُفرِطَةِ [٣] وَحَدُّ السَّفَرِ الَّذِي يُوجِبُ فِيهِ الإِفطَارَ ثَمانِيَةُ فَرَاسِخٍ [٤].

﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنِّي فَإِنِّي قَريبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجيبُوا لي وَلْيُؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦)

قِيلَ لإِبرَاهِيم الأَدهَم [٥]: مَا بَالُنَا نَدعُوا اللهَ فَلَا يَستَجِيبَ لَنَا؟ قَالَ:

لَأَنَّكُم عَرَفتُم اللهَ فَلَم تُطِيعُوه، وَعَرفتُم الرَّسُولَ فَلَم تَتَّبِعُوا سُنَّتَهُ، وَعَرفتُم القُرآنَ فَلَم تَعمَلُوا بِمَا فِيهِ، وَأَكَلتُم نِعمَةَ اللّهِ فَلَم تُؤَدُّوا شُكرَهَا، وَعَرفتُم الجَنَّةَ فَلَم

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٥٢، تفسير البيضاوي: ١/ ٤٦٣.

(٢) معاني القرآن، النحاس: ١/ ٣٤٣، معالم التنزيل، البغوي: ١/ ١٥١.

(٣) ينظر: المهذب، ابن البراج: ١/ ١٩٥، الوافي، الفيض الكاشاني: ١١/ ٣٠٠.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٣٠٨، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٧٤.

(٥) إبراهيم بن أدهم بن منصوربن يزيد بن جابر، أبو إسحاقن زاهد عابد مشهور، من أهل بلخ، رحل في طلب العلم الى بغداد والشام والحجاز، توفي سنة ١٦١هـ، ينظر: تهذيب الكمال، المزي: ٢/ ٢٧، تهذيب التهذيب، ابن حجر: ١/ ٨٨.

تَطلِبُوهَا، وَعَرَفتُم النَّارَ فَلَم تَهرُبُوا مِنهَا، وَعَرفتُم الشَّيطَانَ فَلَم تُحَارِبُوه وَوَافَقتُمُوهُ، وَعَرفتُم الـمَوتَ فَلَم تَستَعدِّوا لَهُ، وَدَفَنتُم الأَموَاتَ فَلَم تَعتَبِرُوا بِهِم، وَتَركتُم عُيُوبَكُم وَاشتَغَلتُم بِعُيوبِ النَّاسِ [(١)].

عَن النَّبِيِّ ﷺ: (مَا مِن مُسلِمٍ يَدعُو اللهَ بِدُعَاءٍ لَيسَ فِيهِ قَطِيعَةُ رَحِمٍ وَلَا إِثمٌ، إِلَّا أَعطَاهُ اللهُ إِحدَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ؛ إِمَّا أَن يُعَجِّلَ فِي الإِجَابَةِ، وَإِمَّا أَن يَدَّخِرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ بِأَحسَنَ مِنهُ، وَإِمَّا أَن يَصرِفَ عَنهُ مِنَ السُّوءِ مِثلَ مَا طَلَبَهُ) [(٢)].

وَعنهُ ﷺ: (إِنَّ العَبدَ لَيَدعُو اللهَ وَهُوَ يُحِبُّهُ، فَيَقُولُ لِجَبرَئِيلَ: يَا جَبرَئِيلُ اقضِ هَذَا لِعَبدِي حَاجَتَهُ، وَلَكِن لَا تُعطِهَا إِلَى الوَقتِ الفُلَانِيِّ؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَن يَكُونَ صَوتُهُ فِي بَابِي.

وَيَكُونُ عَبدٌ يَسأَلُ اللهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ، فَيَقُولُ اللهُ: يَا جَبرَئِيلُ اقضِ حَاجَتَهُ، وَعَجِّلهَا حَتَّى يَذهَبَ وَلَا يَدعُوَنِي؛ فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَن أَسمَعَ صَوتَهُ) [(٣)].

وَعَن أَمِيرُ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام: (رُبَّمَا أُخِّرَت عَنِ العَبدِ إِجَابَةُ الدُّعَاءِ؛ لِيَكُونَ أَعظَمَ لِأَجرِ السَّائِلِ، وَأَجزَلُ لَعَطَاءُ الآمِلِ) [(٤)].

---

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٢/ ٧٦، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٩.

(٢) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٢٤، مستدرك الوسائل، النوري: ٥/ ١٦٨ح٥٥٨٠، جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٥/ ١٩٠ح٦١٤.

(٣) مستدرك الوسائل، النوري:٥/ ١٩٦ح٥٦٧٥، جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٥/ ٢٧١ ح ٨٩٧.

(٤) الدعوات، الراوندي: ٤٢ح١٠٢، عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٢٤، بحار الأنوار، المجلسي: ٩٠/ ٣٧٢.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾

الرَّفَثُ: أَصلُهُ القَولُ الفَاحِش، وَ كَنَّى بِهِ عَن الجُماعَ، وَعُدِّي بِإِلَى لِتَضَمُّنِهِ مَعنَى الإِفضَاءَ[١].

الإِختِيَانُ: مِنَ الخِيَانَةِ، كَالإِكتِسَابُ مِنَ الكَسبِ[٢].

الاعتكاف: هو ان تحبس نفسک في المسجد للعبادة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾

الإِدلَاءُ: الإِلقَاءُ[٣] وَمِنهُ: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾.

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (آلُ مُحَمَّدٍ أَبوَابُ اللَّهِ وَسُبُلَهُ، وَالدُّعَاةُ إِلَى الجَنَّةِ، وَالقَادَةُ إِلَيهَا، وَالأَدِلَّاءُ عَلَيهَا إِلَى يَومِ القِيَامَةِ)[٤].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٨٦، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٣٠٧.
(٢) تفسير الرازي: ٥/ ١١٧، العين، الفراهيدي، مادة (خون) ٤/ ٣٠٩.
(٣) الكشف والبيان، الثعلبي: ٢/ ٨٣.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٨، البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/ ٤٠٩ ح٩٢٢.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩١)

قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ أَي: المِحنَةُ وَالبَلَاءُ الَّذِي يَنزِلُ بِالإِنسَانِ يَتَعَذَّبُ بِهِ، أَشَدُّ عَلَيهِ مِنَ القَتلِ [1].

وَالمُرَادُ بِالمِحنَةِ؛ الَّتِي يُتَمَنَّى عِندَهُ المَوتَ.

وَقِيلَ: الفِتنَةُ؛ عَذَابُ الآخِرَةِ [2] كَمَا قَالَ: ﴿**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ**﴾ [3].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ الشِّركُ أَعظَمُ مِنَ القَتلِ فِي الحَرَمِ؛ وَذَلِك أَنَّ الكُفَّار يَستَعظِمُونَ القَتلَ فِي الحَرَمِ وَيُعِيبُونَ المُسلِمِينَ بِهِ [4].

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

التَّهلُكَةُ: الهَلَاكَةُ [5].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٨٩، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٩٤.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٦٣.

(٣) الذاريات: ١٤.

(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٦/ ٢٩٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ١٥٢.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١٩٦﴾

أَحصَرَهُ: حَبَسَهُ[١] وَمِنهُ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أَي: حُبِستُم وَمُنِعتُم[٢].

النُّسُكُ: مَصدَرٌ. وَقِيلَ: جَمعُ نُسِيكَة؛ أَي: ذَبِيحَةٌ[٣].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿١٩٨﴾

يُقَالُ: إِفَاضَهُ الـمَآءُ؛ أَي: صَبَّهُ بِكَثْرَةٍ[٤].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ أَي: دَفَعتُم[٥] وَأَصلُهُ: أَفَضتُم أَنفُسَكُم مِن عَرَفَات[٦] وَهيَ عَلَمٌ لِلـمَوقِفِ، يُسَمَّى: بِجَمع، مِثلَ أَذرُعَات[٧] وَهي مِنَ الأَسمَاءِ الـمُرتَجَلَةِ[٨].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (حصر) ٢/ ٦٣٠.
(٢) تفسير الرازي: ٥/ ١٦٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٩٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/ ٣٨٦، زاد المسير، ابن الجوزي: ٣/ ١٠٩.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٧٣.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ١٦٦.
(٦) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ٩٧.
(٧) بلد في أطراف الشام، معجم البلدان، الحموي: ١/ ١٣٠.
(٨) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ١٩٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿٢٠٤﴾

الأَلَدُّ: الشَدِيدُ [١].

وَقولُه تَعَالَى: ﴿**أَلَدُّ الْخِصامِ**﴾ أَي: شَدِيدُ الجِدَالِ، وَإِضَافَةُ أَلَدّ إِلَى الخِصَامِ؛ بِمَعنَى: في، كَقَولُه: ثَبَتَ الغَدرُ [٢].

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ ﴿٢٠٤﴾

الحَرثُ: النَّبَات [٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٠٨﴾

السَّلـمُ: بِكسرِ السِّينِ وَفَتحُهَا.

قَالَ أَبو عُبَيدَةَ [٤]: السِّلـمُ ـ بِالكَسرِ ـ وَالإِستِسلَامُ وَاحِدٌ، وَكَذَا بِالفَتحِ [٥].

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (لدد) ٨/ ٩.

(٢) تفسير أبي السعود: ١/ ٢١١، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٣٣٣.

(٣) معاني القرآن، النحاس: ١/ ١٥١، تفسير السمعاني: ١/ ٢٠٨.

(٤) معمر بن المثنى، اللغوي النحوي، البصري، أول من صنف في غريب الحديث، عارف بأيام العرب، بلغ عمره مائة سنة، وتوفي سنة ٢١٠هـ، ينظر ترجمته في: الكنى والألقاب، القمي: ١/ ١١٩، معجم رجال الحديث، الخوئي:١٩/ ٢٩١، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٣/ ٢٥٢.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٠٠.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ (٢١٠)

الظُّلَل: بِوَزنِ صُرَد؛ جَمعُ ظُلَّة؛ وَهي: مَا أَظَلَّكَ[١].

مَسأَلَةٌ: اعلَم: أَنَّ اسم لَا يُعطَفُ عَلَى المَجرُورِ المُضمَرِ إِلَّا بِإِعَادَةِ الجَارِّ، وَقَد يَكُونُ بِمَعنَى التَّعلِيلِ[٢].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢١٧)

وَمِنهُ: قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ**﴾ أَي: كَي يَردُّوكُم عَن دِينِكُم[٣].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨/ ٩٣.

(٢) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٢/ ١٥٦، شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٣٩.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٢٨٦.

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١٩﴾

يُقَالُ: الخَمرُ مَغطَ عَقلُه؛ ذَهَبَ وَستره، والخَمرُ اسمٌ مِنَ الـمَصدَرِ في الأَصلِ، مِن خَمرَهُ خَمرَاً، إِذَا سَتَرَهُ [١].

الـمَيسِرُ: مَصدَرٌ، مِن يَسَرَ كَالـمَوعِدُ وَالـمَرجع مِن فِعلِهِما، وَاشتِقَاقُه مِنَ اليُسرِ كَأَنَّهُ أَخذُ مَالٍ بِيُسرٍ مِن غَيرِ كَدٍ، أَو مِنَ اليَسَارِ؛ لأَنَّه سُلِبَ يَسَارُه [٢].

وَعَن رَسُول اللَّهِ ﷺ: (إِيَّاكُم وَهَاتَينِ الكَعبَتَينِ الْـمَوشُومَتَينِ [٣] فَإِنَّهُمَا مِن مَيسِرِ العَجَم) [٤].

وَعَن أَئِمَّتُنَا عليهم السلام: إِنَّ الـمَيسِر وَالقِمَار - حَتَّى قَالُوا -: (لَعِبُ الصِّبيَانِ بِالجَوزِ هُوَ القِمَارُ) [٥].

﴿**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾ وَالكَبِيرُ: استُعمِلَ في الذَّنبِ إِذَا كَانَ مُوبِقَاً، كَقَولِه: ﴿**كَبَائِرَ الْإِثْمِ**﴾ [٦] و: ﴿**كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾ [٧] وَفِي غَيرِ الـمُوبِقِ صَغِيرٌ، وَلَم يُستَعمَلُ قَلِيلٌ، وَمُقَابِلُ الكَثِيرِ: القَلِيلُ [٨].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٣٤٧.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٠٨.
(٣) في بعض المصادر: (المرسومتين).
(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٧٦/ ٢٣٧، جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٧/ ٢١٣، السنن الكبرى، البيهقي: ١٠/ ٢١٥، كنز العمال، المتقي الهندي: ١٥/ ٢١٦ح ٤٠٦٤٣.
(٥) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤/ ٥٩ح٥٠٩٣، عن الإمام الصادق عليه السلام.
(٦) الشورى: ٣٧.
(٧) النساء: ٣١.
(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٧٨.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٠)

العَنَتُ: الـمَشَقَّةُ [١] وَالإعنَاتُ: الحَملُ عَلَى الـمَشَقَّةِ [٢] وِمنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**لَأَعْنَتَكُمْ**﴾ أَي: لَحَمَلَكُم عَلَى الـمَشَقَّةِ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢)

الـمَحِيضُ: مَصدَرُ حَاضَت تَحِيضُ، نَحوَ: جَاءَ مَجِيئاً، وَبَاتَ مَبِيتاً [٣].

الإِعتِزَالُ: الإِجتِنَابُ، وَمِنهُ: ﴿**فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ**﴾ أَي: مُجَامَعَتُهَا [٤].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣)

قَولُه تَعَالَى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾.

قِيلَ: نَزَلَت فِي اليَهُودِ وَرَدّه عَلَيهِم؛ إِذ قَالُوا: إِنَّ الرَّجُل إِذَا أَتَى امرَأَتهُ مِن خَلفِهَا فِي قُبُلِهَا، خَرَجَ الوَلَدُ أَحوَل، فَأَكذَبَهُم بِهَا.

وَقِيلَ: إِتيَانُ الـمَرأَةِ قَائِمَةً، فَأُنزِلَ قَولُه تَعَالَى: ﴿**فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾ [٥].

(١) العين، الفراهيدي، مادة (عنت) ٢/ ٧٢.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٢١٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢١٠.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٣٥٣.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٢٢٤، فقه القرآن، الراوندي: ٢/ ١٤١.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢٤)

العُرضَةُ: فُعلَةٌ، بِمعنَى مَفعُول، كَالغُرفَةُ وَالقَبضَةُ؛ وهي: اسمُ مَا تَعرِضَهُ دُونَ الشَّيءِ مِن عَرضِ العُودِ عَلَى الإِنَاءِ فَيعتَرِض دُونَهُ، فَيَصِيرُ حَاجِزاً وَمَانِعاً مِنهُ، يُقَالُ: فُلَانٌ عُرضَةٌ دُونَ الخَيرِ، وَالعُرضَةُ أَيضَاً: الـمُعَرَّض لِلأَمرِ[١].

رُوي عَن الصَّادِقِ عليه السلام: (لَا تَحلِفُوا بِاللَّـهِ صَادِقِينَ، وَلَا كَاذِبِينَ؛ لَأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾)[٢].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٢٥)

اللَّغو: السَّاقِطُ الَّذِي لَا يُعتَدُّ بِهِ مِن كَلَامِهِم[٣].

وَاللَّغوُ مِنَ اليَمِينِ: مَا يَجرِي عَلَى اللِّسَانِ مِن قَولِ: لَا وَاللَّـهِ، وَ: بَلَى وَاللَّـهِ، مِن غَيرِ عَقدٍ عَلَى يَمِينٍ[٤].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢١٢.
(٢) الكافي، الكليني: ٧/ ٤٣٤ح١، من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣/ ٣٦٢ح ٤٢٨١، تهذيب الأحكام، الطوسي: ٨/ ٢٨٢ح١٠٣٣.
(٣) الكشاف، الزمخشري: ١/ ٣٦٣.
(٤) هذا القول منسوب لابن عباس، كما في فقه القرآن، الراوندي: ٢/ ٢٢٢.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٢٦﴾

التَّرَبُّصُ: التَوَقُّف، وَالتَّثَبُّت، وَالإِنتِظَار[١].

رُوي عَن البَاقِرِ عليه السلام أَنه قَالَ: (جَاءَتِ امرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله فَقَالَت يَا رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله مَا حَقُّ الزَّوجِ عَلَى الْـمَرأَةِ؟ فَقَالَ لَهَا: تُطِيعُهُ وَلَا تَعصِيهِ، وَلَا تَصَدَّقُ مِن بَيتِهَا شَيئاً إِلَّا بِإِذنِهِ، وَلَا تَصُومُ تَطَوُّعاً إِلَّا بِإِذنِهِ، وَلَا تَمنَعُهُ نَفسَهَا وَإِن كَانَتْ عَلَى ظَهرِ قَتَبٍ[٢] وَلَا تَخرُجُ مِن بَيتِهَا إِلَّا بِإِذنِهِ، فَإِن خَرَجَت بِغَيرِ إِذنِهِ لَعَنَتهَا مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَمَلَائِكَةُ الْأَرضِ وَمَلَائِكَةُ الغَضَبِ وَمَلَائِكَةُ الرَّحمَةِ حَتَّى تَرجِعَ إِلَى بَيتِهَا.

فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله مَن أَعظَمُ النَّاسِ حَقّاً عَلَى الرَّجُلِ؟ قَالَ: وَالِدَاهُ، قَالَت: فَمَن أَعظَمُ النَّاسِ حَقّاً عَلَى الْـمَرأَةِ؟ قَالَ: زَوجُهَا، قَالَت: فَمَا لِي مِنَ الحَقِّ عَلَيهِ مِثلُ مَا لَهُ عَلَيَّ؟ قَالَ: لَا، وَلَا مِن كُلِّ مِائَةٍ وَاحِدَةٌ.

فَقَالَت: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ نَبِيّاً، لَا يَملِكُ رَقَبَتِي رَجُلٌ أَبَداً)[٣].

و قال صلى الله عليه وآله: (لَو كُنتُ آمُرُ أَحَداً يَسجُدُ لِأَحَدٍ، لَأَمَرتُ الْـمَرأَةَ أَن تَسجُدَ لِزَوجِهَا)[٤].

مَسأَلَةٌ: الفَرَطُ، بِفَتحَتَينِ: الـمُتَقَدِّمُ فِي طَلَبِ الـمَاءِ.

يُقَالُ: فَرَطَ القَومُ فُروطَاً، مِن بَابِ: قَعَدَ؛ إِذَا تَقَدَّمَ لِذَلِك، يَستَوِي فِيهِ الوَاحِدُ وَالجَمِعُ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ فَرَطٌ وَقَومٌ فُرطٌ.

(١) العين، الفراهيدي، مادة (ربص) ٧/ ١٢٠.

(٢) القتب: رحل صغير على قدر السنام، العين، الفراهيدي، مادة (قتب) ١/ ١٩٨.

(٣) الكافي، الكليني: ٥/ ٥٠٦ح١، من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣/ ٤٣٨ح٤٥١٣ عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٤) الاختصاص، المفيد: ٢٦٩، الكافي، الكليني: ٥/ ٥٠٧ح٦، دعائم الاسلام، المغربي: ٢/ ٢١٦ح٨٩٨.

وِمنهُ يُقَالُ في الطِّفلِ [١] الـمَيِّتِ: اللَّـهُمَّ اجعَلهُ فَرَطَاً؛ أَي: أَجرَاً مُتَقَدِماً.

وَيُقَالُ أَيضَاً: رَجُلٌ فَارِطٌ، وَ: قَومٌ فَرَاط، مِثلُ كَافِرٍ وَكُفَّار، وَافتَرَطَ فُلَانٌ فَرَطَاً، إِذَا مَاتَ لَهُ أَولَادٌ صِغَارٌ.

وَفَرَطَ مِنهُ كَلَامٌ يَفرِطُ، مِن بَابِ: قَتَلَ سَبَقَ وَتَقَدَّمَ، وَتَكَلَّمَ فِرَاطَاً بِالكَسرِ: سَقَطَ مِنهُ نَوَادِر [٢].

وَ فَرَّطَ فِي الأَمرِ تَفرِيطَاً: قَصَّرَ فِيهِ وَضَيَّعَهُ، وَأَفرَطَ إِفرَاطَاً: أَسرَفَ وَجَاوَزَ الحَدَّ [٣].

الفَوهُ: الطِّيبُ، وَالجَمعُ أَفوَاه، مِثل: قُفل وَأَقفَال، وَأَفَاوِيه: جَمعُ الجَمعِ.

وَيُقَالُ لِـمَا يُعَالَجُ بِهِ الطَّعَامُ مِنَ التَّوَابِلِ: أَفوَاهُ الطِّيبِ.

وَفَاهَ الرَّجُلُ [٤] يَفُوهُ: تَلَفَّظَ بِهِ.

وَفُوهَةُ الطَّرِيقِ ـ بِضَمِّ الفَّاءِ، وَتَشدِيدِ الوَاو مَفتُوحَةٌ ـ فَمُهُ؛ وَهوَ أَعلَاهُ، وَفُوهَةُ الزُّقَاقِ: مَخرَجُهُ، وَفُوهَةُ النَهرِ: فَمَهُ أَيضَاً، وَجَمعُهُ أَفوَاهٌ، عَلَى غَيرِ قِيَاسٍ.

وَقَالَ الفَارَابِي: فَوهَةُ الطِّيبِ جَمعُهَا فَوَاءَة.

وَالفَمُ مِنَ الحَيَوَانِ [٥]: أَصلُهُ فَوَهَ ـ بِفَتحَتَينِ ـ وَلِهَذَا يُجمَعُ عَلَى: أَفوَاه، مِثلُ: سَبَبٍ وَأَسبَاب.

وَيُثَنَّى عَلَى لَفظِ الوَاحِدِ، فَيُقَالُ: فَمَان، وَهوَ فِي غَرِيبِ الأَلفَاظِ الَّتي لَم يُطَابِقُ مُفرَدُهَا جَمعُهَا.

---

(١) في المصدر: (للطفل).

(٢) في المصدر: (بوادر).

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (فرط) ٢/ ٤٦٩.

(٤) في المصدر: (فاه الرجل بكذا).

(٥) في المصدر: (من الانسان والحيوان).

وَفي الإِضَافَة: تقول: فِيّ وَفَمِي، وَإلى غَيرِ اليَاءِ، تُعرَبُ بِالحُرُوفِ [١] فَيُقَالُ: فَوه وَفَاه وَفِيه، وَيُقَالُ أَيضاً: فَمُهُ [٢].

وَفَاضَ الإِنَاءُ فَيضاً: امتَلأ، وَفَاضَ السَّيلُ، وَيَفِيضُ فَيضاً: كَثُرَ، وَسَالَ مِن شُقَّةِ الوَادِي، وَبِالأَلِفِ: لُغَةٌ، وَفَاضَ الخَيرُ: كَثُرَ.

وَأَفَاضَ النَّاسُ مِن عَرَفَات: دَفَعُوا مِنهَا، وَكُلُّ دفعَةٍ إِفَاضَة، وَأَفَاضُوا مِن مِنَى إِلى مَكَّةَ يومَ النَّحرِ: رَجِعُوا إِلَيهَا، وَمِنهُ: طَوَافُ الإِفَاضَةِ؛ أَي: طَوَافُ الرُّجُوعِ مِن مِنَى إِلى مَكَّةَ [٣].

القِبطُ[٤]: نَصَارَى مِصرَ، وَالقِبطِيُّ أيضَاً: ثَوبٌ مِن كِتَانٍ رَقِيقٍ يُعمَلُ بِمِصرَ، نِسبَةً إِلى القِبطِ، عَلَى غَيرِ قِيَاسٍ؛ فَرقَاً بَينَهُ وَبَينَ الإِنسَانِ المَنسُوبِ وَالثَّوبِ، جَمعُهُ قُبَاطَى[٥].

القُبلَة: بِوَزنِ غُرفَة، جَمعُهَا قُبَل [٦].

وَالقَابُولُ: السَّابَاطُ، هَكَذَا استَعمَلَهُ الغَزَالِي، وَتَبِعَهُ الرَّافِعِي، وَلَم أَظفَرُ بِنَقلٍ فِيهِ [٧].

وَالقِبَلُ: الجِهَةُ، وَالقَبِيلُ أَيضاً: الكَفِيلُ، وَزنَاً وَمَعنَىً [٨].

---

(١) في المصدر: (إذا أُضيف إلى الياء قيل: فِيَّ وفمي، وإلى غير الياء أُعرب بالحروف، فيقالُ: فوه وفاه وفيه، ويقالُ أيضاً: فمه).

(٢) المصباح المنير، الفيومي، مادة (فوه) ٢/ ٤٨٥.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (فاض) ٢/ ٤٨٥ بتفاوت في العبارة.

(٤) في المصدر: (القبط بالكسر).

(٥) المصباح المنير، الفيومي، مادة (قبط) ٢/ ٤٨٨.

(٦) المصباح المنير، الفيومي، مادة (قبل) ٢/ ٤٨٨، وفيه: (والقبلة اسم من قبلت الولد تقبيلا والجمع قبل مثل غرفة وغرف).

(٧) المصباح المنير، الفيومي، مادة (قبل) ٢/ ٤٨٩.

(٨) المصباح المنير، الفيومي، مادة (قبل) ٢/ ٤٨٩.

القَبَاءُ: كَأَنَّهُ مُشتَقٌّ مِن قَبَوتُ الحَرفَ، أَقبُوهُ قَبوَاً، إِذَا ضَمَمتُهُ، وَقَبَاء: مَوضِعٌ [١] يُقصَرُ وَيُمدُّ، فَيَنصِرِف وَلَا يُصرَف [٢].

القِحفُ: أَعلَا الدِّمَاغُ، قَالَهُ فِي مُختَصَرُ العَينِ، وَالجَمعُ أَقحَاف، مِثلَ: حِملُ أَحمَالُ [٣].

يُقَالُ: شَيخٌ قَحلٌ، بِوَزنِ: فَلس؛ فَهوَ: الفَانِي، وَقَحَلَ الشَّيءُ قَحلاً، مِن بَابِ: نَفَعَ يَبِسَ [٤].

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٨)

مِنهُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ أَي: عَلَى النِّسَاءِ.

الدَّرَجَةُ: الزِّيَادَةُ فِي الحَقِّ [٥].

عَيلَةُ الرَّجُلِ وَعَيلَةُ المَرأَةِ: تَلَذُّذ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُمَا مِنَ الآخَر [٦].

يُقَالُ: تَعتَدِ عَلَيهِ؛ أَي: تَظلِم.

---

(١) المصباح المنير، الفيومي، مادة (قبل) ٢/ ٤٨٩.

(٢) في المصدر:(وقباء: موضع بقرب مدينة الرسول ﷺ من جهة الجنوب، نحو ميلين).

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (قحف) ٢/ ٤٩١.

(٤) المصباح المنير، الفيومي، مادة (قحل) ٢/ ٤٩١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢١٥.

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الكشاف: ١/ ٣٠٠.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٢)

العَضلُ: الحَبسُ وَالتَّضيُّق [١].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أَي: فَلَا تَمنَعُوهُنَّ ظُلماً عَن التَّزوجِ.

قِيلَ: هَذَا خِطَابٌ لِلأَزوَاجِ الَذِينَ يَعضِلُونَ نِسَائهُم بَعدَ انقِضَاءِ الـمُدَّةِ ظُلماً وَلَا يَترِكُوهُنَّ يَتزَوَجنَ مِن شَيءٍ مِنَ الأَزوَاجِ [٢].

الظِّئرُ: امرَأَةٌ أَقَامَت عِندَ الرَّجُلِ لِتُرضِعَ وَلَدَهُ [٣].

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٣٤)

التَّربُّصُ: الاعتِدَادُ [٤].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ أَي: يَعتَدُونَ.

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢١٨، العين، الفراهيدي، مادة (عضل) ١/ ٢٧٨.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢١٨.
(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (ظأر) ٣/ ٤٧٣.
(٤) وهو في اللغة: التلبث والانتظار، لسان العرب، ابن منظور، مادة (ربص) ٧/ ٣٩.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٣٥)

التَّعرِيضُ: هُوَ أَن تَقُولَ لامرَأَةٍ: إِنَّكِ لَجَمِيلَةٌ صَالِحَةٌ، وَإِنِّي أُحِبُّ امرَأَةٍ صِفَتُهَا كَذَا، وَتَذكُرُ بَعضَ صِفَاتِهَا... وَنَحوِ ذَلِكَ مِمَّا يُوهِمُ أَنَّكَ تُرِيدُ نِكَاحُهَا [١] حَتَّى تَحبِسَ نَفسُهَا عَلَيكَ [٢] إِن رَغِبَت فِيكَ [٣] وَلَا تُصَرِّحُ [٤] بِالنِّكَاحِ، فَلَا تَقُولَ [٥]: إِنِّي أُرِيدُ نِكَاحُكِ، أَو تَزوِيجُكِ [٦].

وَفِيهِ قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ في أَنْفُسِكُمْ**﴾ أَي: أَو أَسرَرتُم، أَضمَرتُم في القُلوبِ، لَا مُعَرِّضِينَ، وَلَا مُصَرِّحِينَ.

السِّرُّ: قَد يُكَنَّى بِهِ عَنِ الوَطءِ؛ لأَنَّهُ مِمَّا يُسَرُّ، ثُمَّ عَبَّرَ بِه عَنِ النِّكَاحِ، وَالأَوَّلُ مِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾ [٧].

عَزَمَهُ وَعَزَمَ عَلَيهِ بِمَعنىً [٨].

---

(١) في المصدر: (أنه يريد نكاحها).
(٢) في المصدر: (عليه).
(٣) في المصدر: (فيه).
(٤) في المصدر: (يصرح).
(٥) في المصدر: (يقول).
(٦) في المصدر: (اني اريد ان انكحك، أو اتزوجك) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٢٢.
(٧) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣١١، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٢٢.
(٨) تاج العروس، الزبيدي، مادة (عزم) ١٧/ ٤٧٦، وهو: إرادة الفعل وعقد القلب على امضائه.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٣٦﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ**﴾ «ما» فِيهِ شَرطِيَّةٌ، بِمَعنَى «إِن» وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ بِمَعنى الـمُدَّةِ؛ أَي: مُدَّةً لَم تَمَسُّوهُنَّ فِيهَا، فَيَكُونُ نَصباً عَلَى الظَّرفِ [1]

الـمُوسِعُ: الغَنِيُّ الَّذِي فِي سَعَةٍ، خِلَافُ الـمُقتِرِ [2].

اعلم: أَنَّهُ سُمِي رُبَّما الشَّخص قَبلَ أَن يَفعَلَ فِعلاً بِهِ.

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: (مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ) [3].

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٣٧﴾

إِنْ: نَاصِبَةٌ، وَتَعفُو: فِعلُ الجَمعِ الـمُؤنَث [4].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٢٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٢١.

(٣) مختلف الشيعة، العلامة الحلي: ٤/ ٤٠٤، الموطأ، مالك بن أنس: ٢/ ٤٥٥ ح١٩،المعجم الكبير، الطبراني:٧/ ٢٤٥.

(٤) مختلف الشيعة، العلامة الحلي:٤/ ٤٠٤، الموطأ، مالك بن أنس: ٢/ ٤٥٥ ح١٩،المعجم الكبير، الطبراني:٧/ ٢٤٥.

﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ**﴾ أَي: دَاوِمُوا عَلَى مَوَاقِيتِهَا، وَأَركَانِهَا[١].

وَ: ﴿**وَالصَّلاةِ الْوُسْطى**﴾ يَعنِي: بَينَ الصَّلَاةِ، أَو الفُضلَى، مِن قَولِهِم لأَفضَلِ: الأَوسَطُ، وَإِنَّمَا أُفرِدَت وَعُطِفَت عَلَى الصَّلَاةِ؛ لإِنفرَادِهَا بِالفَضلِ[٢].

وَالمَروِيُّ: أَنَّهَا صَلَاةُ الظُهرِ[٣] وَقِيلَ: العَصرُ[٤] وَقِيلَ: الفَجرُ[٥].

قال الرسول صلى الله عليه وآله: (لَقَد هَمَمتُ أَن أُحرِقَ عَلَى قَومٍ لَا يَشهَدُونَ الصَّلَاةَ بُيُوتَهُم) فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ**﴾[٦].

أَي: دَاعِينَ فِي قِيَامِكُم، وَالقُنُوتُ: الدُّعَاءُ فِي الصَّلَاةِ[٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٢٦.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣١٥.

(٣) معاني الأخبار، الصدوق: ٣٣١ح١، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) الإختصاص، المفيد: ٣٥، عوالي اللئالئ، ابن ابي جمهور: ٢/ ٣١ح٤٨، عن النبي صلى الله عليه وآله.

(٥) السنن الكبرى، البيهقي: ١/ ٤٦١، عن علي عليه السلام وابن عياش، وابن عباس، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٢٧.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٢٦، الكشف والبيان، الثعلبي: ٢/ ١٩٦.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٢٥، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام تفسير العياشي: ١/ ١٣٨ح ٤١٩.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٩)

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾ أَي: فَإِن خِفتُم مِن عَدُوٍ أَو غَيرِهُ فَصَلُّوا رَاجِلِين، وَالرِّجَالُ: جَمعُ رَاجِل، كَالقِيَامُ: جَمعُ قَائمٍ.

﴿أَوْ رُكْبَاناً﴾ عَلَى ظُهُورِ دوَابِّكُم، عَنَى بِذَلِكَ: صَلَاة الخَوفِ.

﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ مِنَ الخَوفِ: ﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ مِن صَلَاةِ الأَمنِ[1].

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤٠)

قَولُه تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ مَن قَرَأَ وَصِيَّةً بِالنَّصبِ ـ عَلَى قِرَاءَةِ حفص ـ فَالتَّقدِيرُ: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ وَيَترُكُونَ أَزوَاجَاً يُوصُونَ وَصِيَّةً، كَقَولِك: إِنَّمَا أَنتَ سَيرُ البَرِيدِ، بِإِضمَارِ سِيرُوا.

وَمَن قَرَأَ بِالرَّفعِ ـ عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي بَكر ـ فَالتَّقدِيرُ: وَلَكُم الَّذِينَ يُتَوَفَونَ وَيَترُكُونَ أَزوَاجَاً وَصِيَّةً لِأَزوَاجِهِم، أَو: وَالَّذِينَ يُتَوفَّونَ وَيَترُكُونَ وَصِيَّةً أَزوَاجَاً أَهلُ وَصِيَّةٍ لِأَزوَاجِهِم، فَعَلَى تَقدِيرِ مُضَافٍ[2].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٢٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ١/ ٣١٧، تفسير الرازي: ٦/ ١٦٨.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ إِقرَاضُ اللَّـهِ مَثَلٌ لِتَقَدُّمِ العَمَلِ الَّذِي يُطلَبُ ثَوَابُهُ، وَهوَ تَلَطُّفٌ لِلدَّعَاءِ إِلَى فِعلِهِ، وَتَأكِيدٌ لِلجَزَاءِ عَلَيهِ.

وَالقَرضُ الحَسَنُ: إِمَّا الـمُجَاهَدَةُ بِنَفسِهَا، وَإِمَّا النَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، فَيُضَاعِفَهُ أَضعَافَاً كَثِيرَةً، لَا يَعلَمُ كُنهُهَا إِلَّا هُوَ، وَقِيلَ: هُوَ إِنَّ الوَاحِدُ بِسَبعِمَائةٍ[١].

﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ**﴾ الرِّزقَ؛ أَي يُقَتِّرُ عَلَيكُم وَيُوَسِّعُ، فَلَا تَبخَلُوا عَلَيهِ بِمَا وَسَّعَ عَلَيكُم حَتَّى لَا يُبدِلَنَّكُم الضِّيقَ بِالسَّعَةِ[٢].

وَقَرَأَ أَبُو بَكرٍ: يَبصِطُ، بِالصَّادِ[٣].

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: (مَن تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَهُ مِثلَاهَا فِي الجَنَّةِ)[٤].

فَقَالَ أَبُو الدَحدَاحِ الأَنْصَارِيُّ، وَاسمُهُ عَمرُو بنُ الدَّحدَاحِ[٥]: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، إِنَّ لِي حَدِيقَتَينِ إِن تَصَدَّقتُ بِإِحدَيهِمَا فَإِنَّ لِي مِثلَيهَا فِي الجَنَّةِ؟

قَالَ: (نَعَم).

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٣٨٧، تفسير البيضاوي: ١/ ٥٣٨

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٢٧.

(٣) بل هي قراءة نافع، تفسير السمرقندي: ١/ ١٨٧.

(٤) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ٨/ ٣٤٧ح ٩٩٩.

(٥) هكذا في الأصل، والصحيح أنه ثابت بن الدحداح، صحابي أنصاري، ينظر ترجمته في: قاموس الرجال، التستري: ١١/ ٣١٧، الاستيعاب، ابن عبد البر: ١/ ٣٠٣، أسد الغابة، ابن الأثير: ١/ ٢٢١، الإصابة، ابن حجر: ١/ ٥٠٣.

قَالَ: وَأُمُّ الدَّحدَاحِ مَعِي؟

قَالَ: (نَعَم).

قَالَ: الصِّبيةُ مَعِي؟

قَالَ: (نَعَم).

فَتَصَدَّقَ بِأَفضَلِ حَدِيقَتِيهِ فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، فَضَاعَفَ اللهُ صَدَقَتَهُ أَلفَي أَلفٍ، وَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَضْعافاً كَثِيرَةً**﴾ [١].

قَالَ: فَرَجَعَ أَبُو الدَّحدَاحِ، فَوَجَدَ أُمَّ الدَّحدَاحِ وَالصِّبيَةُ فِي الحَدِيقَةِ الَّتِي جَعَلَهَا صَدَقَتَهُ، فَقَامَ عَلَى بَابِ الحَدِيقَةِ، وَتَحَرَّجَ أَن يَدخُلَهَا، فَنَادَى: يَا أُمَّ الدَّحدَاحِ، فَقَالَت: لَبَّيكَ يَا أَبَا الدَّحدَاحِ.

قَالَ: إِنِّي قَد جَعَلتُ حَدِيقَتِي هَذِهِ صَدَقَةً، وَاشتَرَيتُ مِثلَيهَا فِي الجَنَّةِ وَأُمُّ الدَّحدَاحِ مَعِي وَالصِّبيَةُ مَعِي، قَالَت: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا شَرَيتَ وَفِيمَا اشتَرَيتَ.

فَخَرَجُوا مِنهَا، وَأَسلَمُوا الحَدِيقَةَ إِلَى النَّبِي ﷺ فَقَالَ النَّبِيُ ﷺ:

(كَم مِن نَخلٍ مُتَدَلٍّ عُذُوقُهَا لِأَبِي الدَّحدَاحِ فِي الجَنَّةِ) [٢].

العِذقُ: الكَبَّاسَةُ، وَهوَ: جَامِعُ الشَّمَارِيخُ، وَالجَمعُ: أَعذَاقٌ، مِثلُ حِملٌ وَأَحمَالٌ، وَالعِذقُ مِثَالُ فِلس: النَّخلَةُ نَفسُهَا، وَيُطلَقُ العِذقُ عَلَى أَنوَاعٍ مِنَ التَّمرِ، وَمِنهُ: عِذقُ ابنُ الحَبِيقِ، وَعِذقُ ابنُ طَاب، وَعِذقُ ابنُ زَيد، قَالَهُ أَبو حَاتِمٍ فِي المَصبَاحُ المُنِير [٣].

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٣٨٧.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (عذق) ٢/ ٣٩٩.

والشِّمرَاخُ: مَا يَكُونُ فِيهِ الرَّطَبُ، وَالشَّمرُوخ: وَزَان عُصفُور، لُغَةٌ فِيهِ، وَجَمعُهَا شَمَارِيخٌ، وَمِثلُهُ: عِثكَالٌ وَعِثكُولٌ، وَعِنقَادٌ وَعُنقُودٌ[١].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٤٦﴾

وَالـمَلأ: الجَمَاعَةُ الأَشرَاف مِنَ النَّاسِ، هَيبَتُهُم تَملأ الصُّدُورِ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْـمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائيل**﴾[٢].

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤٧﴾

طَالُوت: اسمٌ أَعجَمِيٌّ كَجَالوت وَداود، فِيهِ التَّعرِيفُ وَالعُجمَةُ، وَكَانَ طَالُوت مِن وُلدِ بنيَامِين بن يَعقُوب، وَلَم يَكُن مِن سِبطِ النُّبوَّةِ وَلَا الـمَملَكَةِ وَسُمِّي طَالوت؛ لِطُولِه، وَكَانَ سَقَاءً، أَو دَبَّاغاً، وَكَانَت النُّبوَّةُ فِي سِبطِ لَاوي ابنُ يَعقُوب، وَالـمُلكُ فِي سِبطِ يَهُوذا بن يَعقُوب، أَو فِي سِبطِ يُوسُف عليه السلام وَقِيلَ: إِذَا قَامَ الرَّجُلُ فَبَسَطَ يَدَهُ رَافِعاً لَهَا نَالَ رَأَسَهُ[٣].

(١) المصباح المنير، الفيومي، مادة (شمراخ) ١/ ٣٢٢.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٢٨٧، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٢٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٤٢.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ {٢٥٠}

الإِفرَاغُ: الإِصبَابُ [١].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾ أَي: أُصبُب [٢].

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ {٢٥١}

يُقَالُ: ﴿آتاهُ اللهُ﴾ أَعطَاهُ، ومنه: ﴿آتاهُ اللهُ الْـمُلْكَ﴾.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ {٢٥٥}

وَصفُ آيَةُ الكُرسِيِّ

عَن أُبَيّ بِن كَعب، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا أَبَا الـمُنذِر، أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعظَمُ؟).

قُلتُ: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْـحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدرِي، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (فرغ) ٤/ ٤٠٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٣٣.

(لِيُهنِئكَ العِلـمُ، وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِيَدِهِ، إِنَّ لِهَذِهِ الآيَة لَلِسَاناً، وَشَفَتَينِ، تُقَدِّس اللهَ عِندَ سَاقِ العَرشِ) [١].

وَعَنهُ: (مَن قَرَأَ آيَةَ الكُرسِيِّ دُبرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكتُوبَةٍ، كَانَ الَّذِي يَتَوَلَّى قَبضَ نَفسِهِ ذُو الجَلَالِ وَالإِكرَامِ، وَكَانَ كَمَن قَاتَلَ مَعَ أَنبِيَاءِ اللَّـهِ حَتَّى استُشهِد) [٢].

وَعَنْ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (سَمِعتُ نَبِيَّكُم عَلَى أَعوَادِ الـمِنبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكتُوبَةٍ، لَم يَمنَعهُ مِن دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا الْـمَوتُ، وَلَا يُوَاظِبُ عَلَيهَا إِلَّا صِدِّيقٌ، أَو عَابِدٌ، وَمَن قَرَأَهَا إِذَا أَخَذَ مَضجَعَهُ أَمَنَهُ اللهُ عَلَى نَفسِهِ، وَجَارَهُ وَجَارُ جَارَهُ) [٣].

وَعنهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ، آدَمُ سَيِّدُ البَشَرِ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله سَيِّدُ العَرَبِ وَلَا فَخرَ، وَسَلـمَانٌ سَيِّدُ فَارِسَ، وَصُهَيبٌ سَيِّدُ الرُّومِ، وَبِلَالٌ سَيِّدُ الحَبَشَةِ.

وَطُورُ سَينَاءَ سَيِّدُ الجِبَالِ، وَالسِّدرَةُ سَيِّدُ الأَشجَارِ، وَالأَشهُرُ الحُرُمُ سَيِّدُ الشُّهُورِ، وَالجُمُعَةُ سَيِّدُ الأَيَّامِ، وَالقُرآنُ سَيِّدُ الكَلَامِ، وَسُورَةُ البَقَرَةِ سَيِّدُ القُرآنِ، وَآيَةُ الكُرسِيِّ سَيِّدُ سُورَةِ البَقَرَةِ، فِيهَا خَمسُونَ كَلِمَةً، فِي كُلِّ كَلِمَةٍ بَرَكَةٌ) [٤].

وَعَن البَاقِرِ عليه السلام: (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرسِيِ مَرَّةً، صَرَفَ اللهُ عَنهُ أَلفَ مَكرُوهٍ مِن مَكرُوهِ

(١) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٥/ ٩١ح٢٣٧، مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ١٤٢، المصنف، الصنعاني: ٣/ ٣٧٠ح ٦٠٠١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٥٧، الكشف والبيان، الثعلبي: ٢/ ٢٢٧، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٢٨٨، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٥، تفسير الرازي: ٧/ ٣.

(٤) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٥/ ٩٤ح ٢٤٦، مستدرك الوسائل، النوري: ٤/ ٣٣٦ ح ٤٨٢٥.

الدُّنيَا، وَأَلفَ مَكرُوهٍ مِن مَكرُوهِ الآخِرَةِ، أَيسَرُ مَكرُوهِ الدُّنيَا الفَقرُ، وَأَيسَرُ مَكرُوهِ الآخِرَةِ عَذَابُ القَبرِ) [١].

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام: (إِنَّ لِكُلِّ شَيءٍ ذُروَةٌ، وَذُروَةُ القُرآنِ آيةُ الكُرسِيُّ) [٢].

وَالمعنَى: ﴿**لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ أَي: لَا أَحَدُ تُستَحَقُّ العِبَادَةُ لَهُ ﴿**إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ الَّذِي يَصُحُّ أَن يَكُونُ قَادِراً عَالِماً، وَهوَ البَاقِي، لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيهِ الفَنَاءُ، يَفنَى كُلُّ شَيءٍ وَيَبقَى وَجهُهُ بَعدَهَا [٣].

﴿**الْقَيُّومُ**﴾ أَي: الدَّائِمُ القِيَام بِتَدبِيرِ الخَلَائِقِ وَحِفظِهِم [٤].

وَالسِّنَةُ: هُوَ مَا يَتقَدَّمُ النَّومَ مِنَ الفُتُورِ الَّذِي سُمِّي النُّعَاس [٥] أَي: لَا يَأخُذُهُ نُعَاسٌ.

﴿**وَلَا نَوْمٌ**﴾ مَزِيدٌ لِلقُوَّةِ، وَهوَ تَأكِيدٌ لِلقَيُّومِ، وَبَيَانٌ لَهُ؛ لِأَنَّ مَن جَازَ عَلَيهِ النَّومُ وَالسِّنَة لَا يَكُونُ قَيُّوماً [٦].

قَولُهُ: ﴿**إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ رَدٌّ عَلَى المُشرِكِين، حَيثُ زَعَمُوا: أَنَّ الأَصنَامَ تَشفَعُ لَهُم عِندَ اللَّهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَالضَّمِيرُ فِي: أَيدِيهِم وَخَلفِهِم، لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ؛ لِأَنَّ فِيهِم العُقَلَاءَ وَالأَنبِيَاءَ وَالمُرتَضَى فِيهِم لِلشَفَاعَةِ [٧].

---

(١) الأمالي، الصدوق: ١٥٨ ح١٥٥، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٩/ ٢٦٢ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ١٣٦ح٤٤٩، الدعوات، الراوندي: ٢١٧ح٥٨٦، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٨/ ٢٨٨ح ٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٤.

(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٢٧، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٤.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٤.

(٧) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤٠٣.

وَقَولُهُ: ﴿مِنْ عِلْمِهِ﴾ أَي: مِن مَعلُومَاتِه [١].

وَقَولُهُ: ﴿إِلاَّ بِما شاءَ﴾ أَي: بِمَا عَلِمَ وَاطْلَعَ عَلَيهِ، وَالإِحَاطَةُ بِالشَّيءِ عِلماً، هُوَ: أَنْ يَعلَمَ كَمَا هُوَ عَلَى الحَقِيقَة [٢].

وَ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أَي: عِلمُهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض، وَسُمِّي العِلمُ كُرسِيَّاً؛ تَسمِيَةٌ بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ كُرسِيُّ العَالِمَ[٣].

وَقِيلَ: الكُرسِيُّ سَرِيرٌ دُونَ العَرشِ، دُونَهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ [٤].

وَقَرِيبٌ مِنهُ مَا رُوي عن عَطَاء، أَنَّه قَالَ: السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ عِندَ الكُرسِيُّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ فِي فَلَاةٍ، وَمَا الكُرسِيُّ عِندَ العَرشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ فِي فَلَاةٍ [٥].

وَعَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ وَمَا فِيهِمَا مِن مَخلُوقٍ فِي جَوفِ الكُرسِيِّ، وَلَهُ أَربَعَةُ أَملَاكٍ يَحمِلُونَهُ بِإِذنِ اللَّهِ، فَأَمَّا مَلَكٌ مِنهُم فِي صُورَةِ الآدَمِيِّينَ وَ هِيَ أَكرَمُ الصُّوَرِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ يَدعُو اللَّهَ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَيهِ، وَيَطلُبُ الشَّفَاعَةَ، وَالرِّزقَ لِبَنِي آدَمَ).

وَالمَلَكُ الثَّانِي فِي صُورَةِ الثَّورِ، وَهُوَ سَيِّدُ البَهَائِمِ، وَهُوَ يَطلُبُ إِلَى اللَّهِ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَيهِ، وَيَطلُبُ الشَّفَاعَةَ وَالرِّزقَ لِلبَهَائِمِ.

وَالمَلَكُ الثَّالِثُ فِي صُورَةِ النَّسرِ، وَهُوَ سَيِّدُ الطَّيرِ، وَهُوَ يَطلُبُ إِلَى اللَّهِ، وَيَتَضَرَّعُ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ٤٢، تفسير الرازي: ٧/ ١٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٦٠.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣٣٢٨.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٣٠٩، وهو المروي عن الامام الصادق عليه السلام.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٦٠.

إِلَيهِ، وَيَطلُبُ الشَّفَاعَةَ وَالرِّزقَ لِجَمِيعِ الطَّيرِ.

وَالْـمَلَكُ الرَّابِعُ فِي صُورَةِ الأَسَدِ، وَهُوَ سَيِّدُ السِّبَاعِ، وَهُوَ يرغَبُ إِلَى اللَّـهِ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَيهِ، وَيَطلُبُ الشَّفَاعَةَ وَالرِّزقَ لِجَمِيعِ السِّبَاعِ.

وَلَم يَكُن فِي هَذِهِ الصُّوَرِ أَحسَنُ مِنَ الثَّورِ، وَلَا أَشَدُّ انتِصَاباً مِنهُ، حَتَّى اتَّخَذَ الْـمَلأُ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ العِجلَ، فَلَـمَّا عَكَفُوا عَلَيهِ وَعَبَدُوهُ مِن دُونِ اللَّـهِ، خَفَضَ الْـمَلَكُ الَّذِي فِي صُورَةِ الثَّورِ رَأسَهُ استِحيَاءً مِنَ اللَّـهِ أَن عُبِدَ مِن دُونِ اللَّـهِ شَيءٌ يُشبِهُهُ، وَتَخَوَّفَ أَن يَنزِلَ بِهِ العَذَابِ) [١].

وَإِنَّمَا تَرَتَّبَت هَذِهِ الجُمَلُ مِن غَيرِ حَرفِ عَطفٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ جُملَةٍ مِنهَا وَارِدٌ عَلَى سَبِيلِ البَيَانِ لِـمَا تَرَتَّبَت عَلَيهِ، وَالبَيَانُ مُتَّحِدٌ بِالـمُبَيَّنِ، فَالأَولَى أَنْ لَا يَتَوَسَّطُ بَينَهَا عَاطِفٌ.

وَمَعنَى: ﴿**لا يَؤُدُهُ**﴾ أَي: لَا يَثقِلُ عَلَيهِ حِفظُهُمَا [٢].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما**﴾ أَي: وَلَا يُثقِلَهُ، وَلَا يَشُقُّ عَلَيهِ حِفظُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ [٣].

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٨٥، البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/ ٥١٨ح١٣٩٢.

(٢) غريب القرآن، الطريحي: ١٨٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٥.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥٦﴾

قَولُهُ: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ أَي: أُمُورُ الدِّينِ جَارِيَةٌ عَلَى التَمَكُّنِ وَالإِختِيَار، لَا عَلَى القَسرِ وَالإِجبَارِ[١].

وَمِثلُهُ: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً**﴾[٢] أَي: لَو شَاءَ لَأَجبَرَهُم عَلَى الإِيمَانِ، لَكِنَّهُ لَم يَفعَل، وَبَنَى الأَمرَ عَلَى الإِختِيَارِ[٣].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**قَدْ تَبَيَّنَ**﴾ أَي: قَد ظَهَرَ الإِيمَانُ مِنَ الكُفرِ بِالأَدِلَّةِ النَّيِّرَةِ[٤].

﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فقد استَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ أَي: فَمَن يَكفُرُ بِالشَّيطَانِ، أَو بِالأَصنَام، وَيُصَدِّقُ بِاللَّـهِ، فَقَد استَمسَكَ بِهَا؛ أَي: تَمَسَّكَ بِالعُروَةِ، أَي بِالعِصمَةِ الوَثِيقَةِ، لَا انقِطَاعَ لَهَا[٥].

وَالظُّلُمَاتُ: ظُلُمَاتُ الكُفرِ، وَالنُّورُ: نُورُ الإِسلَامِ وَالإِيمَان، أَو: يُخرِجهُم مِنَ السَّيِئَةِ فِي الدِّينِ إِنْ وَقَعَت لَهُم بِمَا يُوَفِّقَهُم لَهُ مِن حَلِّهَا حَتَّى يُخَرجُوا إِلَى نور اليَقِينِ.

وَالطَّاغُوتُ: الشَّيطَانُ هُنَا.

يُقَالُ: أَوَّلُ مَن ادَّعَى الإِلُوهِيَّةُ نَمرُود بن كنعَان.

وَفي تَفسِيرِ ابن عبَّاس: إِنَّ اللَّـهَ سُبحَانَهُ سَلَّطَ عَلَى نُمرُودَ بَعُوضَةً، فَعَضَّت شَفَتَهُ، فَأَهوَى إِلَيهَا لِيَأخُذَهَا، فطَارَت فِي مَنخِرِهِ، فَذَهَبَ لِيَستَخرِجَهَا، فَطَارَت فِي دِمَاغِهِ، فَعَذَّبَهُ الله بِهَا أَربَعِينَ لَيلَةً، ثُمَّ أَهلَكَه[٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٦.
(٢) يونس: ٩٩.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٦٣.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٦.
(٦) مجمع البيان، الطبرسي: ٢/ ١٦٩ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٢/ ١٨.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩)

الخَاوي: السَّاقِطُ الـمُهَدَّم [١].

وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿**وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها**﴾.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ أَي: لَم يَتَغَيَّرَهُ، وَفي السِّنُونِ، الهَاءُ أَصلِيَّةٌ، أَو: لَم يَسكُت [٢] وَاشتِقَاقُهُ مِنَ السِّنَةِ؛ لأَنَّ لَامُهَا هَاءً، أَو وَاواً، وَذَلِك لأَنَّ الشَّيءَ يَتَغَيَّرُ بِمُرُورِ الزَّمَانِ.

وَقِيلَ: أَصلُهُ يَتَسَنَّنُ، مِنَ الحَمَأ الـمَسْنُونِ، فَقُلِبَت نُونُهُ، حَرفُ عِلَّةٍ [٣].

الإِنشَازُ: الإِحيَاءُ [٤].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**كَيْفَ نُنْشِزُها**﴾ أَي: نُحيِيهَا [٥].

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ فَاعِلُ تَبَيَّنَ مُضمَرٌ، تَقدِيرُهُ: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير [٦].

---

(١) وقيل: الفارغ، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ٩٦، غريب القرآن، الطريحي: ٢٤، تفسير الرازي: ٢٣/ ٤٤.

(٢) في المصدر: والهاء أصلية أو هاء سكت.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٨، تفسير البيضاوي: ١/ ٥٦١.

(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (نشز) ٣/ ٨٩٩.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٣٢٥.

(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤١٤، تفسير البيضاوي: ١/ ٥٦٢.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦٠)

قَالَ: ﴿**اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ فَحَذَفَ الأَوَّل لِدِلَالَةِ الثَّانِي عَلَيهِ، نَحوَ قَولِكَ: ضَرَبَنِي وَضَرَبتُ زَيداً، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ المَعنَى: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ مَا أُشكَلَ عَلَيهِ قَالَ كَذَا[١].

يُقَالُ: ﴿**فَصُرْهُنَّ**﴾ أَي: قَطِّعهِنَّ[٢].

جَمعُ الجَبَلِ: أَجبُل أَيضاً[٣].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٣٩، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٢/ ٣٠٧.

(٢) وقيل: أملهن، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ٢٩٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٧٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (جبل) ١١/ ٩٦.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١)

﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ لَا بُدَّ مِن تَقدِيرِ حَذفِ مُضَافٍ؛ أَي: مَثَلُ نَفَقَةِ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُم كَمَثَلِ بَاذِرِ حَبَّةٍ، وَالـمُنبِتُ هُوَ اللهُ.

وَلَكِنَّ الحَبَّةَ لـمَّا كَانَت سَبَبَاً، أَسنَدَ إِلَيهَا الإِنبَاتَ، كَمَا يُسنَدُ إِلَى الأَرضِ وَإِلَى السَّمَاءِ.

وَهَذَا التَّمثِيلُ تَصوِيرٌ لِمُضَاعَفَةِ الحَسَنَاتِ، كَأَنَّهَا مَوضُوعَةٌ بِحِذَاءِ العَينِ **﴿وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِـمَنْ يَشاءُ﴾**.

﴿وَاللَّهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾ أَي: وَاسِعُ القُدرَةِ عَلَيهِم بِمَن يَستَحِقُّ الزِّيَادَةَ [١].

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٦٢)

وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: (إِذَا سَأَلَ السَّائِلُ، فَلَا تَقطَعُوا عَلَيهِ مَسَأَلَتَهُ حَتَّى يَفرُغَ مِنهَا، ثُمَّ رُدُّوا عَلَيهِ - أَي: قُولُوا لَهُ بِوَقَارٍ وَلِينٍ - إِمَّا بِبَذلٍ يَسِيرٍ، أَو رَدٍّ جَمِيلٍ، فَإِنَّهُ قَد يَأَتِيكُم مَن لَيسَ بِإِنسٍ وَلَا جَانٍّ، يَنظُرُونَ كَيفَ صَنِيعَكُم فِيمَا خَوَّلَكُم اللهُ تَعَالَى) [٢].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٨٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣/ ٣١٠.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً﴾ أَي: رَدٌّ جَمِيلٌ.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ يَعنِي: عَفوٌ عَن السَّائلِ إِذَا وَجَدَ مِنهُ مَا يَثقُل عَلَى الـمَسؤولِ، خَيرٌ مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتِي يَتبَعُهَا الأَذَى [١].

لأَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الصَّدَقَةِ لَا تَحصِيلَ لَهُ خَير، لَا عَلَى عَينِ مَالِه، وَلَا عَلَى ثَوَابِه فِي الدُّنيَا، وَلَا عَلَى ثَوَابِهِ فِي العُقبَى.

وَالقَولُ الـمَعرُوفُ وَالـمَغفِرَةُ طَاعَتَانِ يُستَحَقُّ الثَّوَابُ عَلَيهِما.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ أَي: غَنِيٌّ عَن صَدَقَاتِكُم، وَعَن جَمِيعِ طَاعَاتِكُم، وَإِنَّمَا أَمَرَكُم بِهَا لِحَاجَتِكُم إِلَى ثَوَابِهَا [٢].

أَو: غَنِيٌّ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى مُنفِقٍ يَمُنُّ وَيُؤذِي [٣].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٨٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٢، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤٠.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ (٢٦٤)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ**﴾ أَي: لَا تُبطِلُوا ثَوَابَ صَدَقَاتِكُم بِالـمَنِّ وَالأَذَى، كَإِبطَالِ الـمُنَافِقِ الَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُرِيدُ بِإِنفَاقِهِ رِضَا اللَّهِ وَثَوَابَ الآخِرَةِ (١).

وَهَذَا يَدخُلُ مِنهُ الـمُؤمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالفَاسِقُ إِذَا أَخرَجُوا الـمَالَ لِلرِيَاءِ، وَعَدَا الـمُؤمِنُ لَا يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ.

أَو الـمَعنَى اتَّصَفَ الـمُنَافِقُ بِهَذِه الصِّفَةِ: ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ**﴾.

وَالصَّفوَانُ: حَجَرٌ أَملَسٌ، عَلَيهِ تُرَابٌ (٢).

﴿**فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً**﴾ أَي: مَطَرٌ عَظِيمُ القَطرِ (٣) فَتَرَكَهُ بَرَّاقَاً صُلبَاً نَقِيَّاً مِنَ التُّرَابِ، كَالَّذِي كَانَ عَلَيهِ.

شَبَّهَ سُبحَانَهُ تَعَالَى حَسَنَةُ الـمُنَافِقِ وَالـمَنَّانِ بِالصَّفَا الَّذِي أَزَالَ الـمَطَرُ مَا عَلَيهِ مِنَ التُّرَابِ، فَإِنَّهُ لَا يَقدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ التُّرَاب عَلَيهِ، كَذَلِكَ هَؤلَاءِ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَبِّهِم، لَم يَجِدُوا عَلَى صَدَقَاتِهِم شَيئَاً مِنَ الثَّوَابِ، وَهوَ قَولُهُ: ﴿**لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**﴾ أَي: لَا يَحصَلُونَ مِمَّا أَنفَقُوا مِن ثَوَابِهِ شَيءٌ كَمَا لَا يَحصَلُ لِأَحَدٍ، التَّرَاب مِنَ

(١) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٢٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٨٤، تفسير البيضاوي: ١/ ٥٦٦، الصحاح، الجوهري، مادة (صفو) ٦/ ٢٤٠١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٣.

الحَجَرِ الصَّلدِ إِذَا أَذهَبَهُ الـمَطَرُ [١].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الكَافُ فِي قَولِه: ﴿**كَالَّذِي يُنْفِقُ**﴾ فِي مَحَلِ النَّصبِ عَلَى الحَالِ، وَالـمَعنَى: لَا تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم مُمَاثِلِينَ لِلَّذِي يُنفِقُ، وَأَرَادَ بِالَّذِي يُنفِقُ الجِنسَ، أَو الفَرِيقَ الَّذِي يُنفِقُ، فَلِذَلِكَ قَالَ لِعِدَّةٍ: ﴿**لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ**﴾ [٢].

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٦٥﴾

ثُمَّ ضَرَبَ سُبحَانَهُ مَثَلاً لِـمَن يُرِيدُ مَا عِندَ اللَّهِ، فقال: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ أَي: وَلِيُثَبِّتُوا مِن أَنفُسِهِم بِبَذلِ الـمَالِ الَّذِي هُوَ أَخُو الرُّوحِ، وَبَذلُهُ اَشَقُّ عَلَى النَّفسِ مِن أَكثَرِ العِبَادَاتِ الشَّاقَّةِ [٣].

وَالـمَعنَى: وَمَثَلُ نَفَقَةِ هَؤلَاءِ: ﴿**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**﴾ أَي: كَمَثَلِ بُستَانٍ بِمَكَانٍ مُرتَفِعٍ، وَخَصَّهَا بِالذِّكرِ؛ لأَنَّ الشَّجَرُ فِيهَا أَزكَى وَأَحسَنَ [٤].

﴿**أَصابَها وَابِلٌ**﴾ أَي: ثُمَّ أَصَابَهَا مَطَرٌ عَظِيمٌ، فَأَتَت أُكلُهَا ضِعفَينِ؛ أَي: فَأَعطَت ثَمَرَتَهَا مِثلَي مَا كَانَت تُثمِرُ؛ بِسَبَبِ الوَابِلِ.

فَإِن لَم يُصِبهَا: ﴿**وابِلٌ فَطَلٌّ**﴾ أَي: فَمَطَرٌ صَغِيرُ القَطرِ، يَكفِيهَا لِكَرمِ مُنبِتِهَا [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٨٥.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري:١/ ٣٤٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٣.
(٤) التفسير الصافي، الكاشاني: ١/ ٢٩٦.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٤.

أَو الـمَعنَى: مِثلُ حَالِهِم عِندَ اللَّهِ بِالجَنَّةِ عَلَى الرَّبوَةِ وَنَفَقَتِهِم الكَثِيرَةِ وَالقَلِيلَة بِالوَابِلِ وَالطَّلِّ، وَكَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الـمَطَرَينِ يُضَعِّفُ أكلَ الجَنَّةِ فَكَذَلِكَ نَفَقَتُهُم، كَثِيرَةٌ كَانَت أَو قَلِيلَة، زَاكِيَةٌ عِندَ اللَّهِ.

وَ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أَي: فَيُجَازِيكُم بِحَسَبِهَا [1].

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٦٦)

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾.

الهَمزَةُ فِي: ﴿أَيَوَدُّ﴾ لِلإِنكَارِ، وَالوَاوُ فِي: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ لِلحَالِ، لَا لِلعَطفِ.

ومعنَاهُ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، وَقَد أَصَابَهُ الكِبَرُ [2] وَلَحِقَهُ الشَّيخُوخَةِ، وَلَهُ أَولَادٌ صِغَارٌ نَاقِصِي القُوَّةِ.

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ أَي: أَصَابَ تِلكَ الجَنَّةِ إِعصَارٌ فِيهِ نَارٌ، فَاحتَرَقَت تِلكَ الجَنَّة [3].

وَالإِعـصَارُ: الرِّيحُ الشَّدِيدُ الَّتِي تَستَدِيرُ فِي الأَرضِ، ثُمَّ تَسطَعُ نَحوَ السَّمَاءِ كَالعَمُودِ [4].

وَهَذَا مَثَلُ لِـمَن يَعمَلُ الحَسَنَاتِ الَّتِي لَا يَبتَغِي بِهَا وَجهَ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤١.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٨٩.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤١.

وَجَدَهَا مُحبَطَةً، لَا ثَوَابَ عَلَيهَا، فَيَتَحَسَّرُ عِندَ ذَلِكَ حَسرَةَ مَن كَانَ لَهُ جَنَّةٌ مِن أَبهَجِ الجِنَانِ، وَفِيهَا أَنوَاعُ الثِّمَارِ، فَبَلَغَ الكِبَرَ، وَلَهُ أَولَادٌ صِغَارٌ، وَالجَنَّةُ مَعَاشُهُم، فَهَلَكَت بِالصَّاعِقَةِ [١].

وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَحدَكُم أَفقَرُ مَا يَكُونُ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا انقَطَعَ عَنهُ الدُّنيَا مِنَ الشَّيخِ الكَبِيرِ الَّذِي كَبُرَ وَضَعُفَ جِسمُهُ، وَكَثُرَ صِبيَانُهُ [٢].

﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ﴾ الَّتِي تَحتَاجُونَ إِلَيهَا فِي أُمورِ دِينِكُم: **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾** فِيهَا [٣].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٢٦٧)

ثُمَّ قَالَ سُبحَانَهُ: صِفَةُ الصَّدَقَةِ وَالمُتَصَدِّقِ: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ﴾** أَي: مِن جِيَادِ مَكسُوبَاتِكُم؛ يَعنِي مِن جِيَادِهَا وَخِيَارِهَا [٤].

وَقِيلَ: مِن حَلَالِهَا [٥].

لِمَا رُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: (أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَقوَامٍ كَانَت لَهُم أَموَالٌ مِن رِبَا الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانُوا يَتَصَدَّقُونَ مِنهَا، فَنَهَاهُمُ اللهُ عَن ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الحَلَالِ الطَّيِّبِ الحَلَالِ [٦].

---

(١) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٣١.
(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٢/ ٣٢٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٨٩.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤٢، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٣١.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٥.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٣٤٤، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٩١عنه جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٧/ ١٥٦.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْـخَبيثَ﴾ أَي: وَلَا تَقصِدُوا الـمَالَ الرَّدِئ [١].

﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ يَعنِي: تَخُصُّونَهُ بالإِنفَاقِ، وَهوَ فِي مَحَلِّ الحَالِ [٢].

﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ أَي: وَحَالَكُم أَنَّكُم لَا تَأَخُذُونَهُ فِي حُقُوقِكُم إِلَّا بِأَن يَتَسَامَحُوا فِي أَخذِهِ، وَيَتَرَخَصُوا فِيهِ [٣].

وَقَولُهُ: ﴿تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ مِن قَولِهِم: أَغمَضَ فُلَانٌ عَن بَعضِ حَقِّهِ إِذَا غَضَّ بَصَرَهُ، وَيُقَالُ: أَغمِضَ البَائِعُ، إِذَا لَم يَستَقصِ كَأَنَّهُ لَا يُبصِرُ [٤].

قَالَ ابنُ عَبَّاس: إِنَّهُم كَانُوا يَتَصَدَّقُونَ بِحَشَفِ التَّمرِ [٥] وشِرَارَهُ فَنُهُوا عَنهُ [٦].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ غَنِيٌّ حَميدٌ﴾ أَي: مُستَحِقٌّ بِالحَمدِ، غَنِيٌّ عَن صَدَقَاتِكُم.

(١) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٣١.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٥.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣٤٢.

(٥) الحشف: ما لم يُنَوَّ من التمر، فإذا يبس صلب وفسد، لا طعم له ولا حلاوة، العين، الفراهيدي، مادة (حشف) ٣/ ٩٦.

(٦) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٦/ ١٩٦، تفسير البيضاوي: ١/ ٥٦٩.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦٨﴾

﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ بِالإِنفَاقِ.

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ﴾ وَيُغرِيكُم عَلَى البُخلِ، وَمَنعِ الزَّكَوَاتِ، إِغرَاءَ الآَمِرِ لِلمَأمُورِ، وَالعَرَبُ تُسَمِّي البُخلَ فَاحِشاً [١].

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِكُم، وَيَعِدكُم أَن يُخلِفَ عَلَيكُم مأفضَلِ مَّا أَنفَقتُم [٢].

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٢٧٠﴾

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَو فِي سَبِيلِ الشَّيطَانِ، أَوالأَوثَانِ.

﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ فِي طَاعَةٍ أَو مَعصِيَةٍ [٣].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أَي: لَا يَخفَى عَلَيهِ، فَيُجَازِي عَلَيهِ بِحَسَبِهِ [٤].

﴿وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾ أَي: وَمَا لِلظَّالِمِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُم فِي المَعَاصِي، أَو يَمنَعُونَ الزَّكَاةَ، أَو لَا يُوفُونَ النُّذُورَ، أَو يُنذِرُونَ فِي المَعَاصِي، فَمَن يَنصُرَهُم مِنَ اللَّهِ، وَيَمنَعُ عَنهُم عَذَابَهُ [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٦.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٧.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤٢٤.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٧.

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢٧١﴾

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أَي: نِعَمَ شَيءٌ إِبدَاؤهَا؛ أَي: إِيجَادُهَا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: صَدَقَةُ السِّرِّ أَفضَلُ أَمِ العَلَانِيَةِ؟ فَنَزَلَت: **﴿إِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾**[١].

أَي: فَإِن تُخفُوا صَدَقَاتِكُم، وَتُعطُوهَا إِلَى الفُقَرَاءِ فِي السِّرِّ، فَهوَ خَيرٌ لَكُم؛ أَي: الإِخفَاءُ خَيرٌ لَكُم، وَالـمُرَادُ: التَّطَوُّعِ مِنَ الصَّدقَاتِ؛ لأَنَّ فِي الفَرَائضِ الأَفضَلِ إِظهَارُهَا[٢].

﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ﴾ وَخَطَايَاكُم؛ أَي: وَنَحنُ نُكَفِّرُ، أَو جُملَة: يُكَفِّرُ: عَطفٌ عَلَى مَا بَعدَ الفَّاءِ[٣].

﴿وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ﴾ فَيُجَازِيكُم عَلَى جَمعِهِ، وَمَا تُنفِقُوا مِن خَيرٍ؛ أَي قَالَ: فَلَا يَسَعَكُم؛ أَي: ثَوَابَهُ وَنَفعُهُ، لَا يَنتَفِعُ بِهِ غَيرِكُم، فَلَا تَمُنُّوا بِهِ عَلَى مَن تُنفِقُونَهُ عَلَيهِ، وَلَا تُؤذُوهُ[٤].

---

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٢/ ٢٧٢، أسباب النزول، الواحدي: ٥٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١٩٨.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤٤.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٤٨.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٧٣﴾

الإِلحَافُ: الإِلحَاحُ، وَمِنهُ: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْـحَافاً﴾[1].

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧٥﴾

الرِّبوَا: يُكتَبُ عَلَى لُغَةِ مَن يُفَخِّمُ، كَمَا كُتِبَت الصَّلَاةُ وَالزَكَاةُ، وَزِيدَت الأَلِفُ بَعدَهَا تَشبِيهاً بِوَاوِ الجَمعِ[2].

رُوِي عَن الرَّسُولِ ﷺ: (لَـمَّا أُسرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيتُ رِجَالَاً بُطُونَهُم كَالبُيوتِ، فِيهَا الحَيَّات، تُرَى مِن خَارِجِ بُطُونِهُم، فَقُلتُ: مَن هَؤلَاءِ يَا جَبرَائِيل؟ قَالَ: هَؤلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا)[3].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْـمَسِّ**﴾ هَذِهِ الجَمَاعَةُ لَا تَقُومُ إِذَا بُعِثُوا مِن أَجدَاثِهِم إِلَّا مِثلَ مَا يَقُومُ الَّذِي يَصرَعَهُ

(١) العين، الفراهيدي، مادة (حلف) ٢/ ٢٣٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٥٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٠٦، مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٥٣، سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٦٣ح٢٢٧٣.

الشَّيطَانُ مِنَ الـمَسِّ؛ وَهوَ الجُنُونُ، يَقَالُ: الرَّجُلُ مَمسُوسٌ؛ أَي: مَجنُونٌ، وَتَعَلُّق مِن بِلَا يَقُومُونَ مِنَ الـمَسِّ الَّذِي بِهِم إِلَّا كَمَا يَقُومُ الـمَصرُوعُ، وَيَجُوزُ أَن يَتَعَلَّقَ بِيَقُوم؛ أَي: كَمَا يَقُومُ الـمَصرُوعُ مِن جُنُونِهِ [١].

وَهَذِه الأَشخَاصُ يُعرَفُونَ يومَ القِيَامَةِ بِتِلكَ السِّيمَاءُ، كَمَا أَنَّ كُلَّ عَاصٍ مِن مَعصِيَتِهِ عَلَامَتُهُ تَلِيقُ بِهِ، فَيُعرَفُ بِهَا صَاحِبُهَا، وَهَكَذَا كُلُّ مُطِيعٍ يُعرَفُ وَيَتَلَألَأُ نُورُهُ [٢].

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله في شُهَدَاءِ أُحُدٍ: (زَمِّلُوهُمْ [٣] بِدِمَائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ) [٤].

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: (يَحشُرُ اللهُ أُمَّتِي يومَ القِيَامَةِ بَينَ الأُمَمِ، غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِن آثَارِ الوُضُوءِ) [٥].

وَأَيضاً قَالَ صلى الله عليه وآله: (... فَقُلتُ: مَن هَؤلَاءِ يَا جَبرَئِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْـمَسِ**﴾ فَإِذَا هُم مِثلُ آكَلَةِ الرِّبَا، هُم سَبِيلُ آلِ فِرعَونَ يُعرَضُونَ عَلَى النَّارِ ﴿**غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَتَى تَقُومُ السَّاعَة...) [٦].

وَالوَعِيدُ فِي الآيَةِ مُتَوَجِّهٌ إِلَى كُلِّ مَن أَربَى وَإِن لَم يَأكُلُهُ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى نَبَّهَ بِذِكرِ الأَكلِ عَلَى سَائِرِ وُجُوهِ الإِنتِفَاعِ بِمَالِ الرِّبَا؛ وَإِنَّمَا خَصَّ الأَكلُ لأَنَّهُ مُعظَمُ الـمَقَاصِدِ مِنَ الـمَالِ [٧].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٠٦.

(٣) التزمل: التلفف بالثياب، العين، الفراهيدي، مادة (زمل) ٧/ ٣٧١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٠٦، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٧٩/ ٧ح ٦، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢/ ٥١١ح٢٧٧٨.

(٥) دعائم الاسلام، النعماني: ١/ ١٠٠عنه مستدرك الوسائل، النوري: ١/ ٣٥٧ح٨٤٢.

(٦) تفسير القمي: ٢/ ٧ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ٢٤٠ح٥٩.

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٠٦.

﴿فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى﴾ أَي: مِمَّن بَلَغَهُ وَعظٌ مِن رَبِّهِ، وَزَجرٌ بِالنَّهي عَن الرِّبَا: ﴿فَانْتَهى﴾ أَي: فَتبِعَ النَّهيَ، وَامتَنَعَ مِنهُ، وَتَذَكَّرَ وَاعتَبَر [1].

﴿وَمَنْ عادَ﴾ أَي: إِلَى الرِّبَا [2].

﴿فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ﴾ وَلَا خِلَافَ بَينَ الفُقَهَاءِ أَنَّ الرِّبَا مُحَرَّمٌ فَقَد أَوفَيتَهُ، وَمِن قَبِيلِ هَذَا القَولِ لَا يَصدُرُ إِلَّا مِن كَافِرٍ لَا يُؤمِنُ بِيَومِ الحِسَابِ [3].

قَالَ أَمِيرُ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله فِي الرِّبَا خَمسَةً: آكِلَهُ، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيهِ، وَكَاتِبَهُ) [4].

وَعَنهُ عليه السلام: (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَومٍ [5] هَلَاكاً، ظَهَرَ فِيهِمُ الرِّبَا) [6].

وَعَنهُ عليه السلام: (الرِّبَا سَبعُونَ بَاباً، أَهوَنُهَا عِندَ اللَّـهِ كَالَّذِي يَنكِحُ أُمَّهُ) [7].

وَعَن الصَّادِق عليه السلام: (دِرهَمٌ رِبَا أَعظَمُ عِندَ اللَّـهِ مِنْ سَبعِينَ زَنيَةً بِذَاتِ مَحرَمٍ فِي بَيتِ اللَّـهِ الحَرَام) [8].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٥١.

(٢) نفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١/ ٣٣٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٠٧.

(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٨/ ١٢٧ح٢٣٣٠٠، عوالي اللئالئ، ابن أبي جمهور: ٢/ ١٣٦ح٣٧٦.

(٥) في بعض المصادر: (بقرية).

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/٢٠٨عنه جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٨/ ١٢٩ح١٨.

(٧) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٤٦٥، شعب الإيمان، البيهقي: ٤/ ٣٩٥ ح٥٥٢١ عن الرسول صلى الله عليه وآله.

(٨) تفسير القمي: ١/ ٩٣ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٠٠/ ١١٧ح ١٣، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٤٦٥ عن الرسول صلى الله عليه وآله.

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾

ثُمَّ أَكَّدَ سُبحَانَهُ مَا تَقَدَّمَ بِقَولِه: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا**﴾ أَي: يُذهِبُ بِبَرَكَتِهِ، وَيُهلِكُ المَالَ الَّذِي يَدخُلُ فِيهِ [1].

قِيلَ لِلصَّادِقِ عليه السلام: قَد نَرَى الرَّجُلَ يُربِي، وَمَالُهُ يَكثُرُ؟ فَقَالَ: (يَمحَقُ اللهُ دِينَهُ، وَإِن كَانَ مَالُهُ يَكثُرُ) [2].

﴿**وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ أَي: وَيُنهِي مَا يُتَصَدَّقُ بِهِ؛ بِأَن يُضَاعِفَ عَلَيهِ، وَيُرِيدُ: المَالُ الَّذِي أُخرِجَت مِنهُ الصَّدَقَةِ، وَيُبَارِكُ فِيهِ [3].

وَفِي الحَدِيثِ: (مَا نَقَّصَ مَالٌ مِن صَدَقَةٍ) [4].

﴿**وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ وَهَذَا تَغلِيظٌ فِي أَمرِ الرِّبَا، وَإِيذَانٌ بِأَنَّهُ مَن فِعلِ الكُفَّارِ دُونَ المُسلِمِينَ [5].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٥١.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٩٣، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٠٠/ ١١٧ح١٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٥١.

(٤) النوادر، الراوندي: ٨٤، من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤/ ٣٨١ح٥٨٢٧، سنن الترمذي: ٣/ ٣٨٥ح٢٤٢٧، كنز العمال، المتقي الهندي: ٦/ ٣٧٧ح١٦١٣٥.

(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣٤٩.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٩)

يُقَالُ: أَذِنَ بِالشَّيءِ، إِذَا عَلِمَ بِهِ، وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: **﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** أي: فَاعلَمُوا، وَأَيقِنُوا بِقِتَالٍ مِنَ اللَّـهِ وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وآله [١].

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠)

قَولُهُ تَعَالَى: **﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾** هُوَ خَبَرٌ فِي مَعنَى الأَمرِ، وَالـمُرَادُ: إِن وَجَدَ صَاحِبُ العُسرَةِ، فَانظُرُوه إِلَى وَقتِ يَسَارِهِ.

وَالنَّظِرَةُ: التَأَخِيرُ [٢].

والـمَيسَرَةُ: بِضَمِّ السِّينِ، وَفَتحُهَا، لُغَتَانِ، وَقُرِئَ: إِلَى مِيسَرِه، بالإِضافةِ إِلَى الهَاءِ، وَحُذِفَت التَّاءِ عِندَ الإِضَافَةِ، كَقَولِه: وَأَقَامَ الصَّلاه [٣].

وَفِي الحَدِيثِ: (مَنْ أَنظَرَ مُعسِراً، أَو وَضَعَ لَه...) [٤].

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: (مَن أَنظَرَ مُعسِرَاً، أَو وَضَعَ عَنهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرشِهِ يومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلَّهُ) [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢١٠.

(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (نظر) ٢/ ٨٣١.

(٣) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٢٥٣.

(٤) مستدرك وسائل الشيعة، النوري: ١٣/ ٤١٢ح١٥٧٥٦، جامع أحاديث الشيعة: البروجردي: ١٨/ ٣٠، مسند أحمد: ١/ ٣٢٧، سنن الترمذي: ٢/ ٣٨٥ح١٣٢١.

(٥) سنن الدارمي: ٢/ ٢٦١، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٤/ ١٣٤، الدر المنثور، السيوطي: ١/ ٣٦٨.

وَأَيضاً: (مَن أَنظَرَ مُعسِراً، كَانَ لَه بِكُلِّ يومٍ صَدَقَةِ)[١].

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ أَي: عَلَى الـمُعسِرِ[٢].

نَدَبَ سُبحَانَهُ: إِلَى أَن يَتَصَدَّقُوا بِرؤوسِ أَموَالِهُم عَلَى مَن أَعسَرَ مِن غُرَمَائِهِم، أَو بِبَعضِهَا، كَمَا قَالَ: ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[٣]. [٤]

﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ الخَيرَ وَالشَّرَّ.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١)

ثُمَّ حَذَّرَ الـمَأمُورَ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الحُدودِ وَالأَحكَامِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ أَي: وَاخشَوا وَاحذَرُوا.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ٥٩ح١٧٠١، تفسير العياشي: ١١٥٥ح٥١٩ عنه وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٨/ ٣٦٨ح٢٣٨٦٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٣٦٩.

(٣) البقرة: ٢٣٧.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٥٤، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري:١/ ٣٥٠.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى وَلا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَلا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَأَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَلا يُضارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢)

﴿**وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ**﴾ أَي: إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ [(١)] ﴿**كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**﴾.

السفيه المحجور عليه [(٢)].

يُقَالُ: ضَلَّ الطَّرِيقَ؛ إِذَا لَم يَهتَدِ لَهُ [(٣)].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا**﴾.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٧١.

(٢) مسالك الأفهام، الشهيد الثاني: ٤/ ٩٠.

(٣) فقه القرآن، الراوندي: ١/ ٤٠٠.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٣)

يُقَالُ: ائتَمَنَهُ؛ وَمَفهُومَهُ: فَإِن أَمِنهُ فِيمَا لَهُ أَن يَأْمَنَهُ [١].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾ وَالمَعنَى: اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُم، وَلَا تَكتُمُوا الشَّهَادَةَ، فَإِنَّ كِتمَانَهَا مِن آثَامِ القُلُوبِ، وَمِن مَعَاظِمِ الذُّنُوبِ [٢].

---

(١) فقه القرآن، الراوندي: ١/ ٣٧٩.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٥٨.

﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾ (٢٨٦)

رُوِي عَن رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (أُعطِيتُ خَمسَاً، لَم يُعطَهَا نَبِيٌّ قَبلِي:... خَوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، مِن كَنزٍ تَحتَ العَرشِ، لَم يُؤتَهُنَّ لَنبِيٍّ قَبلِي) [١].

وَهي: ﴿**رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ**﴾.

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله: (إِنَّ اللهَ قَالَ عِندَ كُلِّ فَصلٍ مِن هَذَا الدُعَاءِ: فَعَلتَ وَاستَجَبتَ) [٢].

وَلِهَذَا استَحَبَ الإِكثَارُ مِن هَذَا الدُّعَاءِ.

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله: (مَن قَرَأَ الآيَتَينِ مِن آخِرِ البَقَرَةِ فِي لَيلَةٍ، كَفَتَاهُ) [٣].

أَي: أَغنَتَاهُ عَن قِيَامِ اللَّيلِ [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٦١، الدر المنثور، السيوطي: ١/ ٣٧٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٣١، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤٤٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٣١، مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ١١٨، صحيح البخاري: ٦/ ١٠٤.

(٤) مرآة العقول، المجلسي: ١٢/ ١٨٠.



الفصل الثالث

سورة آَل عمران



سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الكَلبِيُّ(١) وَمُحَمَّد بن إسحَاق(٢) وَالرَّبِيعُ بن أَنَس(٣): نَزَلَت أَوَّلُ سُورَةِ آلِ عُمرَان إِلَى نَيِّفٍ وَثَمانِينَ آيَةٍ فِي وَفدُ نَجْرَانَ، فِيهِم بِضعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِن أَشرَافِهِم، وَثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَوَلَّونَ أُمُورَهُم:

الْعَاقِبُ؛ وَهُوَ: أَمِيرُهُم،وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِم، الَّذِي لَا يَصدُرُونَ إِلَّا مِن رَأيِهِ وَأَمرِهِ، وَاسمُهُ عَبدُ الْـمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ؛ وَهُوَ: ثِمَالُهُم (٤) وَصَاحِبُ رَحلِهِم، وَاسمُهُ

(١) هشام بن محمد بن السائب، أبو المنذر، نسابة، عالم بأخبار العرب، مشهور بالعلم والفضل، له كرامة عن الامام الصادقعليه السلام له كتب كثيرة، ينظر في ترجمته: رجال النجاشي: ٤٣٤، خلاصة الأقوال،العلامة الحلي: ٢٨٩، جامع الرواة، الأردبيلي: ٢/ ٣١٧.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار المدني، أبو بكر بن إسحاق، صاحب المغازي والسير، من أصحاب الامام الصادقعليه السلام ثقة، رمي بالتشيع، توفي سنة ١٥١هـ، ينظر ترجمته في: رجال الطوسي: ٢٧٧، تقريب التهذيب، ابن حجر: ٢/ ٥٤.

(٣) من أهل البصرة، لقي ابن عمر وجابر الأنصاري، هرب من الحجاج، صدوق، رمي بالتشيع، توفي سنة ١٤٠هـ، ينظر ترجمته في: المعارف، ابن قتيبة: ٤٦٦،الوافي بالوفيات:١٤/ ٥٦.

(٤) ثمال القوم؛ ملجأهم، العين، الفراهيدي، مادة (ثمل) ٨/ ٢٢٩.

الأَيهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بنُ عَلقَمَةَ الأُسقُفُّ، وَهُوَ حِبرُهُم وَإِمَامُهُم، وَصَاحِبُ مَدَارِسِهِم، وَلَهُ فِيهِم شَرَفٌ وَمَنزِلَةٌ.

وَكَانَت مُلُوكُ الرُّومِ قَد بَنَوا لَهُ الكَنَائِسَ، وَبَسَطُوا عَلَيهِ الكَرَامَاتِ، لِـمَا يبلُغُهُم مِن عِلمِهِ وَاجتِهَادِهِ فِي دِينِهِم.

فَلَـمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الـمَدِينَة، وَدَخلُوا مَسجِدَهُ حِينَ صَلَّى العَصرَ، وعَلَيهِم ثِيَابُ الحَبِرَات.

يَقُولَ بَعضُ مَن رَآهُم مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَا رَأَينَا وَفدَاً مِثلَهُم، وَقَد حَانَت صَلَاتُهُم، فَأَقبَلُوا يَضرِبُونَ بِالنَّاقُوسِ، وَقَامُوا وَصَلُّوا فِي مَسجِدِ رَسُولِ صلى الله عليه وآله إِلَى الـمَشرِقِ.

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الصَّحَابَة [١]: هَذَا فِي مَسجِدُكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟! فَقَالَ: (دَعُوهُم) وَكَلَّمَ السَّيِّدُ وَالعَاقِبُ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (أَسلِـمَا) قَالَا: أَسلَمنَا قَبلَك.

قَالَ: (كَذِبتُمَا؛ يَمنَعَكُمَا مِنَ الإِسلَامِ دُعَاؤكُمَا للَّـهِ وَلَـداً، وَعِبَادَتِكُمَا الصَّلِيبَ، وَأَكلِكُمَا الخِنزِيرَ) قَالَا: إِن لَم يَكُن عِيسَى وَلَدُ اللَّـهِ، فَمَن أَبوهُ؟ وَخَاصَمُوهُ جَمِيعَاً فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله:

(أَلَستُم تَعلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدَاً إِلَّا وَيُشبِهُ أَبَاهُ؟) قَالُوا: بَلَى.

قَالَ صلى الله عليه وآله: (أَلَستُم تَعلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَأَنَّ عِيسَى يَأَتِي عَلَيهِ الفَنَاءُ؟) قَالُوا: بلى.

---

(١) في المصدر: فقالت الصحابة.

قَالَ ﷺ: (أَلَستُم تعلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيُّومٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، يحَفظُهُ وَيَرزِقُهُ؟) قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: (فَهَل يَملِكُ عِيسَى شَيئَاً؟) قَالُوا: لَا.

قَالَ ﷺ: (أَلَستُم تَعلَمُونَ أَنَّ اللهَ لَا يَخفَى عَلضيهِ شَيءٌ فِي الأَرضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؟) قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: (فَهَل يَعلَمُ عِيسَى مِن ذَلِكَ إِلَّا مَا عُلِّمَ؟) قَالُوا: لَا.

قَالَ ﷺ: (فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيفَ يَشَاءُ، وَرَبُّنَا لَا يَأكُلُ، وَلَا يَشرَبُ، وَلَا يُحدِثُ؟) قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: (أَلَستُم تعلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتهُ أُمَّهُ كَمَا تَحمِلُ المَرأَةَ، ثُمَّ وَضَعَتُهُ كَمَا تَضَعُ المَرأَةَ وَلَدُهَا، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ، ثمّ كَانَ يَطعَمُ وَيَشرَبُ وَيُحدِثُ؟) قَالُوا: بَلَى.

قَالَ ﷺ: (فَكَيفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمتُم؟!) فَسَكَتُوا، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِم صَدرَ سُورَةِ آلِ عِمرَان [1].

وَزَعَمَ بَعضُهُم: أَنَّ عِيسَى عليه السلام كَانَ رَبَّاً مُصَوَّرَاً فِي الرَّحِم عَلَى أَنَّهُ عَبدٌ كَغَيرِهِ، وَكَانَ يَخفَى عَلَيهِ مَا لَا يَخفَى عَلَى اللَّهِ [2].

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي: ٢/ ٢٣٤، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/ ٤، بتفاوت.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٦٥.

﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤)

إِلَى بِضعٍ وَثَمَانِينَ آيَةٍ.

الفُرقَانُ: هُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، أَو الـمُرَادُ بِهِ: الجِنس؛ لأَنَّ كُلَّ الكُتُبِ السَّمَاوُيَّةِ تُفَرِّقُ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ [١].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (الفُرقَانُ؛ كُلُّ آيَةٍ مُحكَمَةٍ فِي الكِتَابِ) [٢].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧)

الزَيغُ: الـمَيلُ عَنِ الحَقِّ [٣].

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١)

الدَّأَبُ: مَصدَرُ دَأَبَ فِي العَمَلِ؛ إِذَا كَدَحَ فِيهِ، فَيُوضَعُ مَوضِعَ مَا عَلَيهِ الإِنسَانُ مِن شَأنِهِ وَحَالِهِ [٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ١/ ٣٦٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٦٤، عنه البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/ ٥٩٦ح ١٥٩٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٤٢٧.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٦٧.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣)

الإِلتِقَاءُ: الإِجتِمَاعُ [١].

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (١٤)

القِنطَارُ: المَالُ الكَثِيرِ، قِيلَ: مِلء مِسكِ ثَورٍ ذَهَباً، وَقِيلَ: سَبعُونَ أَلفَ دِينَارٍ، وقِيلَ: مَائةُ أَلفِ دِينَارٍ.

وَالمُقَنطَرَةُ: بُنِيت مِن لَفظِ القِنطَارِ لِلتَأكِيدِ، كَمَا يُقَالُ: أَلفٌ مُؤَلَّفٌ، وَبُدرَةٌ مُبدَرَةٌ.

وَالمُسَوَّمَةُ: المُعَلَّمَةُ وَالمَرعِيَّةُ، مِن أَسَامَ الدَّابَّةَ وَسَوَّمَهَا [٢].

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (١٧)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾.

رُوِيَ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: (أَنَّ مَن استَغفَرَ اللهَ سَبعِينَ مَرَّةً فِي وَقتِ السَّحَرِ، فَهُوَ مِن أَهْلِ هَذِهِ الآيَةِ) [٣].

وَعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنِّي لَأَهِمُّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذَاباً، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِي، وَإِلَى الْمُتَهَجِّدِينَ، وَإِلَى الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ، وَإِلَى الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسحَارِ، صَرَفتُهُ عَنهُم) [٤].

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (لقى) ٦/ ٢٤٨٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٦٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٥٥ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٤/ ١٢٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٥٥، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨٤/ ١٢٠.

﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

وَقولُه تَعَالَى: ﴿**وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً**﴾[1] مِثلُ قَولِه: ﴿**قائِمَاً بِالْقِسْطِ**﴾.

وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضلِ: ﴿**شَهِدَ اللهُ**﴾ مَا رَوَاهُ أَنَس، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: (مَن قَرَأَ: ﴿**شَهِدَ اللهُ...**﴾ الآية، عِندَ مَنَامِهِ، خَلَقَ اللهُ لَهُ مِنهَا سَبعِينَ أَلفَ خَلقٍ، يَستَغفِرُونَ لَهُ إِلَى يومِ القِيَامَةِ)[2].

وَقَولُه تَعَالَى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ**﴾ شَبَّهَ سُبحَانَهُ دِلَالَتُهُ عَلَى وُحدَانِيَتِهُ بِالأَفعَالِ الَّتِي لَا يَقدِرُ عَلَيهَا غَيرُهُ، وَالآيَاتُ النَّاطِقَةُ بِتَوحِيدِهِ، مِثلُ: سُورَةُ الإِخلَاصِ، وَآيَةُ الكُرسِي وَغَيرَهُمَا، وَكَذَلِك إِقرَارُ المَلَائكَةِ وَأُولِي العِلمِ بِذَلِك[3].

وَقَولُهُ: ﴿**قائِمَاً بِالْقِسْطِ**﴾ أَي: مُقِيمَاً لِلعَدلِ فِيمَا يُقَسِّمُ لِلعِبَادِ مِنَ الآجَالِ وَالأَرزَاقِ، وَفِيمَا يَأمرُ بِهِ عِبَادَهُ مِنَ الإِنفَاقِ، وَالعَمَلُ عَلَى السَّويَّةِ فِيمَا بَينَهُم، وَانتِصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَقَولِهِ: ﴿**وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً**﴾[4]. [5]

﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ إِنَّمَا كَرَّرَ قَولُهُ: ﴿**لا إِلَهَ**﴾ لأَنَّهُ تَبَيَّنَ بِالأَوَّلِ: أَنَّهُ يَستَحِقُّ لِلتَوحِيدِ، وَلَايَستَحِقُّهُ سِوَاهُ، وَبِالثَّانِي: أَنَّهُ القَائِمُ بِرِزقِ الخَلقِ، وَتَدبِيرَهُم

(١) البقرة: ٩١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٥٩ عنه مرآة العقول، المجلسي: ١٢/ ٣١٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٧١، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري:١/ ٣٧١.

(٤) البقرة: ٩١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٧١.

بِالعَدلِ، لَا ظُلـمَ فِي فِعلِهِ [١].

وَتَضَمَّنَت الإِبَانَةُ مِن فِضلِ العِلـمِ وَالعُلَمَاءِ بِالـمَلَائكَةِ، وَشَهَادَتُهُم بِشَهَادَةِ الـمَلَائكَةِ، وَالـمُرَادُ بِهَذَا العِلـمِ: التَّوحِيدُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِن عُلومِ الدِّينِ؛ لأَنَّ الشَّهَادَة وَقَعَت فِيهِ [٢].

وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضلِ العِلـمِ وَالعُلَمَاء مِنَ الحَدِيثِ:

مَا رُوِيَ عَن رَسُولِ ﷺ أَنَّه قَالَ: (سَاعَةٌ مِنَ العَالِمِ مُتكئٌ عَلَى فِرَاشِهِ، يَنظُرُ فِي عِلـمِهِ، خَيرٌ مِن عِبَادَةِ العِبَادِ سَبعِينَ عَامَاً) [٣].

(تَعَلَّمُوا العِلـمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمِهِ للَّهِ حَسَنَةٌ، وَمُدَارَسَتُهُ تَسبِيحٌ، وَالبَحثُ عَنهُ جِهَادٌ، وَتَعلِيمَهُ مَن لَا يَعلَمَهُ صَدَقَةٌ، وَتَذكِيرَهُ قُربَةٌ لِأَهلِهِ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَمَنَارُ سَبِيلِ الجَنَّةِ وَالنَّار.

وَالأَنِيسُ فِي الوَحشَةِ، وَالصَاحِبُ فِي الغُربَةِ، وَالـمُحَدِّثُ فِي الخَلوَةِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى الأَعدَاءِ، وَالقُربُ عِندَ الغُربَاءِ.

يَرفَعُ اللهُ بِهِ قَومَاً فَيَجعلَهُم فِي الخَيرِ قَادَةً، يُقتَصُّ بِآثَارِهِم، وَيُنتَهَى إِلى آرَائِهِم، تَرغَبُ الـمَلَائكَةُ فِي خِلَّتِهِم، وَبِأَجنِحَتِهَا تَمَسَحُهُم، وَفِي صَلَاتِهِم كُلُّ رَطِبٍ وَيَابِسٍ.

تَستَغفِرُ لَهُم حَتَّى حِيتَانُ البِحَارِ وَهَوَامُهَا، وَسِبَاعُ الأَرضِ وَأَنعَامُهَا، وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا.

أَلَا إِنَّ العِلـمَ حَيَاةُ القُلُوبِ، وَقُوَّةُ الأَبدَانِ، وَنُورُ الأَبصَارِ، يَبلُغُ بِهِ العَبدَ مَجَالِسَ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٥٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٥٨.

(٣) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٢عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٣/ ٢٣ح ٧١.

الـمُلُوكِ، وَمَنَازِلَ الأَحرَارِ.

الذِّكرُ فِيهِ يُعدَلُ بِالصِّيَامِ، وَمُدَارَستُهُ بِالقِيَامِ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرحَامُ، وَبِهِ يُعرَفُ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَالعِلـمُ إِمَامُ العَمَلِ، وَالعَمَلُ تَابِعهُ، يُلهِمُ السُّعدَاءَ، وَيَحرِمُ الأَشقِيَاءِ) [١].

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٩﴾

وَقَولُهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾ فَقَد آذَنَ بِهِ أَنَّ الإِسلَامَ هُوَ: التَّوحِيدُ وَالعَدلُ، هُوَ الدِينُ عِندَهُ، وَمَا عَدَاهُ فَلَيسَ هُوَ الدِّين [٢].

وَالـمُرَادُ بِقَولِهِ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ﴾ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؛ وَاختِلَافُهُم أَنَّهُم تَرَكُوا الإِسلَامَ ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بِأَنَّهُ الحَقُّ، فَثَلَّثَت النَّصَارَى، وَقَالَت اليَهُودُ: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [٣][٤].

وَالـمُرَادُ بِـ: ﴿الْعِلْمُ﴾ العِلـمُ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَتُهُ.

وَالـمُرَادُ بِـ: ﴿بِآياتِ﴾ القُرآنُ، أَو الإِنجِيلُ، وَمَا فِيهِمَا مِن نُعُوتِهِ.

﴿فَإِنَّ اللَّـهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ لَا يَفُوتُه شَيءٌ، تَعَالَى اللهُ شَأنَهُ مِمَّا عَمِلُوا [٥].

---

(١) الأمالي، الصدوق: ٧١٣ح ٩٨٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام الخصال، الصدوق: ٥٢٢ح ١٢، عن الرسول صلى الله عليه وآله الصراط المستقيم، البياضي: ٣/ ٥٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٧١، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٧٣.

(٣) التوبة: ٣٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٧١، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٤٦.

(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤٦٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١)

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قَتَلَت بَنُوا إِسرَائيلَ ثَلاثَةً وَأَربَعِينَ نَبِيّاً مِن أَوَّلِ النَّهَارِ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مَائَةَ رَجُلٍ وَإِثنَى عَشَرَ رَجُلاً مِن عُبَّادِ بَنِي إِسرَائيلَ، فَأَمَرُوا مَن قَتَلَهُم بِالـمَعرُوفِ، وَنَهَوهُم عَن الـمُنكَرِ، فَقُتِلُوا جَمِيعاً مِن آخِرِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ اليَومَ، وَهوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى)[1].

وَكَانَ هَؤلَاءِ رَاضِينَ بِمَا فَعَلَ أُولَئكَ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾**.

وَاليَهُودُ الَّتِي فِي عَهدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَذَلِكَ هَمَّت وَتَجَاسَرَت بِقَتلِهِ وَالـمُؤمِنِينَ، لَولَا عَصَمَهُ اللهُ، وَهَذَا فِعلُ مَا فَعَلَ السَّالِفُونَ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَيرِ حَقٍّ[2]: **﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ﴾**.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٢) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٣)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ﴾ وَهوَ التَّورَاة: **﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾** وَالـمُرَادَ بـ **﴿الَّذِينَ﴾** أَحبَارُ اليَهُودِ؛ أَي: أُعطُوا حَظّاً وَافِراً مِنَ التَّورَاةِ أَو مِن جِنسِ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤٢٢، تفسير الرازي: ٧/ ٢٢٩، أحكام القرآن، الجصاص: ٢/ ٩، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٧/ ٢٧٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٧٣.

الكُتُبِ الـمُنزَلَةِ.

وَ: ﴿مِنَ﴾ إِمَّا لِلـمُتَّقِينَ، وَإِمَّا لِلبَيَانِ.

﴿يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّـهِ﴾ وَهوَ التَّورَاة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [١].

وَذَلِك أَنَّ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله دَخَلَ مَدَارِسَهُم، فَدَعَاهُم، فَقَالَ لَهُ بَعضُهُم: عَلَى أَيِّ دِينٍ أَنتَ؟ قَالَ: (عَلَى مِلَّةِ إِبرَاهِيمَ عليه السلام) فَقَالُوا: إَنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا، فَقَالَ: (إِنَّ بَينَنَا وَبينكُم التَّورَاةُ، فَهَلّمُوا إِلَيهَا) فَأَبَوا.

وَقِيلَ: نَزَلَت هَذِهِ الآية فِي الرَّجمِ، وَقَد اختَلَفُوا فِيهِ [٢].

رُويَ عَن ابِن عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا وَامرَأَةً مِن أَهلِ خَيبَرَ زَنَيَا، وَكَانَا مِن ذَوِي شَرَفٍ فِيهِم، وَكَانَ فِي كِتَابِهِمُ الرَّجمُ، فَكَرِهُوا رَجمَهُمَا لِشَرَفِهِمَا، وَرَجَوا أَن يَكُونَ عِندَ رَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله رُخصَةٌ فِي أَمرِهِمَا، فَرَفَعُوا أَمرَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله فَحَكَمَ عَلَيهِمَا بِالرَّجمِ.

فَقَالَ لَهُ النُّعمَانُ بنُ أَوفَى، وَبَحرِيُّ بنُ عَمرو: جُرتَ عَلَيهِمَا يَا مُحَمَّدُ، لَيسَ عَلَيهِمَا الرَّجمُ، فَقَالَ لَهُم رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: (بَينِي وَبَينكُمَا التَّورَاةُ) [٣] قَالُوا: قَد أَنصَفتَنَا.

قَالَ: (فَمَن أَعلَمُكُم بِالتَّورَاةِ؟) قَالَ: رَجُلٌ أَعوَرُ، يَسكُنُ فَدَكَ، يُقَالُ لَهُ ابنُ صُورِيَا، فَأَرسَلُوا إِلَيهِ، فَقَدِمَ الْـمَدِينَةَ، وَكَانَ جَبرَئِيلُ قَد وَصَفَهُ لِرَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: (أَنتَ ابنُ صُورِيَا؟) قَالَ نَعَم.

قَالَ: (أَنتَ أَعلَمُ اليَهُودِ؟) قَالَ: كَذَلِكَ يَزعُمُونَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله بِشَيءٍ مِنَ التَّورَاةِ فِيهَا الرَّجمُ مَكتُوبٌ، فَقَالَ لَهُ: (اقرَأ) فَلَـمَّا أَتَى عَلَى آيَةِ الرَّجمِ، وَضَعَ كَفَّهُ

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣٧٦.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣٧٧.

(٣) في المصدر: بيني وبينكم.

عَلَيهَا، وَقَرَأَ مَا بَعدَهَا.

فَقَالَ ابنُ سَلَامٍ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، قَد جَاوَزَهَا، وَقَامَ إِلَى ابنِ صُورِيَا وَرَفَعَ كَفَّهُ عَنهَا، وَقَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَعَلَى اليَهُودِ: بِأَنَّ الـمُحصِنَ وَالـمُحصِنَةَ، إِذَا زَنَيَا، وَقَامَت عَلَيهِمَا البَيِّنَةُ رُجِمَا، وَإِن كَانَتِ الـمَرأَةُ حُبلَى انتُظِرَ بِهَا حَتَّى تَضَعَ مَا فِي بَطنِهَا.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ بِاليَهُودِيَّينِ فَرُجِمَا، فَغَضِبَ اليَهُودُ، لِذَلِكَ فَنَزَلَت الْآيَةَ [1].

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ .

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٥٦، عنه بحار الأنوار، المجلسي ٩/ ٦٩، الكشف والبيان، الثعلبي: ٣/ ٣٨، معالم التنزيل، البغوي: ١/ ٢٨٩.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦)

مَسأَلَةٌ:

كَلِمَةُ: اللهُ، إِذَا قِيلَت فِي اللَّهُمَّ، المِيمُ عِوَضٌ مِنَ اليَاءِ، وَلِذَلِك لَا يَجتَمِعَانِ، وَهَذَا مِن خَصَائصِ هَذَا الاسِم، كَمَا اختَصَّ بِالبَاءِ فِي القَسَمِ، وَبِدُخُولِ حَرفِ النِّدَاءِ عَلَيهِ، وَفِيهِ لَامُ التَّعرِيفِ، عَلَى قَولِ مَن ذَهَبَ إِلَى أَنَّ أَصلَهُ إِلَه [١].

فِي فَضلِ قِرَاءَةِ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ﴾:

عَن البَاقِرِ عليه السلام عَن أَبِيهِ عليه السلام عَن آبَائهِ عليهم السلام [٢] أَنَّهُ قَالَ: (لَـمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُنزِلَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، وَآيَةَ الكُرسِيِّ، وَشَهِدَ اللهُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ﴾ إِلَى قَولِهِ: ﴿بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ تَعَلَّقنَ بِالْعَرشِ، وَلَيسَ بَينَهُنَّ وَبَينَ اللَّهِ حِجَابٌ.

وَقُلنَ: يَا رَبِّ تُهبِطُنَا إِلَى دَارِ الذُّنوبِ، وَإِلَى مَن يَعصِيكَ، وَنَحنُ مُعَلَّقَاتٌ بِالطَّهُورِ وَبِالقُدْسِ [٣] فَقَالَ:

وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا مِن عَبدٍ قَرَأَكُنَّ فِي دُبرِ كُلِ صَلَاةٍ مَكتُوبَةٍ، إِلَّا أَسكَنتُهُ حَظِيرَةَ القُدسِ، عَلَى مَا كَانَ فِيهِ، وَإِلَّا نَظَرتُ إِلَيهِ بِعَينِيَ الْـمَكنُونَةِ فِي كُلِّ يَومٍ سَبعِينَ نَظرَةً، وَإِلَّا قَضَيتُ لَهُ فِي كُلِّ يَومٍ سَبعِينَ حَاجَةً، أَدنَاهَا الْـمَغفِرَةُ، وَإِلَّا أَعَذتُهُ مِن كُلِّ عَدُوٍّ، وَنَصَرتُهُ عَلَيهِ، وَلَا يَمنَعُهُ دُخُولَ الجَنَّةِ إِلَّا أَن يَمُوتَ) [٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٧٨.

(٢) في المصدر: عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله.

(٣) في المصدر: وبالعرش.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٦٧، عنه نور الثقلين، الحويزي: ١/ ٣.

قَالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ[١]: احتُبِسَتُ عَن رَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله يوماً، لَم أُصَلِّ مَعَهُ الجُمُعَةَ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: (يَا مُعَاذُ، مَا مَنَعَكَ [٢] عَن صَلَاةِ الجُمُعَةِ؟) قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، لِيُوحَنَّا اليَهُودِي عَلَيَّ أُوقِيَّةٌ مِن بُرٍّ [٣] وَكَانَ عَلَى بَابِي يَرصُدُنِي، فَأَشْفَقتُ أَن يَحبِسَنِي دُونَكَ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: (أَتُحِبُّ يَا مُعَاذُ أَن يَقضِيَ اللهُ دَينَكَ؟) قُلتُ: نَعَم يَا رَسُولَ اللَّـهِ، قَالَ: (قُلِ: ﴿**اللَّـهُمَّ مالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِي الْـمُلْكَ مَنْ تَشاءُ**﴾ إِلَى قَولِهِ: ﴿**بِغَيْرِ حِسابٍ**﴾ يَا رَحمَانَ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ [٤] وَرَحِيمَهُمَا، تُعطِي مِنهُمَا مَا تَشَاءُ، وَتَمنَعُ مِنهُمَا مَا تَشَاءُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، اقضِ عَنِّي دَينِي يَا كَرِيمُ، فَلَو كَانَ عَلَيْكَ مِلءُ الأَرضِ ذَهَباً لَأَدَّاهُ اللهُ عَنكَ) [٥].

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨)

ثُمَّ نَهَى سُبحَانَهُ الـمُؤمِنِينَ أَن يَتوَلَّوا الكَافِرِينَ لِقَرَابَةٍ بَينَهُم، أَو صَدَاقَةٍ قَبلَ الإِسلَامِ، أَو غَيرِ ذَلكَ.

فَقَالَ: ﴿**لا يَتَّخِذِ الـمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ**﴾ أَي: لَا يَنبَغِي لِلـمُؤمِنِينَ أَن يَتَّخِذُوا

(١) صحابي، وصحب علي عليه السلام روي أنه من أصحاب الصحيفة، وهم الذين كتبوا صحيفةً بإزالة الإمامة عن علي عليه السلام ينظر ترجمته في: رجال الطوسي:٤٧، نقد الرجال، التفريشي: ٤/ ٣٨٣، معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٩/ ٢٠٢.

(٢) في المصدر: يمنعك.

(٣) في المصدر: تبر، وهو الصحيح بدلالة الوزن.

(٤) كلمة: والآخرة، غير موجودة في المصدر.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٦٧، الكشف والبيان، الثعلبي: ٣/ ٤٠، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/ ٥٢.

الكَافِرِينَ أَولِيَاءَ لِأَنفُسِهِم، وَأَن يَستَعِينُوا بِهِم، وَيَلتَجؤوا إِلَيهِم، وَيُظهِرُوا المَحَبَّةَ، وَقَد كَرَّرَ ذَلِك بِقَولِهِ: ﴿**لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِياء**﴾ [(١)] وَغَيرُ ذَلِكَ، وَالحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالبُغضُ فِي اللَّهِ أَصلٌ كَبِيرٌ مِن أُصُولِ الإِيمَانِ [(٢)].

وَقَولُهُ: ﴿**مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ**﴾ أَي: يَجِبُ أَن يَكُونَ المُوَالَاة مَعَ المُؤمِنِينَ؛ لأَنَّ لَكُم فِي مُوَالَاتِهِم خيرُ الدَّارَينِ، فَلَا تُؤثِرُوا الكُفَّارَ.

﴿**وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ في شَيْءٍ**﴾ أَي: فَلَيسَ مِن وُلَايَةِ اللَّهِ فِي شَيءٍ، وَاللهُ بَرِيءٌ مِنهُ، يَعنِي: أَنَّه مُنسَلِخٌ عَن وَلَايةَ اللَّهِ رَأَساً [(٣)].

وَمَا أَحسَنَ مَن قَالَ، شِعرٌ:

تَودُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزعُمُ أَنَّنِي ... صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّأَى مِنكَ لَعَازِبُ [(٤)]

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**مِنَ اللَّهِ**﴾ فِي مَوضِعِ نَصبٍ عَلَى الحَالِ؛ لأَنَّهُ فِي الأَصلِ، فَلَيسَ فِي شَيءٍ ثَابِتٍ مِنَ اللَّهِ، فَلَمَّا تَقَدَّمَ انتَصَبَ عَلَى الحَالِ [(٥)].

﴿**تُقاةً**﴾: بِضَمِّ التَّاءِ، التَّقِيَّةُ، وَهُمَا جَمِيعاً مَصدَرٌ، تَقَى، تُقَاةً، وَتَقِيَّةً، وَتَقوَىً [(٦)].

---

(١) المائدة: ٥١.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٨٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٧٦، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري:١/ ٣٨٠.

(٤) الشاهد للعتابي كما في عيون الأخبار، ابن قتيبة: ٣/ ٩، ربيع الأبرار، الزمخشري: ١/ ٣٧١، ودون نسبة في: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٣٨٩.

(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤٧١.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٧٦.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠)

الحَضْرُ: المَنعُ[١].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧)

فِي كِتَابِ الكَشَّافِ، عَن النَّبِي صلى الله عليه وآله: أَنَّهُ جاعَ فِي زَمَنِ قَحطٍ، فَأَهدَت لَهُ فَاطِمَةُ عليها السلام رَغِيفَينِ وَبَضعَةَ لَحمٍ، آثَرَتهُ بِهَا، فَرَجعَ بِهَا إِلَيهَا، فَقَالَ: (هَلُمِّي يَا بُنَيَّةُ) وَكَشَفَت عَنِ الطَّبَقِ، فَإِذَا هُوَ مَملُوءٌ خُبزاً وَلَحماً، فَبهتَت وَعَلِمَت أَنَّهَا نَزَلَت مِنَ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهَا: (أَنَّى لَكِ هَذَا؟) قَالَت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: (الحَمدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَكِ شَبِيهَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ بَنِي إِسرَائِيلَ) ثُمَّ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ، وَالحَسَنَ وَالحُسَينَ عليهما السلام وَجَمِيعَ أَهلِ بَيتِهِ، فَأَكَلُوا عَلَيهِ، حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ، فَأَوسَعَت فَاطِمَةُ عليها السلام عَلَى جِيرَانِهَا[٢].

(١) الصحاح، الجواهري، مادة (حضر) ٢/ ٦٣٣.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٨٧، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٤٣/ ٢٩.

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

القُنُوتُ: (الدُّعَاءُ فِي الصَّلَاةِ حَالَ القِيَامِ) [١].

مَريَم: بِلُغَتِهِم: العَابِدَةُ، وَالخَادِمَةُ [٢].

وَمِنهُ يُقَالُ: ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي﴾.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَا تَقَارَعَ قَومٌ، فَفَوَضُوا أَمرَهُم إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا خَرَجَ سَهمُ الحَقِّ) [٣].

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

المَسِيحُ: مَعنَاهُ بِالعِبرَانِيَّةِ: المُبَارَكُ، وَبِلُغَتِهِم، يُقَالُ: المَشِيحُ، وَكَذَلِك عِيسَى مُعَرَّبٌ مِن إِيشُوع [٤].

وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّي مَسِيحَاً؛ لأَنَّ جَبرَئِيل مَسَحَهُ بِجَنَاحَيهِ وَقتَ وُلَادَتِهِ، يُعَوِّذُهُ بِذَلِكَ

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٢٥، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٨١.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣/ ٩٢ح٣٣٩٠ عنه نور الثقلين، الحويزي:٤ / ٤٣٤ ح ١١٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٨٧.

مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ [(١)].

وَقِيلَ: لأَنَّهُ كَانَ لَا يمسَحُ ذَا عَاهَةٍ بِيَدِهِ إِلَّا بَرِئ [(٢)].

مَسأَلَةٌ:

يَصُحُّ إِتيَانُ الحَالِ عَن النَّكِرَةِ إِذَا كَانَت مَوصُوفَةٌ، نَحو قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً**﴾ مِن كَلِمَةِ.

وَالوَجَاهَةُ فِي الدُّنيا: النُّبُوَّةُ، وَالرِّئاسَةُ عَلَى النَّاسِ [(٣)].

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٤٩)

الأَكمَهُ: الَّذِي وُلِدَ أَعمَى [(٤)].

(١) تفسير الرازي: ٨/ ٥٢.

(٢) معالم التنزيل، البغوي: ١/ ٢٣٥.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٢/ ٤٨٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٤٤٩.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عيسى مِنهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصاري إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَواريُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾

تَركِيبٌ:

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَلَـمَّا أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصاري إِلَى اللَّهِ**﴾ أَي: فَلَـمَّا عَلِمَ: ﴿**مِنْهُمُ الْكُفْرَ**﴾ عِلـماً لَا شُبهَةَ فِيهِ، كَعِلـمِ مَا يُدرَكُ بِالحَواسِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُم أَرَادُوا قَتلَهُ حِينَ دَعَاهُم إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**قالَ مَنْ أَنْصاري إِلَى اللَّهِ**﴾ يَتَعَلَّقُ الجَار بِأَنصَارِي[1].

مُتَضَمِّناً مَعنَى الإِضَافَةِ؛ أَي: مِنَ الَّذِينَ يُضِيفُونَ أَنفُسَهُم إِلَى اللَّهِ فِي يَنصُرُنَنِي كَمَا يَنصُرَنِي، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مُتَعَلِّقاً بِمَحذُوفٍ، حَالاً مِنَ اليَاءِ؛ أَي: مَن أَنصَارِي[2].

وَحَوَارِي الرَّجُلَ: صَفوَتُهُ وَخَالِصَتُهُ، مِنَ الحَوَرِ؛ وَهوَ البَيَاضُ الخَالِصُ[3].

وَيُقَالُ لِنِسَاءِ الحَضَرِ: الحَوَارِيَاتُ؛ لِخَلُوصِ أَلوَانِهِنَّ[4].

وَالحَوَارِيُّونَ: كَانُوا إِثنَي عَشَرَ رَجُلاً[5].

قِيلَ: سُمُّوا بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُم نُورَانِيُّون، عَلَيهِم أَثَرُ العِبَادَةِ، أَو لِنَقَاءِ قُلُوبِهِم[6] كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ بِالتَّحوِيرِ، وَقِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ؛ يُبَيِّضُونَ الثِّيَابَ[7].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٩٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٩٣.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ٤/ ٢٤٤، مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٢٧٨.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٩٠.

(٥) معالم التنزيل، البغوي: ١/ ٣٠٦.

(٦) تفسير السمعاني: ١/ ٣٢٣.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٩٠.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥٥)

قَالَ ابنُ عَبَّاس: لَـمَّا أَرَادَ مَلِكُ بَنِي إِسرَائيلَ قَتلَ عِيسَى عليه السلام دَخَلَ خوخَتَهُ، وَفِيهَا كُوَّةٌ، فَرَفَعَهُ جَبرَئيلُ عليه السلام مِنَ الكُوَّةِ إِلَى السَّمَاءِ.

فَقَالَ الـمَلِكُ لِرَجُلٍ مِنهُم خَبيثٍ: أُدخُل عَلَيهِ فَاقتُلهُ، فَدَخَلَ الخَوخَةَ، فَأَلقَى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ شَبهَ عِيسَى عليه السلام فَخَرَجَ إِلَى أَصحَابِهِ يُخبِرُهُم أَنَّهُ لَيسَ فِي البَيتِ، فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ فَظَنُّوا أَنَّهُ عِيسَى عليه السلام فَصَلَبُوهُ، فَقَالَ: أَنَا الَّذِي دَلَلتكُم عَلَيهِ، فَلَم يَلتَفِتُوا إِلَى قَولِهِ [١].

وَقِيلَ: الـمُخبِرُ رَجُلٌ مِنَ الحَوَارِيِّينَ، جَعَلَ الحَوَارِيُونَ لَهُ شَرطاً يُعطُونَهُ إِذَا دَلَّهُم عَلَيهِ[٢] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**يا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾.

وَ: ﴿**إِذْ**﴾ ظَرفٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَكرِ اللَّـهِ، أَو خَيرُ الـمَاكِرِينَ قَبلُهَا.

وَمَعنَى: ﴿**مُتَوَفِّيكَ**﴾ أَي: مُستَوفِي أَجَلُكَ، وَالـمُرَادُ: إِنِّي عَاصِمُكَ مِن أَن يَقتُلُوكَ، وَمُؤخِرُكَ إِلَى أَجَلٍ كَتَبتُهُ لَكَ، وَمُمِيتُكَ حَتفَ أَنفِكَ، لَا قَتلاً بِأَيدِيهِم، وَرَافِعُكَ إِلَيَّ [٣].

وَقِيلَ: ﴿**مُتَوَفِّيكَ**﴾ أَي: قَابِضُكَ مِنَ الأَرضِ؛ مِن تَوَفَّيتُ مَالِي عَلَى فُلَانٍ، إِذَا استَوفَيتُهُ، وَقِيلَ: مُتَوَفِّيكَ فِي وَقتِكَ بَعدَ النُّزُولِ مِنَ السَّمَاءِ، وَرَافِعُكَ إِلَيَّ الآن [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٠٤،زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٤٩٣.

(٢) تفسير الآلوسي: ٦/ ١٠، الدر المنثور، السيوطي: ٢/ ٣٣.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٥.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٩١، الكشاف لحقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٩٤.

وَقِيلَ: ﴿**مُتَوَفِّيكَ**﴾ أَي: مُتَوَفِّي نَفسُكَ بِالنَّومِ [١] مِن قَولِهِ: ﴿**وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾ [٢] ﴿**وَرافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ وَأَنتَ نَائِمٌ، وَتَستَيقِظ فِي السَّمَاءِ آمِنٌ [٣].

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٦١)

البَهلَةُ، بِالفَتحِ وَالضَّمِّ: هِي اللَّعنَةُ [٤].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**ثُمَّ نَبْتَهِلْ**﴾ أَي: نَتبَاهَلَ؛ بِأَن نَقُولَ: بَهلَةُ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِ مِنَّا وَمِنكُم، وَبَهَلَهُ اللهُ؛ أَي: لَعَنَهُ وَأَبعَدَهُ مِن رَحمَتِهِ، وَهَذَا أَصلُ الإِبتِهَالِ، ثُمَّ استُعمِلَ فِي كُلِّ دُعَاءٍ يُجتَهَدُ فِيهِ، وَإِن لَم يَكُن إِلتِعَانَاً [٥].

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧)

الحَنِيفُ: المَائِلُ عَنِ العَقَائِدِ الزَّائِفَةِ [٦].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٩٤.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٥٦.

(٤) تفسير السمعاني: ١/ ٣٢٧.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٢٩٣.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٦٠ مادة (حنف).

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨)

قَالَ أَمِيرُالـمُؤمِنِينَ عليه السلام: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ) ثُمَّ تَلا عليه السلام ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ﴾ أَي: إِنَّ أَقرَبَهُم وَأَخَصَّهُم بِهِ ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ فِي زَمَانِهِ وَبَعدِهِ، وَهَذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله.

﴿وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَي: وَهَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله خُصَّ مِنَّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن أُمَّتِهِ.

﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْـمُؤْمِنِينَ﴾ لأَنَّهُ يَتَوَلَّى نُصرَتَهُم، وَيُجَازِيهُم الحَسَن، وَالـمُؤمِنُ وَلِيُّ اللَّـهِ.

وَلِهَذَا فِي هَذِهِ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ وَلَايَتَهُ صلى الله عليه وآله تَثبُتُ بِقَطعِ النَّظَرِ عَن نَسَبِهِ الشَّرِيف، فَيُعَضِّدُ قَولُهُ الآيَة، وَكَذَا قَالَ عليه السلام: (وَإِن قَرُبَت قَرَابَتُهُ)[1].

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦)

رُوِيَ عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ صلى الله عليه وآله لَـمَّا قَرَأَ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْـمُتَّقِينَ﴾ قال:

(كَذَّبَ أَعدَاءُ اللَّـهِ، مَا مِن شَيءٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهوَ تَحتَ قَدَمَيَّ، إِلَّا الأَمَانَةَ، فَإِنَّهَا مُؤدَّاةٌ إِلَى البِرِّ وَالفَاجِر)[2].

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله: (مَن ائتُمِنَ عَلَى أَمَانَةٍ فَأَدَّاهَا، وَلَو شَاءَ لَم يُؤدِّهَا، زَوَّجَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ)[3].

---

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٦٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٢٧، جامع البيان، الطبري: ٣/ ٤٣٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٢٧.

وَعَنهُ ﷺ: (ثَلَاثٌ، مَنْ كُنَ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقاً، وَإِن صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسلِمٌ: مَن إِذَا ائتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّث كَذَّبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخلَف...) الحديث [١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٧)

الخَلَاقُ بِالفَتحِ: النَّصِيبُ [٢].

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩)

الرَّبَّانِيُّ: مَنسُوبٌ إِلَى الرَّبِّ،بِزِيَادَةِ الأَلْفِ وَالنُّونِ، كَلَحيَّانِيّ، وَهوَ شَدِيدُ التَّمَسُّكِ بِدِينِ الحَقِّ [٣].

وَقِيلَ الرَّبَّانِيُونَ: العُلَمَاءُ وَالفُقَهَاءُ [٤].

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٩٠ح٨، مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٥٣٦.
(٢) معاني القرآن، النحاس: ١/ ١٤٢، تفسير الرازي: ٣/ ٢٢٢.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٠٢.
(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري: ٦/ ٣٤٠.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٩١)

مَسألَةٌ:

كَلِمَةُ المِثلِ تُحذَفُ فِي قَولِهِم كَثِيرَاً، قَالُوا: ضَرَبتُه ضَربَ زَيدٍ؛ أَي: مِثلَ ضَربِ زَيدٍ[١].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدى بِهِ﴾ أَي: وَلَو افتَدَى بِمِثلِهِ، أَو المَعنَى: لَن يُقبَلَ مِنهُ وَلَو افتَدَى بِمِلءِ الأَرضِ[٢].

جَاءَ فِي الحَدِيثِ: (مَن تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَد كَفَرَ)[٣].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٩)

الصَّدُّ: المَنعُ[٤].

(١) جوامع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٣٠٨.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤١١.
(٣) صحيح ابن حبان: ٤/ ٣٢٣، الترغيب والترهيب، المنذري: ١/ ٣٨٤ح٨٢٠.
(٤) الصحاح، الجواهري، مادة (صدد) ٢/ ٤٩٥، التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٥٣٩.

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَد تَرَكتُ فِيكُم حَبلَينِ، إِن أَخَذتُم بِهِمَا لَن تَضِلُّوا بَعدِي؛ أَحَدُهُمَا أَكبَرُ مِنَ الآخَرِ: كِتَابُ اللَّـهِ، حَبلٌ مَمدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرضِ، وَعِترَتِي أَهلُ بَيتِي، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَن يَفتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ) [١].

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: (مَن أَمَرَ بِالـمَعرُوفِ، وَنَهَى عَنِ الـمُنكَرِ، فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّـهِ فِي الأَرضِ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ) [٢].

كَذَا قَالَ صلى الله عليه وآله عَلَى الـمِنبَرِ: (خَيرُ النَّاسِ؛ آمَرَهُم بِالـمَعرُوفِ، وَأَنهَاهُم عَنِ الـمُنكَرِ، وَأَتقَاهُم للَّـهِ، وَأَرضَاهُم) [٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٥٦ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٢٤/ ٨٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٤/ ٣٨٤ح٢٨٧٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٥٩، المصنف، ابن أبي شيبة: ٦/ ٩٨ح١١، بتفاوت يسير.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (رَكعَتَانِ يَركَعُهُمَا العَبدُ فِي جَوفِ اللَّيلِ الأَخِيرِ، خَيرٌ لَهُ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فِيهَا، وَلَولَا أَنِّي أَشُقُّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضتُهُمَا عَلَيهِم) [١].

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام: (إِنَّ البُيُوتَ الَّتِي يُصَلَّى فِيهَا بِاللَّيلِ بِتِلَاوَةِ القُرآنِ، تُضِيءُ لِأَهلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ نُجُومُ السَّمَاءِ لِأَهلِ الأَرضِ) [٢].

وَعَنهُ عليه السلام: (عَلَيكُم بِصَلَاةِ اللَّيلِ؛ فَإِنَّهَا سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ، وَدَأبُ الصَّالِحِينَ قَبلَكُم، وَمَطرَدَةُ الدَّاءِ عَن أَجسَادِكُم) [٣].

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٧﴾

الصِّرُّ: الرِّيحُ البَارِدَةُ الَّتِي تَضرِبُ النَّبَاتَ، وَمِثلُهُ الصَّرصَرُ [٤].

---

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٣/ ١٣١، الجامع الصغير، السيوطي: ٢/ ١٨ح٤٤٧٧، كنز العمال، المتقي الهندي: ٧/ ٧٨٥ح٢١٤٠٥.

(٢) ثواب الأعمال، الصدوق: ٤٢، من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٢٣٩ح٧٢٠، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٣٢١، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٥/ ٢٩٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٤٧٢ح ١٣٦٢، تهذيب الأحكام، الطوسي: ٢/ ١٣٠ ح ٤٥٣، بحار الأنوار، المجلسي: ٨٤/ ١٢٣.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣١٩.

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَما تُخْفي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١١٨)

بِطَانَةُ الرَّجُلِ وَوَلِيجَتُهُ: خَاصَّتُهُ وَصَفِيَّهُ، يَستَبطِنُ أَمرُهُ؛ أَي: يَعلَمُ بَوَاطِنَ أُمُورِهِ، مَأخُوذَةٌ مِنْ بِطَانَةِ الثَّوبِ الَّذِي يَلِي البَدَنَ لِقُربِهِ، وَمِثلُهُ قَولُهُم: فُلَانٌ شِعَارُ فُلَانٍ [(١)].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ**﴾.

وَفِي الحَدِيثِ: (الأَنصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ) [(٢)].

الأَلو، بِوَزنِ دَلو: التَّقصِيرُ [(٣)].

وَمِنهُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً**﴾ أَي: لَا يُقَصِّرُونَ فِيكُم فِي الفَسَادِ، مِن قَولِهِم: أَلَا فِي الأَمرِ يَألُو، إِذَا قَصَّرَ فِيهِ، ثُمَ استُعمِلَ مُعَدَّىً إِلَى مَفعُولَينِ، مِن قَولِهَم: لَا آلُوكَ نُصحَاً؛ أَي: لَا أَمنَعُكَ نُصحَاً [(٤)].

وَالخَبَالُ: الفَسَادُ [(٥)].

وَبَعدَهُ: ﴿**وَدُّوا ما عَنِتُّمْ**﴾ أَي: وَدُّوا عَنَتَكُم،وَمَا مَصدَرِيَّةٌ.

وَالعَنَتُ: شِدَّةُ الضَّرَرِ وَالـمَشَقَّةِ، يَعنِي: تَمَنَّوا أَن يَضُرُّوكُم فِي دِينِكُم وَدُنيَاكُم أَشَدَّ الضَّرَرِ [(٦)].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٢٠، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٣٤.
(٢) صحيح البخاري: ٥/ ١٠٤، صحيح مسلم: ٣/ ١٠٩، السنن الكبرى، البيهقي: ٦/ ٣٣٩.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ألو) ١٤/ ٤١.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٤٣، عنه تفسير الرازي: ٨/ ٢١١.
(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (خبل) ٤/ ١٦٨٢.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٢٠.

﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٢)

الفَشَلُ: الجُبْنُ[1].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣)

الأَذِلَّةُ: جَمعُ قِلَّةٍ[2] بَلَى، الحِسَابُ لـِمَا بَعدَ التُّقَى.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (١٢٥)

وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿**أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْـمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ**﴾ إِلَى قَولُهُ: ﴿**بَلى إِنْ تَصْبِرُوا**﴾.

يُقَالُ: قَفَلَ فُلَانٌ مِن غَزوَتِهِ، وَخَرجَ مِن فَورِهِ، وَالفَورُ: مِنهُ قَولُ الفُقَهَاءِ فِي أُصُولِ الفِقهِ: الأَمرُ عَلَى الفَورِ دُونَ التَّرَاخِي[3] وَهوَ مَصدَرٌ، مِن فَارَتِ القِدرُ، إِذَا غَلَت، فَاستُعِيرَ لِلسُّرعَةِ.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَيَأْتُوكُمْ**﴾ أَي: الـمَلَائِكَة: ﴿**مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ**

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٧٥، وهو رأي ابن عباس، كما جامع البيان، الطبري: ٤/ ٩٨، الدر المنثور، السيوطي: ٢/ ٦٨.

(٢) تفسير الرازي: ٨/ ٢٢٢.

(٣) السرائر، ابن إدريس: ١/ ١٧، ذكرى الشيعة، الشهيد الأول: ٢/ ٣٢٠.

بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْـمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

وَالـمَعنَى: أَنَّهُم يَأْتُوكُم مِن سَاعَتِهِم هَذِه: ﴿**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ**﴾ فِي حَالِ إِتيَانِهِم، لَا يَتَأَخَّرُ نُزولُهُم عَن إِتيَانِهِم [1].

قَولُهُ: ﴿**مُسَوِّمِينَ**﴾ أَي: مُعَلِّمِينَ أَنفُسَهُم أَو خَيلَهُم [2].

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾

الكَبتُ فِي اللُّغَةِ: شِدَّةُ غَيظٍ، أَو وَهنٍ يَقعُ فِي القَلبِ [3].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَوْ يَكْبِتَهُمْ**﴾ يَعنِي: أَو يُخزِيهُم بِالخَيبَةِ مِمَّا أَمَّلُوا الظَّفَرَ بِكُم، وَيُغِيظَهُم بِالهَزِيمَةِ [4].

الشَّجُّ: الضَّربُ فِي الرَّأسِ [5].

قِيلَ: لَـمَّا كَانَ يَومُ أُحُد مِنَ الـمُشرِكِينَ مِن كَسرِ رُبَاعِيَة [6] النَّبِيِّ ﷺ وَشَجَّهُ، حَتَّى جَرَت الدَّم عَلَى وَجهِهِ، فَجَعَلَ يَمسَحُ الدَّمَ عَن وَجهِهِ، وَيَقُولُ: (كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ خَضَّبُوا وَجهَ نَبِيِّهِم بِالدَّمِ!) فَنَزَلَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ**﴾ [7].

وَالَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ عُتبَة بن أَبِي وَقَّاص، فَدَعَا عَلَيهِ ﷺ أَن لَا

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٢٥.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٤٠.
(٣) تفسير أبي السعود: ٢/ ٨٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٨٥، مجمع البحرين، الطريحي، مادة (كبت) ٢/ ٢١٦.
(٥) وهو: كسر الرأس، العين، الفراهيدي، مادة (شج) ٦/ ٤.
(٦) وهي: السن التي بين الثنية والناب، الصحاح، الجوهري، مادة (ربع) ٣/ ١٢١٤.
(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٥٨٤، صحيح البخاري: ٥/ ٣٥.

يَحُولَ عَلَيهِ الحَول حَتَّى يَمُوتَ كَافِرَاً، فَمَاتَ كَافِرَاً قبلَ حُلُولِ الحَولِ[١].

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (لَو وُزِنَ رَجاءُ الـمُؤمِنِ وَخوفُهُ لَاعتَدَلَا)[٢].

وَأَقُولُ:

أَلَا مِـن عَـذَابِ اللّـهِ خُسرُ   وَالـيَـأسُ مِـن رَحمَـتِـهِ كُفرُ

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١)

قَالَ أَبُو حَنِيفَة: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ الـمُعَدَّةِ لِلكَافِرِينَ إِن لَم يَتقُوهَا فِي اجتِنَابِ مَحَارِمِهِ[٣].

وَاعلَم: أَنَّ الشَّيء لَا يَكُونُ مُعَدَّاً إِلَّا وَهي مَخلُوقَةٌ مَوجُودَةٌ كَالجَنَّةِ وَالنَّارِ لِلأَبرَارِ وَالكُفَّارِ.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣)

رَوَى أَنَس بن مَالِك، عَن رَسُول اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: (السَّخَاءُ: شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ، أَغصَانُهَا فِي الدُّنيَا، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصنٍ مِنهَا، أَدَّتهُ إِلَى الجَنَّةِ، وَالْبُخلُ: شَجَرَةٌ فِي النَّارِ، أَغصَانُهَا فِي الدُّنيَا، فَمَن تَعَلَّقَ بِغُصنٍ مِن أَغصَانِهَا أَدَّتهُ إِلَى النَّارِ)[٤].

وَقَالَ عليه السلام: (الجَنَّةُ دَارُ الأَسخِيَاءِ)[٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٨٥.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٨٧.
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٣٢٧، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٧٨، وبداية قوله: (هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار...).
(٤) قرب الإسناد، الحميري: ١١٧ ح ٤٠٩، عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢/ ١٥ ح ٢٧، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٣٨٥.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٩٢، بحار الأنوار، المجلسي: ٦٨/ ٣٥٦ ح ١٨.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾

رُوِي: أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ العَافِينَ عَن النَّاسِ هَؤلَاءِ فِي أُمَّتِي قَلِيلٌ إِلَّا مَن عَصِمَهُ اللهُ، وَقَد كَانُوا كَثِيراً فِي الأُمَمِ الـمَاضِيَةِ) [١].

وَقَالَ ﷺ: (مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظلَمَةٍ قَط، إِلَّا زَادَهُ اللَّه بِهَا عِزَّاً) [٢].

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾ أَي: الـمُتَجرِّعِينَ لِلغَيظَ عِندَ امتِلَاءِ نُفُوسَهُم مِنهُ [٣].

وَفِي الحَدِيثِ: (مَن كَظَمَ غَيظَاً، وَهُوَ يَقدِرُ عَلى إِنفَاذِهِ، مَلَأَ اللهُ تَعَالَى قَلبَهُ أَمناً وَإِيمَاناً يَومَ القِيَامَة) [٤].

﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾ أَي: الصَّافِحِينَ الـمُتَجَاوِزِينَ عَنهُم فِيمَا يَجُوزُ العَفوُ: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

---

(١) زبدة البيان في أحكام القرآن، الأردبيلي: ٣٢٧، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/ ٢٠٧، الدر المنثور، السيوطي: ٢/ ٧٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٩٣، مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٤٣٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٩٢، جامع البيان، الطبري: ٤/ ١٢٤.

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ١١٠ ح ٧، من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٤/ ١٥، مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٤٣٠.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٥﴾

قَالَ اللهُ: ﴿**وَالَّذينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾.

قَولُهُ: ﴿**وَالَّذينَ**﴾ عَطفٌ عَلَى الـمُتَّقِينَ، أَو مُبتَدَأ خَبَرُهُ: ﴿**أُولئِكَ**﴾ [١].

وَالفَاحِشَةُ: فُعلَةٌ بَالِغَةٌ فِي القُبحِ كَالزِّنَا [٢] يَعنِي: ﴿**الَّذينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً**﴾ أَي: فِعلَةٌ بَالِغَةٌ فِي القُبحِ، إِذ: ﴿**ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾ بِمُقَارَفَةِ الذَّنبِ: ﴿**ذَكَرُوا اللهَ**﴾: ذَكَرُوا نَهيَ اللَّهِ وَوَعِيدَهُ، أَو عِقَابَهُ، فَانزَجَرُوا عَن الـمَعصِيَةِ: ﴿**فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾ وَقَالُوا: اللَّـهُمَّ اغفِر ذُنُوبَنَا فَإِنَّا تُبنَا نَادِمِينَ عَلَيهَا[٣].

﴿**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّـهُ**﴾ مُنبِهَةٌ عَلَى سِعَةِ رَحمَتِهِ، وَلُطفِهِ وَفَضلِهِ، وَبَلِيغِ كَرَمِهِ، وَجَزِيلِ مَنِّهِ [٤] وَهي جُملَةٌ مُعتَرِضَةٌ بَينَ الـمَعطُوفِ وَالـمَعطُوفِ عَلَيهِ [٥].

﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ حَالٌ مِن فِعلِ الإِصرَارِ [٦].

وَفِي الحَدِيثِ: (مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغفَرَ، وَلَو عَادَ فِي اليَومِ سَبعِينَ مَرَّةً) [٧].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٢٩، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٤٤.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٦/ ٣٤٨، تفسير أبي السعود: ٢/ ٨٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٢٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٩٤.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٩٥.
(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٤٤.
(٦) تفسير الرازي: ٩/ ١٠، البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٣/ ٦٥.
(٧) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: ١٤/ ٣٣٣ ح ٢٧٢٦، سنن أبي داود: ١٣٣٩ ح ١٥١٤، سنن الترمذي: ٥/ ٢١٨ ح ٣٦٣٠.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١٣٦)

﴿**أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ**﴾ وَفِي هَذِهِ الآيةِ بَيَانٌ: أَنَّ الـمُؤمِنِ علَى ثَلاثِ طَبَقَاتٍ؛ مُتَّقُونَ، وَتَائبُونَ، وَمُصِرُّونَ، وَأَنَّ لِلـمُتَّقِينَ وَالتَّائبِينَ مِنهُمُ الجَنَّةَ وَالـمَغفِرَةَ، وَنِعمَ أَجراً لِلعَالمِينَ[1].

وَالآيَاتُ نَزَلَت فِي تَيهَانِ التَّمَّارِ؛ أَتَتهُ امرَأَةٌ حَسنَاءٌ تَبتَاعُ مِنهُ تَمراً، فَقَالَ لَهَا: هَذَا التَّمرُ لَيسَ بِجَيِّدٍ، وَفِي البَيتِ أَجوَدُ مِنهُ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى بَيتِهِ، وَضَمَّهَا إِلَى نَفسِهِ وَقَبَّلَهَا، فَقَالَت لَهُ: اتَّقِ اللهَ، فَتَرَكَهَا وَنَدِمَ، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَنَزَلَت: ﴿**وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً**﴾ الآيَاتِ[2].

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٠)

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: (أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ - يَعنِي يَومَ أُحُدٍ - بِعَلِيٍّ ابنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَعَلَيهِ نَيِّفٌ وَسِتُّونَ جِرَاحَةً مِنْ طَعنَةٍ وَضَربَةٍ وَرَميَةٍ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمسَحُهَا وَهِيَ تَلتَئِمُ بِإِذنِ اللَّهِ، كَأَن لَمْ تَكُن)[3].

الـمُدَاوَلَةُ: كَالـمُعَاوَدَةِ.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ**﴾ أَي: نَصرِفُهَا، يُقَالُ: دَاوَلتُ الشَّيءَ بَينَهُم فَتَدَاوَلُوهُ[4] وَفِي الـمَثَلِ: الحَربُ سِجَالٌ[5].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٢٩، زبدة البيان، الأردبيلي: ٣٢٩.
(٢) معالم التنزيل، البغوي: ١/ ٣٥٢ عن عطاء.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٣٩٩، الكشف والبيان، الثعلبي: ٣/ ١٧٣.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ٩٧.
(٥) أساس البلاغة، الزمخشري: ٤٢٤، مجمع الأمثال، الميداني: ١/ ٢٢٣، أي مرة على هؤلاء وأخرى على هؤلاء.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤١)

التَّمحِيصُ: التَّطهِيرُ [١] وَمِنهُ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكافِرينَ﴾ أَي: أَهلَكَ [٢].

وَالـمَحقُ: نَقصُ الشَّيءِ قَلِيلاً قَلِيلاً [٣].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٢)

البَلوَى: الإِختِبَارُ [٤].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ﴿أَمْ﴾ مُنقَطِعَةٌ، وَالتَّقدِيرُ: بَل. ﴿أَحَسِبْتُمْ﴾ وَالهَمزَةُ لِلإِنكَارِ [٥].

﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٥)

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ طَلَبَ الدُّنيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فما له في الآخرة مِن نَصيبٍ) [٦].

وَيَعضِدَهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها﴾.

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (محص) ٣/ ١٢٧.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٣.
(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ٩٧.
(٤) جامع البيان، الطبري: ٢٦/ ٨٠.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٣٢.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤٠٩، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ٢١٨.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾

الرِّبِيُّ وَالرَّبَانِيُّ: نِسبَةً إِلى الرِّبَّةِ، وَهي الجَماعَةُ، لِلمُبَالَغَةِ لُغَةً [١] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ أَي: كَم مِن رَسُولٍ حَارَبَ مَعَهُ رَبَّانِيُّونَ[٢].

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٥١﴾

السُّلطَانُ فِي الأَصلِ: هوَ القُوَّةُ، وَمِنهُ: السَّلِيطُ؛ الزَّيتُ، لِقُوَّةِ استِعمَالِهِ، وَالسَّلاطَةُ: حِدَّةُ اللِّسَانِ [٣].

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾

الإِصعَادُ: الذِّهَابُ فِي الأَرضِ وَالإِبعَادُ فِيهِ، يُقَالُ: صَعَدَ فِي الجَبَلِ، وَأَصعَدَ فِي الأَرضِ [٤].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ﴾ أَي: وَلَقَد عَفَى عَنكُم وَقت

(١) مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٦٥.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤١١، تفسير السمعاني: ١/ ٣٦٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤١٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٣٨.

إِصعَادِكُم، أي: ذِهَابَكُم فِي وَادِي أُحُد لِلإِنهِزَامِ [١].

وَقَولُهُ: ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ﴾ أَي: وَلَا تَلتَفِتُونَ إِلَى مَن خَلفَهُم فِي الحَربِ، لَا يَقِفُ مِنكُم عَلَى أَحدٍ وَلَا يَنتَظِرُونَ [٢].

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ في أُخْراكُمْ﴾ أَي: يُنَادِيكُم، فَيَقُولُ: (إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِلَيَّ عَبَادَ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، مَن يُكِرُّ فَلَهُ الجَنَّةَ) [٣].

وَقَولُهُ: ﴿أُخْراكُمْ﴾ أَي: فِي سَاقَتِكُم وَجَمَاعَتِكُم الأُخرَى، أي: الـمُتأَخِرَةِ، يُقَالُ: جِئتُ فِي آخِرِ النَّاسِ، وَفِي أَخرِياتِهِم، كَمَا يُقَالُ: فِي أَوَّلِهِم، وَأولَاهُم، بِتَأوِيلِ مُقَدِّمَتِهِم وَجَمَاعَتهُم الأُولَى [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤١٩.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٠٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٣٩، معالم التنزيل، البغوي: ١/ ٣٦٢، تفسير أبي السعود: ٢/ ١٠٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٣٩.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٥٤)

مَسأَلَةٌ:

قَد يُقَدَّمُ الحَالُ، فيُقَالُ: رَأَيتُ رَاكِباً رَجُلاً، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً**﴾[(١)].

وَالأَمنَةُ: الأَمنُ[(٢)].

الـمَضَاجِعُ؛ هِي: الـمَصَارِعُ، جَمعُ مَصرَع.

ذَكَرَ البَلَخِيُّ: أَنَّه لَم يَبقَ وَاحِدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَّا ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً؛ خَمسَةٌ مِنَ الـمُهَاجِرِينَ، وَثَمانِيَةٌ مِنَ الأَنصَارِ، وَقَد اختَلَفُوا فِي الخَمسِ إِلَّا فِي عَلِيٍّ عليه السلام وَطَلحَة[(٣)].

وَقَد رُوِيَ عَن عُمَر بن الخَطَّاب أَنَّهُ قَالَ: رَأَيتَنِي أَصعَدُ فِي الجَبَلِ كَأَنِّي أَروَى[(٤)] وَلَم يَرجِع عُثمانُ مِنَ الهَزِيمَةِ إِلَّا بَعدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: (لَقَد ذَهَبتَ فِيهَا عَرِيضَةً)[(٥)].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٥٥، تفسير الرازي: ٩/ ٤٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٣٩.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٢٥، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٤١، تفسير الآلوسي: ٤/ ٩٩.

(٤) وهو معز الجبل.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤٢٣، كشف الغمة، الأربلي: ١/ ١٩٣.

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذينَ كَفَرُوا وَقالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذلِكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيي وَيُميتُ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ ﴿١٥٦﴾

يُقَالُ: ضَرَبَ فِي الأَرضِ؛ إِذَا سَافَرَ فِيهَا، وَمِنهُ قَولُهُ تَعالَى: ﴿**إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى**﴾ جَمعُ غَازٍ، كَعَافٍ وَعَفًى [(١)].

﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلينَ﴾ ﴿١٥٩﴾

وَفِي الحَدِيثِ: (مَا تَشَاوَرَ قَومٌ إِلَّا هُدُوا إِلَى رُشدِهِم) [(٢)] وَلِهذَا قَالَ اللهُ: ﴿**وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلينَ**﴾.

وَالآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى اختِصَاصِ نَبِيِّنَا ﷺ بِمَكَارِمِ الأَخلَاقِ، وَمَحَاسِنَ الأَفعَالِ، وَمِن عَجِيبِ أَمرِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ أَجمَعُ النَّاسِ لِدَوَاعِي التَّرَفُّعِ، ثُمَّ كَانَ أَدنَاهُم إِلَى التَّوَاضُعِ؛ وَمِن تَوَاضُعِهِ: أَنَّهُ كَانَ يَرقَعُ الثَّوبَ، وَيَخصِفُ النَّعلَ، وَيَركَبُ الحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعوَةَ المَملُوكِ، وَيَجلِسُ فِي الأَرضِ، وَيَأكُلُ عَلَى الأَرضِ، وَكَانَ يَدعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِن غَيرِ زَجرٍ [(٣)].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٥٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٤٤، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٨٨، تفسير الرازي: ٩/ ٦٦، وفيها: لأرشد أمرهم.

(٣) في المصدر: من غير زأر.

وَفِي الآيَةِ أَيضاً: تَرغِيبٌ لِلمُؤمِنِينَ فِي العَفوِ عَن المُسيءِ، وَحَثُّهُم عَلَى الاستِغفَارِ لِمَن يُذنِبُ مِنهُم، وَعَلَى مُشَاوَرَةِ بَعضِهِم بَعضاً فِيمَا يَعرِضُ لَهُم مِنَ الأُمُورِ وَالتَّفويضِ[١].

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦١)

يُقَالُ: غَلَّ شَيئاً مِنَ المَغنَمِ غُلُولاً، وَأَغَلَ: إِذَا أَخَذَهُ فِي خِفيَةٍ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[٢].

وَفِي الحَدِيثِ: (لَا إِغلَالَ وَلَا إِسلَال)[٣].

وَيُقَالُ: أَغَلَّهُ؛ أَي: وَجَدَهُ غَالّاً[٤].

وَمَعنَى الآيَةِ: وَمَا صَحَّ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ؛ فَإِنَّ النُّبُوَّةَ تُنَافِي الغُلُولَ، وَهوَ نَوعٌ مِنَ الخِيَانَةِ[٥].

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ﴾ أَي: يومَ القِيَامَةِ: ﴿بِما غَلَّ﴾ أَي: بِالشَّيءِ يومَ القِيَامَةِ[٦].

وَفِي الحَدِيثِ: (... يومُ القِيَامَةِ يَحمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ...)[٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤٢٩، باختصار في عبارته.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٤٤، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٨٨.

(٣) غريب الحديث، ابن سلام: ١/ ١٩٨، الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: ٢/ ٤٤١، والاسلال: الرشوة والسرقة، الصحاح، الجوهري، مادة (سلل) ٥/ ١٧٣١.

(٤) تفسير الرازي: ٩/ ٦٩.

(٥) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٠٩، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٢٠/ ٣٦، بتفاوت يسير.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٤٥.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٤٥، صحيح البخاري: ٧/ ٢١٩، سنن الدارمي: ١/ ٣٩٤، تفسير الرازي: ٩/ ٦٩.

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلِلهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ﴾ (١٨٠)

﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ**﴾ أَي: ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ**﴾ البَاخِلُونَ: ﴿**الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ**﴾ بُخلَهُم هُوَ خيرَاً لَهُم؛ وَذَلِكَ عَلَى تَقدِيرِ مُضَافٍ إن جُعِلَ فَاعِل ﴿**يَحْسَبَنَّ**﴾ ضَمِيرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإن جُعِلَ فَاعِلُهُ ﴿**الَّذينَ يَبْخَلُونَ**﴾ كَانَ الـمَفعُولُ الأَوَّلُ عِندَهُ مَحذُوفَاً تَقدِيرُهُ: لَا يَحسَبَنَّ الَّذِينَ يَبخَلُونَ بُخلَهُم هُوَ خَيرَاً لَهُم، وَإِنَّما حُذِفَ لِدِلَالَةِ: ﴿**يَبْخَلُونَ**﴾ عَلَيهِ، هُوَ فَضلٌ بِل هُوَ شَرٌّ لَهُم؛ أَي: لَيسَ الأَمرُ كَمَا يَظُنُّون.

﴿**بَلْ**﴾ ذَلِكَ البُخل: ﴿**شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ**﴾ تَفسِيرُ لِقَولِهِ: ﴿**هُوَ شَرٌّ لَهُمْ**﴾ أَي: سَيُلزَمُونَ وَبَالَ مَا بَخِلُوا بِهِ إِلزَامَ الطَّوقِ فِي عُنُقِهِ، وَفِي أَمثَالِهُم تَقَلَّدَهَا طَوقَ الحَمَامَةِ[١] إِذَا فَعَلَ فِعلَةً يُذَمُّ بِهَا[٢].

وَرُوِي: أَنَّهَا نَزَلَت فِي مَانِعِي الزَّكَاةِ[٣].

(١) وهو مثل يضرب لمن يأتي الرذيلة فيلزمه عارها، جمهرة الأمثال، العسكري: ١/ ٢٧٥، مجمع الأمثال، الميداني: ١/ ١٥٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٥٥، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٧٤.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٥٥.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٨٥﴾

الزَّحزَحَةُ فِي الأَصلِ: تَكرِيرُ الزَّحِ، وَهوَ الجَذبُ بِعَجَلَةٍ [(١)].

وَفِي الحَدِيثِ: (مَنْ كَتَمَ عِلماً نَافِعاً، أَلْجَمَهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِن نَارٍ) [(٢)].

وَعَن أَمِيرِ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام: (مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَهلِ الْـجَهْلِ أَن يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهلِ العِلـمِ أَن يُعَلِّمُوا) [(٣)].

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾

التَدلِيسُ: كِتمَانُ الحَقِّ [(٤)].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٨٨﴾

الـمَفَازَةُ: الـمَنجَاةُ [(٥)].

(١) تفسير الرازي: ٩/ ١٢٦، تفسير البيضاوي: ٢/ ١٢٧.
(٢) عوالي اللئالئ، ابن أبي جمهور: ٤/ ٧١ح ٤٠، بحار الأنوار، المجلسي: ١٠٥/ ١٥، إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٩٦، كنز العمال، المتقي الهندي: ١٠/ ٢١٦ ح ٢٩١٤٢.
(٣) نهج البلاغة: ٤/ ١١٩خ ٤٧٨، تفسير البيضاوي: ٢/ ١٢٨.
(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (دلس) ٣/ ٩٣٠.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٤٢، مجمع البيان، في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤٦٤.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١)

وَفِي الحَدِيثِ: (وَلَا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ)[1].

كَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾ أَي: هُمُ الَّذِينَ يَذكُرُونَهُ دَائِماً، عَلَى الحَالَاتِ كُلِّهَا؛ قَائِمِينَ، وَقَاعِدِينَ، وَمُضطَجِعِينَ[2].

﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ قَائِلِينَ: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً**﴾ أَي: مَا خَلَقتَهُ خَلقاً بَاطِلاً، بَل خَلَقتَهُ لِدَاعِي حِكمَةٍ؛ وَهي: أَن تَجعَلَهَا مَسَاكِنَ لِخَلقِك، وَأَدِلَّةٍ لِلـمُكَلَّفِينَ عَلَى مَعرِفَتِك[3].

﴿**سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ أَي: نُنَزِّهُكَ تَنزِيهاً لَكَ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيكَ: ﴿**فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ بِلُطفِكَ[4].

وَقَولُهُ تَعَالَى هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الخَلقِ بِمَعنَى الـمَخلُوقِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيَتَفَكَّرُونَ فِي مَخلُوقَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ؛ لأَنَّهُمَا فِي مَعنَى الـمَخلُوقِ، وَكَأَنَّ الـمُرَادَ: مَا هَذَا الـمَخلُوقِ العَجِيبِ بَاطِلاً، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ بَاطِلاً حَالاً مِن هَذَا[5].

---

(١) المحاسن، البرقي: ١/ ١٧، الكافي، الكليني: ٨/ ٢٠ح ٤، الاختصاص، المفيد: ٢٤٦، الأمالي، الطوسي: ١٤٦ح٢٤٠،ووردت هذه الكلمة عن الرسول ﷺ والأئمة ﵈.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٣٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٦١، مدارك التنزيل، النسفي: ١/ ١٩٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤٧٣.

(٥) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٣١.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ﴿١٩٢﴾

﴿رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ وَالخِزيُ نَظِيرُ قَولِهِ تَعالَى: **﴿فَقَدْ فازَ﴾**[1] وَهوُ مَنقُولٌ مِنَ الخِزيِ؛ وَهوَ: الهَوَانِ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنقُولٌ مِنَ الخِزَايَةِ؛ وَالَّذِي هُوَ الاستِحيَاءُ، أَي: أَحلَلتُهُ مَحَلّاً يُستَحيَى مِنهُ: **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾**[2].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ﴿١٩٣﴾

﴿رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ﴾ وَاللَّامُ بِمَعنَى: إِلَى، يُقَالُ: نَادَاهُ لِكَذَا، وَإِلَى كَذَا، وَدَعَاهُ لَهُ وَإِلَيهِ، وَالـمُنَادِي هُوَ الرَّسُولُ ﷺ: **﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾** أَي: فَصَدَّقنَا فِيمَا دَعَا إِلَيهِ: **﴿رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ﴾** وَالأَبرَارُ: جَمعُ البِرِّ، أَو بَارٌّ[3].

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿١٩٤﴾

﴿رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ﴾ عَلَى هَذِهِ صِلَةٌ لِلوَعدِ، أَي: وَعَدَتَّنَا عَلَى تَصدِيقِ رُسُلِكَ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ عَلَى أَلسِنَتِهِم[4].

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٦١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٦٢.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٨٤.

وَيجوزُ أَن يَكُونَ مُتَعَلِّقاً بِمَحذُوفٍ؛ أَي: مَا وَعَدتَنَا مُنزَلاً عَلَى رُسُلِكَ، وَالـمَوعُودُ، هُوَ: الثَّوَابُ وَالنُصرَةُ عَلَى الأَعدَاءِ: ﴿**وَلَا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ وَلَا مَحَالَةَ [١].

رُوِي عَن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ بَعدَ نُزُولِ هَذِهِ الآيَاتِ: (وَيلٌ لِـمَن لَاكَهَا بَينَ فَكَّيهِ، وَلَم يَتَأَمَّلَ مَا فِيهَا) [٢].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥)

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (مَن حَزَنَهُ [٣] أَمرٌ، فَقَالَ خَمسَ مَرَّاتٍ: رَبُّنَا أَنجَاهُ اللهُ مِمَّا يَخَافُ، وَأَعطَاهُ مَا أَرَادَ، وَقَرَأَ الآيَاتِ: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ**﴾) [٤].

أَي: أَجَابِ الـمُؤمِنِينَ الَّذِينَ تَقَدَّم ذِكرُهُم، يُقَالُ: استَجَابَ لَهُ وَاستَجَابَهُ، وَهوَ أَخَصُّ مِن أَجَابَ، يَتَعَدَّى بِنَفسِهِ وِبِاللَّامِ [٥].

﴿**أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم**﴾ أَي: بِأَنِّي لَا أُبطِلُ [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٦٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٤٧٠، تفسير الرازي: ٩/ ١٣٤.

(٣) في بعض المصادر: حزبه.

(٤) زبدة البيان، الأردبيلي: ١٤٣، تفسير الرازي: ٩/ ١٥١، الكشف والبيان، الثعلبي: ٣/ ٢٣٤.

(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٦٢٣.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٦٢.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ بَيَانٌ لِعَمَلِ [١].

﴿وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ بَعدَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ الأُخرَى.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ﴿١٩٨﴾

النُّزُلُ وَالنُّزَالُ، بِضَمِّ الزَّاءِ وَإِسكَانِها: مَا يُهيَؤ لِلضَيفِ، وَمَا يُقَدَّمُ لِلنَازِلِ مِنَ الكَرَامَةِ والبِرِّ [٢].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٦٢.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٨/ ١٠٩، زبدة التفاسير، الكاشاني: ١/ ٦٢٥، تفسير السمعاني: ١/ ٣٩٠، تفسير البيضاوي: ٢/ ١٣٦، لسان العرب، ابن منظور، مادة (نزل) ١١/ ٦٥٦.



الفصل الرابع

سورة النساء



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقيباً﴾ ﴿١﴾

بَثَّ: نَشَرَ [1].

قَد تُعطَفُ الكَلِمَةُ عَلَى مَحَلِ الجَارِّ وَالمَجرُورِ، كَمَا يُقَالُ: مَرَرتُ بِزَيدٍ وَعَمراً [2].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ**﴾ وَالمَعنَى: اتَقُوا اللهَ وَاتَقُوا الأَرحام وَالأَصلُ تَتَسَاءَلُونَ [3].

وَفِي الحَدِيثِ: (إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ قَالَ: أَنَا الرَّحمَنُ خَلَقتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقتُ لَهُ اسماً مِن أَسمَائِي، فَمَن وَصَلَهَا وَصَلتُهُ، وَمَن قَطَعَهَا بَتَّتُه) [4].

وَصِلَةُ الرَّحِمِ قَد تَكُونُ بِالنَّسَبِ، وَقَد تَكُونُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٩٩.

(٢) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٣٦٩.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٩٢.

(٤) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٣٤ ح ١٢، مسند أحمد بن حنبل: ١/ ١٩٤، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٤/ ١٥٧، وبتته: قطعته.

﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢)

الحَوبُ: الذَنبُ العَظِيمُ [١].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (٣)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ مَعدُولَةٌ عَن أَعدَادٍ مُكَرَّرَةٌ؛ هِي ثِنتَينِ ثِنتَنِ، وَثَلَاثُ ثَلَاث، وَأَربَعٌ أَربَع، غَيرُ مُنصَرِفَةٌ لِلعَدلِ وَالصِّفَةِ، فَإِنَّهَا بَيَّنَت صِفَاتٍ، وَإِنْ كَانَت أُصُولُهَا لَم تُبنَ لَهَا، وَمَحَلُّهُنَّ النَّصبُ عَلَى الحَالِ؛ أَي: انكَحُوا الطَّيِّبَاتِ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ، مَعدُودَاتٌ هَذَا العَدَدِ.

وَإِنَّمَا وَجبَ التَكرِيرُ؛ لأَنَّ الخِطَاب لِلجَمِيعِ، لِيُصِيبَ كُلُّ مَن أَرَادَ مِنَ النَّاكِحَينِ الجَمعَ بَينَ ثِنتَينِ أَو ثَلَاثٍ أَو أَربعٌ مَا أَرَادَ مِنَ العَدَدِ الَّذِي أُطلِقَ لَهُ، كَمَا تَقُولُ لِلجَمَاعَةِ: أَقسِمُوا هَذَا الـمَالِ ـ وَهوَ أَلفُ دِرهَم ـ بَينكُم دِرهَمَينِ دِرهَمَينِ، وَثَلَاثَةٌ ثَلَاثَه، وَأَربَعَةٌ أَربَعَة، وَلَو أَفرَدتَ لَم يَكُن لَهُ مَعنَىً.

وَلَو جُعِلَت مَكَانَ الوَاوِ، أَو فَقُلتَ أَو ثَلَاثَةً ثَلَاثَه، وَأَو أَربَعَةٌ أَربَعَه، أَعلَمتَ أَنَّهُ لَا يُسَوِّغُ أَن يَقسِمُوهُ إِلَّا عَلَى حَدِّ أَنوَاعِ هَذِهِ القِسمَة، وَذَهَبَ إِلَى مَعنَى تَجوِيزِ الجَمعِ بَينَ اَنوَاعِ القِسمَةِ أَلَّتِي دَلَّت عَلَيهَا الوَاو [٢].

يُقَالُ: عَالَ الـمِيزَانُ؛ إِذَا مَالَ، وَعَالَ فِي حُكمِهِ: إِذَا جَارَ وَلَم يَعدِل [٣].

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (حوب) ٣/ ٣١٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٤٩٨، تفسير أبي السعود: ٢/ ١٤٢.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، مادة (عول) ٢/ ٤٣٨.

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (٤)

يُقَالُ: نَحِلَهُ كَذَا، إِذَا أَعطَاهُ إِيَّاهُ عَن طِيبَةٍ مِن نَفسِه، يُقَالُ: نَحِل كَذَا نَحِلَةً وَنَحلاً[١].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أَي: وَاعطُوهُنَّ مُهُورُهُنَّ مِن طِيبَةِ أَنفُسِكُم، مِن نَحِلَهُ كَذَا، إِذَا أَعطَاهُ إِيَّاهُ مِن طِيبَةِ نَفسِهِ[٢].

وَانتِصَابُهَا عَلَى الـمَصدَرِ؛ لأَنَّ النَّحِلَة بِمَعنَى الإِيتَاءِ، أَو يَكُونُ حَالاً مِنَ الـمُخَاطَبِينَ؛ أَي: آتُوا صَدَقَاتِهِنَّ نَاحِلِينَ طَيِّبِي النُّفُوسِ بِالإِعطَاءِ[٣].

وَقِيلَ: نَحلَةٌ مِنَ اللَّـهِ؛ أَي: عَطِيَّةٌ مِن عِندِهِ[٤].

يُقَالُ: هَنؤَ الطَّعَام وَمَرُؤ؛ إِذَا كَانَ سَائِغَاً لَا تَنغِيص فِيهُ[٥] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾.

وَقِيلَ: مَعنَى الهَنِئ؛ مَا يَلِذُهُ الآكِلُ، وَالـمَرِيئُ: مَا يُحمَدُ عَاقِبَتُهُ، وَيَنسَاغُ فِي مَجرَاهُ، يَعنِي: التَّامُّ الهَضمِ، الَّذِي لَا يَضُرُّ وَلَا يُؤذِي، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَا حَالاً مِنَ الضَّمِيرِ الـمَفعُولِ[٦].

وَفِي كِتَابِ العَيَّاشِي[٧] مَرفُوعَاً إِلَى أَمِيرِ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام: أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَيهِ فَقَالَ: يَا

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٧٢.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٠١، تفسير الرازي: ٩/ ١٨١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٧٢.
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٠٠.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٧١.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٧٢، تفسير الرازي: ٩/ ١٨٢، تاج العروس، الزبيدي، مادة (مرأ) ١/ ٢٤٨.
(٧) تفسير العياشي: ١/٢١٨ح ١٥، مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٤٠٧، بحار الأنوار، المجلسي: ٦٣/ ٢٨٩ح ١.

أَمِيرُ الـمُؤمِنِينَ، بِي وَجَعٌ فِي بَطنِي، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام: (أَلَكَ زَوجَةٌ؟) قَالَ: نَعَم، قَالَ: (استَوهِب مِنهَا شَيئاً طَيِّبَةٌ بِهِ نَفسُهَا مِن مَالِهَا، ثُمَّ اشتَرِ بِهِ عَسَلاً، ثُمَّ اسكُب عَلَيهِ مِن مَاءِ السَّمَاءِ، ثُمَّ اشرَبهُ، فَإِنِّي سَمِعتُ اللهَ سُبحَانَهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً**﴾ [1] وَقَالَ: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾ [2] وَقَالَ: ﴿**فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً**﴾ شُفِيتَ إِن شَاءَ اللهُ) قَالَ: فَفَعَلَ ذَلِكَ فَشُفِيَ.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ (٥)

السَّفِيهُ [3]: هُوَ مَن يُنفِقُ مَالَهُ فِيمَا لَا يَنبَغِي قِيَامُ الشَّيءِ وَقِوَامُهُ قِيمَةٌ وَاحِدَةٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ (١٠)

رُوِي عَن البَاقِرِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يُبعَثُ أُنَاسٌ مِن قُبُورِهِم يَومَ القِيَامَةِ تَأَجَّجُ أَفوَاهُهُم نَاراً) فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَن هَؤلَاءِ؟ فَقَرَأ صلى الله عليه وآله قَولَهُ تَعَالَى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتَامَى ظُلْماً**﴾ أَي ظَالِمِينَ، أَو: عَلَى وَجهِ الظُّلمِ بِهَا، وَيَأخُذُونَ ظُلماً بِغَيرِ الحَقِّ مِن أَولِيَاءِ السُّوءِ القَضَاءَ: ﴿**إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ أَي: مِلأَ بُطُونَهُم نَاراً.

---

(١) ق: ٩.

(٢) النحل: ٦٩.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (سفه) ٦/ ٢٢٣٤.

وَمعنى يَأْكُلُونَ نَاراً: يَأْكُلُونَ مَا يَجُرُّ بِهِم إِلَى النَّارِ، مَكَانُهُ نَارٌ فِي الحَقِيقَةِ (١).

وَرُوِي: أَنَّ النَّار تَلتَهِب مِن أَفوَاهِهِم وَأَسمَاعِهِم وَآنَافِهُم يَومَ القِيَامَةِ، لِيَعلَمَ أَهلُ الـمَوقِفِ أَنَّهُم أَكَلَةُ أَموَالِ اليَتَامَى (٢).

وَيَعضِدُهُ مَا ذُكِرَ عَن البَاقِرِ عليه السلام ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ أَي: سَيُلزَمُونَ النَّارَ الـمُسَعَّرَةِ لِلإِحرَاقِ (٣).

يُقَالُ: صَلَى النَّارَ صِلِيّاً، وَأَصلاهُ اللهُ النَّارَ سَعِيراً، أَي: نَاراً مُسَعَّرَةً، وَالسَّعِيرُ - عَلَى الوَزنِ - فَعِيلٌ، بِمَعنَى مَفعُولٌ، مِن سَعَّرتُ النَّارَ، إِذَا أَلهَبتُهَا (٤).

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (١٢)

الكَلَالَةُ: الـمَيِّتُ، وَقِيلَ: مَا لَهُ مِنهُ خَلَفٌ (٥).

وَمَا رُوِي عَن أَئمَّتِنَا عليهم السلام: أَنَّهَا يُطلَقُ عَلَى الإِخوَةِ وَالأَخَوَاتِ (٦).

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٧٦، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥١٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٦، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٣٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٦، مقتنيات الدرر، الحائري: ٣/ ٥٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٥٣، تفسير أبي السعود: ٢/ ١٤٨.

(٥) جامع البيان، الطبري: ٤/ ٣٨٠، معاني القرآن، النحاس: ٢/ ٣٤.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٧٩.

وَتَكَلَّلَهُ كَالإِكلِيلِ الَّذِي يُحِيطُ بِالرَّأسِ، وَيَشتَمِلُ عَلَيهِ؛ لأَنَّ الكَلاَلَةَ فِي الأَصلِ مَصدَرٌ يُطلَقُ عَلَى مَن لَيسَ بَوَلَدٍ وَلاَ وَالِدٍ، وَعَلَى مَن لَم يُخَلِّف وَلَداً وَلاَ وَالِداً [١].

يُقَالُ: فَلاَنٌ مِن قَرَابَتِي؛ أَي: مِن ذَوِي قَرَابَتِي [٢].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (١٧)

وَفِي كِتَابِ مَن لَا يَحضَرَهُ الفَقِيهُ عَن ابنِ عَبَّاس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي آخِرِ خُطبَةٍ خَطَبَهَا: (مَن تَابَ قَبلَ مَوتِهِ بِسَنَةٍ تَابَ اللهُ عليه، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ، مَن تَابَ قَبلَ مَوتِهِ بِشَهرٍ تَابَ اللهُ عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّهرَ لَكَثِيرٌ، مَن تَابَ قَبلَ مَوتِهِ بِجُمعَةٍ قَبِلَ اللهُ تَوبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الجُمعَةَ لَكَثِيرٌ، مَن تَابَ قَبلَ مَوتِهِ بِيَومٍ قَبِلَ اللهُ تَوبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ يَوماً لَكَثِيرٌ، مَن تَابَ قَبلَ مَوتِهِ بِسَاعَةٍ تَابَ اللهُ عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله: إِنَّ السَّاعَةَ لَكَثِيرَةٌ، مَن تَابَ وَقَد بَلَغَت نَفسُهُ هَذِهِ، وَأَهوَى بِيَدِهِ إِلَى حَلقِهِ، تَابَ اللهُ عَلَيهِ)[٣].

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله: (لَـمَّا هَبَطَ إِبلِيسُ، قَالَ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ وَعَظَمَتِكَ، لَا أُفَارِقُ ابْنَ آدَمَ حَتَّى تُفَارِقَ رُوحُهُ جَسَدَهُ، فَقَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي، لَا أَحجُبُ التَّوبَةَ عَن عَبدِي حَتَّى يُغَرغِرَ بِهَا) [٤].

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: يَقبَلُ تَوبَتَهُم: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمَاً حَكِيمَاً﴾.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٧٩، تفسير ابن كثير: ١/ ٤٧٠.
(٢) تفسير الرازي: ٩/ ٢٢٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ١٣٣ح ٣٥١، وليس فيه: عن ابن عباس.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ١٤٧، الكشف والبيان، الثعلبي: ٣/ ٢٧٤.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ أَي: أَسبَابُ الـمَوتِ؛ وَهي حَالٌ لليَأسِ الَّتِي لَا يَعلَمُهَا إِلَّا الـمُحتَضِر [١].

﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ أَي: فَلَيسَ عِندَ ذَلِكَ تَوبَةٌ [٢].

﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وَالإِعتِدَادُ: التَّهيِئَةُ، مِنَ العَتَادِ؛ وَهوَ العُدَّة، وَقِيلَ: أَصلُهُ: أَعدَدنَا، فَأُبدِلَت الدَّالُ الأُولَى تَاءً [٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٩﴾

العَضَلُ: الحَبسُ وَالتَّضيِيقُ [٤] ومنه قوله تعالى: **﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾**.

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (إِذَا قَالَتِ الـمَرأَةُ لِزَوجِهَا: لَا أَغْتَسِلُ لَكَ مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَا أُبِرُّ لَكَ قَسَماً، وَلَأُوطِئَنَّ فِرَاشَكَ مَنْ تَكرَهُهُ، فَإِذَا قَالَت لَهُ هَذَا، حَلَّ لَهُ أَن يَخلَعَهَا، وَحَلَّ لَهُ مَا أَخَذَ مِنهَا) [٥].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٣٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ١٦.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٦٢.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٢٢، الصحاح، الجوهري، مادة (عضل) ٥/ ١٧٦٦.

(٥) دعائم الإسلام، القاضي النعمان: ٢/ ٢٦٩ح ١٠١٣.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (٢٠)

البُهتَانُ: الكَذِبُ الَّذِي يَبهَتُ الـمَكذُوبِ عَلَيهِ [١].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (٢١)

الفَضَاءُ: السِّعَةُ [٢].

قَالَ الشَّاعِرُ [٣]:

وَلَاعَيبَ مِنهُمُ غَيرَ أَنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِـرَاعِ الكَتَائِبِ

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (٢٢)

الـمَقتُ: البُغضُ، وَالـمَقتِيُّ: وَلَدُ الرَّجُلِ مِن زَوجَةِ أَبِيهِ [٤] وَهَذَا: ﴿**كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً**﴾ أَي: لَيسَ طَرِيقُ ذَلِكَ النِّكَاح الَّذِي يُورِّثُ هَذَا الوَلَد، وَهَذَا مِن سُنَنِ الجَاهِلِيِّن.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٣٠، البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي:٣/ ٢١٦.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص: ٢/ ١٤٠،تاج العروس،الزبيدي، مادة (فضو) ٢٠/ ٥١.

(٣) الشاهد للنابغة، ديوانه: ٦٠، العين، الفراهيدي، مادة (فلل) ٨/ ٣١٦.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٦٤، كنز الدقائق، المشهدي: ٣/ ٣٦٢.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٥)

الإِحصَانُ: العِفَّةُ، وَتَحِصِينُ النَّفسِ عَن وُقُوعِ الشَّيء [١].

العَنَتُ: فِي الأَصلِ؛ إِنكِسَارُ العَظمِ بَعدَ الجَبرِ، فَاستُعِيرَ لِكُلِ مَشَقَّةٍ وَضَرَرٍ [٢] وَمِنهُ قَولُهَ تَعَالَى: ﴿**ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ**﴾.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١)

رُوِي: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِإبنِ عبَّاس: الكَبَائِرُ سَبعٌ؟ فَقَالَ: هِي إِلَى سَبعُمَائةٍ أَقرَبُ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا صَغِيرَةَ مَعَ الإِصرَارِ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الإِستِغفَارِ [٣].

وَقَولُ مُجَاهِد [٤] وَسَعِيدُ بِن جُبَيرٍ [٥]: كُلُّ مَا وَعَدَ اللهُ عَلَيهِ بِالعِقَابِ فِي العُقبَى، وَمَا

(١) تفسير الرازي: ١٠/ ٥٩، الصحاح، الجوهري، مادة (حصن) ٥/ ٢١٠١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٩٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٩٣، جامع البيان، الطبري: ٥/ ٥٩.

(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، تابعي، مفسر مشهور، نزل الكوفة، توفي سنة ١٠٢ هـ، ينظر: التاريخ الكبير، البخاري: ٧/ ٤١١، الثقات، ابن حبان: ٥/ ٤١٩.

(٥) أبو محمد، كوفي، تابعي، نزل مكة، روى عن السجاد والباقر عليهما السلام روي مدحه عن السجاد عليه السلام قتله الحجاج في قصة معروفة، ينظر: الرجال، الطوسي: ١١٤، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ١٥٧.

أَوجَبَ عَلَيهِ حَدّاً في الدُّنيَا، فَهوَ كَبِيرَةٌ [١].

وَقَالَ ابنُ عَبَّاس: كُلُّ مَا نَهَى عَنهُ كَبِيرٌ [٢].

وَقَالَ أَصحَابُنَا: الـمَعَاصِي كُلُّهَا كَبَائِرٌ [٣] مِن حَيثُ كَانَت قَبَائِحَ، لَكِنَ بَعضُهَا أَكبَرُ مِن بَعضٍ.

وَأَمَّا الكَبَائِرُ الـمُوبِقَةُ، عَلَى مَا وَرَدَت بِهِ الرِّوَايَاتُ، وَقَامَت عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُنَّ الآيَاتُ: الشِّركُ بِاللَّـهِ، ثُمَّ اليَأسُ مِن رَوحِ اللَّـهِ، ثُمَّ الأَمنُ مِن مَكرِ اللَّـهِ.

وَمِنهَا: عُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ ظُلـماً، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ.

وَمِنهَا: أَكلُ الرِّبَا، وَمِنهَا: السِّحرُ، وَمِنهَا الزِّنَا، وَمِنهَا: مَنعُ الزَّكَاةِ الـمَفرُوضَةِ، وَمِنهَا: الشَّهَادَةُ الزُّورِ، وَكِتمَانُ الشَّهَادَةِ، وَمِنهَا: اليَمِينُ الغَمُوسُ، وَمِنهَا: الغُلُولُ، وَمِنهَا: تَركُ الصَّلَاةِ مُتَعَمِداً، أَو شَيئاً مِمَّا فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنهَا: نَقضُ العَهدِ، وَمِنهَا: قَطِيعَةُ الرَّحِمِ.

وَفِي الحَدِيثِ: (الكَبَائِرُ سَبعٌ؛ أَعظَمَهُنَّ الإِشرَاكُ بِاللَّـهِ، وَقَتلُ النَّفسِ الـمُؤمِنَةِ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَقَذفُ الـمُحصَنَةِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَالفَرَارُ مِنَ الزَّحفِ، فَمَن لَقَي اللهَ سُبحَانَهُ وَهوَ بَرِيءٌ مِنهُنَّ كَانَ مَعِي فِي بُحبُوحَةِ جَنَّةٍ مَصَارِيعُهَا مِن ذَهَبٍ) [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٩٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٩٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ١٥٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ١٥، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٥/ ٣٣٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٧٢، وروي أيضاً أنهنَّ تسع.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ (٣٤)

القُنُوتُ: دَوَامُ الطَّاعَةِ [١].

أَصلُ **النُّشُوزِ**: الإنزِعَاجُ وَالتَّرَفُّعُ عَلَى الزَّوجِ [٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ**﴾ أَي: عِصيَانَهُنَّ: ﴿**فَعِظُوهُنَّ**﴾ أَي: بِالقَولِ أَوَّلاً: ﴿**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾ وَالمَرَاقِدِ ثَانِياً، وَهِي كِنَايَةٌ عَن الجُمَاعِ: ﴿**وَاضْرِبُوهُنَّ**﴾ إِن لَم يَنجَعُ فِيهِنَّ الوَعظُ [٣].

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ (٣٦)

قَولُهُ: ﴿**الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى**﴾ الَّذِي جِوَارُهُ قَرِيبٌ، بِخِلَافِ: ﴿**الْجَارِ الْجُنُبِ**﴾ [٤].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ١٨٩، تفسير الرازي: ١٠/ ٨٨.
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٩٣، غريب القرآن، الطريحي: ٢٩٥.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٩٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٩٧، زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٦٢.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ ﴿٤٠﴾

الذَّرَّةُ: النَّملَةُ الصَّغِيرَةُ[١].

وَقِيلَ: كُلُّ جُزءٍ مِن أَجزَاءِ الهَوَاءِ فِي الكُوَّةِ مِن أَثَرِ الشَّمسِ ذَرَّةٌ[٢].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً﴾ ﴿٤٣﴾

رُوِيَ عَن البَاقِرِ عليه السلام: (لَا تَقربُوا الصَّلاةَ وَعَلَيكُم سُكرَ النَّومِ، وَغَلَبَةَ النُّعَاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾**)[٣] أَي: فِيهَا.

اللَّمسُ: الجُمَاعُ[٤] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: **﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾** وَكَذَا الـمُلَامَسَةُ، وَهَذَا فِي قَولِ ابنُ عبَّاس[٥].

الغَائِطُ: الـمُطمَئِنُّ مِنَ الأَرضِ[٦] وَكَانُوا يَبرُزُونَ هُنَاكَ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى كَنُّوا بِالغَائِطِ عَن الحَدَثِ[٧].

(١) معاني القرآن، النحاس: ٢/ ٨٧، تفسير غريب القرآن، الطريحي: ٢٤٢.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٠٦.
(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٤٢ح ١٣٧، بتفاوت.
(٤) وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، تفسير العياشي: ١/ ٢٤٣ح ١٤٠.
(٥) جامع البيان، الطبري: ٥/ ١٤٣.
(٦) الصحاح، الجوهري، مادة (غوط) ٣/ ١١٤٧.
(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٠٢.

قَالَ الزَّجَّاجُ[١]: الصَّعِيدُ؛ وَجهُ الأَرضِ تُرَابَاً كَانَ أَو غَيرُهُ، وَإِن كَانَ صَخرَاً لَا تُرَابَ عَلَيهِ[٢].

لَو ضَرَبَ الـمُتَيَمِّمُ يَدَهُ عَلَيهِ لَكَانَ ذَلِكَ طَهُورَهُ[٣] وَهوَ مَرويٌّ عَن مَوَالِينَا عليهم السلام[٤] وَذَهَبَ إِلَيهِ أَبُو حَنِيفَة.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ ﴿٤٧﴾

الطَّمسُ: التَّغيِّيرُ[٥].

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ ﴿٥٣﴾

النَّقِيرُ: هُوَ النُّقرَةُ فِي ظَهرِ النَوَاةِ[٦].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: **﴿فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾** أَي: لَا يُعطُونَ أَحدَاً مِقدَارَ نَقِيرٍ[٧].

---

(١) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، نحوي أديب، تلميذ المبرد وثعلب، كان يخرط الزجاج فسمِّي به، له كتب من أشهرها: معاني القرآن، والأمالي، توفي سنة ٣١١هـ، ينظر: الفهرست، ابن النديم: ٦٦، الكنى والألقاب، القمي: ٢/ ٢٩٣.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٢٠٧، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٠٢.
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٤٧.
(٤) تفسير العياشي: ١/ ٢٤٤ح١٤٣، ٣٠٢ح ٦٣.
(٥) العين، الفراهيدي، مادة (طمس) ٧/ ٢٢١.
(٦) الصحاح، الجوهري، مادة (نقر) ٢/ ٨٣٥، وقيل: هو النقطة التي في ظهر النواة، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٢٢٧.
(٧) تفسير السمرقندي: ١/ ٣٣٥.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ ﴿٥٧﴾

الظَّلِيلُ: لَفظٌ اشتُقَ مِنَ الظِّلِّ لتَأكِيدِ مَعناهُ [١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ ﴿٦١﴾

سَمَّى اللهُ تَعَالَى كَعبَ بنِ الأَشرَف [٢] ـ وَهوَ مِنَ الـمُشرِكِينَ ـ طَاغُوتاً؛ لِفَرطِ طُغيَانِهِ، وَفِي عَدَاوَةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَو عَلَى التَّشبِيهِ بِالشَّيطَانِ [٣].

الصُّدُودُ عَنِ الشَّيءِ: الإِعرَاضُ عَنهُ، وَهوَ مَصدَرٌ، أَو اسمٌ لَهُ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**رَأَيْتَ الْـمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً**﴾ أَي: يُعرِضُونَ عَنكَ إِعرَاضاً [٤].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ ﴿٦٣﴾

وَقِيلَ لَهُم: ﴿**قَوْلاً بَلِيغاً**﴾.

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٥٥.
(٢) شاعر جاهلي، طائي من بني نبهان، أمه يهودية فساد بذلك عليهم، أدرك الإسلام، وكان يهجو النبي ﷺ وكان يحرض قريش عليه، فندب الرسول ﷺ خمسة من أصحابه له فقتلوه في حصنه بالمدينة سنة ٣ هـ، ينظر: العلام، الزركلي: ٥/ ٢٢٥.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤١٢.
(٤) تفسير السمرقندي: ٢/ ١٩٥.

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (٦٥)

يُقَالُ: شَجَرَ الأَمرُ إِذَا اختلَطَ، وَمِنهُ الشَّجَرُ؛ لِتَدَاخُلِ أَجزَائِهِ [١] وَقَولُهُ تَعَالَ: ﴿**فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ أَي: اختَلَفَ بَينَهُم [٢].

يُقَالُ: سَلَّمَ لِأَمرِ اللهُ، وَأَسلَمَ لَهُ بِمَعنَىً [٣].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤمِنُ عَبدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبُّ إِلَيهِ مِن نَفسِهِ، وأَبَوَيهِ، وَأَهلِهِ، وَمَالِهِ، وَوُلدِهِ، وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ) [٤].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾ (٧١)

الحَذَرُ وَالحِذَرُ بِمَعنَى [٥].

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾ (٧٢)

الـمُبطِّئ: الـمُنَافِقُ [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤١٣.
(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢١١.
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٦١.
(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٧٧، صحيح البخاري: ١/ ٩، صحيح مسلم: ١/ ٤٩.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤١٦.
(٦) تفسير الرازي: ١٠/ ١٧٨.

وَقولُهُ تعَالَى: ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ أَي: لَيَتَثَاقَلنَ وَليَتَخَلَّفنَ عَن الجِهَادِ، وَبَطَّأَ بِمَعنَى: أَبطَأَ وَهوَ لَازِمٌ، يُقَالُ: بَطَا بِكَ يُعَدَّ بِالبَاءِ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مَنقُولاً، مِن بَطُؤ كَثَقُلَ مِن ثَقِلَ، فَيَكُونُ الـمَعنَى: لَيُبَطِئَنَّ غَيرَهُ، وَلَيُثَبِطَنَّهُ عَنِ الغَزوِ، فَالـمُبطِّئ الـمُختَلِفُ الشَّامِتُ[1].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥)

إِعلَم: إِنَّ إِسمَ الفَاعِلِ وَالـمَفعُولِ إِذَا جَرَى عَلَى غَيرِ مَن هُوَ لَهُ كَانَ كَالفِعلِ، يُذَكَّرُ وَيُؤنَّث عَلَى حَسَبِ مَا عَمِلَ فِيهِ؛ أَي: عَلَى حَسَبِ عَامِلِهِ، أَي: فِعلَهُ، فَعَلَى هَذَا قولُهُ تَعالَى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ فَذَكَرَ الظَّالِمِ وَإِن كَانَ وَصفاً لِلقَريَةِ لِـمَا مَرَّ[2].

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٨١)

التَّبييتُ: إِمَّا مِنَ البَيْتُوتَةِ؛ لأَنَّهَا تَدبِيرٌ بِاللَّيلِ، يُقَالُ: هَذَا أَمرٌ بُيِّتَ بِاللَّيلِ، وَإِمَّا مِن أَبيَاتِ الشِّعرِ؛ لأَنَّ الشَّاعِرُ يُدَبِّرُهَا وَيُسَوِّيهَا[3].

وَالتَّدبِيرُ: النَّظَرُ فِي أَدبَارِ الأُمُورِ وَتَامُّلِهَا، ثُمَّ يُستَعمَلُ فِي كُلِّ تَأَمُّلٍ، وَمَعنَى تَدَبَّرِ القُرآنَ: تَأَمَّلَ مَعَانِيهِ[4].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ١٠٣، تفسير البيضاوي: ٢/ ٢١٦.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٢٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٢١.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٢٢.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾

الإِذَاعَةُ في الأَصلِ: التَّفرِيقُ [١].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَذاعُوا بِهِ**﴾ أَي: أَفشَوهُ مِن غَيرِ أَن يَعلَمُوا صِحَّتَهُ، وَكَانَت إِذَاعَتَهُم مَفسَدَةٌ [٢].

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ ﴿٨٥﴾

الكِفلُ: النَّصِيبُ [٣] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها**﴾.

المَقِيتُ: الحَفِيظُ الَّذِي يُعطِي الشَّيءَ عَلَى قَدرِ الحَاجَةِ [٤] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً**﴾ وَقِيلَ: المُقتَدِرُ [٥].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٢٧٢.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ١١٤.

(٣) معاني القرآن، النحاس: ٢/ ١٤٦، جامع البيان، الطبري: ٥/ ٢٥٥.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قوت) ٢/ ٧٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ١١٨.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦)

قَالَ أَبُو عَبدِ اللَّهِ عليه السلام: (مَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُم، كُتِبَت لَهُ عَشرُ حَسَنَاتٍ، وَمَن قَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُم وَرَحمَةُ اللَّهِ، كُتِبَت لَهُ عِشرُون حَسَنَةً، وَمَن قَالَ: سَلَامٌ عَلَيكُم وَرَحمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، كُتِبَت لَهُ ثَلَاثُون حَسَنَةً)[١].

وهَذَا كُلُّهُ الجَوَاب، وَإِذَا أَردتَّ أَن تُسلِّمَ، فَقُل: السَّلَامُ عَلَيكُم، وَأَن تُزِيدَ: وَرَحمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه، إِذَا قَالَ لَكَ: السَلَامُ عَلَيكُم وَرَحمَةُ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾.

وَمَعنَى قَولُهُ: ﴿**أَوْ رُدُّوهَا**﴾ أَي: أَجِيبُوهَا بِمِثلِهَا، وَرَدُّ السَّلَامِ وَرَجعُهُ جَوَابُهُ بِمِثلِهِ[٢] وَجَوَابُ التَّسلِيمَةِ وَاجِبٌ، وَالتَّخيِيرُ إِنَّمَا وَقَعَ بَينَ الزِّيَادَةِ وَتَركِهَا[٣].

فَأَمَرَ سُبحَانَهُ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَى الـمُسلِمِ بِأَحسَنَ مِمَّا سَلَّمَ؛ وَهوَ أَن يَقُولَ: وَعَلَيكُم السَّلَامُ وَرَحمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فِي جَوَابِ السَّلَامُ عَلَيكُم[٤].

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٨٨)

أَركَسَهُ بِهِ: رَدَّهُ إِلَى حُكمِهِ، وَالإِركَاسُ: الرَّدُّ[٥] وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا**﴾ أَي: أَركَسَهُم بِالكُفرِ بِمَا خَذَلَهُم، حَتَّى ارتَكَسُوا فِيهِ لِـمَا عَلِمَ مِن مَرَضِ قُلُوبِهِم[٦].

(١) لم يرد هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام بل ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله المعجم الكبير، الطبراني: ١٩/ ٢٥٩، مجمع الزوائد، الهيثمي: ٨/ ٣١.
(٢) في المصدر بعد هذا: (لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب...).
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٧٥.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٢٤.
(٥) العين، الفراهيدي، مادة (ركس) ٥/ ٣١٠.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٢٥.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ (٩٠)

الحَصرُ: هُوَ الضِيقُ وَالإِنقِبَاض، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ**﴾[(١)].

وَفي الحَدِيثِ: (كُلُّ مَعرُوفٍ صَدَقَةٌ)[(٢)].

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (٩٣)

قَالَ بَعضُ أَصحَابِنَا ـ رِضوَانُ اللَّهِ عَلَيهِم: وَقَاتِلُ الـمُؤمِنِ لَا يُوَفَّقُ لِلتَوبَةِ؛ عَلَى مَعنَى: أَنَّهُ لَا يَختَارُ التَّوبَةَ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾[(٣)].

وَالآيَةُ نَزَلَت فِي مَقِيس بن صَبَابَة الكِنَانِيّ[(٤)] وَجَدَ أَخَاهُ هِشَاماً قَتِيلاً فِي بَنِي النَّجَارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرسَلَ مَعَهُ قَيس بن هِلَال الفِهرِيُّ، وَقَالَ لَهُ:

(قُل لِبَنِي النَّجَارِ: إِن عَلِمتُم قَاتِلَ هِشَام، فَادفَعُوهُ إِلَى أَخِيهِ لِيَقتَصَّ مِنهُ، وَإِن لَم

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٢٣٦، تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٣٣.

(٢) الكافي، الكليني: ٤/ ٢٦ ح١، من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٢/ ٥٥ح١٦٨٢، مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ٣٤٤، سنن أبي داود: ٢/ ٤٦٦ح٦٨، السنن الكبرى، البيهقي: ٤/ ١٨٨.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٢٩.

(٤) ابن حزن بن يسار القرشي، شاعر جاهلي كناني، أقام بمكة، وهو ممن حرم على نفسه الخمرة، شهد بدراً مع المشركين، ثم أسلم وارتد فأهدر الرسول ﷺ دمه يوم فتح مكة فقتل بين الصفا والمروة، ينظر: الأعلام، الزركلي: ٧/ ٢٨٣.

تَعلَمُوا فَادفَعُوا إِلَيهِ دِيَتَهُ) فَبَلَّغَ الفِهرِيُّ الرِّسَالَةَ، فَأَعطَوهُ الدِيَةَ.

فَلَمَّا انصَرَفَ وَمَعَهُ الفِهرِيُّ، وَسوَسَ إِلَيهِ الشَّيطَانُ، فَقَالَ: مَا صَنَعتَ شَيئًا، أَخَذتَ دِيَةَ أَخِيكَ، فَيَكُونُ سُبَّةً عَلَيكَ، أُقتُلِ الَّذِي مَعَكَ لِتَكُونَ نَفسٌ بِنَفسٍ، وَالدِيَةُ فَضلٌ لَكَ، فَرَمَاهُ بِصَخرَةٍ فَقَتَلَهُ، وَرَكِبَ بَعِيرًا وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ كَافِرًا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا أُؤمِنُهُ فِي حِلٍّ، وَلَا حَرَمٍ).

فَقُتِلَ يَومَ الفَتحِ، رَوَاهُ الضَّحَاكُ [١] وَجَمَاعَةٌ مِنَ الـمُفَسِّرِينَ [٢].

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ مِنَ التَّهدِيدِ وَالوَعِيدِ إِصرٌ عَظِيمٌ.

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام إِنَّ مَعنَى: (الـمُتَعَمِّدُ: أَن يَقتُلَهُ عَلَى دِينِهِ) [٣].

وَعَن عِكرِمَةَ [٤] وَجَمَاعَةٍ: هُوَ أَن يَقتُلَهُ مُستَحِلًّا لِقَتلِهِ [٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٩٤)

ضَرَبَ فِي الأَرضِ: سَارَ فِيهَا [٦].

---

(١) هو الأحنف بن قيس، أبو بحر، من التابعين، وقيل له صحبة، توفي سنة ٦٩هـ، ينظر: الكنى والألقاب، القمي: ٢/ ١٢، التاريخ الكبير، البخاري: ٤/ ٣٣٢ ز

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٥٩.

(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٦٧ ح ٢٣٦ عنه مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٥٩.

(٤) ابن عبد الله البربري، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، تابعي، أحد أعلام التفسير والمغازي، مات على غير الولاية، ينظر: خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٣٨٣، طرائف المقال، البروجردي: ٢/ ٣٢، تقريب التهذيب، ابن حجر: ١/ ٦٨٥.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٢٩.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ضرب) ١/ ٥٤٤.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (٩٨)

إِعلَم: أَنَّ قول الشَّاعِر: وَلَقَد أَمُرُّ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنِي [١].

الأَلِفُ وَاللَّامُ فِيهِ لَيسَ لِشَيءٍ بِعَينِهِ، وَالجُملَةُ الفِعلِيَّةُ صِفَةً لَهُ، وَلِهَذَا الإتِّصَافُ بِهِ، فَعَلَى هَذَا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾.

قَولُهُ: ﴿**لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً**﴾ صِفَةٌ لِلمُستَضعَفِينَ، أَو لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوُلدَانِ، وَجَازَ ذَلِكَ وَإِن كَانَت الجُمَلُ يَجِبُ كَونُهَا نَكِرَاتٌ؛ لأَنَّ المَوصُوفُ وَإِن كَانَ فِيهِ حَرفُ التَّعرِيفِ فَلَيسَ بِشَيءٍ[٢] كَقَولِ الشَّاعِرِ:

وَلَقَد أَمُرُّ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنِي [٣].

وَفِي الحَدِيثِ: (مَن فَرَّ بِدِينِهِ مِن أَرضٍ إِلَى أَرضٍ - وَإِن كَانَ شِبرَاً مِنَ الأَرضِ - استَوجَبَ الجَنَّةَ، وَكَانَ رَفِيقَ إِبرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِمَا وَآلِهِمَا) [٤].

---

(١) صدر بيت عجزه: (فأجوزُ ثم أقولُ لا يعنيني) وهو دون نسبة في التذكرة الحمدونية، ابن حمدون: ٢/ ١٢٣.

(٢) البحر المحيط، أبي حيان: ٣/ ٣٤٩.

(٣) مضى توثيق الشاهد في الصفحة السابقة.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٧٢ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١٩/ ٣١.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (١٠٠)

يُقَالُ: يُرَاغِمُ بِسُلوكِهِ قَومَهُ؛ أَي: يُفَارِقَهُم عَلَى رُغمِ أُنُوفَهُم، وَالرُّغمُ: الذُّلَّ وَالهَوَانُ، وأَصلُهُ لُصُوقُ الأَنفِ بِالرُّغَامِ؛ وَهوَ: التُّرَابُ[١].

وَالـمُرَاغَمُ: الـمُضطَرِبُ فِي البِلَادِ[٢].

إِعلَم: أَنَّ كُلَّ هِجرَةٍ لِغَرَضٍ دِينِيٍّ؛ مِن طَلَبِ عِلمٍ، أَو حَجٍّ، أَو جِهَادٍ، أَو فَرَارٍ مِن بَلَدٍ يَزدَادُ فِيهِ طَاعَةً، أَو قَنَاعَةً، وَزُهداً فِي الدُّنيَا، فَهيَ هِجرَةٌ إِلى اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولَهُ[٣] وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْـمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾**.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ (١٠١)

ضَرَبَ فِي الأَرضِ: سَارَ فِيهَا[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٣٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٣٠٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٩٠.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ضرب) ١/ ٥٤٤، مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ١٠٦.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٠٢)

الحَذَرُ: التَّحَرُّزُ [١].

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (١٠٧)

الخَوَّانُ: كَثِيرُ الخِيَانَةِ [٢].

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (١١٢)

يُقَالُ: رَامَ يَرِيمُ رَيماً؛ أَي: نَسَبَ.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ أَي: لَا خيرَ في كَثِيرٍ مِن نَجواهُم.

﴿**إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ أَي: لَا خيرَ في كَثِيرٍ مِن

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (حذر) ٢/ ٦٢٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٨٤، تفسير السمعاني: ٣/ ٤٤١.

تَنَاجِي النَّاسِ، إِلَّا نَجوَى مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، عَلَى أَنَّهُ مَجْرُورٌ بَدَلٌ مِن كَثِيرٍ، كَمَا تَقُولُ: لَا خَيرَ فِي قِيَامِهِم إِلَّا قِيَام فُلَانٍ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مَنصُوباً عَلَى الإِستِثنَاءِ الـمُنقَطِعِ؛ أَي: لَكِن مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ فَفِي نَجوَى الخَيرِ وَالـمَعرُوفِ وَالإِصلَاحِ بَينَ النَّاسِ وَالتَّآلُف بَينَهُم بِالـمَودَّةِ[1].

وَعَن أَمِيرِ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام: (إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيكُم زَكَاةَ جَاهِكُم كَمَا فَرَضَ عَلَيكُم زَكَاةَ مَا مَلَكَت أَيدِيكُم)[2].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (١١٥)

وَمَن: ﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ وَهوَ: السَّبِيلُ الَّذِي هُم عَلَيهِ مِنَ الدِّينِ الحَنِيفِيِّ.

﴿**نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ**﴾ أَي: نَجعَلُهُ وَالِيَاً لِـمَا تَولَّى مِنَ الضَّلَالِ؛ بِأَن نَخذِلَهُ، وَنُخلِي بَينَهُ وَبَينَ مَا اختَارَهُ لِنَفسِهِ، ونُلزِمَهُ دُخُولَ جَهَنَّمَ عُقُوبَةً لَهُ عَلَى مَا اختَارَهُ:

﴿**وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ وَمَرجِعَاً[3].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤١.
(٢) تفسير القمي: ١/ ١٥٢، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٨٩.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤١.

﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧﴾

عَن الحَسَنِ [١]: لَمْ يَكُن حَيٌّ مِن أَحياءِ العَرَبِ إِلَّا وَلَهُم صَنَمٌ يَعبُدُونَهُ، يُسَمُّونَهُ أُنثَى بَنِي فُلَانٍ [٢].

وَقِيلَ: كَانُوا يَقُولُونَ فِي أَصنامِهِم: هُنَّ بَنَاتُ اللَّـهِ، تَعَالَى عَن ذَلِكَ [٣].

﴿**وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً**﴾ وَالـمَارِدُ وَالـمَرِيدُ: الَّذِي لَا يَعلِقُ بِخَيرٍ، وَيُقَالُ: ﴿**صَرْحٌ مُمَرَّدٌ**﴾ [٤] وَغُلَامٌ أَمرَدٌ، وَشَجَرَةٌ مَردَاء: الَّتِي تَنَاثَر وَرِقُهَا [٥].

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨﴾

الـمَفرُوضُ: الـمَقطُوعُ [٦].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**نَصِيباً مَفْرُوضاً**﴾ أَي: مَقطُوعَاً وَاجِبَاً، فَرَضتُهُ لِنَفسِي، وَهوَ مِن قَولِهِم: فَرَضَ لَهُ فِي العَطَاءِ، فَكُلُّ مَن أَطَاعَهُ فَهوَ مِن نَصِيبِهِ [٧].

وَفِي الحَدِيثِ: (إِنَّ مِن بَنِي آدَمَ تِسعَةٌ وَتِسعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ) [٨].

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، من أهل البصرة، أحد العلماء والفقهاء، أخباره كثيرة ومعروفة، توفي سنة ١١٠ هـ، ينظر: ميزان الاعتدال، الذهبي: ١/ ٥٢٧، لسان الميزان، ابن حجر: ٧/ ١٩٧.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي: ٢/ ١٩٣، تفسير الرازي: ١١/ ٤٦.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤٢.

(٤) النمل: ٤٤.

(٥) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٥٤.

(٦) كنز الدقائق، المشهدي: ٣/ ٥٤٣.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤٢، غريب القرآن، الطبريحي: ٣٣٧.

(٨) تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٥٠ح ٧٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٩٤عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٩/ ٧٦.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (١١٩)

التَّبتِيكُ: الشَّقُّ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعالَى: ﴿**فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ**﴾ وَهي عِبارَةٌ عَمَّا كَانَت العَرَبُ تَفعَلُهُ بِالبَحائرِ مِن شَقِّ آذنِهَا إِذَا وَلَدَت خَمسَةَ أَبطُنٍ وَالخَامِسُ ذَكَراً[(١)].

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢٠)

يُقَالُ: مَنَّى يُمَنِّي تَمَنِّيَاً، وَمِنهُ: ﴿**وَيُمَنِّيهِمْ**﴾ أَي: يَعِدَهُم.

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (١٢١)

يُقَالُ: حَاصَ يَحِيصُ؛ إِذَا عَدِلَ[(٢)].

وَمِنهُ قَولُهَ تَعَالَى: ﴿**وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً**﴾ أَي: مَعدِلَاً[(٣)].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (١٢٢)

﴿**وَالَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا**﴾ مَصدَرَانِ مُؤَكِّدَانِ:

---

(١) تفسير الرازي: ١١/ ٤٨.

(٢) غريب الحديث، ابن قتيبة: ١/ ٣٤٩، تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٥٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٩٥.

الأَوَّلُ: مُؤكِدٌ لِنفسِهِ؛ لأَنَّ مَضمُونَ الجُملَةِ الإِسمِيَّةِ الَّتي قَبلَهُ وَعدٌ، وَالتَّقدِيرُ: وَعَدَ اللهُ ذَلِكَ وَعداً حَقَّاً [١].

وَالثَّاني: هُوَ مُؤكَّدٌ بِغَيرِهِ، وَالتَّقدِيرُ: أَحُقُّهُ حَقَّاً.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ تَوكِيدٌ آخَرٌ بَلِيغٌ، و: ﴿قِيلاً﴾ نَصبٌ عَلَى التَّمييزِ، وَهوَ استِفهَامٌ فِيهِ مَعنَى النَّفي؛ أَي: لَا أَحدَ أَصدَقُ مِنهُ تَعَالَى فِيمَا وَعَدَ [٢].

وَفي الحَدِيثِ: (أَن تَعبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) [٣].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أَي: اقتَدِ بِدِينِهِ، وَسِيرَتِهِ، وَطَرِيقَتِهِ الـمُوَافِقَةُ لِدِينِ الإِسلَامِ، مَائلاً عَن سَائرِ الأَديَانِ، مُستَقِيماً عَلَى مِنهَاجِ الحَقِّ، وَطَرِيقِ الهُدَى [٤] وَقَولُهُ حَالٌ مِنَ الـمُتَّبِعِ، أَو الـمِلَّةِ، أَو إِبرَاهِيمَ عليه السلام.

وَالخَلِيلُ: الَّذِي يُخَالُّكَ؛ أَي: يُوَافِقُكَ فِي خِلَالِكَ، أَو يُسَايِرُكَ فِي طَرِيقِكَ، مِنَ الخَلِّ؛ وَهوَ الطَّرِيقُ فِي الرَّملِ، أَو يَسُدُّ خَلَلُكَ كَمَا تَسُدُّ خَلَلَهُ [٥].

أَو مُشتَقٌّ مِنَ الخُلَّةِ - بِضَمِّ الخَاءِ - وَهيَ الـمَحَبَّةُ [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤٤، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣/ ٢٨١.

(٣) الأمالي، الطوسي: ٥٢٦ح١١٦٢، مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٤٥٩.

(٤) كنز الدقائق، الكاشاني: ٣/ ٥٤٨.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤٤.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ١٩٩.

رُوِي في تَفسِيرِ عَلِيٍّ بن إبرَاهِيمَ [(١)]: إنَّ إبرَاهِيمَ عليه السلام كَانَ يُضَيِّفُ الضِّيفَانِ، وَيُطعِمُ الـمَسَاكِينَ، وَأَنَّ النَّاسَ أَصَابَهُم جَدبٌ، فَارتَحَلَ إبرَاهِيمُ عليه السلام إِلَى خَلِيلٍ لَهُ بِمِصرَ، فَالتَمَسَ مِنهُ طَعَامَاً لأَهلِهِ، وَلَم يُصِب ذَلِك عِندَهُ.

فَلَمَّا قَرُبَ مِن أَهلِهِ مَرَّ بِمَغَارَةٍ ذَاتِ رَملٍ لَيِّنَةٍ، فَمَلأَ غَرَائِرَهُ [(٢)] مِن ذَلِكَ الرَّملِ، لَئلَّا يَغُمُّ أَهلَهُ بِرُجُوعِهِ مِن غَيرِ مِيرَةٍ، فَحَوَّلَ اللهُ تَعَالَى مَا في غَرَائِرَهُ دَقِيقَاً.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلى أَهلِهِ، دَخَلَ البَيتَ وَنَامَ استِحيَاءً مِنهُم، فَفَتَحُوا الغَرَائِرَ، وَعَجَنُوا مِنَ الدَّقِيقِ وَخَبَزُوا، وَقَدَّمُوا إِلَيهِ طَعَامَا طَيِّبَاً.

فَسَأَلَهُم: مِن أَينَ خَبَزُوا؟ قَالُوا: مِنَ الدَّقِيقِ الَّذِي جِئتَ بِهِ مِن عِندِ خَلِيلِكَ الـمِصرِيُّ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّه خَلِيلِي، وَلَيسَ بِمِصرِيٍّ، فَسَمَّاهُ اللهُ تَعَالَى خَلِيلاً [(٣)].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (١٢٧)

الإِفتَاءُ: التَّبيِّنُ، وَمِنهُ قَولُ اللَّـهِ: ﴿**يُفْتِيكُمْ**﴾ [(٤)].

(١) تفسير القمي: ١/ ١٥٣ عن الإمام الباقر عليه السلام بتفاوت عن رواية الطبرسي.

(٢) وهو الوعاء، العين، الفراهيدي، مادة (غرر) ٤/ ٣٤٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٠١.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (فتى) ٤/ ٤٧٤.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (١٢٨)

الشُّحُّ: إِفرَاطٌ في الحِرصِ عَلَى الشَّيءِ [١].

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (١٢٩)

رُوِي: (أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَت لَهُ امرَأَتانِ، وَكَانَ إِذَا كَانَ يَومُ وَاحِدَةٍ لَا يَتَوَضَأ في بَيتِ الأُخرى) [٢].

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ تُصْلِحُوا**﴾ أَي: في القِسمَةِ وَالتَّسويَةِ بَينَ النِّسَاءِ [٣]:

﴿**وَتَتَّقُوا**﴾ **فِي أَمرِهِنَّ**: ﴿**فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ (١٣٠)

السِّعَةُ، وَالـمَقدِرَةُ وَالغِنَى بِمَعنَىً.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٣٧٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٠٨، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢١/ ٣٤٣ ح ٢٥٢٧١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٤٧.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٠)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ**﴾ أَي: في القُرآنِ: ﴿**أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ**﴾ أَن هِي مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالـمَعنَى: أَنَّهُ إِذَا سَمِعتُم [(١)].

وَإِنَّمَا قِيلَ لِلقُرآنِ: التَّنزِيلُ؛ لأَنَّهُ نَزَلَ مُفَرَّقاً مُنَجَّماً في نَيِّفٍ وَعِشرِينَ سَنَةٍ [(٢)].

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٤١)

الإِستِحوَاذُ: الإِستِيلَاءُ [(٣)].

وَمِنهُ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿**قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ**﴾ أَي: قَالَ الـمُنَافِقُونَ لِلكَافِرِينَ: أَلَم نَغلِبكُم وَنَتَمَكَّنَ مِن قَتلِكُم، فَأَبقَينَا عَلَيكُم، وَكَانَ القِيَاسُ أَن يُقَالَ: استَحَاذَ يَستَحِيذُ استِحَاذَةً، فَجَاءت عَلَى الأَصلِ [(٤)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٥٢.

(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٧١، عنه تفسير الرازي: ١١/ ٧٧.

(٣) تفسير السمعاني: ١/ ٤٩٣.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٦٩.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (١٤٢)

﴿كُسَالَى﴾: الـمُتَثَاقِلُ [١].

الـمُرَاءاةُ: مُفَاعَلَةٌ مِن الرُؤيَةِ، كَانَ الـمُرَائي يُرِي النَّاسَ عَمَلَهُ، وُهُم يُرُونَهُ استِحسَانُهُ، وَكَذَا يُستَعمَلُ مِن بَابِ التَّفعِيلِ، كَما يُقَالُ: نِعمَةٌ وَنَاعِمَةٌ [٢].

﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَـؤُلَاءِ وَلا إِلَى هَـؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (١٤٣)

الـمُذَبذِبُ: الـمُتَرَدِّدُ، وَأَصلُ الذَّبِّ: الطَّردُ [٣].

وَفي الحَدِيثِ: (قُولُوا في الفَاسِقِ مَا فِيهِ؛ كَي يَحذَرَهُ النَّاسُ) [٤].

وَ: (لَا غِيبَةَ لِفَاسِقٍ) [٥].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (١٥٢)

إِعلَم: إِنَّ الأَحَدُ اسمٌ عَامٌّ، يَشتَمِلُ فِي الوَاحِدِ الـمُذَكَّرِ وَالـمُؤنَّثُ، وَتَثنِيَتِهَا وَجَمعِهَا، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**﴾ الـمَعنَى: لَم يُفَرِّقُوا اثنَينِ مِنهُم، أَو بَينَ جَمَاعَةٍ، فَهوَ يَقتَضِي مُتَعَدِّدٌ لِعمُومِه [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٢١.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٧٤.
(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (ذبب) ٢/ ٣٤٩.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٤٩.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٢٤.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٥٧.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾ (١٥٦)

رُوِي: أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ اليَهُودِ سَبُّوا عِيسَى بن مَريَم عليه السلام مَعَ أُمِّهِ؛ بِأَن قَال بَعْضُهُمْ: قَدْ جَاءَكُمْ السَّاحِرُ ابْنُ السَّاحِرَةِ، وَالْفَاعِلُ ابْنُ الْفَاعِلَةِ، فَقَذَفُوهُ بِأُمِّهِ، فَسَمِعَ ذَلِكَ عِيسَى عليه السلام فَقَالَ: (اللَّـهُمَّ أَنتَ رَبِّي، بِكَلِمَتِكَ خَلَقْتَنِي، وَلَمْ أُتَّهَم مِن تِلقَاءِ نَفسِي، اللَّـهُمَ العَن مَن سَبَّنِي، وَسَبَّ وَالِدَتِي) فَاسْتَجَابَ اللهُ دَعوَتَهُ، فَمَسَخَهُمُ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ [١].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (١٥٨)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ أَي: في عِيسَى عليه السلام أَنَّهُ قُتِلَ أَو لَا وَاختَلَفُوا في أَنَّهُ إِلَهٌ، أَو إِبنُ إِلهٍ: ﴿**لَفي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ**﴾ أَي: وَلَكِنَّهُم يَتَّبِعُونَ الظَنَّ، والإِستِثنَاءُ مُنقَطِعٌ؛ لأَنَّ إِتبَاعَ الظَّنِّ لَيسَ مِن جِنسِ العِلـمِ.

﴿**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**﴾ كَمَا ادَّعَوا ذَلِك في قَولِهِم: ﴿**إِنَّا قَتَلْنَا الْـمَسِيحَ**﴾ وَقِيلَ: إِنَّ الهَاء في: ﴿**قَتَلُوهُ**﴾ يَعُودُ إِلى الظَنِّ؛ أَي: مَا قَتَلوا ظَنَّهُم يَقِيناً، كَمَا يُقَالُ: قَتَلتُ الشَّيء عِلـماً إِذَا تُبَالِغُ عِلـمُكَ فِيهِ: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّـهُ إِلَيْهِ**﴾ [٢].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٣٢، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٧٩ عن الكلبي.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٦٠.

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (١٥٩)

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ وَقَولُهُ: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ جُملَةٌ قَسَمِيَّةٌ، وَقَعَت صِفَةً لِـمَحذُوفٍ، وَالتَّقدِيرُ: وَإِنَّ أَهلَ الكِتَابِ أَحَدَاً إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ [١].

وَالـمَعنَى: وَمَا مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصارى أَحَدٌ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ بِعِيسَى عليه السلام وَبِأَنَّهُ عَبدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ، يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ في آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَا يَبقى أَهلُ مِلَّةٍ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ، وَيُصَلِّي خَلفَ الـمَهدِيّ عليه السلام فَيَصِيرُ الـمِلَلُ كُلُّهَا مِلَّةً وَاحِدَةً، يَعنِي مِلَّةُ الحَنِيفِيَّةِ وَدِينُ الإِسلَامِ، وَتَقَعُ الأَمنَةُ حَتَّى يَرتَعُ الذِّئابُ مَعَ الغَنَمِ، وَالأُسُودُ مَعَ البَقَرِ [٢].

وَرُوِي عَن البَاقِرِ عليه السلام وَالصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُما قَالَا: (حَرَامٌ عَلَى رُوحٍ أَن تُفَارِقَ جَسَدَهَا حَتَّى تَرَى مُحَمَّداً، وَعَلِيّاً، وَحَسَناً، وَحُسَيناً، بِحَيثُ تَقَرُّ عَينُهَا أَو تَسخَنُ) [٣].

وَيُؤيِدُ ذَلِكَ مَا قَالَ أَمِيرُ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام [٤] لِحَارِثٍ الهَمَدَانِيِّ [٥].

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ أَي: عِيسَى عليه السلام: ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدَاً﴾ عَلَى اليَهُودِ بِالتَّكذِيبِ، وَعَلَى النَّصَارَى بِأَنَّهُ قَد بَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، وَأَقَرَّ عَلَى عُبُودِيتَهِ نَفسُهُ بِالعُبُودِيَّةِ، وَأَنَّهُم دَعَوهُ بِإِبنِ اللَّـهِ [٦].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٨٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٦٠.

(٣) الأمالي، الطوسي: ٦٢٨ح١٢٩٣، كشف الغمة، الأربلي: ٢/ ٤١.

(٤) وهو قوله عليه السلام له: (يَا حَارِ هَمَدان مَيَمُت يَرَنِي * مِن مُؤمِنٍ أَو مُنَافِقٍ قبلا) الأمالي، المفيد: ٧ح٣، الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢/ ٨١٢.

(٥) الحالقي، الأعور، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخواصه، جليل القدر، عظيم المنزلة، ينظر: الرجال، الطوسي: ٦٠، الرجال، ابن داود: ٦٩.

(٦) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٧٩، التفسير الصافي، الكاشاني: ١/ ٥١٩.

﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً﴾ ﴿١٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلهِ**﴾ أَي: لَن يَأْنَف [١].

وَالإِستِنكَافُ: مِن نَكَفتُ الدَّمعَ، إِذَا نَحيتَهُ عَن خَدَيكَ بِإِصبِعَيكَ كَيلَا يُرَى أَثَرُهُ عَلَيكَ [٢] وَهوَ بِالفَارِسِيَّةِ: عار داشتن.

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٤٠٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٦٥.



الفصل الخامس

سورة المائدة



سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١)

البَهِيمَةُ: كُلُّ ذَاتِ أَربَعٍ مِنَ دَوَابِّ البَرِّ وَالبَحرِ [١].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ**﴾ الإِضَافَةُ بَيَانِيَّةٌ [٢].

---

(١) المصباح المنير، الفيومي، مادة (بهم) ١/ ٦٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٦٩.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢)

الشَّعَائِرُ: جَمعُ شَعِيرَةٍ؛ وَهي: مَا جُعِلَ شِعَارَاً، وَعَلَماً لِلـمَنسَكِ مِن الـمَوَاقِفِ وَالطَّوَافِ وَالسَّعي، وَغيرُهَا مِن أَعلَامِ الحِجِّ وَمَنَاسِكَهُ وَأَعمَالَهُ[(١)].

الآمُّ: القَاصِدُ[(٢)] وَآمُّوا البَيتِ الحَرَامِ هُم الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَإِحلَالُ هَذِه الأَشيَاء.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ**﴾ أَي: القَاصِدِينَ لِلـمَسجِدِ الحَرَام.

إِعلَم: إِنَّ جَرَمَ مِثل كَسَبَ فِي تَعدِيَتِهِ إِلَى مَفعُولٍ وَاحِدٍ[(٣)] تَقُولُ: جَرَمَ ذَنبَاً، وَجَرَمتُهُ ذَنبَاً، وَكَسَبَ شَيئاً، وَكَسَبتُهُ إِيَّاهُ[(٤)].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ**﴾ **كُم**: مَفعُولٌ أَوَّلٌ، وَالثَّانِي: ﴿**أَنْ تَعْتَدُوا**﴾ بَعدَهُ.

وَ: ﴿**أَنْ صَدُّوكُمْ**﴾ بِفَتحِ الهَمزَةِ، يَتَعَلَّقُ بِالشَّنَآنِ، وَالشَّنَآنُ: شِدَّةُ البُغضِ[(٥)] وَالـمَعنَى: وَلَا يَكسِبَنَّكُم بُغضُ قَومٍ[(٦)].

وَالإِعتِدَاءُ: الإِنتِقَامُ مِنَ الشَّخصِ بِإِلحَاقِ الـمَكرُوهِ[(٧)].

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٩١.
(٢) زاد المسير، ابن الجوزي: ٢/ ٢٣٣.
(٣) في المصدر: (والى مفعولين).
(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٢٨٨، تفسير الرازي: ١٨/ ٤٧.
(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (شنأ) ١/ ٥٧.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧١.
(٧) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٣/ ٤٣٧.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)

الدَّمُ الـمَسفُوحُ: كَانَ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ يَجعَلُونَهُ في الـمَبَاعِرِ [١] وَيَشوُونَهُ وَيَأكُلُونَهُ، وَيَقُولُونَ: لَم يُحرَم مَن فُزِدَ لَهُ [٢] أَي: فُصِدَ لَهُ [٣] فَأَعلَمَ اللهُ تَعَالَى سُبحَانَهُ أَنَّ الدَّمَ الـمَسفُوحَ؛ أَي: الـمَصبُورُ [٤] حَرَامٌ.

وَكَذَا: يَأكُلُونَ مَا أُهِلَّ لِغَيرِ اللَّهِ؛ أَي: رَفعُ الصَّوتِ بِهِ لِغَيرِ اللَّهِ؛ وَهو قَولُهُم: بِاسمِ اللَّاتِ وَالعُزَّى عِندَ ذَبحِهِ، والـمُخنَقِةُ، وَالـمَوقُوذَةُ، وَالـمُتَرَدِّيَّةُ، وَالنَّطِيحَةُ [٥].

وَالـمُنخَنِقَةُ: الَّتي خُنِقَت حَتَّى مَاتَت، أَو انخَنَقَت لِسَبَبٍ، وَكَانُوا يَخنُقُونَهَا [٦].

وَالـمَوقُوذَةُ: الَّتِي ضُرِبَت حَتَّى مَاتَت، مِن وَقَذتُهُ إِذَا ضَرَبتُهُ [٧].

وَالـمُتَرَدِّيَةُ: الَّتِي تَرَدَّت مِن جَبَلٍ، أَو مَكَانٍ عَالٍ، أَو في بِئرٍ فَمَاتَت [٨].

(١) وهي الأمعاء، وهي مواضع البعر من كل ذي أربع، لسان العرب، مادة (بعر) ٤/ ٧١.
(٢) أي لم يحرم من نال بعض حاجته، غريب الحديث، ابن قتيبة: ٢/ ٢٤٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٢، والفصد: الدم يجعل في المعى ثم يشوى ويؤكل، وكانت العرب تعير بذلك، الصحاح، الجوهري، مادة (فصد) ٢/ ٥١٩.
(٤) المصبور: المحبوس، لسان العرب، ابن منظور، مادة (صبر) ٤/ ٤٣٨.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٢.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٤٣٠.
(٧) غريب القرآن، الطريحي: ٢٢٠.
(٨) العين، الفراهيدي، مادة (ردى) ٨/ ٦٨.

وَالنَّطِيحَةُ: الَّتِي نَطَحَتها أُخرَى فَمَاتَت بِالنَّطحِ [١].

وَعَن الصَّادِق عليه السلام: (إِنَّ أَدنَى مَا تُدرِكُ بِهِ الذَّكَاةُ أَن تُدرِكَهُ يَتَحَرَّكُ أُذُنَهُ، أَو ذَنَبُهُ، أَو يَطرِفُ عَينَهُ) [٢].

النُّصُبُ: وَاحِدُ الأَنصَابِ، وَقِيلَ: هُو جَمعٌ، وَالوَاحِدُ: نُصَابُ [٣].

الأَزلَامُ: قِدَاحٌ، وَهي سِهَامٌ كَانَت لِلمُشرِكِينَ، مَكتُوبٌ عَلَب بَعضِها: أَمَرَنِي رَبِّي، وَعَلَى بَعضِهَا: نَهَانِي رَبِّي، وَبَعضُهَا غَفَلَ وَلَم يُكتَب عَلَيهِمَا شَيءٌ.

فإِذَا أَرَادُوا سَفَرَاً، أَو أَمراً يَهتَمُّونَ بِهِ ضَرَبُوا تِلكَ القِدَاحِ، فَإِن خَرَجَ سَهمُ الَّذِي عَلَيهِ: أَمَرَنِي، مَضَى الرَّجُلُ لِحَاجَتِهِ، وَإِن خَرَجَ الَّذِي عَلَيهِ: نَهَانِي رَبِّي لَم يَمضِ، وَإِن خَرَجَ: مَا لَيسَ عَلَيهِ شَيءٌ أَعَادُوهَا.

فَبَيَنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ العَمَلَ بِذَلِكَ حَرَامٌ [٤] بِقَولِهِ: ﴿**وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ**﴾ أَي: وَحَرَّمَ عَلَيكُم الإِستِقسَامَ بِالقِدَاحِ.

وَمَعنَى الإِستِقسَامُ بِالأَزلَامِ: طَلَبُ مَعرِفَةِ مَا يُقسَمُ لَهُ بِالأَزلَامِ؛ وَهوَ المَيسِرُ وِالقِمَارُ المُحَرَّمُ، وَقِيلَ: النَّردُ وَالشَّطرَنجُ [٥].

المَخمَصَةُ: المَجَاعَةُ [٦].

المُتَجَانِفُ: المُتَعَمِّدُ [٧].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٩٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ٢٧١، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٦٢/ ١٠٧.

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦٣٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٧٢.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٣.

(٦) المصباح المنير، الفيومي، مادة (خمص) ١/ ١٨٢.

(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١١٢.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ**﴾ الـمَعنَى: فَمَن اضطُرَّ إِلى أَكلِ المِيتَةِ أَو غَيرُهَا مِمَّا عَدَّدَ اللهُ تَحرِيمَهُ فِي الـمَجَاعَةِ؛ أَي: عِندَ الـمَجَاعَةِ الشَّدِيدَةِ.

﴿**غَيْرَ مُتَجَانِفٍ**﴾ أَي: غَيرُ مُتَعَمِّدٍ مَائلٍ لَهُ، وَمُنحَرِفٌ إِلَيهِ، وَغَيرُ مُختَارٍ لَهُ، وَلَا مُستَحِلٍّ بِهِ ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ**﴾ (١) خَبَرُهُ (٢).

وَالجَوَارِحُ فِي القُرآنِ: هِي الكَوَاسِبُ مِنَ الكِلَابِ عِندَ أَئمَّتِنَا عليهم السلام (٣).

وَفِي تَفسِيرِ عَلِيّ بِن إِبرَاهِيم (٤): أَنَّهُ سُئلَ الصَّادِقُ عليه السلام عَن صَيدِ البُزَاةِ، وَالصُّقُورِ، وَالفُهُودِ، وَالكِلَابِ؟ فقَالَ: (لَا تَأكُلُوا إِلَّا مَا ذَكَّيتُم إِلَّا الكِلَابَ... كُلُّ شَيْءٍ مِنَ السِّبَاعِ تُمسِكُ الصَّيدَ عَلَى نَفسِهَا إِلَّا الكِلَابَ الـمُعَلَّمَةِ، فَإِنَّهَا تُمسِكُ عَلَى صَاحِبِهَا، وقَالَ إِذَا أَرسَلتَ الكَلبَ الـمُعَلَّمَ فَاذكُرُوا اسمَ اللَّهِ عَلَيهِ، فَهُوَ ذَكَاتُهُ).

وَهوَ أَن تَقُولَ: بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، وَاللهُ أَكبرُ وَآثَرُ.

---

(١) المائدة: ٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٥.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٥.

(٤) تفسير القمي: ١/ ١٦٢.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥)

وَقولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾ قِيلَ: هُوَ ذَبَائحَهُم [١].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (هُو مُختَصٌّ بِالحُبُوبِ، وَمَا لَا يَحتَاجُ فيه إِلَى التَّذكِيَةِ) [٢].

﴿**طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ**﴾ فَلَا بَأسَ عَلَيكُم أَن تُطعِمُوهُم [٣].

﴿**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**﴾: أَعِفَّاءُ [٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦)

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾ وَأَنتُم عَلَى غَيرِ طُهرٍ، وَعَبَّروا عَن القَصدِ لأَمرِ بِالقِيَامِ [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٧٩.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٨٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٣٨٨.

(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦٤٣.

﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**﴾ أَي: أَمِرُّوا الـمَاءَ عَلَيهَا [١].

وَحَدَّا الوَجه: مِن قِصَاص شَعرِ الرَّأسِ إِلى مَحَادِرِ شَعرِ الذَّقنِ طُولاً، وَمَا دَخَلَ بَينَ الإِبهَامِ وَالوُسطَى عَرضاً [٢].

﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْـمَرَافِقِ**﴾ وَالـمَرافَقُ: مَا يُرتَفَقُ بِهِ مِنَ اليَدِ؛ أَي: يُتَّكَأُ عَلَيهِ.

وَلَا دَلِيلَ فِي الآيَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى دُخُولِ الـمَرَافِقِ فِي الغَسلِ، إِلَّا أَنَّ أَكثَرَ الفُقَهَاءِ ذَهبُوا إِلَى وُجُوبِ غَسلِ الـمَرَافِقِ فِي الوُضُوءِ[٣] وَهوَ مَذهَبُ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام [٤].

وَأَجتَمَعَتِ الأُمَّةُ [٥] عَلَى أَنَّ مَن بَدَأَ فِي غَسلِ اليَدَينِ مِنَ الـمِرفَقَينِ صَحَّ وُضُوءَهُ، وَأَصحَابُنَا ـ عَلَيهِم الرَّحمَةُ ـ يُوجِبُونَهُ [٦].

﴿**وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ**﴾أَي: هَذَا أَمرٌ بِإِلصَاقِ الـمَسحِ بِالرَّأسِ، وَأَصحَابُنَا يُوجِبُونَ أَقَلَّ مَا يَقَعُ عَلَيهِ اسمُ الـمَسحِ [٧].

﴿**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ نَصَبَهُ حَفصٌ، عَطفاً على وُجُوهَكُم، وَجَرَّهُ أَبو بَكرٍ لِلعَطفِ عَلَى اللَّفظِ [٨].

وَاختُلِفَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَتِ الإِمَامِيَّةُ بِالـمَسحِ دُونَ غَيرِهِ.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٩٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٨٣.

(٣) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص: ٢/ ٢٤١، المبسوط، السرخسي: ١/ ٦، تفسير الرازي: ١١/ ١٥٩.

(٤) الخلاف، الطوسي: ١/ ٧٨.

(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٤٥١.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٨.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٧٩.

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٨١.

وَالكَعبَانِ: هُمَا العَظمَانِ النَّاتِئانِ في القَدَمَينِ عِندَ مَعقِدِ الشِّرَاكِ [(١)].

وَفي الحَدِيثِ: (إِنَّ الوُضُوءَ يُكَفِّرُ مَا قَبلَهُ) [(٢)].

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١)

يُقَالُ: بَسَطَ إِلَيهِ كَفَّهُ؛ إِذَا بَطَشَ، وَمَعنَى بَسَطَ إِلَيهِ: مَدَّهَا إِلَى الـمَبطُوشِ بِهِ [(٣)].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾ أَي: بِالقَتلِ وَالإِهلَاكِ.

فَكَفَّ: أَي مَنَعَ أَيدِيهِم عَنكُم.

---

(١) الانتصار، الشريف المرتضى: ١١٥، المهذب، ابن البراج: ١/ ٤٤، مختلف الشيعة، العلامة الحلي: ١/ ٢٩٣.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٤٥٨، مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٢٥١، المعجم الكبير، الطبراني: ٨/ ١٢٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التاويل، الزمخشري: ١/ ٦٤٨.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١٢)

قِيلَ: إِلَّا كَالِب بن يوفنا، مِن سِبطِ يَهوذَا بن يَعقُوب، وَيُوشَعُ بن نُون، مِن سِبطِ إِفرائيم بن يُوسُف عليه السلام مِنَ النُّقَباءِ [١].

العَزَرُ فِي اللُّغَةِ: الرَّدُّ وَالـمَنعُ [٢].

وَمِنهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿عَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أَي: نَكَلَّتمُوهُم [٣].

وَالتَّعزِيرُ: التَّنكِيلُ وَالـمَنعُ مِن مُعَاوَدَةِ الفَسَادِ [٤].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣)

وَالقَسوَةُ: خِلَافُ اللِّينِ وِالرِّقَةِ [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٨٣.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٤٦٧.

(٣) ورد في التفاسير أن معنى التعزير: التعظيم والنصرة والمنعة، معاني القرآن، النحاس: ٢/ ٢٧٩، الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٥٩٩، غريب القرآن، الطريحي:٢٦٢.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٨٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٩٦.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١٤﴾

الإِغرَاءُ: الإِلصَاقُ وَالإِلزَامُ[١].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ**﴾ أَي: العَدَاوَةُ، مِن غَرَى بِالشَّيء؛ إِذَا لَزِمَهُ وَلَصَقَ بِهِ[٢].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾

وَذَلِكَ أَنَّ النَّسطُورِيَّةُ قَالَت: أَنَّ عِيسَى ﷺ ابنُ اللَّهِ، وَاليَعقُوبِيَّةُ قَالَت: إِنَّ اللهَ هوَ المَسِيحُ بِن مَرِيم، وَالمَلكَانِيَّةُ - وَهُم الرُّومُ - قَالُوا: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ؛ اللهُ، وَعِيسَى، وَمَريَمُ، فَالمُعَادَاةُ تَبقَى بَينَهُم إِلَى يَومِ القِيَامَةِ[٣].

يُقَالُ: جَبَرَهُ عَلَى الأَمرِ؛ بِمَعنَى: اجبَرَهُ، وَهوَ يُجبِرُ النَّاسَ عَلَى مَا يُرِيدُ[٤].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (غرا) ٦/ ٢٤٤٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٨٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٩٩، وهي من فرق المسيحية.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٨٨.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**قال رَب إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسي وَأَخي**﴾ أَي: قَالَ مُوسَى عليه السلام حِينَ غَضِبَ عَلَى قَومِهِ: رَبِّ، إِنِّي لَا أَملِكُ لِنُصرَةِ دِينِكَ إِلَّا نَفسِي وَأَخِي، وَهَذِهِ شِكَايَةٌ مِنهُ إِلَى اللَّهِ بِحُزنٍ وَرِقَّةِ قَلبٍ.

وَذُكِرَ فِي إِعرَابِ: أَخِي وُجُوهٌ: أَن يَكُونَ مَنصُوباً مَعطُوفَاً عَلَى: ﴿**نَفْسي**﴾ وَعَلَى الضَّمِيرِ في: ﴿**إِنِّي**﴾ بِمَعنَى: وَإِنَّ أَخِي لَا يَملِكُ إِلَّا نَفسَهُ، وأَن يَكُونَ مَرفُوعَاً مَعطُوفَاً عَلَى مَحَلِّ إِن وَاسمُهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَنَا لَا أَملِكُ إِلَّا نَفسِي، وَهَارُونَ كَذَلِكَ لَا يَملِكُ إِلَّا نَفسَهُ[1].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يَتيهُونَ في الْأَرْضِ**﴾ أَي: يَسِيرُونَ فِيهَا[2].

﴿**فَلا تَأْسَ**﴾ أَي: فَلَا تَحزَن[3]: ﴿**عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقينَ**﴾.

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٩٠.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣١٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٥٩١.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧)

القُربَانُ: إِسمُ مَا يُتقَرَّبُ بِهِ إِلَى الشَّيء؛ مِن ذَبِيحَةٍ أَو غيرُهَا[١].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣٠)

يُقَالُ: طَاعَ لَهُ المَرتَعُ؛ إِذَا إِتَّسَعَ[٢].

وَ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ أَي: فَوَسَّعَتهُ لَهُ، وَيَسرَّتهُ[٣].

يُقَالُ: أَنشَدَ آدم عليه السلام حِينَ سَمِعَ بِقَتلِ هَابِيل، فَقَالَ: قَد حَدَثَ فِي الأَرضِ حَدَثُ، فَأَتَى الهِندَ، فَإِذَا قَبِيل قَد قَتَلَ هَابِل، فَأَنشَأَ يَقُولُ:

تَغَيَّرَتِ البِلَادُ وَمَن عَلَيهَا ... فَوَجهُ الأَرضِ مُغبَرٌّ قَبِيحُ

تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَونٍ وَطعمٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةُ الوَجه الصَّبِيحُ

وَمَكَثَ مَائة سَنَة[٤] حَزِيناً لَا يَضحَكُ.

وَذَهَبَ قَابِيل إِلَى عَدَن مِنَ اليَمَنِ، فَأَتَاهُ إِبلِيسُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَكَلَتِ النَّارُ قُربَانَ هَابِيل؛ لأَنَّهُ كَانَ يَعبُدُهَا، فَانصِب نَارَاً، تَكُونُ لَكَ وَلِعَقِبِكَ.

فَبَنَى بَيت نَارٍ، وَهوَ أَوَّلُ مَن نَصَبَ النَّارَ وَعَبَدَهَا، وَاتَخَذَ أَولَادهُ آلَاتُ اللَّهوِ، مِنَ

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٢٤٧.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦٠٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٩٣.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١/ ٤٩٣.

الطُّنبُورِ وَالـمَزَامِيرِ وَالعِيدَان، وَانهَمَكُوا فِي اللَّهوِ وَالشُّربِ، وَعِبَادَةُ النَّارِ، وَالزِّنَا وَالفَوَاحِشَ، حَتَّى غَرَّقَهُم اللهُ أَيَّامَ نُوحٍ بِالطُّوفَانِ، وَبَقِي نَسلُ شِيثٍ عليه السلام [١].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾

وَأَجَلٌ فِي الأَصلِ: أَجَلَ شَرًّا؛ إِذَا جَنَاهُ، استُعمِلَ فِي تَعلِيلِ الجِنَايَاتِ، فَإِذَا قُلتَ: مِن أَجلِك فَعَلتُ كَذَا، فَكَأَنَّكَ أَردتَّ مِن أَن جَرَرتُه فَعَلتَهُ، وَأَوجَبتُه فَعَلتُ، وَيَدُلُّ عَلَيهِ قَولُهُم: لَا مِن جَرَاكَ فَعَلتَهُ، ثُمَّ اتَّسَعَ فِيهِ، وَاستُعمِلَ فِي كُلِّ تَعلِيلٍ [٢].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذلِكَ**﴾ ذَلِكَ القَتلِ: ﴿**كَتَبْنا عَلى بَني إِسْرائيلَ**﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

منه: رَوَى أَصبَغُ بن نُبَاتَةُ [٣] عَن أَمِيرِ الـمُؤمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ فِي الجَنَّةِ لُؤلُؤَتَانِ إِلَى بُطنَانِ العَرشِ؛ إِحدَاهُمَا بَيضَاءُ، وَالأُخرَى صَفرَاءُ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنهَا سَبعُونَ أَلفَ غُرفَةٍ، أَبوَابُهَا وَأَكوَابُهَا مِن عِرقٍ وَاحِدٍ، فَالبَيضَاءُ الوَسِيلَةُ لِمُحَمَّدٍ وَأَهلِ بَيتِهِ، وَالصَّفرَاءُ لِإِبرَاهِيمَ وَأَهلِ بَيتِهِ) [٤].

---

(١) في المصدر: (ومكث سنة).
(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣١٩.
(٣) ابن الحارث بن عمرو المجاشعي، ناسك عابد، من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام عمر بعده، حضر صفين، وهو من شرطة الخميس، مشكور، ينظر: رجال النجاشي: ٨، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ٧٨.
(٤) المناقب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٥٠٤ عن سعد بن طريف، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٩٦، عن الأصبغ.

وَالوَسِيلَةُ فِي الأَصلِ: كُلُّ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَتَركِ الـمُقَبحَاتِ[1] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسيلَةَ**﴾.

وَعَن النَّبِيِّ ﷺ: (اسأَلُوا اللهَ لِيَ الدَّرَجَةَ وَالوَسِيلَةَ مِنَ الجَنَّةِ؟ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدَّرَجَةُ وَالوَسِيلَةُ مِنَ الجَنَّةِ؟ قَالَ: هِيَ أَعلَى دَرَجَةٍ مِنَ الجَنَّةِ، لَا يَنَالُهَا إِلَّا نَبِيٌّ، أَرجُو أَن أَكُونَ أَنَا)[2].

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَاللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ﴾(٣٨)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقطَعُوا أَيْدِيَهُما**﴾ هُمَا مَرفُوعَانِ بِالإِبتِدَاءِ، وَالخَبَرُ مَحذُوفٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَفِيمَا فَرَضَ عَلَيكُم: السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ، أَي: حُكمُهُمَا.

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الخَبَرُ: ﴿**فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما**﴾ وَدَخَلَت الفَاءُ؛ لأَنَّهُمَا تَضَمَّنَا مَعنَى الشَّرطِ، فَإِنَّ الـمَعنَى: وَالَّذِي سَرَقَ وَالَّتِي سَرَقَت، فَاقطَعُوا أَيدِيَهُمَا.

وَنَحوُهُ: ﴿**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما**﴾[3] إِكتَفَى بِتَثنِيَةِ الـمُضَافِ إِلَيهِ عَن تَثنِيَةِ الـمُضَافِ.

وَالـمُرَادُ بِاليَدَينِ: اليَمِينَانِ، بِدَلِيلِ قِرَاءَة عَبدُ اللَّهِ بن مَسعُود: (وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتِ فَاقطَعُوا أَيمَانَهُم)[4].

وَالـمِقدَارُ الَّذِي يَجِبُ بِهِ القَطعُ: رُبعُ دِينَارٍ، إِذَا سُرِقَ مِن الحِرزِ، وَإِلَيهِ ذَهَبَ

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٩٦.

(٢) جامع الأخبار، الشعيري: ١٥٧ح ٢٩، بحار الأنوار، المجلسي: ٩١/ ٦٥.

(٣) التحريم: ٤.

(٤) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦١١.

الشَّافِعِيُّ وَمَالِك[١] إِلَّا أَنَّ الـمَقطَع عِندَهُم هُوَ الرّسغُ، وَعِندَنَا أُصولُ الأَصَابعِ، وَيُترَكُ الإِبهَامُ وَالكَفُّ.

وَفي الـمَرَّةِ الثَّانِيَةِ تُقطَعُ رِجلَهُ اليُسرَى مِن أَصلِ السَّاقِ، وَيُترَكُ عَقِبَهُ يَعتَمِدُ عَلَيهَا في الصَّلاةِ، فَإِن سَرَقَ بَعدَ ذَلِكَ خُلِّدَ في السَّجنِ، وهَذَا هُوَ الـمَشهُورُ مِن مَذهَبِ عَلِيٍّ بن أَبي طَالِبٍ عليه السلام[٢].

وَإِنَّمَا بَدَأَ بِالسَّارِقِ هُنَا؛ لأَنَّ الغَالِبَ وُجُودُ السَّرِقَةِ في الرِّجَالِ، كَمَا بَدَأَ في آيَةِ الزِّنَا بِالنِّسَاءِ؛ لأَنَّ الغَالِبَ وُجُودُ ذَلِكَ في النِّسَاءِ[٣].

﴿جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ﴾ مَفعُولاَنِ لَهُ، أَي: إِفعَلُوا ذَلِكَ بِهِمَا مُجَازَاةً بِكَسبِهِمَا وَفِعلَهُمَا، عُقُوبَةً مِنَ اللَّهِ عَلَى مَا فَعَلاه[٤].

﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤١)

التَّحرِيفُ: الإِمَالَةُ وَالإِزَالَةُ[٥].

---

(١) الأم، الشافعي: ٦/ ١٤٧، الموطأ، مالك بن أنس: ٢/ ٨٣٣.

(٢) الخلاف، الطوسي: ٥/ ٤٣٦، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٤٩٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٣٣٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٣٣٢.

(٥) فتح القدير، الشوكاني: ١/ ٤٧٥.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤٢)

السَّحتُ[١]: هُوَ كُلُّ مَا لَا يَحِلُّ كَسبُهُ، وَأَصلُهُ مِنَ الإِستئصَالِ، يُقَالُ: سَحَتَهُ إِذَا استَأْصَلَهُ؛ لأَنَّهُ مَسحُوتُ البَرَكَةِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا﴾[٢].

وَفِي الحَدِيثِ: (كُلُّ لَحمٍ نَبَتَ عَلَى السُّحتِ فَالنَّارُ أَولَى بِهِ)[٣].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ﴾ أَي: الزُّهَادُ وَالعُلَمَاءُ مِن وُلدِ هَارُونَ عليه السلام الَّذِينَ التَزَمُوا طَرِيقَةِ النَّبِيِّنَ، وَجَانَبُوا طَرِيقَةَ اليَهُودِ[٤].

وَيُقَالُ لَهُم: الرُّقَبَاءُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ﴾.

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦١٤.

(٢) البقرة: ٢٧٦.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٠١، المعجم الكبير، الطبراني: ١/ ٧٣ ح ٨٧.

(٤) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٣/ ٥٠٢.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: مَن جَحَدَ حُكمَ اللَّـهِ كَفَرَ، وَمَن لَم يَحكُم بِهِ وَهوَ مُقِرٌّ فَهوَ ظَالِمٌ فَاسِقٌ [١].

وعن حذيفة [٢]: (أَنتُم أَشبَهُ سُحتاً بِبَنِي إِسرَائِيلَ؛ لَتَركَبُنَّ طَرِيقَهُم، حِذوَ النَعلِ بِالنَّعلِ، وَالقَذَّةُ بِالقَذَّةِ [٣] غَيرَ أَنِّي لَا أَدرِي أَتعبُدُونَ العِجلَ أَم لَا؟) [٤].

صَلمُ الأُذُنِ، وَقَلعُ السِّنِ، وَفَقءُ العَينِ، وَجَذعُ الأَنفِ [٥].

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٦)

يُقَالُ: قَفَّاهُ بِفُلَانٍ؛ أَي: عَقَّبَهُ بِهِ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَقَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ تَعَدَّى إِلَى المَفعُولِ الثَّانِي بِالبَاءِ، وَالمَفعُولُ الأَوَّلِ فِي الآيَةِ مَحذُوفٌ، سَدَّ مَسَدَّهُ الظَّرفُ الَّذِي هُوَ: ﴿**عَلى آثارِهِمْ**﴾ لأَنَّهُ إِذَا قَفَّى بِهِ عَلَى إِثرِهِ فَقَد قَفَّاهُ إِيَّاهُ.

وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿**آثارِهِمْ**﴾ لِلأَنبِيَاءِ عليهم السلام قَبلُ: ﴿**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ**﴾ [٦] أَي: وَأَتبَعنَاهُم عَلَى آثَارِهِم عِيسَى عليه السلام [٧].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦١٦.

(٢) حذيفة بن اليمان، العبسي، أبو عبد الله، صحابي جليل، صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله سكن الكوفة، أحد الأركان الأربعة، توفي بعد بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً، ينظر: الرجال، الطوسي: ٣٥، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ١٣١.

(٣) وهو السهم، الصحاح، الجواهري، مادة (قذذ) ٢/ ٥٦٨.

(٤) الطرائف، ابن طاوس: ٣٨٠، بحار الأنوار، المجلسي: ٥٣/ ١٤١، وفيها: عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٥) وهي أنواع التمثيل بالإنسان، والصلم: الاستئصال، المصباح المنير، الفيومي، مادة (صلم) ١/ ٣٤٦.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٠٤.

(٧) المائدة: ٤٤.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

الشِّرعَةُ[1]: الوَاضِحَة، وَالطَّرِيقَةُ المُبَيَّنَة، يُحشَرُ عَلَيهَا أُمَّةٌ.

المِنهَاجُ: مِن نَهَجَ الأَمرُ؛ إِذَا وَضُحَ [2].

يُقَالُ: ذُنُوبٌ جَمَّةٌ، أَي: كَثِيرَةٌ.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

جَهدَ الإِيمَانِ: أَغلَظُهَا، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**﴾ وَهوَ فِي الأَصلِ مَصدَرٌ قَبلَهُ، وَ: ﴿**أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**﴾ وَالجَهدُ هُنَا: نَصبٌ عَلَى الحَالِ.

وَالتَّقدِيرُ: أَقسَمُوا بِاللَّهِ، يَجتَهِدُونَ جَهدَ أَيمَانِهِم، فَحَذَفَ الفِعلَ وَأُقِيمَ المَصدَرُ مَقَامَهُ، وَلِهَذَا سَاغَ كَونُهَا مَعرِفَةً، أَو عَلَى المَصدَرِ؛ لأَنَّه بِمَعنَى: أَقسَمُوا [3].

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (شرع) ١/ ٢٥٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٣١.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٢٦.

﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرينَ يُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللَّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾ (٥٤)

الإِرتِدَادُ: الرُّجُوعُ [(١)].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَو كَانَ الدِّينُ مُعَلَّقاً بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِن أَبنَاءِ فَارِسَ)[(٢)].

وَضَرَبَ بِيَدِهِ الـمُبَارَكَةِ عَلَى عَاتِقِ سَلـمَان، فَقَالَ ﷺ هَذَا الـمَضمُون: هَذَا وَذَوُوهُ مِن قَومٍ وَصَفَهُم اللهُ تَعَالَى بِقَولِهِ: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ وَهوَ مِنَ الكَائنَاتِ الَّتِي أَخبَرَ عَنهَا فِي القُرآنِ قَبلَ كَونِهَا.

وَهوَ: أَنَّ قَوماً يَرتَدُّونَ بَعدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّهُ تَعَالَى يَنصُرُ دِينَهُ بِقَومٍ لَهُم هَذِهِ الصِّفَات الـمَذكُورَةِ مَعَ مَا بَعدَهَا.

وَعَن طَرِيقِ الأَئمَّةِ عليهم السلام وَعَمَّارُ وَحُذَيفَةَ: أَنَّهُم عَلِيٌّ وَأَصحَابُهُ عليهم السلام حِينَ قَاتَلَ النَّاكِثِينَ وَالقَاسِطِينَ وَالـمَارِقِينَ [(٣)].

وَيُؤَيِّدُه: إِنذَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُرَيشَاً بِقِتَالِ عَلِيٍّ عليه السلام لَهُم مِن بَعدِهِ، فَقَالَ: (لَتَنتَهُنَّ يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ، أَو لَيَبعَثَنَّ اللهُ عَلَيكُم رَجُلاً، يَضرِبُكُم عَلَى تَأوِيلِ الْقُرآنِ كَمَا ضَرَبتُكُمْ عَلَى تَنزِيلِهِ).

فَقَالَ لَهُ بَعضُ أَصحَابِهِ: مَن هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبُو بَكرٍ؟ قَالَ: (لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ

---

(١) دعائم الاسلام، النعماني: ٢/ ٤٧٩.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٦٣ح ٢و٣، المعجم الكبير، الطبراني: ١٠/ ٢٠٤ح١٠٤٧٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٠٨.

النَّعْلِ فِي الحُجرَةِ) وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَخصِفُ نَعلَ رَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله [(١)].

وَعَنهُ صلى الله عليه وآله: (يَرِدُ عَلَيَّ يَومَ القِيَامَةِ رَهطٌ مِن أَصحَابِي، فَيُحَلَؤونَ عَن الحَوضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصحَابِي أَصحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا عِلـمَ لَكَ بِمَا أَحدَثُوا مِن بَعدِكَ، إِنَّهُم ارتَدُّوا عَلَى أَدبَارِهِم القَهقَرَى) [(٢)].

وَقِيلَ: نَزَلَت فِي الـمَهدِيِّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَصحَابَهُ [(٣)].

﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ**﴾ أَي: رُحَمَاءُ، عَاطِفِينَ عَلَيهِم، مُتَذَلِّلِينَ لَهُم، جَمعُ ذَلِيلٍ [(٤)].

﴿**أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ أَشِدَّاءُ، مُتَغَلِّبِينَ عَلَيهِم، وَالعِزَّةُ: الغَلَبَةُ، وَالذِّلَّةُ هُنَا؛ مِنَ اللِّينِ لَا مِنَ الهَوَانِ [(٥)].

﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ وَاللَومَةُ: الـمَرَّةُ مِنَ اللَّومِ [(٦)] وَالجَمعُ اللَّوَائِم: ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّـهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ**﴾.

---

(١) الإرشاد، المفيد: ١/ ١٢٢، المناقب، الخوارزمي: ١٢٨، كشف اليقين، العلامة الحلي: ١٠٦، إعلام الورى، الطبرسي: ١/ ٣٧٢، بحار الأنوار، المجلسي: ٢٠/ ٣٦٤ح ١١.

(٢) صحيح البخاري: ٧/ ٢٠٨، المصنف، عبد الرزاق: ١١/ ٤٠٦ح٢٠٨٥٤، والحلأ: الصدُّ والردّ، لسان العرب، ابن منظور، مادة (حلأ) ١/ ٥٩.

(٣) تفسير القمي: ١/ ١٧٠.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٣٨.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرأن، الطبرسي: ٣/ ٣٥٧.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٠٩.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥)

رَوَى الثَّعلَبِيُّ في تَفسِيرِه[١] بالإِسنَادِ عَن الأَعمَش، عَن عَبَاية بِن رَبعِيّ[٢] أَنَّهُ قَالَ: بَينَا عَبدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ جَالِسٌ عَلَى شَفِيرِ زَمْزَمَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذ أَقبَلَ رَجُلٌ مُتَعَمِّمٌ بِعِمَامَةٍ، فَجَعَلَ ابنُ عَبَّاسٍ لَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ الرَّجُلُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ، مَن أَنتَ؟ فَكَشَفَ العِمَامَةَ عَن وَجهِهِ، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَن عَرَفَنِي فَقَد عَرَفَنِي، أَنَا جُندَبُ بنُ جُنَادَةَ البَدرِيُّ، أَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ، سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِهَاتَينِ وَإِلَّا فَصَمَّتَا، وَرَأَيتُهُ بِهَاتَينِ وَإِلَّا فَعَمِيَتَا، يَقُولُ: (عَلِيٌّ قَائِدُ البَرَرَةِ، وَ قَاتِلُ الكَفَرَةِ، مَنصُورٌ مَن نَصَرَهُ، مَخذُولٌ مَن خَذَلَهُ)[٣].

أَمَا إِنِّي صَلَّيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوماً مِنَ الأَيَّامِ الظُّهرَ، فَسَأَلَ سَائِلٌ[٤] فِي الْمَسجِدِ، فَلَم يُعطِهِ أَحَدٌ شَيْئاً[٥] فَرَفَعَ السَّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اشهَد، أَنِّي سَأَلتُ فِي مَسجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَم يُعطِنِي أَحَدٌ شَيْئاً.

وَكَانَ عَلِيٌّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ رَاكِعاً[٦] فَأَومَأَ إِلَيهِ بِخِنصِرِهِ اليُمنَى، وَكَانَ مُتَخَتِّماً[٧] فِيهَا،

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ٨٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٣٦١.

(٢) عباية بن ربعي الأسدي، من أصحاب أمير المؤمنين والحسن ﷺ ينظر: الرجال، الطوسي: ٧٢، نقد الرجال، التفريشي: ٣/ ٢٧.

(٣) الطرائف، ابن طاوس: ٤٧، شواهد التنزيل، الحسكاني: ١/ ٢٣٠ح٢٣٥.

(٤) في المصدر: صلاة الظهر، فدخل سائل.

(٥) كلمة: (شيئاً) غير موجودة في المصدر.

(٦) في المصدر: وكان علي راكعاً.

(٧) في المصدر: يتختم.

فَأَقبَلَ السَّائِلُ، فَأَخَذَ الخَاتَمَ مِن خِنصِرِهِ، وَذَلِكَ بِمَرأً مِنَ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وَهُوَ يُصَلِّي [١].

فَلَمَّا فَرَغَ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه مِن صَلَاتِهِ، رَفَعَ رَأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ:(اللَّهُمَّ، إِنَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[٢] فَأُنزِلَت عَلَيهِ قُرآناً نَاطِقاً: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بِآياتِنا**﴾[٣].

اللَّهُمَّ، وَأَنَّا مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ، وَصَفِيُّكَ، اللَّهُمَّ فَاشرَح لِي صَدرِي، وَ يَسِّر لِي أَمرِي، وَاجعَل لِي وَزِيراً مِن أَهلِي، عَلِيّاً اشدُد بِهِ ظَهرِي).

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَمَا استَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه كَلَامَهُ[٤] حَتَّى أَنزَلَ جَبرَئِيلُ مِن عِندِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إقرَأ[٥] فَأَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾.

أَي: الَّذِي يَتَوَلَّى مَصَالِحَكُم وَتَدبِيرَكُم وَ يُبَيِّنُ أُمُورَكُم هُوَ اللهُ تَعَالَى، وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ هَذِهِ صِفَاتُهُم[٦].

---

(١) عبارة: وهو يصلي، غير موجودة في المصدر.

(٢) طه: ٢٥ـ ٣١.

(٣) القصص: ٣٥.

(٤) في المصدر: الكلمة.

(٥) في المصدر: يا محمد: إقرأ، فقال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ....

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٣٦٣.

وَقَولُهُ: ﴿رَاكِعُونَ﴾ حَالٌ مِن فَاعِلِ [١].

﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أَي: يُؤتُونَهَا حَالَ رُكُوعِهِم [٢].

وَهَذِهِ الآيَةُ مِن أَوضَح الدَّلَائلِ عَلَى صِحَّةِ إِمَامَةِ عَليٍّ عليه السلام بِلَا فَصلٍ بَعدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله والوَجهُ فِيهِ: إِنَّهُ إِذَا ثَبَتَ أَنَّ لَفظَة: ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ فِي الآيَةِ تُفِيدُ هُوَ أَولَى بِتَدبِيرِ أُمُورِكُم، وَيَجِبُ طَاعَتُهُ، وَثَبَتَ أَنَّ الـمُرَادَ بـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عَلِيٌّ عليه السلام بِالنَّصِّ عَلَيهِ بِالإِمَامَةِ [٣].

وَلَا يَخفَى عَلَى الـمُتَأَمِّلِ الـمُنصِفِ مَا فِيهِ مِنَ الصَّرَاحةِ وَالتَّنوِيهُ وَالتَّعظِيمُ فِي شَأنِهِ عليه السلام.

رُوِي: أَنَّ نَصرَانِيًّا بِالـمَدِينَةِ، كَانَ إِذَا سَمِعَ الـمُؤَذِّنُ يَقُولُ: أَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ، قَالَ: أَحرَقَ اللهُ الكَاذِبَ، فَدَخَلَ خَادِمَهُ ذَاتَ لَيلَةٍ بِنَارٍ وَأَهلُهُ نِيَامٌ، فَتَطَايَرَ شَرَرُهَا فِي البَيتِ، فَأَحرَقَهُ وَأَهلَهُ [٤].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٦٠)

الطَّاغُوتُ: الشَّيطَانُ [٥].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٥٦١.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥١١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٣٦٣.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٤١، الدر المنثور، السيوطي: ٢/ ٢٩٤.

(٥) المصباح المنير، الفيومي، مادة (طغا) ٢/ ٣٧٤.

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

الرَّبَانِيُونَ: العُلَمَاءُ مِن قِبَلِ الربِّ[٦].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٦٤﴾

وَغَلُّ اليَدِ: مُستَعَارٌ لِلبُخلِ، وَبَسطُهُ لِلجُودِ[٧].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ أَي: مَقبُوضَةٌ عَن العَطَاءِ، مُمسِكَةٌ عَن الرِّزقِ، وَهَذَا قَولُ اليَهُودِ، نَسَبُوهُ تَعَالَى إِلَى البُخلِ[٨].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ**﴾ وَعَمِلُوا بِهَا مِن غَيرِ تَحرِيفِ شَيءٍ مِنهُمَا كَمَا يَفعَلُونَهُ.

---

(٦) تفسير الرازي: ٩/ ٢٧.

(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥١٤.

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٣٧٧.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ﴾ عَن سَائرِ الكُتُبِ [١].

﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أَي: وَسَّعَ عَلَيهِم رِزقَهُم، وَأَكثَرَ ثَمَرَاتِ أَشجَارِهِم، وَغِلَّاتِ زُرُوعَهُم، وَهَذَا تَأسِيفٌ عَلَيهِم عَلَى مَا فَاتَهُم بِشُؤمِ مَعَاصِيهِم، لَا لِقُصُورِ الفَيضِ [٢].

الإِقتِصَادُ: وَهوَ اختِيَارُ التَّوَسُّطِ بَينَ الأَمرَين [٣].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٨)

يُقَالُ: لَست عَلَى شَيءٍ، وَلَست بِشَيءٍ، يُرَادُ بِهِ التَّحقِيرَ [٤].

يُقَالُ: فُلَانٌ صَبأَ عَن الدِّينِ؛ إِذَ أُخرِجَ [٥].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ أَي: كَذَّبُوا طَائفَةً، وَقَتَلُوا طَائفَةً، كَأَنَّهُ جَوَابٌ عَن سُؤالٍ سَائلٍ يَسأَلُ: كَيفَ فَعَلُوا بِرُسُلِهِم؟ فَقِيلَ: فَرِيقًا كَذَّبُوا.

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٥٨٥.
(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٤٧.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥/ ٣٤٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥١٨.
(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (صبأ) ١/ ٥٩.

وَإِنَّمَا جِيء بِـ: ﴿**يَقْتُلُونَ**﴾ مَوضِعَ قَتَلُوا عَلَى حِكَايَةِ الحَالِ الـمَاضِيَةِ، استِحضَارَاً لَهَا، وَاستِفظَاعَاً لِلقَتلِ، وَمُحَافَظَةً عَلَى رُؤوسِ الآي [(١)].

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١)

﴿**وَحَسِبُوا**﴾ أَي: بَنِي إِسرَائِيلَ، وَظَنُّوا: ﴿**أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ أَي: عُقُوبَةً عَلَى قَتلِهِم، يُرِيدُ: فَظَنُّوا أَنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُهُم، ثُمَّ: ﴿**فَعَمُوا وَصَمُّوا**﴾ هُوَ بَدَلٌ عَن وَاوِ الضَّمِيرِ، وَهوَ عَلَى قَولِهِم: أَكَلُونِي البَرَاغِيث، وَالـمَعنَى: أَنَّ كَثِيرَاً مِنهُم عَادُوا إِلَى عِبَادَةِ العِجلِ، كَمَا كَانُوا [(٢)].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣)

الفَيضُ: إِنصِبَابٌ عَن امتِلَاءٍ[(٣)] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ**﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٠)

(شَارِبُ الخَمرِ كَعَابِدِ الوَثَنِ) [(٤)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٢٠، تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٥١.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٢٠.
(٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٧٥.
(٤) تفسير العياشي: ١/ ٣٦٦ح ٤٦ عن الإمام الصادق عليه السلام، المصنف، الصنعاني: ٩/ ٢٣٧ح ١٧٠٦٤.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ﴾ (٩٥)

الوَبَلُ: الثِّقلُ، وَمِنهُ الطَّعَامُ الوَبِيل [١].

و قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ﴾ أَي: سُوءُ عَاقِبَةِ فِعلِهِ إِن لَم يَتُب[٢].

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٣)

البَحِيرَةُ: النَّاقَةُ إِذَا أَنتَجَت خَمسَةَ أَبطُنٍ، فَإِن كَانَ آخِرُهَا ذَكَراً بَحَرُوا أُذنُهَا، أَي: شَقُّوهَا، وَحَرَّمُوا رُكُوبَهَا، وَلَا تُطرَدُ عَن مَاءٍ، وَلَا مَرعَىً، وَخَلُّوا سَبِيلَهَا، فَلَا تُركَبُ وَلَا تُحلَبُ [٣].

وَالسَّائِبَةُ: الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ: إِذَا قَدِمتُ مِن سَفَرٍ، أَو بَرِئتُ مِن مَرَضٍ، فَنَاقَتِي سَائِبَةٌ، فَكَانَت كَالبَحِيرَةِ فِي تَحرِيمِ الإِنتِفَاعِ بِهَا.

وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَعتَقَ عَبداً، قَالَ: هُوَ سَائِبَةٌ، وَلَا عقلَ بَينَهمَا، وَلَا إِرثَ، وَكَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِطَوَاغِيتِهِم [٤].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٦٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٤٢١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٣٧، تفسير البيضاوي: ٢/ ٢٧٣.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٣٧.

الوَصِيلَةُ[(١)]: فِي الغَنَمِ، كَانَت الشَّاةُ إِذَا وَلَدَت أُنثَى فَهي لَهُم، وَإِذَا وَلَدَت ذَكَرَاً ذَبَحُوهُ لِآلِهَتِهِم، فَإِن وَلَدَت ذَكَرَاً، قَالُوا: وَصَلَت أَخَاهَا، فَلَم يَذبَحُوا الذَّكَرَ لِأَجلِهَا.

الحَامُ: الفَحلُ إِذَا أُنتِجَ مِن صُلبِهِ عَشَرَةُ أَبطُنٍ، قَالُوا: قَد حَمَى ظَهرَهُ، فَلَا يُركَبُ، وَلَا يُحمَلُ عَلَيهِ، وَلَا يُمنَعُ مِن مَاءٍ وَلَا مَرعَىً[(٢)].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١١٠)

التَّأْيِيدُ: التَّقوِيَةُ[(٣)].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (١١١)

قَولُهُ تَعَالَى: **﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾** أَن: إِمَّا مَصدَرِيَّةٌ، وَإِمَّا مُفَسِّرَةٌ[(٤)].

---

(١) وهي: الأنثى من الغنم إذا ولدت أنثى مع ذكر في بطن واحد فعلوا ذلك، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣٨.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ١٠٧.

(٣) تفسير أبي السعود: ١/ ١٢.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٧٩.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢)

قِيلَ: يَكُونُ يَومَ نُزُولِ المَائدَةِ مِنَ السَّماءِ علَى عِيسَى ﷺ يَومَ الأَحَدِ، وَمِن ثَمَّ اتَّخَذَهُ النَّصَارَى عِيداً، وَقِيلَ: العِيدُ؛ السُّرُورُ العَائدُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: يَومَ عِيدٍ؛ أَي: يَكُونُ لَنَا فِيهِ سُرُوراً وَفَرَحاً[١].

جَمعُ الحُوتِ: أَحوَاتٌ أَيضاً[٢].

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٣٤٦، مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١١٠.

(٢) وحيتان، السمك، لسان العرب، ابن منظور، مادة (حوت) ٢/ ٢٦.



الفصل السادس

سورة الأنعام



﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (٢)

الإِمتِرَاءُ: الشَّكُّ، وأَصلُهُ الـمَرِيءُ، وَهوَ: إِستِخرَاجُ اللَّبَنِ مِنَ الضَّرعِ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[1].

إِستبعَادٌ لِامتِرَائِهِم، بَعدَ أَن ثَبَتَ أَنَّهُ مُحيِيِّهِم وَمُمِيتَهُم وَبَاعِثَهُم، وَهوَ خِطَابٌ لِلكُفَّارِ الَّذِينَ شَكُّوا فِي البَعثِ وَالنُّشُورِ، وَاحتِجَاجٌ عَلَيهِم بِأَنَّهُ خَلَقَهُم وَنَقَلَهُم مِن حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَقَضَى عَلَيهِم بِالـمَوتِ وَهُم يُشَاهِدُونَ ذَلِكَ[2].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٩١.

(٢) التفسير الصافي، الكاشاني: ٢/ ١٠٧.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ﴿٦﴾

يُقَالُ: مَكَّنَ لَهُ فِي الأَرضِ؛ جَعَلَ لَهُ مَكَانَاً، وَمَكَّنَهُ: أَثبَتَهُ فِيهَا، ومِنهُ قَولُهُ تَعالَى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ﴾ [١].

وَ: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ أَي: أَعطَينَاكُم مِنَ البَسطَةِ فِي الأَجسَامِ، وَالسَّعَةِ فِي الأَموَالِ مَا لَمْ نُعطِكُم [٢].

﴿أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِدْرَاراً﴾ وَالـمُرَادُ بِالسَّمَاءِ هُنَا: الـمَطَرُ [٣].

وَالـمِدرَارُ: الغَيثُ، وَالبَرَكَةُ [٤].

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٦﴾

يُقَالُ: وَأَطعَمتُهُ مِن جُوعٍ، فَقَد أَحسَنتُ إِلَيهِ، تُرِيدُ: أَتمَمتُ الإِحسَانَ إِلَيهِ[٥].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ أَي: العَذَابَ [٦].

﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أَي: فَقَد نَجَّاهُ اللهُ تَعَالَى [٧].

---

(١) الأحقاف: ٢٦، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٥٣.
(٢) التفسير الأصفى: الكاشاني: ١/ ٣١٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٥٣.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٢.
(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٩.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٥٧.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٩.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨)

الخَبِيرُ: العَالِمُ بِكُلِّ مَا يَصِحُّ أَن يُخبَرُ عَنهُ وَيُعلَمُ [١].

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٢٣)

يُقَالُ: فَتَنتُ الذَّهَبَ، إِذَا خَلَّصتُهُ [٢].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٥)

الأَكِنَّةُ: جَمعُ كِنَان، وَهوَ مَا وَقَى شَيئاً وَسَتَرَهُ [٣] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: **﴿وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾**.

وَالوَقرُ: الثِّقَلُ فِي الأُذُنِ [٤].

وَالأَكِنَّةُ عَلَى القُلُوبِ، وَالوَقرُ فِي الأُذُنِ مَثَلٌ فِي إِبَاءِ قُلُوبِهِم وَأَذَانِهِم عَن قَبُولِ الحَقِّ [٥].

الأُسطُورَةُ: وَاحِدَةُ الأَسَاطِيرِ، وَهوَ الأَبَاطِيلُ، مِثلَ حَدِيثِ اسفنديار ورُستُم، وَغَيرُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائدَةَ فِيهِ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [٦].

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٢٣٧.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٤٠٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٨.
(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٥٢٩.
(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ١١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٢١.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

النَّأيُ: البُعدُ (١).

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾

يُقَالُ: وَقَفتُهُ عَلَى كَلَامِ فُلَانٍ؛ أَي: عَرَّفتُهُ إِيَّاهُ (٢).

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ﴿٣١﴾

البَغتَةُ: نَوعٌ مِنَ الـمَجِيءِ (٣).

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً**﴾ أَي: دَامَ تَكذِيبَهُم إِلَى وَقتِ مَجيءِ السَّاعَةِ، فَجَاءَت مِن غَيرِ أَن يَعلَمُوا وَقتَهَا، وَنَصبَ بَغتَةً إِمَّا عَلَى الحَالِ، أَو عَلَى الـمَصدَرِ، بِمَعنَى: بَغَتَتهُم بَغتَةً، فَإِنَّهَا نَوعٌ مِنَ الـمَجِيءِ (٤).

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (نأى) ٨/ ٣٩٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٦٣.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ١٤٣.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٦٤.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٤٢)

قِيلَ: البَأسَاءُ: القَحطُ وَالجُوعُ، وَالضَرَّاءُ: الـمَرَضُ وَنُقصَانُ الأَموَالِ وَالأَنفُسِ [١].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ (٤٦)

الصَّدَفُ: الإِعرَاضُ [٢].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**﴾ أَي: يُعرِضُون [٣].

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٥٩)

الـمَفَاتِحُ: جَمعُ مَفتِحٍ؛ وَهوَ الـمِفتَاحُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**﴾[٤].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٠)

الجَرحُ: الكَسبُ [٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ١٨.

(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (عرض) ٤/ ١٣٨٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ١٤٠.

(٤) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٥٧٦.

(٥) العين، الفراهيدي، مادة (جرح) ٣/ ٧٨.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿٦١﴾

التَّفرِيطُ: التَّقصِيرُ وَالتَّأخِيرُ عَن الحَدِّ [1].

وَأَمَّا الإِفرَاطُ؛ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ، وَالتَّعَدِّي عَنهُ [2].

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ أَي: ذَكِّر بِالقُرآنِ، مَخَافَةَ أَن تُسَلَّمَ نَفسٌ إِلَى الهَلَاكِ وَالعَذَابِ، وَتَرتَهِنُ بِسُوءِ كَسبِهَا [3].

وَأَصلُ الإِبسَالِ وَالبَسلِ: الـمَنعُ، وَمِنهُ: أَسَدٌ بَاسِلٌ؛ لأَنَّ فَرِيسَتَهُ لَا تَفلُتُ مِنهُ [4].

﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا**﴾ أَي: أُسلِمُوا إِلَى الهَلَاكِ، وَارتَهَنُوا بِكَسبِهِم [5].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (فرط) ٣/ ١١٤٨.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٧٨.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٨٣.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٢٠.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٨٢.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا وَنُرَدُّ عَلى أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾ (٧١)

يُقَالُ: هَوَى فِي الأَرضِ: إِذَا ذَهَبَ، كَأَنَّهُ طَلَبَ هَوِيَه [١] وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ**﴾ كَالَّذِي ذَهَبَ بِهِ مَرَدَةُ الجِنِّ وَالغِيلَان فِي المَهَامِهِ [٢].

وَمَوضِعُ الكَافِ نَصبٌ عَلَى الحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي: ﴿**وَنُرَدُّ**﴾ قبلَهَا؛ أَي: إِنتَكَصَ، مُشَبِّهِينَ الَّذِي استَهوَتهُ الشَّيَاطِين [٣].

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (لـمَّا رَأَى إِبرَاهِيمُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، إِلتَفَتَ، فَرَأَى رَجُلاً يَزنِي، فَدَعَا عَلَيهِ فَمَاتَ، ثُمَّ رَأَى آخَرَ، فَدَعَا عَلَيهِ فَمَاتَ، ثُمَّ رَأَى ثَلَاثَةً فَدَعَا عَلَيهِم فَمَاتُوا، فَأَوحَى اللهُ إِلَيهِ: يَا إِبرَاهِيمَ، إِنَّ دَعوَتَكَ مُستَجَابَةٌ، فَلَا تَدعُ عَلَى عِبَادِي، فَإِنِّي لَو شِئتُ أَن أُمِيتَهُم بِدُعَائِكَ لَم أَخلِقهُم...) إِلَى آخِرِ الخَبَرِ [٤].

﴿وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥)

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**﴾ أَي: الرُّبُوبِيَّةُ وَالإِلهِيةِ، وَنُوَفِّقُهُ لَمعرِفَتِهِمَا، وَنَهدِيَهُ طَرِيقَ النَّظَرِ وَالإِستِدلَالِ [٥].

(١) تفسير أبي السعود: ٣/ ١٤٩.
(٢) كنز الدقائق، المشهدي: ٤/ ٣٥٦.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١/ ٥٨٢.
(٤) الكافي، الكليني: ٨/ ٣٠٥ح ٤٧٣، علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٥٨٥ح ٣١.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٨٥.

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْـمُوقِنِينَ﴾ أَي: وَرَأَينَاهُ ذَلِكَ، لِيَكُونَ مِنَ الـمُتَيَّقِنِينَ بِخَالِقِيَّةِ رَبِّهِ سُبحَانَهُ[١].

وَقَولُهُ: ﴿وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ﴾ حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ[٢] أَي: مِثلَ مَا وَصَفنَا مِن قَولِ إِبرَاهِيمَ لأَبِيهِ نُرِيَهُ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧)

البَزغُ: الإِبتِدَاءُ[٣].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَـمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّي﴾ أَي: مُبتَدِئاً بِالطُّلُوعِ، وَرَأَى كِبَرَهُ وَإِشرَاقَهُ[٤].

يُقَالُ: يَمُصُ الإِبهَامَ؛ إِذَا جَعَلَهُ فِي فِيهِ لِيَجذِبَ مَا عَلَيهِ.

وَقِيلَ: إِنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام كَانَ يَمِصُّ أَصَابِعَهُ، فَيُوجَدُ مِن إِصبعٍ مَاءً، وِمِنَ إِصبعٍ عَسَلاً، وَمِن أُخرَى تَمرَاً، وَمِن إِصبعٍ سَمناً، فَلَـمَّا خَرَجَ مِنَ السَّربِ، وَهوَ غَارٌ ذَهَبَت بِهِ أُمُّهُ إِلَيهِ، ثُمَّ إِنصَرَفَت عَنهُ، فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى رِزقَهُ فِي إِبهَامَهُ، فَجَعَلَ يَمصُّهَا[٥].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٤١٦.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٨٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (بزغ) ٨/ ٤١٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٩٣.

(٥) قصص الأنبياء، الراوندي: ١٠٧.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠)

﴿وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَتُحاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾ أَي: وُحدَانِيتُهُ، وَقَد هَدَانِي رَبِّي [١].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤)

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ دَاوُد بن إِيشَا: ﴿وَسُلَيْمَانَ﴾ إبنه: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ وَهوَ أَيُّوب بن أَموص بن رازح بن روم بن عيصَا بن إِسحَاق بن إِبرَاهِيم: ﴿وَيُوسُفَ﴾ بن يَعقُوب بن إِسحاق بن إِبراهم: ﴿وَمُوسَى﴾ بن عِمرَان بن يَصهر بن قَاهِث بن لَاوِى بن يَعقُوب: ﴿وَهَارُونَ﴾ أَكبَرُ سَنَةً مِن مُوسَى عليهما السلام [٢].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هوَ: عَبدُ اللَّهِ بن سَعد ابنُ أَبي سُرحِ القَرَشِيُّ [٣] فَإِنَّهُ كَانَ يَكتُبُ الوَحيَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَكَانَ إِذَا قَالَ لَهُ: (أُكتُب عَلِيمَاً حَكِيمَاً) كَتَبَ: غَفُورَاً رَحِيمَاً، وَإِذَا قَالَ: (أُكتُب غَفُورَاً رَحِيمَاً) كَتَبَ: عَلِيمَاً حَكِيمَاً،

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٢٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٠٣.

(٣) ابن الحارث بن حبيب، أسلم قديمًا، وكان كاتباً لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم ارتد وهرب الى مكة فأهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه يوم فتح مكة، فاستأمن له عثمان، وكان أخاه من الرضاعة فآمنه، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد ٧/ ٤٩٦، أسد الغابة، ابن الأثير: ٣/ ١٧٣.

فَارتَدَّ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَقَالَ: تِلكَ الآيَةِ الَّتِي حَكَاهَا اللهُ تَعَالَى[(١)].

وَرُوِي: أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَملَى عَلَيهِ ذَاتَ يَومٍ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ** – إِلَى قَولِهِ – **ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ**﴾ فَجَرَى عَلَى لِسَانِ ابنِ أَبِي سُرحٍ: ﴿**فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ**﴾ [(٢)] فَأَملَاهُ عَلَيهِ، وَقَالَ: هَكَذَا أُنزِلَ، فَارتَدَّ عَدُوَّ اللَّهِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقَاً، فَلَقَد أُوحِيَ إِلَيَّ كَمَا أُوحِيَ إِلَيهِ، وَلَئِن كَانَ كَاذِبَاً، فَلَقَد قُلتُ كَمَا قَالَ، وَارتَدَّ عَن الإِسلَامِ، وَهَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَمَهُ.

فَلَمَّا كَانَ يَومَ الفَتحِ، جَاءَ بِهِ عُثمَان، وَقَد أَخَذَ بِيَدِهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي المَسجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِعفُ عَنهُ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَعَادَ، فَسَكَتَ، ثُمَّ أَعَادَ فَسَكَتَ، فَقَالَ: (هُوَ لَكَ) فَلَمَّا مَرَّ بِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصحَابِهِ: (أَلَمْ أَقُل: مَن رَآهُ فَليَقتُلهُ) فَقَالَ: عَبَّاد بِن بِشر [(٣)]: كَانَت عَينِي إِلَيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَن تُشِيرَ إِلَيَّ فَأَقتُلَهُ، فَقَالَ ﷺ: (الأَنبِيَاءُ لَا يَقتُلُونَ بِالإِشَارَةِ) [(٤)].

وَقِيلَ: هُوَ النَّضرُ بِن الحَارِث ـ لَعَنَهُ الله ـ وَالمُستَهزِؤن [(٥)].

الغَمرَةُ: وَاحِدُ الغَمَرَاتِ؛ وَهي: الشِّدَّةُ وَالسَّكرَةُ، وَأَصلُ الغَمرَةِ: مَا يُغمَرُ مِنَ المَاءِ، فَاستُعِيرَت لِلشِدَّةِ الغَالِيَةِ [(٦)].

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٢١٠، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٢٠٢، بتفاوت يسير.

(٢) المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

(٣) ابن وقش بن زغبة، أبو الربيع، شهد بدراً، قتل يوم اليمامة في عهد أبي بكر، ينظر: الثقات، ابن حبان: ٣/ ٣٠٦، الإصابة، ابن حجر: ٣/ ٤٩٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١١٢ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/ ٣٤.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩٤.

(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٣٦.

الإِرهَاقُ: فِعلُ الغَرِيمِ المُلِّحُ، يَبسِطُ يَدَهُ إِلَى مَن عَلَيهِ الحَقّ، وَيَقُولُ لَهُ: أَخرِج إِلَيَّ مَا لِي عَلَيك [١].

الهَونُ: الهَوَانُ الشَّدِيد [٢].

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤)

الفُرَادَى: جَمعُ فَردٍ، وَالأَلِفُ فِيهِ لِلتَأنِيثِ، مِثلُ كُسَالَى [٣].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى**﴾.

﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونا**﴾ لِلحِسَابِ وَالجَزَاءِ، مُنفَرِدِينَ عَن أَموَالِكُم وَأَولَادِكُم، وَعَن أَوثَانِكُم[٤].

وَفِي الحَدِيثِ: (تُحشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً، غُرلاً) [٥] أَي: قُلفاً[٦].

وَرُوِيَ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَت لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعَت ذَلِكَ: وَا سَوأَتَاه، أَيَنظُرُ بَعضُهُم إِلَى سَوأَةِ بَعضٍ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ؟! فَقَالَ ﷺ: (﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ**

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٣٤٢.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٢٠٣، تفسير الرازي: ١٣/ ٨٦.
(٣) التبيان في إعراب غريب القرآن، العكبري: ١٥٠.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩٥.
(٥) صحيح البخاري: ٤/ ١١٠، سنن الترمذي: ٥/ ١٠٤ح ٣٣٨٨.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩٥، والقلف: هو الذي لم يختن، الصحاح، الجوهري، مادة (قلف) ٤/ ١٤١٨.

شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[١] وَيُشغَلُ بَعضُهُمْ عَن بَعضٍ)[٢].

التَّخويلُ: الإِعطَاءُ، يُقَالُ: خَوَّلَهُ شَيئاً، إِذَا أَعطَاهُ بِغَيرِ جَزَاءٍ[٣].

﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أَي: مَا مَلَّكنَاكُم فِي الدُّنيَا، فَشُغِلتُم بِهِ عَن الآخِرَةِ[٤].

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾

يُقَالُ: فَلَقَهُ؛ أَي: شَقَّهُ[٥].

الإِصبَاحُ: عَمُودُ الفَجرِ[٦].

الحُسبَانُ: بِالضَّمِّ، مَصدَرُ حَسِبَ بِالفَتحِ، كَمَا أَنَّ الحِسبَان بِالكَسرِ مَصدَرُ حَسِبَ[٧].

---

(١) عبس: ٣٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١١٥ هنه بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ٦٩.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٢٢٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩٥.
(٥) الصحاح، الجوهري، مادة (فلق) ٤/ ١٥٤٤.
(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٣٨.
(٧) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٣٣.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (٩٨)

عَن الحَسَنِ: يَا بنَ آدم، أَنتَ وَدِيعَةٌ فِي أَهلِكَ، وَيُوشَكُ أَن تَلحَقَ بِصَاحِبك [١] وَأَنشَدَ قَولَ لَبِيدٍ [٢]:

وَمَا الـمَالُ وَالأَهلُونَ إِلَّا وَدِيعَةً ... وَلَا بُدَّ يَومَا أَن تُرَدَّ الوَدَائعُ [٣]

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٩)

قَالَ بَعضُ العُلَمَاءِ: كُلُّ مَا عَلَاكَ وَأَظَلَّكَ سَمَاءٌ [٤].

الحَبُّ الـمُتَرَاكِبُ: الَّذِي ارتَكَبَ بَعضُهُ بَعضاً، مِثلُ سُنبُلَةِ الحِنطَةِ وَالشَّعِيرِ [٥].

القِنوَانُ: وَهوَ الإِغدَاقُ، جَمعُ قَنوٍ، وزَانُ صِنوَانِ، جَمعُ صِنوٍ أَيضَاً [٦].

---

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ١٧٣.

(٢) لبيد بن ربيعة بن عمر بن مالك، الشاعر المعروف، من فحول الشعراء، وفد على رسول الله ﷺ فأسلم، ولم يقل شعراً بعد إسلامه، مات وهو ابن اربعين ومئة، وقيل أكثر من ذلك، ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ٤/ ٢٦٠.

(٣) الشاهد له كما في: نهاية الأرب، النويري: ٣/ ٧٠.

(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (سما) ٦/ ٢٣٨٢.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩٨.

(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٢١٦.

وَالعِذقُ، بِفَتحِ العَينِ الـمُهمَلَةِ: النَّخلَةُ [(١)] وَطَلعُهَا: أَوَّلُ مَا يَبدُو مِن ثَمَرِهَا، وَفي الصِّحَاحِ [(٢)]: العِذقُ مِنَ التَّمرِ، كَالعُنقُودِ مِنَ العِنَبِ.

﴿دانِيَةٌ﴾ أَي: سَهلَةُ الـمُجتَنَى، قَرِيبَةُ التَّنَاوِلِ [(٣)].

يُقَالُ: يَنَعَتِ الثَّمَرَةُ، نِيعاً وَنُيعَاً، وَيَنَعَتِ الثَّمَرَةُ: إِذَا أَدرَكَت [(٤)].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أَي: انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَخرَجَ ثَمَرُهُ كَيفَ يُخرِجَهُ ضَئيلاً صَغِيراً [(٥)] وَانظُروا إِلَى حَالَ يَنعِهِ؛ أَي: نُضجَهُ، كَيفَ يَكُونُ جَامِعَاً لِـمَنَافِعِ وَمَلَاذُ نَظَرِ اعتِبَارٍ وَاستِبصَارٍ [(٦)].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٠٠)

وَإِنَّمَا يُسَمَّى الجِنَّ جِنَّاً؛ لاستِتَارِهِم عَنِ الأَعيُنِ [(٧)].

يُقَالُ: خَلَقَ الإِفكَ، وَاختَلَقَهُ، وَخَرَقَهُ وَاختَرَقَهُ بِمَعنَىً [(٨)].

(١) العين، الفراهيدي، مادة (عذق) ١/ ١٤٨.
(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (كبس) ٣/ ٩٦٩.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٩٩.
(٤) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٤/ ١٨٨.
(٥) في المصدر: ضئيلًا ضعيفاً.
(٦) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٤٠.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٢٥.
(٨) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٠١.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾

يُقَالُ: بَدِيعُ الشَّيءِ، مِن إِضَافَةِ الصِّفَةِ الـمُشَبَّهَةِ إِلَى فَاعِلِهَا، كَقَولِكَ: فُلَانٌ الشِّعرِ؛ أَي: بَدِيعٌ شِعرُهُ[1].

وَمِنهُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ خَبَرُ مُبتَدَأ مَحذُوفٍ، أَي: هُوَ مُبدِعُهُمَا، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مُبتَدَأ وَخَبَرُهُ: ﴿**أَنَّى يَكُونُ**﴾ بَعدَهُ: ﴿**لَهُ وَلَدٌ**﴾[2].

وَالـمَعنَى: هُوَ بَدِيعٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، مِثلُ قَولِكَ: فُلَانٌ ثَبتُ الغَدرِ؛ أَي: ثَابِتٌ فِيهِ؛ أَي: هُوَ عَدِيمُ النَّظِيرِ وَالـمِثلِ فِيه[3].

﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ**﴾ أَي: لَيسَ بِجِسمٍ حَتَّى يُولِدُ وَلَدَاً، وَالولَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بَينَ زَوجَينِ: ﴿**وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ**﴾ وَهَذَا لَا يَصِحُّ عَلَيهِ تَعَالَى: شَأنُهُ: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[4].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٠١.
(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٣٧.
(٣) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٤١.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٠٢.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿**ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ ذَلِكُم: مُبتَدَأ، إِشَارَةٌ إِلَى الـمَوصُوفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الـمُتقَدِّمَةِ، وَمَا بَعدَهُ أَخبَارٌ مُتَرَادِفَةٌ: ﴿**فَاعْبُدُوهُ**﴾ [1].

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾

الدِّرَاسَةُ: القِرَاءَةُ [2].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٠٧﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا**﴾ أَي: وَلَو شَاءَ اللهُ أَن يَجعَلَ الخَلَائِقَ وَالعِبَادَ أَن يَترُكُوا الشِّركَ قَسرَاً وَإِجبَارَاً لاضطَرَهُم إِلَى ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَم يَضطَرَهُم إِلَيهِ لِـمَا يُنَافِي التَّكلِيف [3].

وَفي تَفسِيرِ أَهلِ البَيتِ ﷺ: (لَو شَاءَ اللهُ أَن يَجعَلَ كُلَّ النَّاسِ مُؤمِنِينَ مَعصُومِينَ، حَتَّى كَانَ لَا يُعصِيهُ أَحَدٌ لـمَا كَانَ يَحتَاجُ إِلَى جَنَّةٍ وَلَا إِلَى نَارٍ، وَلَكِنَّهُ سُبحَانَهُ أَمَرَهُم وَنَهَاهُم، وَأَعطَاهُم مَا لَهُم بِهِ عَلَيهِم الحُجَّة؛ مِنَ الآلَةِ وَالإِستِطَاعَةِ، لِيَستَحِقُّوا الثَّوَابَ وَالعِقَابَ) [4].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٤١.
(٢) جامع البيان، الطبري: ٨/ ١٢٤ عن ابن زيد.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٣١.
(٤) تفسير القمي: ١/ ٢١٢، مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: ٤/ ١٣١.

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ أي: رَقِيباً لِأَعمَالِهِم [١].

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ تَقُومُ بِإِمُورِهِم [٢] وَإِنَّمَا أَنتَ رَسُولٌ عَلَيكَ البَلَاغ.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٢)

قَالَتِ العَرَبُ: إيتِ السُّوقَ، إِنَّكَ تَشتَرِي لَحماً؛ أَي: لَعَلَّكَ [٣].

الزُّخرُفُ مِنَ القَولِ: أَبَاطِيلَهُ الـمُمَوَهَةُ الـمُزَيَّنَةُ، الَّتِي يُستَحسَنُ ظَاهِرُهَا، وَلَا حَقِيقَةَ وَاصِلٍ لَهَا [٤].

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ (١١٣)

الصَّغوِ: الـمَيلُ [٥].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أَي: وَليَمِيلَ إِلَى مَا ذُكِرَ مِن عَدَاوَةِ الأَنبِيَاءِ، وَوَسوَسَةِ الشَّيَاطِينِ قُلوبُ الَذِينَ.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَاللَّامُ لِلصَّيرُورَةِ [٦].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٤٤٢.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٤٠.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٤/ ١٩٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٤٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ٢٨٢

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٠٨.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْنا في كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِميها لِيَمْكُرُوا فيها**﴾ أَي: كَمَا جَعَلنَا ذَا النُّورِ مِنَ المُؤمِنِينَ، جَعَلنَا ذَا المَكرِ مِنَ المُجرِمِينَ في كُلِّ قَريَةٍ أَكَابِرَ مُجرِمِيهَا لِيَمكُروا فِيهَا، يَعنِي: خَلَّينَاهُم وَشَأنَهُم لِيَمكُروا فِيهَا، وَلَم يَكفِهِم عَنِ المُنكَرِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الأَكَابِرَ بِالذِّكرِ لأَنَّهُ أَليَقُ[1].

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٤٢﴾

الحَمُولَةُ مِنَ الأَنعَامِ: مَا يَحمِلُ الأَثقَالَ، وَقِيلَ: الحَمُولَةُ: الكِبَارُ الَّتي تَصلُحُ لِلحَملِ[2].

وَالفُرشُ: الصِّغَارُ مِنهَا؛ لِدُنُوِّهَا، وَهي كَالفَرشِ المَفرُوشِ عَلَيهَا[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٥٣.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٢٩٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٢٤.

﴿ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (١٤٣)

الضَّأنُ: ذَوَاتُ الصُّوفِ مِنَ الغَنَمِ [١].

الـمَعزُ: ذَاتُ الشَّعرِ مِنهُ [٢] وَاحِدُهُمَا: ضَائنٌ وَمَاعِزٌ.

﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥)

يُقَالُ: سُفِحَ الدَّمُ؛ إِذَا صُبَّ [٣] وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَوْ دَماً مَسْفُوحاً**﴾ أَي: مَصبُوبَاً سَائلاً، كَالدَّمِ فِي العُرُوقِ [٤].

الإِهلَالُ فِي الأَصلِ: رَفعُ الصَّوتِ بِالشَّيء [٥].

(١) المصباح المنير، الفيومي، مادة (ضأن) ٢/ ٣٦٥.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قرهم) ١٣/ ٤٧٧.
(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (سفح) ٣/ ٨١.
(٤) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٤/ ٢٤٢.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٤٢٩.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿١٤٦﴾

الشُّحُومُ: الثُّرُوبُ، وَشُحُومُ الكِلَى [١].

الحَوَايَا: الأَمعَاءُ، جَمعُ حَاوِيَةٍ، أَو حَاوِيَاءُ، أَو حَوِيَةٌ، كَسَفِينَةٌ وَسَفَائِن [٢].

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾

الخَرصُ: التَّقدِيرُ وَالتَّخمِينُ، وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ**﴾ [٣].

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾

إِعلَم: أَنَّ: ﴿**هَلُمَّ**﴾ يَستَوِي فِيهِ الوَاحِدُ وَالجَمعُ، وَالـمُذَكَّرُ وَالـمُؤَنَّثُ، وَبَنُو تَمِيمٍ تُؤَنِّثُ وَتَجمَعُ، وَهَذَا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ**﴾ أَي: هَاتُوا [٤].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٦١.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣٠٦، تفسير أبي السعود: ٣/ ١٩٥.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٢٨، وأصل الخرص: الكذب.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٢٨، تفسير الرازي: ١٣/ ٢٣٠.

﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١)

قولُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿ما حَرَّمَ﴾ مَنصُوبُ بـ: ﴿أَتْلُ﴾ بِمَعنَى: أَتلُ الَّذِي حَرَّمَهُ رَبُّكُم: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾[١].

وَأَن فِي قولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ وَأَن في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا﴾ مُفَسِّرَةٌ، وَلَا يَنهَى وَإِن جُعِلَت أَن النَّاصِبَةِ لِلفِعلِ، كَانَ: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا﴾ بَدَلاً مِن: ﴿ما حَرَّمَ﴾ إِلَّا أَنَّ القَولُ الأَوَّلِ أَوجَهُ[٢].

الإِملَاقُ: الفَقرُ[٣].

لِيَكُونَ: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا﴾ ﴿وَلا تَقْرَبُوا﴾ ﴿وَلا تَقْتُلُوا﴾ ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ الَّتِي بَعدَهَا؛ نَوَاهِي، وَتَتَعَطَّفُ الأَوَامِرُ عَلَيهَا، وَهِي قَولُهُ: ﴿وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ فَإِنَّ التَّقدِيرَ: أَحسِنُوا بِالوَالِدَينِ إِحسَانًا ﴿وَأَوْفُوا﴾ ﴿وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[٤].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ المَعنَى: ﴿عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا﴾ أَي: عَلَيكُم تَركُ الإِشرَاكِ، عَلَى أَن تَكُونَ أَنْ نَاصِبَةٌ لِلفِعلِ.

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ﴾ أَي: مِن أَجلِهِ وَخَشيَتِهِ.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٦٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٢٨.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (ملق) ٤/ ١٥٥٧.

(٤) جوامع الجامع الطبرسي: ١/ ٦٢٩.

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فَإِنَّ رِزقَ الجَمِيعِ عَلَينَا.

﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾ [١].

وَعَنِ البَاقِرِ عليه السلام: (مَا ظَهَرَ مِنَ الفَوَاحِشِ؛ هُوَ: الزِّنَا، وَمَا بَطَنَ؛ هُوَ: الـمُخَالَّةُ) [٢].

﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ كَالقِصَاصِ، وَالقَتلُ عَلَى الرِّدَةِ، وَالرَّجمِ، وَإِعَادَةُ ذِكرِ القَتلِ؛ لِلإِهتِمَامِ بِهِ، وَالتَّفخِيمُ لِأَمرِهِ، وَالنَّفسُ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ قَبلَهَا؛ هِيَ: نَفسُ الـمُسلِمِ وَالـمُعَاهِدِ [٣].

﴿ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أَيِ: إِحفَضُوا الـمَذكُورَاتِ [٤].

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٢)

﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أَي: لَا تَتَصَرَّفُوا فِيهِ إِلَّا أَن تَحفَظُوهُ لَهُ عَلَى وَجهِ الصَّرفَةِ: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ثُمَّ أَوقِفُوا إِلَيهِ [٥].

وَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ﴾ أَي: أَتِمُّوهَا بِالتَّسوِيَةِ وَالعَدلِ مِن غَيرِ بَخسٍ [٦].

(١) جوامع الجامع الطبرسي: ١/ ٦٢٩.
(٢) المخالة: اتخاذ الخليل، مجمع البيان، الطبرسي: ٤/ ١٩١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٢٩.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣١٩.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٩٣.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣١٨.

﴿**لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها**﴾ وَهوَ: مَا يَسَعُهَا [١].

﴿**وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى**﴾ أَي: لَا تَتخِذُوا طُرُقَاً تُرِيدُهُ أَنفُسَكُم وَلَو كَانَ الـمَقُولَ لَهُ أَو عَلَيهِ ذَا قُربَى بِكُم [٢].

﴿**وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا**﴾ أَي: مَا أَوجَبَ عَلَيكُم، وَمَا أَوجَبتُم مِنَ النُّذُورِ وَالعُهُودِ الـمَشرُوعَةِ [٣].

﴿**ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ أَي: تَتَذَكَّرُونَ [٤].

﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ أَي: وَلَا تَتَّبِعُوا الطُّرُقَ الـمُختَلِفَةِ فِي الدِّينِ [٥].

وَقَولُهُ: ﴿**فَتَفَرَّقَ**﴾ أَصلُهُ: تَتَفَرَّق [٦] حُذِفَت إِحدَى التَّائِينِ.

﴿**ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ**﴾ فَرَضَ عَلَيكُم [٧]

﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ أَي: تَتَقُونَ الضَّلَالَ، وَالتَّفَرُّقَ عَنِ الحَقِّ [٨].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٦٦.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٣٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ١٩٤.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣١٩.
(٥) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٦٢.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٣١.
(٧) التبيان في تفسير القرين، الطوسي: ٣/ ١٢٩.
(٨) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٦٧.

وَقبلُ ذَلِكَ آياتٌ مِن قولِهِ: ﴿**قُلْ تعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾ [1] إِلَى هَهُنا آياتٌ عَلَيهَا بِنَاءُ الدِّينِ وَالإِسلَامِ.

قَالَ إِبنُ عبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الآيَاتُ مُحكَمَاتٌ، لَم يَنسَخهُنَّ شَيءٌ مِن جَمِيعِ الكُتُبِ، وَهي مُحرَّمَاتٌ عَلَى بَنِي آدَمَ كُلِّهِم، وَهُنَّ أُمُّ الكِتَابِ، مَن عَمِلَ بِهِنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن تَرَكَهُنَّ، دَخَلَ النَّارَ [2].

وَعَن إِبنِ مَسعُودٍ، رَوَى: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَّ خَطَّاً، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ الرُّشدِ) ثُمَّ خَطَّ عَن يَمِينِهِ وَشِمَالَهُ خُطُوطَاً، ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ سُبلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنهَا شَيطَانٌ يَدعُو إِلَيهِ، ثُمَّ تَلَى قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً**﴾ الآية) [3].

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (١٥٦)

القَدِيمُ: ضِدَّ الحَدِيثِ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ**﴾ إن هِي مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَة، وَلِذَلِكَ دَخَلَتِ اللَّامُ الفَارِقَةُ بينهَا وَبَينَ النَّافِيَةِ؛ أَي: وَإِن كُنَّا عَن قَرَاءتِهم، وَالهَاءُ: ضَمِيرُ شَأْنٍ؛ أَي: لَم نَعرِف مِثلَ قَرَاءتِهِم [4].

---

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ٢٠٥.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٣١.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٣٢.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧)

الصَّدَفُ: الإِعرَاضُ، وَالصَّدُّ عَن الشَّيء [١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذينَ فَرَّقُوا دينَهُمْ**﴾ بِأَن جَعلُوهُ أَديانَاً [٢].

﴿**وَكانُوا شِيَعاً**﴾ أَي: أَضرَاباً وَفِرَقاً، يُكَفِّرُ بَعضُهُم بَعضَاً، كُلّ فِرقَةٍ تُشَيِّعُ إِمَامَا لَهَا [٣].

وَفِي الحَدِيثِ: (إِفتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحدَى وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا في الهَاوِيَةِ، إِلَّا وَاحِدَةً، وَافتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنتَينِ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا في الهَاوِيَةِ، إِلَّا وَاحِدَةً، وَسَتَفتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا في الهَاوِيَةِ، إِلَّا وَاحِدَةً) [٤].

الإِبتِلَاءُ: الإِختِبَارُ [٥].

(١) تاج العروس، الزبيدي، مادة (صدف) ١٢/ ٣١٧.
(٢) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٣/ ٢٢٢.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٣٤.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٧٠، وورد هذا الحديث في مصادر كثير، باختلاف وتفاوت بعضها عن بعض.
(٥) التبيان في تفسير القرآن،الطوسي: ١٠/ ٥٨،لسان العرب، ابن منظور،مادة (بلي) ١٤/ ٨٤.



الفصل السابع

سورة الأعراف



﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾

الحَرَجُ: الضِّيقُ[1].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ**﴾ أي: هُوَ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيكَ بِأَمرِ اللَّهِ، فَلَا يَكُن في صَدرِكَ ضِيقٌ مِن تَبلِيغِهِ؛ لأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه كَانَ يَخَافُ تَكذِيبَ قَومِهِ لَهُ، وَإِعرَاضَهُم عَن قَبُولِ قَولِهِ، وَأَذَاهُم لَهُ، فَكَانَ يَضِيقُ صَدرُهُ مِنَ الأَذَى وَلَا يَنبَسِطُ، فَآمَنَهُ سُبحَانَهُ، وَأَمَرَهُ بِتَركِ الـمُبَالَاةِ بِهِم[2].

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ ﴿٤﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ**﴾ أَي: وَجَاءَ بِأَهلِ القُرَى عَذَابُنَا بَائِتِينَ أَو قَائِلِينَ؛ أَي: وَكَم مِن قَريَةٍ أَردنَا إِهلَاكَ أَهلِهَا، فَجَاءَهَا عَذَابُنَا في هَذَينِ الوَقتَينِ؛ وَقتُ البَيَاتِ، وَهوَ بِاللَّيلِ كَقَومِ لُوطٍ، وَوَقتُ نَومِ القَيلُولَةِ؛ وَهوَ نِصفُ النَّهَارِ كَقَومِ شُعَيبٍ،

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٣/ ٢٤٦.

(٢) التفسير الصافي، الكاشاني: ٣/ ١٧٩.

وَإِنزَالُهُ فِي هَذَينِ الوَقتَينِ لأَنَّهُمَا وَقتُ الغَفلَةِ وَالدَّعَةِ، فَيَكُونُ نُزُولُ العَذَابِ فِيهِمَا أَشَدُّ وَأَقطَعُ[١].

وَقَولُهُ: ﴿بَيَاتاً﴾ مَصدَرٌ وُضِعَ مَوضِعَ الحَالِ، وَقَولُهُ: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ عَطفٌ عَلَيهِ، وَإِنَّمَا حُذِفَت وَاوُ الحَالِ؛ لأَنَّ الضَّمِيرَ العَائِدَ قَد أَغنَى عَنهُ؛ وَلأَنَّهَا إِذَا عُطِفَت عَلَى حَالٍ قَبلِهَا يُحذَفُ الوَاوُ استِثقَالاً لإِجتِمَاعِ حَرفِي عَطفٍ؛ لأَنَّ وَاو الحَالِ هِيَ وَاوُ العَطفِ، استُعِيرَت لِلوَصلِ[٢] مِمَّا كَانَ دَعوَاهُمَا، جَاءَهُم بَأسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا: إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ؛ أَي: فِيمَا كُنَّا عَلَيهِ، وَدَعوَاهُم خَبَرُ كَانَ، وَإِن قَالُوا رُفِعَ لأَنَّه اسمُهُ، وَيَجُوزُ العَكسُ[٣].

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (١٢)

وَقَد قِيلَ: إِنَّ الطِّينَ خَيرٌ مِنَ النَّارِ؛ لأَنَّهُ أَكثَرُ مَنَافِعَ لِلخَلقِ، مِن حَيثُ أَنَّ الأَرضَ مُستَقَرُّ الخَلقِ، وَفِيهَا مَعَايِشٌ لَهُم، وَمِنهَا تَخرُجُ أَنوَاعِ أَرزَاقِهُم[٤].

وَهَذَا عَلَى إِبلِيس، حَيثُ أَخطَأَ القِيَاسَ، وَهوَ أَوَّلُ مَن قَاسَ، وَإِنَّمَا دَخَلَت الشُّبهَةُ عَلَيهِ مِن حَيثُ ظَنَّ اَنَّ النَّارَ أَشرَفُ مِنَ الطِّينِ، وَمِن حَقِّ الأَشرَافِ أَن لَا يُؤمَرُوا بِالسُّجُودِ لِلأَدوَنِ[٥] وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.

وَفِي الحَدِيثِ: (مَن تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللهُ، وَمَن تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللهُ)[٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤١.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤١.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٦٨.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٢٢٥.
(٥) جمع الجوامع، الطبرسي: ١/ ٦٤٣.
(٦) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٧٦.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦)

قَولُه تَعَالَى: ﴿**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ هَذَا قَولُ إِبلِيس؛ أَي: لأَعتَرِضَنَّ لَهُم عَلَى طَرِيقِ الإِسلَامِ كَمَا يَعتَرِضُ العَدوُّ عَلَى المَارَّةِ، وَانتَصَبَ: ﴿**صِرَاطَكَ**﴾ عَلَى الظَّرفِ [١].

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٧)

﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾ أَي: مِنَ الجِهَاتِ الأَربَعِ الَّتِي يَأتِي مِنهَا العَدوّ فِي الغَالِبِ، وَلِذَلِكَ لَم يَقُل: مِن فَوقِهِم وَمِن تَحتِ أَرجُلِهِم، وَهَذَا مَثَلٌ لِوَسوَسَتِهِ إِلَيهِم عَلَى كُلِّ وَجهٍ يَقدِرُ عَلَيهِم [٢].

وَعَنِ البَاقِرِ عليه السلام: (أُهَوِّنُ عَلَيهِم أَمرَ الآخِرَةِ: ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ آمُرُهُم بِجَمعِ الأَموَالِ وَمَنعِهَا عَنِ الحُقُوقِ [٣] لِتَبقَى لِوَرَثَتِهِم: ﴿**وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ**﴾ أُفسِدُ عَلَيهِم أَمرَ دِينِهِم؛ بِتَزيِيِّنِ الضَّلَالَةِ، وَتَحسِينِ الشُّبهَةِ: ﴿**وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾ بِتَحبِيبِ اللَّذَّاتِ إِلَيهِم، وَتَغلِيبِ الشَّهَوَاتِ عَلَى قُلُوبِهِم) [٤].

إِنِّي أُزَيِّنُ لَهُم الدُّنيَا، وَأُخَوِّفُهُم بِالفَقرِ، وَأَقُولُ لَهُم: لَا جَنَّةَ وَلَا نَار، وَلَا بَعث وَلَا نُشُورَ، وَلَا حِسَابَ وَلَا كِتَابَ، وَأُشغِلَهُم عَنِ الحَسَنَاتِ، وَأُحَبِّبُ إِلَيهِم السَّيآتِ [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤٥، مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١٢٨.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٧١.

(٣) في المصدر: (والبخل بها عن الحقوق).

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٢٨، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ١١/ ١٣٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٢٨، زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٥٠١.

وَقَالَ إِبنُ عبَّاسٍ: وَإِنَّمَا لَم يَقُل: وَمِن فَوقِهِم؛ لأَنَ: فَوقَهُم جِهَةُ نُزُولِ الرَّحمَةِ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَلَم يَقُل: مِن تَحتِ أَرجُلِهِم؛ لأَنَّ: الإِتيَانَ مِنهُ مُوحِشٌ[١].

وَإِنَّمَا يُعَدَّى الفِعلُ إِلَى الأَوَّلَينِ بِحَرفِ الإِبتِدَاءِ؛ لِأَنَّهُ مِنهُمَا مُتَوَجِّهٌ إِلَيهِم وَإِلَى الآخَرِينِ بِحَرفِ المُجَاوَزَةِ، فَإِنَّ الآتِي مِنهُمَا كَالمُنحَرِفِ عَنهُم، المَارِّ عَلَى عَرضِهِم[٢].

﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ﴾ هَذَا إِخبَارٌ عَن إِبلِيسَ لَعَنَةُ اللَّهِ عَلَيهِ[٣].

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨)

﴿قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً﴾ أَي: مَطرُوداً، وَالذَّمُّ أَشَدُّ العَيبِ، يُقَالُ ذَأَمَهُ إِذَا ذَمَّهُ[٤].

وَالدَّحرُ: الطَّردُ عَلَى وَجهِ الهَوَانِ وَالإِذلَالِ[٥].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً﴾ أَي: أُخرُج مِنَ الجَنَّةِ، أَو السَّمَاءِ، أَو المَنزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، مَذمُوماً مَطرُوداً[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٢٨، عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٦٠/ ١٥٢.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٠.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣٦٥.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤٥.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣٦٦، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٢٩.
(٦) زبدة التفاسير، الكاشي: ١/ ١٢٨.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾

يُقَالُ: وَسوَسَ إِلَيهِ، إِذَا أَلقَاهَا إِلَيهِ، وَيُقَالُ: وَسوَسَ لَهُ؛ أَي: فَعَلَ الوَسوَسَةَ لأَجلِهِ[١].

يُقَالُ: وَسوَسَ لَهُ، وَوَسوَسَ إِلَيهِ؛ إِذَا تَكَلَّمَ لَهُ كَلَاماً خَفِيّاً يُكَرِّرُهُ، وَرَجُلٌ يُوَسوِسُ، بِكَسرِ الوَاوِ، وَلَا يُقَالُ: يُوَسوَسُ بِالفَتحِ، وَلَكِن يُوَسوِسُ لَهُ وَإِلَيهِ، وَهوَ فِعلٌ غَيرُ مُتَعَدٍّ[٢].

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٢﴾

يُقَالُ: خَصَفُ النَّعلِ رَقعُهُ[٣].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ وَيُقَالُ: طَفِقَ بِكَذَا، يَفعَلُ كَذَا؛ بِمَعنَى: جَعَلَ يَفعَلُ كَذَا، أَي: أَخَذَا يَرقَعَانِ وَرَقَةً فَوقَ وَرَقَةٍ[٤] عَلَى سَوأَتِهِمَا، كَمَا يُخصَفُ النَّعلُ: ﴿**مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ لِيَستُرَا عَورَاتِهِمَا، قِيلَ: كَانَ وَرقُ التِّينِ[٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ٢/ ٧٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤٦.

(٣) المصباح المنير، الفيومي: ١/ ١٧١.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٥٠٦.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤٧.

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾

العَدوُّ: الـمُدَاجِي الَّذِي يَكِيدُ مِن حَيثُ لَا يُشعَرُ[١].

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

الـمُوَارَاةُ: جَعلُ الشَّيءِ وَرَاءَ مَا يَستُرُهُ[٢].

سَوأَةُ الإِنسَانِ: عَورَتُهُ[٣].

الرِّيشُ: لِبَاسُ الزِّينَةِ، استُعِيرَت مِن رِيشِ الطَّيرِ؛ لأَنَّهُ لِبَاسُهُ وَزِينَتُهُ[٤].

وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ أَي: عَورَتَكُم وَرِيشَاً.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ وَلِبَاسٌ: مُبتَدَأٌ، خَبَرُهُ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ كَأَنَّهُ هُوَ خَيرٌ؛ لِأَنَّ أَسمَاءَ الإِشَارَةِ تُقَرِّبُ مِنَ الضَّمَائِرِ فِيمَا يَرجِعُ إِلَى عَودِ الذِّكرِ.

وَقِيلَ: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ خَبَرُ مُبتَدَءٍ مَحذُوفٍ، أَي: هُوَ لِبَاسُ التَّقوَى، ثُمَّ قِيلَ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

وَقِيلَ: الـمُرَادُ بِـ: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مَا يُلبَسُ مِنَ الدُّرُوعِ وَالـمَغَافِرِ وَغَيرَهُمَا مِمَّا يُتَّقَى فِي الحُرُوبِ[٥].

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل، الزمخشري: ١/ ٦٥٠، والمداجاة: المداراة، الصحاح، الجوهري، مادة: (دجا) ٦/ ٢٣٣٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني: ٣٥٢.

(٤) تفسير الرازي: ١٤/ ٥١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٤٩.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: إِنَّ اللهَ تعَالَى جعلَ الشَّيَاطِينَ يَجرُونَ مَجرَى الدَّمِ، وَصُدُورَ بَنِي آدَم مَسَاكِنَ لَهُم.

فَهُم يَرَونَ بَنِي آدَم، وَبَنُو آدَم لَا يَرونَهُم.

وَعَن قتَادَة: وَاللَّهِ، إِنَّ عَدُوًّا يَرَاكَ مِن حَيثُ لَا تَرَاهُ لَشَدِيدُ الـمَؤنَةِ، إِلَّا مَن عَصَمَ اللهُ.

وَقَالَ الجَبَّائِيُّ: لَا يَجُوزُ أَن يُرَى الشَّيَاطِينَ وَالجِنَّ؛ لأَنَّ اللهَ تعَالَى قَالَ: ﴿**لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾ وَإِنَّمَا يَجُوزُ أَن يُرَوا فِي زَمَنِ الأَنبِيَاءِ؛ بِأَن يَكشِفَ اللهُ أَجسَادَهُم علَى الأَنبِيَاءِ، كَمَا يَجُوزُ أَن يَرَى النَّاسُ الـمَلَائِكَةَ فِي زَمَنِهِم عليهم السلام[1].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٣٩.

﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾

يُقَالُ: تَدَارَكُوا فِي الـمَكَانِ؛ أَي: تَلَاحَقُوا فِيهَا، وَاجتَمَعُوا بِهَا، وَمِنهُ قَولُهُ تعالَى: ﴿**حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فيها جَميعاً**﴾ أَي: تَدَارَكُوا؛ أَي: تَلَاحَقُوا، أَو اجتَمَعُوا فِي النَّارِ [(١)].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (أَمَّا الـمُؤمِنُونَ؛ فَتُرفَعُ أَعمَالُهُم وَأَروَاحُهُم إِلَى السَّمَاءِ، فَتُفَتَّحُ لَهُم أَبوَابُهَا، وَأَمَّا الكَافِرُ؛ فَيُصعَدُ بِعَمَلِهِ وَرُوحِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَى السَّمَاءِ نَادَى مُنَادٍ: اهبِطُوا بِهِ إِلَى سِجِّينٍ؛ وَهُوَ وَادٍ بِحَضرَموت يُقَالُ لَهُ بَرَهُوتُ)[(٢)].

يُقَالُ: تُفَتَّحُ الأَبوَابِ: شَدَّدَ لِلكَثرَةِ [(٣)].

الخِيَاطُ: الـمَخِيطُ [(٤)].

(١) تفسير السمرقندي: ١/ ٥٣٠.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٤٠٠.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (فتح): ١/ ٣٨٩.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٥٦.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٤١)

الـمِهَادُ: الفِرَاشُ وَالـمَضجَعُ [١].

الغَوَاش: الأَغطِيَةُ وَاللّحف [٢].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (مَا مِن أَحَدٍ إلَّا وَلَهُ مِنزِلَهُ فِي الجَنَّةِ، وَمَنزِلَهُ في النَّارِ، فَأَمَّا الكَافِرُ، فَيَرِثُ الـمُؤمِنَ مَنزِلَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَمَّا الـمُؤمِنُ فَيَرِثُ الكَافِرَ مَنزِلَهُ في الجَنَّةِ) [٣].

وَقُرِأ قَولُهُ تعَالَى: ﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وَأَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، تَقدِيرُهُ، وَنُودُوا: بِأَنَّهُ تِلكُمُ الجَنَّةَ، وَالضَّمِيرُ ضَمِيرُ الشَّأنِ؛ أَي: وَنُودُوا إِذَ رَأَوهَا مِن بَعِيدٍ، أَو: بَعدَ دُخُوهِا: أَنَّهُ تِلكُمُ الجَنَّة، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ أَنْ مُفَسِّرَةً بِمَعنَى أَي؛ لأَنَّ الـمُنَادَاة مِنَ القَولِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَقِيلَ لَهُم تِلكُمُ الجَنَّة [٤].

وَإِنَّما قَالَ: تِلكُمُ؛ لأَنَّهُم وُعِدُوا بِهَا فِي الدُّنيَا، وَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُم: هَذِهِ تِلكُمُ الَّتِي وُعِدتُم بِهَا، وَيَجُوزُ أَن يَكُونُوا عَايَنُوهَا، فَقِيلَ لَهُم- قَبلَ أَن يَدخُلُوهَا - إِشَارَةً إِلَيهَا: ﴿**تِلْكُمُ الْجَنَّةُ**﴾ [٥].

(١) جامع البيان، الطبري: ٤/ ٢٨٧.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٥٦.
(٣) معالم التنزيل، البغوي: ٢/ ١٦٢.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٥٧.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٤٠٥.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

الأَعرَافُ: جَمعُ عُرفٍ، مُستَعَارٌ مِن عُرفِ الفَرَسِ وَالدِّيكِ [١].

وَقَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (الأَعرَافُ؛ هُم آلُ مُحَمَّدٍ، لَا يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن عَرَفَهُم وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدخُلَ النَّارَ إِلَّا مَن أَنكَرَهُم وَأَنكَرُوهُ، وَأَعرَافٌ لَا يُعرَفُ اللهُ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعرِفَتِهِم)[٢].

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُواْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾

يُقَالُ: أَفَاضَ عَلَيهِ مِنَ الـمَاءِ؛ إِذَا صَبَّهُ عَلَيهِ، وَالإِفَاضَةُ فِي الأَصلِ: إِجرَاءُ الـمَائِعِ مِن عُلُوٍّ [٣].

قَالَ اللهُ تعَالَى: **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾** أيك وَسَيُنَادِي أَهلُ النَّارِ، وَهُم الـمُخَلَّدُونَ فِيهَا أَهلَ الجَنَّةِ: **﴿أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾** مِنَ الأَطعِمَةِ وَالفَوَاكِهِ، قَالُوا: **﴿إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً﴾** [٤] أَي: الَّذِينَ لَا يَتَدَيَّنُونَ بِدِينِهِم، يُحرَمُونَ مِنهَا.

(١) غريب القرآن، الطريحي: ٣٩٩.
(٢) بصائر الدرجات، الصفار: ٥١٦ح ٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٦٥.
(٤) الأعراف: ٥٠-٥١، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦١.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤)

الحَثِيثُ: السَّيرُ السَّرِيعُ بِالسَّوقِ [١] مَصدَرٌ مِنَ الحَثِّ وَالحَثِيثِ والحَاثِّ وَالحَثِيثِ الـمَحثُوث.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥)

التَّضَرُّعُ: مِن الضَّرَاعَةِ؛ وَهي الذُّلُّ، وَقِيلَ: التَّضَرُّعُ رَفعُ الصَّوتِ[٢].

الخُفيَة: السِّرُّ [٣].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ إِنَّمَا ذَكرَ قَرِيبٌ علَى مَعنَى التَّرَحُمَ، أَو: لأَنَّهُ صِفَةُ مَوصُوفٍ مَحذُوفٍ؛ أَي: شَيء قَرِيبٌ، أَو لأَنَّ تَأنِيث الرَّحمَةِ غَير حَقِيقِي [٤].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٦٨.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦٣.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦٤.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

البُشرُ: جَمعُ بَشِيرٍ، مِنَ البِشَارَةِ، وَقَد تُخَفَّفُ، فَيُقَالُ: بُشر، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَهُوَ الَّذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾ [١].

الإِقلَالُ: الحَملُ، وَاشتِقَاقُهُ مِنَ القِلَّة والـمُقِلّ، لَا شَيء يَستَقِلُّهُ [٢].

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

يُقَالُ: أَرضٌ سَبِخَةٌ؛ وَهي الَّتي خَبُثَ تُرَابُهَا [٣].

النَّكِدُ: فِعلُ العَسِيرِ الـمُمتَنِعُ مِنَ الخُرُوجِ [٤] وَمِن إِعطَاءِ الخَيرِ عَلَى وَجهِ البُخلِ [٥].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً**﴾ أَي: وَالأَرضُ السَّبِخَةُ الَّتي خَبُثَ تُرَابُهَا، لَا يَخرُجُ زَرعُهَا إِلَّا نَبتَاً قَلِيلَاً لَا يُنتَفَعُ بِهِ [٦] وَتَقدِيرُ الكَلَامِ: وَالبَلَدُ الَّذِي خَبُثَ لَا يَخرُجُ نَبَاتُهُ إِلَّا نَكِدَاً، فَحذَفَ الـمَضُاف وَأُقِيمَ الـمُضَافُ إِلَيهِ مَقَامَهُ.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٤٣٠.
(٢) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ١٦.
(٣) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١٧.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦٥.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٤٣٣.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٧٦.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٦٥)

يُقَالُ: يَا أَخَا العَرَبِ لِلوَاحِدِ مِنهُم [١].

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (إِنَّ الرَّجُلَ مِن قَومِ عَادٍ، كَانُوا كَأَنَّهُم كَالنَّخلِ الطِّوَالِ، وَكَانَ الرَّجُلَ مِنهُم يَنحُو الجَبَلَ بِيَدِيهِ، فَيَهدِمَ مِنهُ قِطعَةً [٢].

وَالـمُرَادُ بِعَادٍ: عَاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام [٣].

العَمَالِيقُ: جَمَاعَةٌ مِن وَلدِ عِمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام [٤] وَكانَ سَيِّدَهُم وَأَعلَا نَسَبَهُم.

هُود بِن صَالِح بن أَرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام [٥].

قَالَ مُعَاوية بِن بَكر: الَّذِي كَانَت أُمُّهُ مِن عَاد، أَنشَدَ هَذَينِ البَيتَينِ لِمُغَنِّيَتَينِ، فَقَالَ:

أَلَا يَا قِيلُ وَيحَكَ قُم فَهَينِم ... لَعَلَّ اللهُ يَسقِينَا الغَمَامَا

فَيسقِي أَرضَ عَادٍ إِنَّ عَادَاً ... قَد أَمسُوا مَا يَبِينُونَ الكَلَامَا [٦].

يُقَالُ: كَانَ هُود بن صَالِح، وَشُعيب، وَإِسمَاعِيل، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله يَتَكَلَّمُونَ بِالعَرَبِيَّةِ [٧].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٨٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٨٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٨٨.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٢.
(٦) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٤.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٨٩.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

السَّفَاهَةُ: خِفَّةُ الحُلُمِ، وَسَخَافَةُ العَقلِ [(١)].

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاء اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ**﴾ الهَمزَةُ لِلإِنكَارِ، وَالوَاوُ لِلعَطفِ، وَالمَعطُوفُ عَلَيهِ مَحذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَكَذَّبتُم وَعَجِبتُم، مِن: ﴿**أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ**﴾ أَي: مَوعِظَةٌ وَنُبُوَّةٌ وَرِسَالَةٌ، عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنكُم، لِيُحَذِّرَكُم عَاقِبَةَ الكُفرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُم تَعَجَّبُوا مِن نُبُوَّةِ نُوحٍ عليه السلام وَقَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِنكُم [(٢)].

يُقَالُ: نُوحُ بِن لمك بن متوشلخ بن أَخنوخ؛ وَهو إِدريسُ النَّبيّ عليه السلام وَكَانَ نَجَّارَاً، وُلِدَ فِي عَامٍ مَاتَ فِيهِ آدَم عليه السلام فِي الأَلفِ الأُولَى، وَبُعِثَ فِي الأَلفِ الثَّانِيَةِ [(٣)].

يُقَالُ: ضَرَبَهُ حَتَّى تَسِيلُ مَسَامِعَهُ دَمَا [(٤)].

يُقَالُ: هُم قَومٌ أَعقَمَ اللهُ أَصلَابَهُم، وَأَرحَامَ نِسَائِهُم [(٥)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٧٩.
(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٤/ ٣٥٠.
(٥) التوحيد، الصدوق: ٣٩٢ح ٢.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (٧١)

الرِّجسُ: مِنَ الإِرتِجَاسِ؛ وَهوَ الإِضطِرَابُ [١] وَكَنَّى بِهِ العَذَابَ وَالغَضَبَ في بَعضِ المَوَاضِعِ مِنَ الكَلَامِ [٢].

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٢)

الدَّابِرُ: الآخِرُ، وَقَد يُكَنَّى بِهِ عَن النَّسلِ [٣].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣)

﴿**هَـذِهِ نَاقَةُ اللَّـهِ لَكُمْ آيَةً**﴾ آيَةً: نَصبٌ علَى الحَالِ، وَالعَامِلُ فِيهِ مَا دَلَّت عَلَيهِ إِسمُ الإِشَارَةِ الَّتي هِي هَذِه مِن مَعنَى الفِعلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أُشِيرَ إِلَيهَا بِآيَة [٤].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٦٩.
(٢) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٥/ ١٩٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٧٠.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٤﴾

قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿**وَتَنْحِتُونَ الْـجِبالَ بُيُوتاً**﴾ أَي: بُيُوتَاً تَسكُنُونَهَا في الشِّتَاءِ، وَ: ﴿**بُيُوتاً**﴾ نَصبٌ علَى الحَالِ، كَمَا يُقَالُ: خِط هَذَا الثَّوبِ قَمِيصَاً، وَهي مِنَ الحَالِ الـمُقَدَّرَةِ؛ لأَنَّ الجَبَلَ لَا يَكُونُ بَيتَاً في حَالِ النَّحتِ[١].

العُثوُ: الـمَبَالَغَةُ في الفَسَادِ[٢].

السَّهلُ: وَاحِدُ السُّهُولِ، خِلَافُ الجِبَالِ[٣] قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً**﴾ أَي: تَبنُونَ مِن سُهُولَةِ الأَرضِ قُصُورَاً بِمَا تَعمَلُونَ مِنَ اللَّبِنِ وَالآجُرِ: ﴿**وَتَنْحِتُونَ الْـجِبالَ بُيُوتاً**﴾ تَسكُنُونَهَا في الشِّتَاءِ[٤].

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧٧﴾

العَقرُ: عِندَ العَرَبِ: قَطعُ عُرقُوبِ البَعِيرِ، ثُمَّ جُعِلَ النَّحرُ عَقرَاً؛ لأَنَّ نَاحِرَ البَعِيرِ يَعقِرُهُ، ثُمَّ يَنحَرُهُ[٥].

يُقَالُ: نَاقَةٌ جَوفَاءٌ وَبُرَاءٌ، يُقَالُ: انصَدَعَت عَنِ الصَّخرَةِ[٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٧١.
(٢) تاج العروس، الزبيدي، مادة (عيث): ٣/ ٢٣٩.
(٣) المصباح المنير، الفيومي: ١/ ٢٩٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٧١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٩٢.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/ ٢٣٧.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ﴿٧٨﴾

يُقَالُ: النَّاسُ جَثْمٌ؛ أَي: قُعُودٌ لَا حِرَاكَ بِهِم [١] وَالجُثُومُ: القُعُودُ علَى الرُّكبَةِ [٢].

الرَّجفَةُ: الصَّيحَةُ الشَّدِيدَةُ الَّتِي زُلزِلَت لَهَا الأَرضُ [٣].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٠﴾

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ**﴾ وَاليَاءُ لِلتَعدِيَةِ؛ أَي: مَا عَمِلَهَا أَحَدٌ قَبلَكُم قَطُّ [٤].

وَمِنهُ قَولُ النَّبِيِّ ﷺ: (سَبَقَكُم بِهَا عُكَاشَةُ) [٥].

وَمِن الأُولَى مَزِيدَةٌ لِتَوكِيدِ النَّفيِ، وَإِفَادَةُ مَعنَى الإِستِغرَاقِ، وَمِن الثَّانِيَة لِلتَبعِيضِ، وَالجُملَةُ استِئنَافٌ مُقَرِّرٌ لِلإِنكَارِ [٦].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٩١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٩٦.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٩١.

(٤) تفسير الآلوسي: ٨/ ١٦٩.

(٥) مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠/ ٤٠٧.

(٦) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٧.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٨٥)

الكَيلُ: آلةُ الكَيلِ؛ وَهوَ الـمِكيَالُ، أَو: سُمِّي مَا يُكَالُ بِهِ الكَيلَ، كَمَا يُقَالُ: العَيشُ لِـمَا يُعَاشُ بِهِ [(١)].

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩)

الفَتَّاحَةُ: الحُكُومَةُ، وَالفَتَّاحُ: القَاضِي [(٢)].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْـحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾ أَي: احكُم بَينَنَا وَأَنتَ خَيرُ الحَاكِمِينَ، أَو: أَظهِر أَمرَنَا حَتَّى يَنفَتِحَ مَا بَينَنَا وَبَينَ قَومِنَا وَيَنكَشِفُ، بِأَن تُنزِلَ عَلَيهِم عَذَاباً يَتبَيَّنُ مَعَهُ أَنَّا عَلَى الحَقِّ وَأَنَّهُم عَلَى البَاطِلِ، مِن فَتحِ الـمُشكِلِ؛ إِذَا بَيَّنَهُ [(٣)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٧٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (فتح): ٢/ ٥٣٨.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤١.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩٥)

يُقَالُ: عَفَا النَّبَاتُ، وَعَفَا الشَّحمُ وَالوَبَرُ: إِذَا كَثُرَت [(١)].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا**﴾ يَعنِي: رَفَعنَا السَّيئَةَ؛ أَي: مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ البَلَاءِ وَالمِحنَة، وَوَضَعنَا الحَسَنَةَ مَكَانَهَا؛ يَعنِي: الرَّخَاءَ وَالسَّعَة وَالصِّحَة: ﴿**حَتَّى عَفَوْا**﴾ أَي: كَثُرُوا وَغَوَوا فِي أَنفُسِهِم وَأَموَالِهِم [(٢)].

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٩٧)

البَيَاتُ: قَد يَكُونُ بِمَعنَى التَبيِيّت، كَالسَّلَامِ بِمَعنَى التَّسلِيمِ [(٣)].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ**﴾ أَي: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى**﴾ المُكَذِّبُونَ لِنَبِيِّنَا: ﴿**أَن يَأْتِيَهُمْ**﴾ عَذَابُنَا: ﴿**بَيَاتاً**﴾ أَي: بَائِتِينَ؛ يَعنِي: وَقتَ بَيَاتٍ: ﴿**وَهُمْ نَآئِمُونَ**﴾ فِي فُرُشِهِم وَمَنَازِلِهِم كَمَا أُتِيَ المُكَذِّبِينَ [(٤)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣١١.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٤٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣١٤.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٩٨﴾

الضُّحَى فِي الأَصلِ: إِسمٌ لِضَوءِ الشَّمسِ إِذَا أَشرَقَت وَارتَفَعَت [١].

وَالضُّحَى: إِسمُ زَمَانٍ لِصَدرِ النَّهَارِ [٢].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أَي: مِن فَرطِ الغَفلَةِ، أَو: يَشتَغِلُونَ بِمَا لَا يَنفَعُهُم [٣] وَضُحَى: نَصبٌ عَلَى الظَّرفِ، وَالفَاءُ وَالوَاوُ فِي: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ وَ: ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ حَرفَا عَطفٍ، دَخَلَت عَلَيهِمَا هَمزَةُ الإِنكَارِ، وَالمَعطُوفُ عَلَيهِ قَولُهُ: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ [٤] وَمَا بَينَهُمَا إِعتِرَاضٌ؛ أَي: أَبَعدَ ذَلِكَ أَمِنَ: ﴿أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾ وَأَمِنُوا أَن يَأتِيَهُم بَأسُنَا ضُحًى [٥].

وَإِنَّمَا خَصَّ سُبحَانَهُ هَذَينِ الوَقتَينِ؛ لأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُم أَن يَأمَنُوا لَيلاً وَنَهَاراً [٦].

وَلَعَلَّ المُرَادُ بِأَهلِ القُرَى: كُلُّ أَهلِ قَريَةٍ يُقِيمُ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ، فِي كُلِّ وَقتٍ وَزَمَانٍ، وَإِن نَزَلَت بِسَبَبِ أَهلِ القُرَى الظَّالِمُ أَهلُهَا المُشرِكِينَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ﴾ [٧] أَي: بَعدَ هَذَا كُلِّهِ أَمِنُوا مِن مَكرِ اللَّهِ [٨].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٩٨.
(٢) معالم التنزيل، البغوي: ٤/ ٤٤٦.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٣.
(٤) الأعراف: ٩٥.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣١٥.
(٧) الأعراف: ٩٩.
(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣١٥.

وَعَن الرَّبيعِ بن خَثِيم [١]: أَنَّ ابنَتَهُ قَالَت لَهُ: مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَنَامُونَ، وَلَا أَرَاكَ تَنَام؟ قَالَ: يَا بِنتَاهُ، إِنَّ أَبَاكِ يَخَافُ البَيَاتَ: ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢].

فَيَنبَغِي أَن يَكُونَ العَبدُ كَالـمُحَارِبِ الَّذِي يَخَافُ مِن أَعدَائِهِ البَيَاتَ وَالغِيلَةَ لِيُسَارِعَ إِلى الطَّاعَاتِ، وَاجتِنَابِ الـمَعَاصِي [٣].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠)

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ وَإِنَّمَا عَدَّى الهِدَايَةَ بِاللَّامِ؛ لأَنَّهُ بِمَعنَى التَّبيِّن، كَأَنَّهُ يَقُولت: أَوَ لَم يَهدِ لِلَّذِينَ يَخلِفُونَ مَن خَلَا قَبلَهُم فِي دِيَارِهِم وَهُم يَرِثُونَ أَرضَهُم، هَذَا الشَّأنُ وَهوَ: أَنَّا لَو نَشَاءُ لأَصبنَاهُم بِذنُوبِهِم، كَمَا أَصَبنَا مَن قَبلَهُم، وَأَهلَكنَا أُولَئِكَ [٤].

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (١٠٢)

﴿وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾ أَي: وَإِنَّ الشَّأنَ وَالحَدِيث: وَجَدنَا أَكثَرَهُم خَارِجِينَ عَن الطَّاعَةِ [٥].

وَالوُجُودُ بِمَعنَى: العِلـمُ، مِن قَولِكَ: وَجَدتُ زَيداً ذَا الحِفَاظ؛ لِدُخُولِ أَن الـمُخَفَّفَةِ وَاللَّامُ الفَارِقَةُ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي الـمُبتَدأ وَالخَبَرِ، وَالأَفعَالُ الدَّاخِلَة عَلَيهِمَا [٦].

---

(١) مضت ترجمته.

(٢) الأعراف: ٩٩، الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٩٨.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨٢.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨٢.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٠٠.

(٦) تفسير البيضاوي: ٥/ ٥٠٢.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤)

وَمنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَقالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾ مَبعُوثٌ إِلَيكَ وَإِلى قَومِكَ [٧].

وَكَانَ اسمُ فِرعَون: الوَلِيدُ بِن مُصعَب [٨].

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٠٥)

الحَقِيقُ: الحَرِيصُ، كَذَا وَرَدَ في أَشعَارِهِم [٩].

﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ فَيَجُوزُ أَن يَكُونَ ضِمنَ حَقِيقٌ مَعنَى حَرِيصٌ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مُوسَى عليه السلام أَغرَقَ في وَصفِ نَفسِهِ بِالصِّدقِ في ذَلِكَ المَقَام، فَقَالَ: أَنا حَقِيقٌ عَلَيَّ قَولَ الحَقِّ؛ أَي: وَاجِبٌ عَلَيَّ قَولَ الحَقِّ أَن أَكُونَ أَنَا قَائِلُهُ، وَلَا يَرضَى إِلَّا مِثلِي نَاطِقاً بِهِ [١٠].

---

(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٤٨٧.

(٨) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٧٧.

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ١/ ٢٩٧.

(١٠) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨٤.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾

يُقَالُ: وَثَبَ فِرعَونُ خَائِفاً مِن سَرِيرِهِ، وَهَرَبَ وَأَحدَثَ مِن خَوفِهِ وَصَاحَ [١].

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾

يُقَالُ: أَمَرتُهُ فَأَمَرَنِي هكَذَا؛ إِذَا شَاوَرتُهُ فَأَشَارَ بِرَأيٍ [٢].

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾

الإِرجَاءُ: التَّأخِيرُ، وَيُقَالُ: أَرجَأهُ إِذَا أَخرَهُ [٣].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾

اللَّقفُ: الإِبتِلَاعُ [٤].

قَالَ اللهُ: ﴿**فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾ أَي: تَبتَلِعُ مَا يَأفِكُونَهُ، وَمَا مَصدَرِيَّةٌ، أَو مَوصُولَةٌ، يَعنِي: تَلقُفُ إِفكَهُم، تَسمِيَةً لِلمَأفُوكِ بِالإِفكِ [٥].

وَ: ﴿**مَا يَأْفِكُونَ**﴾ أَي: يَقلِبُونَهُ مِنَ الحَقِّ إِلى البَاطِلِ، وَيُزَورُونَهُ [٦].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٥٧٣.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٠٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨/ ١٨.

(٤) تفسير الرازي: ١٤/ ٢٠٤.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨٧.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨٧.

وَرُوِي: إِنَّهَا تَلقِفُ مِلأَ الوَادِي مِنَ الخَشَبِ وَالجِبَالِ، وَرَفَعَهَا مُوسَى عليه السلام فَعَادَت عَصَاً كَمَا كَانَت، فَأَعدَمَ اللهُ بِقُدرَتِه تِلك الأَجرَامِ العَظِيمَة، أَو فَرَّقَهَا أَجزَاءً لَطِيفَة [١] فَكِلَا الأَمرَينِ يَعلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّهُ لَا يَدخُلُ تَحتَ مَقدُورِ بَشَرٍ [٢].

وَالإِفكُ: قَلبُ الشَّيءِ عَن وَجهِه فِي الأَصلِ، وَمِنهُ: الإِفكُ بِمَعنَى: الكَذِبَ؛ لأَنَّهُ قَلبُ الـمَعنَى مِن جِهَةِ الصَّوَابِ [٣] وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ تَلَقَّفُ بِالتَّشدِيدِ [٤].

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ (١٢٦)

الإِفرَاغُ: الإِفَاضَةُ، يُقَالُ: أَفرَغ عَلَيهِ؛ أَي: أَفَاضَ، وَهوَ مُتَعدٍّ [٥].

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ (١٢٨)

﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يَجُوزُ أَن تَكُونَ اللَّامُ لِلعَهدِ؛ يَعنِي: أَرضَ مِصرَ خَاصَّةً، وَأَن يَكُونَ لِلجِنسِ فَيَتَنَاوَلَ أَرض مِصرَ أَيضَاً [٦].

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٠٣.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٨٨.
(٣) تفسير الرازي: ١٤/ ٢٠٤.
(٤) تفسير الآلوسي: ٩/ ٢٥.
(٥) تفسير الرازي: ١٤/ ٢٠٩.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩٠.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾

يُقَالُ: سَنَتَ القَومُ؛ قَحطُوا، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ**﴾ أَي: عَاقَبنَا قَومَ فِرعَونَ، الَّذِينَ يَؤُولُ أَمرَهُم إِلَيهِ بالسِّنِينِ؛ يَعنِي: سِنِي القَحطِ، وَالسَّنَة مِنَ الأَسمَاءِ الغَالِبَة، كَالدَّابَةِ وَالنَّجمِ، وَأَخَذنَاهُم مَعَ القَحطِ بِنُقصَانٍ مِنَ الثِّمَارِ[1].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: إِنَّ السِّنِينَ كَانَت لِبَادِيتَهُم وَأَهلُ مَواشِيهِم، وَأَمَّا نَقصُ الثَّمَرَاتِ؛ فَكَانَ فِي أَمصَارَهُم[2].

﴿**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ أَي: لِكَي يَتَنَبَهُوا علَى أَنَّ ذَلِكَ بِشُؤمِ كُفرِهِم وَمَعَاصِيهِم، وَمُخَالَفَتهُم اللَّـهِ تعَالَى[3].

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿١٣١﴾

يُقَالُ: تَطَيَّرَ بِهِ؛ إِذَا تَشَاءَمَ بِهِ[4].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩١.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٥٨٢.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥١.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ١٥١.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾

أَصلُ: ﴿مَهْمَا﴾ هِيَ مَا الـمُضَمَّنَةُ مَعنَى الجَزَاءِ، ضُمَّت إِلَيهَا مَا الـمَزِيدَة الـمُؤكِّدَةُ لِلجَزَاءِ فِي نَحوِ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾ [(١)] وَ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [(٢)] إِلَّا أَنَّ الأَلِف قُلِبَت هَاءً؛ استِثقَالاً لِتكرِيرِ الـمُتَجَانِسَينِ [(٣)].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ الـمَعنَى: هُم قَالُوا لِمُوسَى عليه السلام: أَيُّ شَيءٍ تَأتِنَا بِهِ مِنَ الآيَاتِ، وَقَولُهُ: ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أَي: لِتُمَوِّهَ عَلَينَا بِهَا حَتَّى تَنقُلَنَا عَن دِينِ فِرعَون [(٤)].

وَمحَلُّ: ﴿مَهْمَا﴾ الرَّفعُ، بِمَعنَى: أَيُّمَا شَيءٍ تَأتِنَا بِهِ، أَو: النَّصبُ؛ بِمَعنَى: أَيُّمَا شَيءٍ تُحضِرُنَا تَأتِنَا بِهِ، وَ: ﴿مِن آيَةٍ﴾ تَبيِّينٌ لـ: ﴿مَهْمَا﴾ وَذِكرُ الضَّمِيرِ فِي: ﴿بِهِ﴾ عَلَى اللَّفظِ، وَفِي: ﴿بِهَا﴾ عَلَى الـمَعنَى، وَقَد رَجعَ كِلَاهُمَا إِلَى: ﴿مَهْمَا﴾ وَهوَ فِي مَعنَى الآيَة [(٥)].

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾

الدَّبَّاءُ: وَهوَ صِغَارُ الجَرَادِ الَّذِي لَا أَجنِحَةَ لَهُ، وَقِيلَ: هُوَ البَرَاغِيثُ، وَقِيلَ: هُوَ دَوَابٌّ سُودٌ صِغَارٌ، وَقِيلَ: هُوَ السُّوسُ الَّذِي يَخرُجُ مِنَ الحِنطَةِ [(٦)].

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) يونس: ٤٦.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٠٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٣٩.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩٢.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٤٠.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾

الحُسنَى: تَأَنِيثُ الأَحسَنِ[1].

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فيهِ**﴾ يَعنِي: إِنَّ عَبَدَةِ التَّمَاثِيل مُدَمَرٌ مُكَسَّرٌ مَا هُم فِيهِ مِن عِبَادَةِ الأَصنَامِ؛ أَي: يَتَّبِرُ اللهُ دِينَهُم، وَيَهدِمَهُ علَى يَدَيَ، وَيُحَطِّمُ أَصنَامَهُم، وَيَجعَلُهَا رَضَاضاً[2].

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَلَـمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا**﴾ اللَّامُ لِلإِختِصَاصِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَاختَصَّ مَجِيؤهُ لِمِيقَاتِنَا، كَمَا تَقُولُ: أَتَيتُهُ لِخَمسٍ خَلَونَ مِنَ الشَّهرِ[3].

أَي: وَلَـمَّا جَاءَ مُوسَى عليه السلام لِوَقتِنَا الَّذِي وَقَّتنَا لَهُ وَحَدَّدنَاهُ[4].

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٣٦٥.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩٨.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١١١.

﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ المَفعُولُ الثَّانِي مَحذُوفٌ؛ يَعنِي: أَرِنِي نَفسُكَ أَنظُرُ إِلَيكَ؛ أَي: اجعَلنِي مُتَمَكِّنَاً مِن رُؤيتِكَ، بِأَن تَتَجَلَّى إِلَيَّ، فَأَنظُرُ إِلَيكَ وَأَرَاكَ، وَإِنَّمَا طَلَبَ الرُّؤيَةَ مَعَ عِلمِهِ بِأَنَّهُ سُبحَانَهُ لَا يُدرَكُ بِالحَوَاسِّ؛ لأَنَّهُم قَالُوا: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ (١) وَلِذَلِكَ دَعَاهُم سُفَهَاءً وَضُلَّالاً (٢).

الدَّكُّ وَالدَّقُّ مِثلَانِ، وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**جَعَلَهُ دَكّاً**﴾ أَي: مَدكُوكَاً، مَصدَرٌ بِمَعنى مَفعُولٍ (٣).

رُوي: (أَنَّه لـمَّا تَجَلَّى اللهُ تَعَالَى لِلجَبَلِ، تَقَطَّعَ أَربَعَ قِطَعٍ؛ قِطعَةٌ ذَهَبَت نَحوَ المَشرِقِ، وَقِطعَةٌ ذَهَبَت نَحوَ المَغرِبِ، وَقِطعَةٌ سَقَطَت في البَحرِ، وَقِطعَةٌ صَارَت رَملاً، وَقِيلَ: صَارَ الجَبَلُ سِتَّة أَجبُلٍ؛ وَقعَت ثَلَاثَةٌ بِالمَدِينَةِ، وَثَلَاثَةٌ بِمَكَّةَ، فَالَّتي بِالمَدِينَةِ: أُحُدٌ، وَورقَانٌ، وَرَضوَى، وَالَّتي بِمَكَّةَ: ثَورٌ، وَثبِيرٌ، وَحِرَاء) وَرُوِي ذَلِكَ عَن النَّبِيِّ ﷺ (٤).

﴿**وَخَرَّ موسَى صَعِقاً**﴾ أَي: سَقَطَ مَغشِيَّاً عَلَيهِ كَالمَيِّتِ، مِن هَولِ مَا رَأَى، وَصَعِقَ: مِن بَابِ فَعلتُهُ فَفَعَلَ، تَقُولُ: صَعِقتُهُ فَصَعِقَ، وَأَصلُهُ مِنَ الصَّاعِقَةِ (٥).

وَفي الحَدِيثِ: (إِنَّكُم تَرونَ رَبَّكُم كَمَا تَرَونَ القَمَرَ لَيلَةَ البَدرِ) (٦).

بِمَعنَى: سَتَعرِفُونَهُ مَعرِفَةً جَلِيَّةً، هِي فِي الجَلَاءِ مِثلَ إِبصَارُكُم القَمَرَ إِذَا امتَلأَ وَاستَوَى بَدراً (٧).

---

(١) البقرة: ٥٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩٨.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٦٩٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٥٣.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٠٠.

(٦) معاني الأخبار، الصدوق: ٧٢.

(٧) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٢٣٥.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٥)

﴿يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ أَي: فِيهَا مَا هُوَ حَسَنٌ وَأَحسَنٌ، كَالإِقتِصَاصِ وَالعَفوِ، وَالإِنتِصَارُ وَالصَّبرُ، فَمُرهُم أَن يَحمِلُوا علَى أَنفُسِهِم فِي الأَخذِ بِمَا هُوَ أَدخَلُ فِي الحُسنِ، وَأَكثَرُ لِلصَوَابِ، كَقَولِه تعالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [(١)] وَقِيلَ: يَأَخُذُوا بِمَا هُوَ وَاجِبٌ أَو نُدبٌ؛ لأَنَّهُ أَحسَنُ مِنَ المُبَاحِ، وَيَجُوزُ أَن يُرَادَ يَأَخُذُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ دُونَ مَا نُهُوا عَنهُ، عَلَى قَولِكَ: الصَّيفُ أَحَرُّ مِنَ الشِّتَاءِ [(٢)].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (١٤٦)

الرَّشَدُ: الإِيمَانُ، وَالغَيُّ: الكُفرُ، وَقِيلَ: الرَّشَدُ: كُلُّ أَمرٍ حَسَنٍ مَحمُودٍ، وَالبَغيُ: كُلُّ أَمرٍ قَبِيحٍ مَذمُوم، قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبيلاً﴾ [(٣)].

---

(١) الزمر: ٥٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١١٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٥٨.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾

إعلَم: أَنَّ مِن شَأنِ مَن اشتَدَّت حَسرَتُهُ أَن يَعضَّ علَى يَدَيهِ غَمّاً، فَتَصِيرُ يَدهُ مَسقُوطاً فِيهَا؛ لأَنَّ فَاهُ قَد وَقَعَ فِيهَا، وَمِنهُ قَولُهُ تعالَى: ﴿**وَلَـمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾ أَي: وَلـمَّا اشتَدَّ نَدَمهُم عَلَى عِبادَةِ العِجلِ؛ لأَنَّ مَا قُلنَا مِن شَأنِ مَن اشتَدَّ حَسرَتُهُ[١].

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾

الأَسَفُ: الحُزنُ[٢] وَقِيلَ: الآسِفُ: الشَّدِيدُ الغَضَبِ[٣].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**قَالَ ابْنَ أُمَّ**﴾ أَي: قَالَ هَارُونَ: يَا ابنَ أُمِّي، عَلَى قِرَاءَةِ حَفصٍ، فَحُذِفَت اليَاءُ اكتِفَاءً بِالكَسرَةِ تَخفِيفاً، كَالـمُنَادَى الـمُضَاف إِلَى اليَاءِ، وَقَرَأ أَبو بَكرٍ: يَابنَ أُمَ بِالفَتحِ، زِيَادَةً فِي التَّخفِيفِ لِطُولِه، وَتَشبِيهاً بِخَمسَةِ عَشَر، وَإِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى الأُمِّ؛ لأَنَّ ذِكرَ الأُمِّ أَبلَغُ فِي الاستِعطَافِ[٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٠٥.

(٢) العين، الفراهيدي، مادة (أسف): ٧/ ٣١١.

(٣) معاني القرآن، النحاس: ٣/ ٨٢.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٦١.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾

النُّسخَةُ: فُعلَةٌ بِمَعنَى مَفعُولٌ، كَالخُطبَةِ، وَقَولُهُ تعالَى: ﴿**وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ أَي: وَفِيهَا نُسِخَ في الأَلوَاحِ الَّتي أَلقَاهَا مُوسَى عليه السلام وَكَانَت فِيهَا التَّورَاة، وَبَيَانٌ لِمَا يُحتَاجُ مِن أُمُورِ الدِّينِ، وَنِعمَةٌ وَمَنفَعَةٌ للَّذِينَ يَخشَونَ رِبَّهُم فَلَا يَعصَونَهُ، وَإِنَّمَا دَخَلَت اللَّامُ في لِلَّذِينَ لِتَقَدُّمِ المَفعُولِ، تَقُولُ: لَكَ ضَرَبتُ، وَنَحوَهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ**﴾ (١).

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾

الرَّجفَةُ: الرِّعدَةُ، وَالحَرَكَةُ الشَّدِيدَةُ (٢).

(١) يوسف: ٤٣، جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٠٨.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٦٨.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فَلَا مِن مُؤمِنٍ، وَلَا كَافِرٍ وَعَاصٍ، إِلَّا وَهوَ يَتقَلَّبُ في نِعمَتِي، كَتَبهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الشِّركَ وَالـمَعَاصِي خَاصَّةً، وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ، وَخَصَّهَا بِالذِّكرِ؛ لأَنَّهَا مِن أَشَقِّ الفَرَائِضِ[1].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾

الإِصرُ: الثِّقَلُ الَّذِي يَأصِرُ صَاحِبَهُ؛ أَي: يَحبِسُهُ مِنَ الحَرَكَةِ لِثِقَلِهِ[2].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وَهوَ مَثَلٌ لِثقَلِ تَكلِيفِهُم؛ وَذَلِكَ: أَنَّهُ سُبحَانَهُ جَعَلَ تَوبَتَهُم أَن يَقتُلَ بَعضَهُم بَعضَاً، وَكَذَلِكَ الأَغلَالُ[3] مَثَلٌ لِـمَا كَانَ فِي شَرَائِعِهِم مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ؛ نَحوَ قَرضِ مَوضِعِ النَّجَاسَةِ مِنَ الجِلدِ وَالثَّوبِ، وَإِحرَاقِ الغَنَائِمِ، وَتَحرِيمِ السَّبتِ[4] وَقَطعِ الأَعضَاءِ الخَاطِئَةِ، وَوُجُوبِ القِصَاصِ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٧١.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٢٢.
(٣) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٢٠٨.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٠.

دُونَ الدِيَةِ [١] وَفي تَعذِيبَهُم مِن إِنزَالِ الجَرَادِ لِجَردِ زَرعِهِم وَأَشجَارَهِم، حَتَّى كَادَت تَجرِد شُعَورَهُم وَلِحَاهُم [٢] وَتَأكُلُ أَبوَابَهُم وَثِيَابَهُم وَأَمتِعَتَهُم [٣].

وَكَانَت لَا تَدخُل بُيوتَ بَنِي إِسرَائيلَ، وَلَا يُصِيبَهُم مِن ذَلِكَ شَيءٌ، فَعَجُّوا وَضَجُّوا، وَجَزَعَ فِرعَون مِن ذَلِكَ جَزَعاً شَدِيداً، وَقَالَ: يَا مُوسَى، أُدعُ لَنَا رَبَّكَ أَن يكشِفَ عَنَّا الجَرَادَ، حَتَّى أُخلِي عَن بَنِي إِسرَائيلَ، فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنهُم الجَرَادَ، بَعدَ مَا أَقَامَ عَلَيهِم سَبعَةَ أَيَّامٍ، مِنَ السَّبتِ إِلى السَّبتِ [٤].

وَكَذَا أَنزَلنَا عَليهِم القُمَّلَ، يَدخُلُ بَينَ ثَوبِ أَحَدِهِم وَجِلدَهُ فَيَمصَّهُ، وَكَانَ يَأكُلُ أَحَدُهُم الطَّعَامَ، فَيَمتَلِئ جِلدَهُ قَملاً [٥].

فَلَم يُصَابُوا بِبَلَاءٍ كَانَ أَشَدُّ عَلَيهِم مِن القُمَّلِ، وَأَخَذَت أَشعَارَهُم وَأَبشَارَهُم، وَأَشفَارَ عُيونَهُم وَحَوَاجِبَهُم، وَلَزِمَت جُلودَهُم كَأَنَّهُ الجُدَرِيُّ، وَمَنَعتهُم النَّومَ وَالقَرَارَ، فَصَرَخُوا وَصَاحُوا، فَقَالَ فِرعَون لِمُوسَى: أُدعُ لَنَا رَبَّكَ، لَئن كَشَفتَ عَنَّا القُمَّلَ، لأَكُفَّنَ عَن بَنِي إِسرَائيلَ، وَأُخلِي عَنهُم، فَدَعَا مُوسَى، حَتَّى ذَهَبَ عَنهُم القُمَّل، بَعدَ مَا أَقَامَ عِندَهُم سَبعَةَ أَيَّامٍ، مِنَ السَّبتِ إِلى السَّبتِ [٦].

فَنكَثُوا، فَأَنزَلَ اللهُ عَلَيهِم الضَّفَادِعَ، فَامتَلأَت مِنهَا قُدورَهُم وَأَوَانِيهِم وَأَطعِمَتَهُم، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنهُم إِذَا أَرَادَ أن يَتكلَّم، وَثَبَ الضِّفدَعُ إِلى فِيهِ، وَإِذَا فَتحَ فَاهُ إِلى أَكلَتِه

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٧٤.
(٢) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ١/ ٣٩٦.
(٣) الدر المنثور، السيوطي: ٣/ ١٠٩.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٤١.
(٥) معالم التنزيل، البغوي: ٢/ ١٩٢.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٤١.

يَسبِقُ الضِّفدَعُ أَكلَتَهُ إِلى فِيهِ، فَضَجُّوا وَفَزِعُوا إِلَى مُوسَى، وَقَالُوا: إِرحَمنَا، هَذِه الـمَرَّة نَتُوبُ وَنَعُودُ، فَدَعَا، فَكَشَفَ عَنهُم العَذَابَ بَعدَ مَا أَقَامَ عَلَيهِم سَبعَاً، مِنَ السَّبتِ إِلَى السَّبتِ [١].

ثُمَّ نَقَضُوا العَهدَ، وَعَادُوا لِكُفرِهِم، فَلَـمَّا كَانَت السَّنَة الخَامِسَة، أَرسَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيهِم الدَّمَ؛ فَسَالَ مَاءُ النِّيلِ عَلَيهِم دَمَاً، وَكَانَ القِبطِيُّ يَقُولُ لِلإِسرَائِيلِيِّ: خُذ المَاءَ في فِيكَ وَصُبَّهُ فِي فِيَّ، فَكَانَ إِذَا صَبَّهُ في فَمِ القِبطِيِّ، تَحَوَّلَ دَمَاً، وَعَطِشَ فِرعَون، حَتَّى أَشرَفَ عَلَى الهَلَاكِ، وَكَانَ يَمُصّ الأَشجَار الرَّطِبَة، فَإِذَا مَضَغَهَا يَصِيرُ مَاؤهَا في فِيهِ دَمَاً، فَمَكَثُوا في ذَلِكَ سَبعَةَ أَيَّام، لَا يَأكُلُونَ إِلَّا الدَّمَ، وَلَا يَشرَبُونَ إِلَّا الدَّمَ، فَقَالُوا: أُدعُ لَنَا رَبَّكَ يَكشِفَ عَنَّا الدَّم، فَنُؤمِنُ لَكَ، وَنُرسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسرَائيلَ، فَلَـمَّا رَفَعَ اللهُ عَنهُم لَمَ يُؤمِنُوا، وَلَمَ يُخَلُّوا عَن بَنِي إِسرَائيلَ [٢].

وَكَانَ قَبلَ ذَلِكَ هَامَان وَزِيرُ فِرعَون، قَالَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَد آمَنُوا بِمُوسَى، فَانظُر إِلى مَن دَخَلَ في دِينِه فَاحبِسهُ، فَحَبَسَهُ، فَتَابَعَ اللهُ عَلَيهِم بِالآيَاتِ، وَتَقصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ [٣].

ثُمَّ بَعثَ عَلَيهِم الطُّوفَانَ، فَقَالُوا لِمُوسَى: أُدعُ لَنَا رَبُّكَ يَكشِفَ عَنَّا الـمَطَرَ، فَنُؤمِنُ لَكَ، وَنُرسِلُ مَعَكَ بَنِي إِسرَائيلَ، فَدَعَا رَبَّهُ، فَكَشَفَ عَنهُم، فَلَم يُؤمِنُوا، وَقَالَ هَامَانُ لِفرعَونَ: لَئن خَلَّيتَ بَنِي إِسرَائيلَ غَلَبَكَ مُوسَى، وَأَزَالَ مُلكَكَ،فَأَتَى اللهُ لَهُم فِي تِلكَ السَّنَةِ مَا أَعشَبَت بِهِ بِلَادَهُم، وَأَخصَبَت، فَقَالُوا: مَا كَانَ هَذَا الـمَاء إِلَّا نِعمَةً عَلَينَا [٤].

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أَي: الَّذِينَ آمَنُوا بِهَذَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَعَظَّمُوهُ، حَتَّى لَا يَقوَى عَلَيهِ عَدُوٌّ:

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٤٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٨٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٤٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٤٠.

﴿**وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ**﴾ يَعنِي: القُرآن مَعَ نُبُوَّتِهِ: ﴿**أُوْلَـئِكَ هُمُ الْـمُفْلِحُونَ**﴾ وَأَصلُ العَزرِ: الـمَنعُ، وَمِنهُ التَّعزِيرُ؛ لأَنَّهُ يَمنَعُ مِن مُعَاوَدَةِ القَبِيحِ [١].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾

﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾ أَيُّهَا الثَّقلَينِ، وَقَولُهُ: ﴿**جَمِيعاً**﴾ حَالٌ مِن: ﴿**إِلَيْكُمْ**﴾ [٢].

﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ فِي مَوضِعِ الجَرِّ عَلَى الوَصفِ للَّـهِ، أَو: النَّصب عَلَى الـمَدحِ بِإِضمَارِ أَعنِي: ﴿**لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ بَدَلٌ مِنَ الصِّلَةِ الَّتي هِي: ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ وَكَذَلِكَ: ﴿**يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾[٣].

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْـحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ أَي: مِن بَنِي إِسرَائيلَ جَمَاعَةٌ، هُم الـمُؤمِنُونَ التَّائبُونَ: ﴿**يَهْدُونَ**﴾ النَّاس بِكَلِمَةِ الحَقِّ، وَيَدلُّونَهُم عَلَى الإِستِقَامَةِ وَيُرشِدُونَهُم [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٤٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١١.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٢.

وَقِيلَ: قَومٌ مِن وَرَاءِ الصِّينِ، بَينَهُم وَبَينَ الصِّينِ وَادٍ جَارٍ مِنَ الرَّملِ، لَم يُغَيِّرُوا وَلَم يُبَدِّلُوا، وَلَيسَ لأَحدٍ مِنهُم مَالٌ، وَهُم عَلَى الحَقِّ [١].

قَالَ ابنُ جرَيح: بَلَغَنِي إِنَّ بَنِي إِسرَائيل لَـمَّا قَتَلُوا أَنبِيَائهُم وَكَفَرُوا، وَكَانُوا إِثنَتَي عَشرَةَ سِبطَاً، تَبَرَّأ سِبطٌ مِنهُم مِمَّا صَنَعُوا، وَاعتَذَرُوا وَسَأَلُوا اللهَ أَن يُفَرِّقَ بَينَهُم وَبَينَهُم، فَفَتَحَ اللهُ لَهُم نَفَقَاً مِنَ الأَرضِ، فَسَارُوا فِيهِ سَنَةً وَنِصفَ سَنَة، حَتَّى خَرجُوا مِن وَرَاءِ الصِّينِ، فَهُم هُنَاك، حُنَفَاءَ مُسلِمُون، يَستَقبِلُونَ قِبلَتَنَا [٢].

وَقِيلَ: إِنَّ جَبرَئيلَ انطَلَقَ بَالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَيلَةَ الـمِعرَاجِ إِلَيهِم، فَقَرَأ عَلَيهِم مِنَ القُرآنِ عَشرِ سُوَرٍ نَزَلَت بِمَكَّة، وَصَدَّقُوه وَتَركُوا السَّبتَ، وَأَمَرَهُم بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، وَلَم يَكُن نَزَلَت فَرِيضَةٌ غَيرَهمَا، فَفَعَلُوا [٣].

وَرَوَى أَصحَابُنَا: يَخرُجُونَ مَعَ القَائمِ عجل الله تعالى فرجه الشريف وَرُوِي: أَنَّ ذَا القَرنَينِ رَآهُم [٤].

وَقِيلَ: إِنَّهُم الَّذِينَ آمَنُوا بِرَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله مِثلَ عَبدَ اللَّـهِ بِن سَلَّام، وَابنُ صُورَيا وَغَيرَهُمَا [٥].

وَفِي حَدِيث أَبِي حَمزَة الثُّمَالِيّ، وَالحكَم بن ظَهِيرٍ [٦]: أَنَّ مُوسَى لَـمَّا أَخَذَ الأَلوَاحَ، قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلوَاحِ أُمَّةً؛ هِي خَيرُ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ، يَأمُرُونَ بِالـمَعرُوفِ،

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٢/ ٥٩٧ح ٤١٩ وهو المروي عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٧٧.

(٣) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٢٤٤.

(٤) نور الثقلين، الحويزي: ٢/ ٨٦ح ٣١١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٧٧.

(٦) وردت ترجمته في ترجمة ابنه إبراهيم، فزاري كوفي، راوي التفسير عن السدي، ينظر: رجال النجاشي: ١٥ ،معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ٧/ ١٨١ ،المجروحين، ابن حبان: ١/ ٢٥٠.

وَينهَونَ عَن الـمُنكَرِ، فَاجعَلهُم أُمَّتِي؟ قَالَ: تِلكَ أُمَّةُ أَحمَدَ يا مُوسَى.

قَالَ: رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلوَاحِ أُمَّةً، هُمُ الآخِرُونَ فِي الخَلقِ، السَّابِقُونَ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَاجعَلهُم أُمَّتِي؟ قَالَ: تِلكَ أُمَّةُ أَحمَدَ.

قَالَ: رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلوَاحِ، أَنَّهُ كُتُبُهُم فِي صُدُورِهِم يَقرَؤونَهَا، فَاجعَلهُم أُمَّتِي؟ قَالَ: تِلكَ أُمَّةُ أَحمَدَ يا مُوسَى.

قَالَ: رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلوَاحِ أُمَّةً، إِذَا هَمَّ أَحَدُهُم بِحَسَنَةٍ ثُمَّ لَم يَعمَلهَا، كُتِبَت لَهُ حَسَنَةٌ، وَإِن عَمِلَهَا كُتِبَت لَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا، وَإِن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَ لَم يَعمَلهَا، لَم تُكتَب عَلَيهِ، وَإِن عَمِلَهَا كُتِبَت عَلَيهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ، فَاجعَلهُم أُمَّتِي؟ قَالَ: تِلكَ أُمَّةُ أَحمَدَ.

قَالَ: رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلوَاحِ أُمَّةً؛ يُؤْمِنُونَ بِالكِتَابِ الأَوَّلِ، وَالكِتَابِ الآخِرِ، وَيُقَاتِلُونَ الأَعوَرَ الكَذَّاب، فَاجعَلهُم أُمَّتِي؟ قَالَ: تِلكَ أُمَّةُ أَحمَد.

قَالَ: رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلوَاحِ أُمَّةً؛ هُمُ الشَّافِعُونَ، وَهُمُ المشفُوعُ لَهُم، فَاجعَلهُم أُمَّتِي؟ قَالَ: تِلكَ أُمَّةُ أَحمَدَ.

قَالَ مُوسَى عليه السلام: رَبِّ، اجعَلنِي مِن أُمَّةِ أَحمَد [1].

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ١٧٣.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٦٠)

الأَسبَاطُ: أَولَادُ الوَلَدِ، جَمعٌ، وَالأَسبَاطُ فِي وُلدِ يَعقُوب بِن إِسحَاقَ بِمَنزِلَةِ القَبَائِلِ مِن وَلدِ إِسمَاعِيل، وَكَانُوا إِثنَي عَشَرَ سِبطاً [١] وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم أَولَادٌ وَنَسلٌ، فَصَارَ كُلُّ فِرقَةٍ مِنهُم سِبطاً وَأُمَّةً [٢].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً﴾ صَيَّرنَاهُم قِطَعَاً وَفِرَقَاً، وَمَيَّزنَا بَعضَهُم مِن بَعضٍ [٣] وَإِنَّمَا جَعلَهُم سُبحَانَهُ أُمَماً لِيَتَمَيَّزُوا فِي مَشرَبِهِم وَمَطعَمِهِم، وَيَرجِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مِنهُم إِلَى رَئِيسَهُم، فَيَخِفُّ الأَمرَ عَلَى مُوسَى عليه السلام وَلَا يَقعُ بَينَهُم اختِلَافٌ وَتَبَاغُض [٤].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿أَسْبَاطاً﴾ بَدَلٌ مِن: ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ وَالـمُمَيِّزُ مَحذُوفُ، وَالتَّقدِيرُ: اثنَتَي عَشَرَةَ فِرقَة، وَ: ﴿أُمَماً﴾ نَصبٌ عَلَى الحَالِ؛ يَعنِي: إِنَّ كُلَّ سِبطٍ مِنَ الأَسبَاطِ كَانَت أُمَّة عَظِيمَة، وَجَمَاعَة كَثِيرَة [٥].

الإِنبِجَاسُ: خُرُوجُ الـمَاءِ الجَارِي بِقِلَّةٍ، وَالإِنفجَارُ بِكَثرَة [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٧٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٧٨.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٢.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٧٨.

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾

يُقَالُ: شَرَعَ عَلَينَا فُلَانٌ؛ إِذَا دَنَا مِنَّا، وَأَشرَفَ عَلَينَا [١].

السَّبتُ: مَصدَرٌ، سَبَتَت اليَهُودُ؛ إِذَا عَظَّمَت سَبتَهَا، بِتَركِ الصَّيدِ، وَالإِشتِغَالِ بِالتَّعَبُّدِ [٢] وَكَذَلِكَ قَولُهُ تعَالَى: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ مَعنَاهُ: يَومَ تَعظِيمَهُم أَمرَ السَّبتِ[٣] وَقَولُهُ: ﴿شُرَّعاً﴾ أَي: ظَاهِرَةٌ عَلَى وَجهِ المَاءِ [٤].

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾

يُقَالُ: عَتَى فُلَانٌ؛ أَي: تَكَبَّرَ [٥].

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٢٦.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٦٧.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٢٥.
(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٤٣.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٦.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾

يُقَالُ: قَطَّعتَهُم في البَلَدِ أُمَماً؛ أَي فَرَّقناهُم في البَلَدِ فِرَقاً وَجَماعَاتٍ شَتَّى، بِحَيثُ لَا يَكَادُ يَخلُوا بَلَد مِن فِرقَةٍ مِنهُم [1] وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً**﴾.

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

إِعلَم: إِنَّهُ يُقَالُ: خَلَفَ ـ بِالفَتحِ ـ في الخَيرِ، كَقَولِكَ: فَلَانٌ خَلَفَ صِدقٍ، وَخَلْف ـ بِالسُّكُونِ ـ في الشَّرِّ [2].

الأَدنَى: إِمَّا مِن الدُّنُوِّ؛ بِمَعنَى: القُربِ، وَإِمَّا مِنَ الدَّنَاءَةِ وَسُقُوطِ الحَالِ [3].

يُقَالُ: دَرَسَ مَا في الكِتَابِ؛ إِذَا قَرَأَهُ [4].

﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾

يُقَالُ: مَسَّكَ بِهِ، شُدِّدَ لِلكَثرَةِ؛ أَي: تَمَسَّكَ بِهِ [5].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٢٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٧.

(٤) غريب القرآن، الطريحي: ٣٠٣.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٨٨.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١)

النَّتقُ في الأَصلِ: الجَذبُ [١].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ**﴾ أَي: واذكُر يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله إذ قَلَعنا الجَبَلَ مِن أَصلِهِ، وَرَفعناهُ علَى فَوقِ بَني إِسرَائيلَ، وَكَانَ عَسكَر مُوسَى عليه السلام فرسَخاً في فرسَخٍ، فَرَفَعَ اللهُ الجَبَلَ بِالنَّتقِ فَوقَ جَميعِهُم [٢].

﴿**كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾ وَهوَ: كُلُّ مَا أَظَلَّكَ؛ مِن سَقِيفَةٍ أَو سَحَابٍ [٣].

﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ**﴾ سَاقِطٌ عَلَيهِم؛ وَذَلِكَ أَنَّهُم أَبَوا أَحكَامَ التَّورَاةِ، فَرَفَع الطُّورَ عَلَى رُؤوسَهُم، وَقِيلَ لَهُم: إِن قَبلتمُوها بِمَا فِيهَا، وَإِلَّا لَيَقَعَنَّ عَلَيكُم، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى الجَبَلِ، خَرُّوا سُجَّداً علَى أَحدِ شِقَّي وُجوهَهُم، يَنظُرُونَ إِلَى الجَبَلِ، خَوفاً مِن سُقُوطِهِ [٤].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنَ الظَّنِّ؛ أَي: قَويَ فِي نُفُوسِهِم ذَلِكَ [٥] لأَنَّ الجَبَلَ لَا يَثبُتُ فِي الجَوِّ، وَلأَنَّهُم كَانُوا يُوعَدُونَ بِهِ [٦].

﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ**﴾ علَى إِضمَارِ القَولِ؛ أَي: وَقُلنَا: خُذُوا، أَو: قَائِلِينَ خُذُوا مَا آتينَاكُم [٧] مِن أَحكَامِ الكِتَابِ فَاقبَلُوهُ بِجدٍّ وَاجتِهَادٍ فِيكُم، وَعَزمٍ علَى احتِمَالِ تَكَالِيفِهِ.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٧١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٨٩.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٢٩.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٨.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٣٨٩.
(٦) تفسير البيضاوي: ٣/ ٧١.
(٧) تفسير البيضاوي: ٣/ ٧١.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾

﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ أَي: وَاذكُر يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله إِذ أَخرَجَ رَبُّكَ مِن أَصلَابِ بَنِي آدم نَسلَهُم، علَى مَا يَتَوَالَدُونَ، قَرناً بَعدَ قَرنٍ [١].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**مِنْ ظُهُورِهِمْ**﴾ بَدَلٌ مِن: ﴿**بَنِي آدَمَ**﴾ بَدَلُ البَعضِ مِنَ الكُلِّ: ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا**﴾ أَي: قَالُوا: بَلَى، أَنتَ رَبُّنَا، شَهِدنَا عَلَى أَنفُسِنَا، أَنتَ رَبُّنَا، أَقرَرنَا بِربُوبِيتِكَ وَإِلهِيتَكَ لَنَا: ﴿**أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾ [٢].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾

يُقَالُ: هُو عَالِمٌ مِن عُلَمَاءِ بَنِي إِسرَائِيل، أُوتِي عِلـمُ بَعضِ كُتُبِ اللَّـهِ [٣] وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الكَنعَانِيِّين، إِسمُهُ بَلعَم بِن بَاعُورَاءِ [٤].

عَن البَاقِرِ عليه السلام: (الأَصلُ فِيهِ بَلعَم، ثُمَّ ضَرَبَهُ اللهُ مَثَلاً لِكُلِّ مُؤثِرٍ هَوَاهُ عَلَى هُدَى اللَّـهِ مِن أَهلِ القِبلَةِ) [٥].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ**﴾ أَي: صَارَ قَرِينَهُ: ﴿**فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ الضَّالِّينَ الكَافِرِينَ، مَثَلٌ لِكُلِّ مُؤثِرٍ هَوَاهُ علَى هُدَى اللَّـهِ تعَالَى مِن أَهلِ القِبلَةِ [٦].

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١٧٣.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧١٩.
(٣) التفسير الأصفى، الكاشاني: ١/ ٤١٢.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٣٠.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٣٢.
(٦) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٢٥٣.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦)

اللَّهثُ: إِدلَاعُ اللِّسَانِ مَع التَّنفُسِ الشَّدِيدِ، فَهوَ لَاهِثٌ[1].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٩)

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**﴾ عَلَى أَنَّ مَصِيرَهُم إِلَيهَا بِسُوءِ اختِيَارِهم، وَهُم الَّذِينَ عَلِمَ اللهُ أَنَّه لَا لُطفَ لَهُم: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ أَي: العَقلُ؛ إِنَّهُم لَا يَتَدَبَّرُونَ أَدِلَّةِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِه: ﴿**وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا**﴾ الرُّشدَ: ﴿**وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ الوَعظُ وَالنَّصِيحَةُ مِن كِتَابِنَا وَنَبِيِّنَا وَأَوصِيَاؤُهُ وَالعُلَمَاءُ؛ لأَنَّهُم يُعرِضُونَ عَن جَمِيعِ ذَلِكَ إِعرَاضَ مَن لَيسَ لَه آلَةُ الإِدرَاك.

﴿**أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ**﴾ فِي عَدَمِ التَّفَكُّرِ وَالإِنصَاتِ، وَالتَّدَبُّرِ وَالنَّظَرِ، للإِعتِبَارِ فِي عَجَائِبِ صُنعَتِنَا وَقُدرَتِنَا، وَالدَّلَائِلِ الوَاضِحَةِ، النَّاطِقَةُ عَلَى وُجُودِنَا، وَوَعدِنَا وَوَعِيدُنَا: ﴿**بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾ مِنَ الأَنعَامِ وَالبَهَائِمِ؛ فَإِنَّهَا إِذَا زُجِرَت انزَجَرَت، وَإِذَا رُشِدَت إِلَى الطَرِيقِ اهتَدَت.

وَهَؤلَاءِ لِكُفرِهِم وَعُتُوَّهَم وَغُلُوِّهِم لَا يَهتَدُونَ إِلَى شَيءٍ مِن أُمُورِ الدِّيَانَاتِ، مَعَ مَا رُكِّبَ فِيهِم مِنَ العُقُولِ الدَّالَّةِ عَلَى الرَّشَادِ: ﴿**أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ عَمَّا هَيَأنَا مِنَ العَذَابِ[2].

(١) العين، الفراهيدي، مادة (لهث) ٤/ ٤٢، تفسير البيضاوي: ٣/ ٧٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢٣.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠)

الإِلحَادُ: العُدُولُ [(١)].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ أَي: اترُكُوا الَّذِينَ يَعدِلُونَ بِأَسمائِهِ، وَيُسَمُّونَ بِهَا أَصنَامَهُم، وَيُغَيِّرُونَهَا بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقصَانِ، فَاشتَقُّوا اللَّاتَ مِن اللَّـهِ، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيزِ، وَمَنَاةَ مِنَ الـمَنَّانِ، أَو: يَصِفُونَهُ بِهَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَيُسَمُّونَهُ بِمَا لَا يَجُوزُ تَسمِيَتُهُ بِهِ: ﴿سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١)

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْـحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أَي: مِن جُملَةِ خَلقِهِ جَمَاعَةٌ يَدعُونَ النَّاسَ إِلَى تَوحِيدِ اللَّـهِ، وَإِلَى دِينِهِ، وَهوَ الحَقُّ، وَيُرشِدُونَ إِلَيهِ: ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أَي: وَبِالحَقِّ يَحكُمُونَ [(٣)].

قَالَ أَمِيرُ الْـمُؤمِنِينَ عليه السلام: (وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَتَفتَرِقَنَّ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا فِرقَةٌ وَاحِدَةٌ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْـحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فَهَذِهِ الَّتِي تَنجُو) [(٤)].

وَعَن البَاقِرِ وَالصَّادِقِ عليهما السلام أَنَّهُمَا قَالَا: (نَحنُ هُم) [(٥)].

---

(١) معاني القرآن، النحاس: ٦/ ٢٧٣.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٧٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٠٠.
(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٢/ ٢٧٠، الدر المنثور، السيوطي: ٣/ ١٤٩.
(٥) بصائر الدرجات، الصفار: ٥٦ ح ٨، مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٢/ ٢٧٠.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٢﴾

الإِستِدرَاجُ: إِستِفعَالٌ مِنَ الدَّرَجَةِ، بِمَنزِلَةِ الإِستِصعَادِ، أو: الإِستِنزَالِ، دَرَجَةً بَعدَ دَرَجَةٍ [1].

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ﴿١٨٣﴾

الإِملَاءُ: مِنَ التَّأخِيرِ وَالإِمهَالِ [2].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾ أَي: أُمهِلَهُم وَلَا أُعَاجِلَهُم بِالعُقُوبَةِ [3] إِنَّ عَذَابِي قَوِيٌّ مَنِيعٌ [4] وَإِنَّمَا سُمِّي العَذَابُ كَيداً؛ لأَنَّهُ شَبِيهٌ بِالكَيدِ، لأَنَّهُ في الظَّاهِرِ إِحسَانٌ، وَفِي الحَقِيقَةِ خُذلَانٌ [5] وَقَولُهُ: ﴿**وَأُمْلِي لَهُمْ**﴾ عَطفٌ عَلَى مَا قَبلَهُ، مِن قَولِهِ: ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُم**﴾ وَدَاخِلٌ فِي حُكمِ السِّينِ [6].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٨٤﴾

يُقَالُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعَدَ الصَّفَا، وَكَانَ يَدعُوا قُرَيشاً إِلَى تَوحِيدِ اللَّهِ تعَالَى، وَيُخَوِّفُهُم عَذَابَ اللَّهِ، فَقَالَ قَائلَهُم: إِنَّ صَاحِبَكُم لَمجنُون؛ أَي: لَا تَلتَفِتُوا وَلَا تعبَأُوا بِهِ، فَأَنزَلَ اللهُ تعَالَى: ﴿**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا**﴾ أَي: هَذِه الكُفَّارُ، فَيعَلَمُوا: ﴿**مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ**

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٣٣.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ملا): ١٥/ ٢٩٠.
(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٦٣٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٠٢.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢٥.
(٦) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٤٨.

جِنَّةٍ﴾ أَي: لَيسَ بِرَسُولِنَا بِالحَقِّ جُنُونٌ، بَل: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ وَمَعنَى مُبِينٌ؛ أَي: بَيِّنٌ أَمرُهُ [(١)].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾

أَوَ لَم يَتَفَكَّرُوا: ﴿**فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ**﴾ أَي مِمَا يَقَعُ عَلَيهِ إِسمُ الشَّيء مِن أَجنَاسِ الـمَخلُوقَاتِ الَّتي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصَى [(٢)].

﴿**وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ**﴾ عَطفٌ عَلَى مَلكُوت، وَالـمَعنَى: أَوَ لَم يَنظُروا في اقتِرَابِ آجَالِهِم، فَيُسَارِعُوا إِلى النَّظَرِ فِيمَا يُنجِيهِم قَبلَ حُلُولِ الأَجَلِ، وَأَن هَذِه مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَصلُهَا: أَن عَسَى، عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ ضَمِيرُ الشَّأنِ [(٣)].

﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ**﴾ أَي: القُرآنُ: ﴿**يُؤْمِنُونَ**﴾ مَعَ وُضُوحِ دِلَالَتِه، عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ اللَّـهِ الـمُعجِز [(٤)] وَالـمَعنَى: لَعَلَّ أَجَلَهُم قَد اقتَرَبَ، فَمَا لَهُم لَا يُبَادِرُونَ الإِيمَانَ بِالقُرآنِ قَبلَ الـمَوتِ، فَإِن لَم يُؤمِنُوا بِهِ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ أَحَقُّ مِنهُ يُرِيدُونَ أَن يُؤمِنُوا بِهِ [(٥)].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٤٥،مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي:٤/ ٤٠٢.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢٦.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٧٩.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٤٥.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢٦.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧)

يُقَالُ: وَإِنَّمَا سُمِّيَت القِيَامَة سَاعَة، لِوُقُوعِهَا بَغتَةً، أَو: لأَنَّهَا عَلَى طُولِهَا عِندَ اللَّهِ كَسَاعَةٍ مِن سَاعَاتِ الخَلقِ [١].

الإِرسَاءُ: الإِثبَاتُ، وَرُسُوُّ كُلِّ شَيءٍ ثَبَاتُهُ وَاستِقرَارُهُ [٢].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿أَيَّانَ مُرْساها﴾ أَي: مَتَى وَقتُ إِثبَاتِ السَّاعَةِ، وَ: ﴿أَيَّانَ﴾ بِمَعنَى: مَتَى [٣].

وَقِيلَ: إِشتِقَاقُهُ مِن أَي؛ لأَنَّ مَعنَاهُ: أَيُّ وَقتٍ، وَ: ﴿مُرْساها﴾ إِرسَاؤهَا؛ أَي: وَقتَ إِرسَائهَا، أَي: إِثبَاتُهَا، وَالـمَعنَى: مَتَى يُرسِيهَا اللهُ [٤].

قِيلَ: جَاءَ قَومٌ مِنَ اليَهُودِ، أَو كُفَّارُ قُرِيشٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، أَخبِرنَا عَن السَّاعَةِ مَتَى، إِن كُنتَ نَبِيًّا، فَأَنزَلَ اللهُ تعَالَى الآيَة ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي﴾ [٥].

وَعَدَمُ الإِخبَارِ؛ لِيَكُونَ العِبَاد عَلَى حَذَرٍ مِنهُ، وَذَلِكَ أَدعَى لَهُم لِلطَاعَةِ، وَأَزجَرُ عَن الـمَعصِيَةِ [٦] كَمَا أَخفَى سُبحَانَهُ الـمَوتَ وَوَقتَهُ.

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢٧.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٦٣٢.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ٢٦٥.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٠٤.
(٦) بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ٥٥.

﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ أَي: لَا يُظهِرُهَا في وَقتِهَا إِلَّا اللهُ[١].

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أَي: عِظَمُ شَأَنِ السَّاعَةِ علَى أَهلِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، وَالجِنِّ وَالإِنسِ، لَا يَكُونُ فِيهَا مِن إِنتِثَارِ النُّجُومِ، وَتَكويرُ الشَّمسِ، وَتَسيِيرِ الجِبَالِ، وَغَيرُ ذَلِكَ[٢].

﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ علَى غَفلَةٍ مِنكُم؛ لِيَكُونَ أَعظَم وَأَهوَل[٣].

وَفي الحَدِيثِ: (إِنَّ السَّاعَةَ تَهِيجُ بِالنَّاسِ؛ وَالرَّجُلُ يُصلِحُ حَوضَهُ، وَالرَّجُلُ يَسقِي مَاشِيتَهُ، وَالرَّجُلُ يُقِيمُ سِلعَتَهُ في سُوقِهِ، وَالرَّجُلُ يَخفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرفَعَهُ[٤].

﴿كَأَنَّكَ﴾أَي: أَنتَ: ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ عَالِمٌ بِهَا، وَأَصلُهُ: كَأَنَّكَ أَحفَيتَ، فَجَاءَ السُّؤالُ عَنهَا حَتَّى عَلِمتَهَا؛ أَي: استَقصَيتَ وَأَلحفتَ عَنهَا[٥].

وَالحَفِيُّ: الـمُستَقصِي في السُّؤالِ[٦].

وَقِيلَ: ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أَي: عَالِمٌ بِهَا[٧].

وَقِيلَ: ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ بِالسُّؤالِ عَنهَا، تُحِبُّهُ وَتُؤثِرَهُ؛ يَعنِي: إِنَّكَ تَكرَهُ السُّؤالَ عَنهَا؛ لأَنَّهُ مِن عِلـمِ الغَيبِ الَّذِي استَأثَرَ اللهُ بِهِ[٨].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٤٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٠٥.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٤٩.

(٤) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ٣١٣.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٢٨.

(٦) الصحاح، الجوهري، مادة (حفي): ٦/ ٢٣١٦.

(٧) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٤٩.

(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٣٥.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾

الضِّلعُ: وَاحِدُ الأَضلَاعِ وَالضُّلُوعِ [١].

التَّغَشِّي: كِنَايَةٌ عَن الجِمَاعِ، وَكَذَلِكَ الغَشَيَانُ وَالإِتيَانُ [٢].

يُقَالُ: اقتَرَبَ وَقت ثِقَل حَمِلِهَا، وَمِثلُهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَلَمَّا أَثْقَلَتْ**﴾ أَي: صَارَت ذَا ثُقلٍ، يَكبُرُ الوَلَدُ فِي بَطنِهَا [٣].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿١٩١﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ لأَنَّ عَبَدَتَهُم يَخلِقُونَهُم، فَهُم أَعجَزُ مِن عَبَدَتِهِم [٤].

وَفِيهِ تَوبِيخٌ وَتَعنِيفٌ لِلمُشرِكِينَ، بِأَنَّهُم يَعبُدُونَ مَعَ اللَّهِ تعَالَى جَمَاداً، لَا يَخلُقُ شَيئاً مِنَ الأَجسَامِ، وَهُم مَعَ ذَلِكَ مَخلُوقُونَ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿**وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ عَلَى لَفظِ العُقَلَاءِ، وَإِن كَانَت الأَصنَام جَمَاداً؛ لأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الأَصنَامَ وَالعَابِدِينَ لَهَا جَمِيعاً، فَغَلَبَ مَا يَعقِل عَلَى مَا لَا يَعقِلُ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ عَلَى إِنَّهُم يُعَظِّمُونَهَا تَعظِيمَ مَن يَعقِل، وَيُصَورُونَهَا عَلَى صُورَةِ مَن يَعقِل، فَكَنَّى عَنهُم كَمَا يُكَنَّى عَن العُقَلَاءِ [٥].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (ضلع): ٣/ ١٢٥٠.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٦٣٤.
(٣) زاد المسير، ابن الجوزي: ٣/ ٢٠٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤١١.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ ﴿١٩٣﴾

أَي: سَوَاءٌ عَلَيهِم، أَدَعَوتُمُوهُم أَم أَصَمَتُّم مِن دُعَائِهِم؛ لأَنَّه لَا فَلَاحَ مَعَهُم [١].

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴾ ﴿١٩٥﴾

البَطشُ: الأَخذُ بِشِدَّةٍ [٢].

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا) [٣].

أَي: خُذُوا العَفوَ مِن أَفعَالِ النَّاسِ وَأَخلَاقِهِم، وَاقبَل مَا يَأَتِي مِن غَيرِ كُلفَةٍ، وَاقبَلِ المَيسُورَ مِنهُم كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ أَمَرَ سُبحَانَهُ بِالتَّسَامُحِ، وَتَركِ الإِستِقصَاءِ فِي القَضَاءِ وَالإِستِقضَاءِ: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ وَالمَعرُوفُ: الجَمِيلُ مِنَ الأَفعَالِ الحَمِيدَةِ مِنَ الخِصَالِ، وَأَعرِض عَمَّا يَسُوؤكَ مِنهُم عِندَ قِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيهِم، وَالإِيَاسُ مِن قَبُولِهِم، وَلَا تُقَابِلِ السُّفَهَاءَ بِمِثلِ سَفَهِهِم صِيَانَةً لِقَدرِكَ [٤].

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَـمَّا نَزَلَت هَذِهِ الآيَاتِ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ جَبرَئِيلَ؟ فَقَالَ: لَا أَدرِي حَتَّى أَسأَلَ الله، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ﷺ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأمُرُكَ أَن تَصِلَ مَن قَطَعَكَ، وَتُعطِيَ مَن حَرَمَكَ، وَتَعفُو عَمَّن ظَلَمَ [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣١.
(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (بطش):٢/ ٢٦٣.
(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٣١، صحيح البخاري: ١/ ٢٥.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣٢.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٦٣.

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِمَكَارِمِ الأَخلَاقِ، وَلَيسَ فِي القُرآنِ آيَةً أَجمَعُ لِـمَكَارِمِ الأَخلَاقِ مِنهَا)[١].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٠٠﴾

النَّخسُ: شِبهُ النَّزغِ[٢] وَالإِنخَاس: الإِنـزَاغُ وَالوَسوَسَةُ، عَلَى خِلَافِ الرَّأيِ، وَالنَّزغُ: الإِزعَاجُ بِالإِغرَاءِ، وَأَكثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ عِندَ الغَضَبِ[٣].

وَالنَّزغُ وَالنَّخسُ وَالنَّسغُ بِمَعنَىً؛ كَأَنَّهُ يَنخَسُ الإِنسَانَ حِينَ يُغرِيهِ الشَّيطَانُ عَلَى الـمَعَاصِي، يُقَالُ: أَنزَغَكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزغٌ؛ أَي: وَسوَسَ إِلَيكَ[٤].

قَالَ اللهُ: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ أَي: وَإِمَّا يَنخَسَنَّكَ الشَّيطَانُ نَخسٌ سَمِيعٌ لِـلمَسمُوعَاتِ[٥] وَقِيلَ: لِدُعَائكَ عَلَيهِم بِمَا عَرَضَ لَكَ[٦].

(١) تفسير ابن عربي: ١/ ٢٧١، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٧/ ٣٤٥.
(٢) مدارك التنزيل، النسفي: ٤/ ٩١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤١٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣٣.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٦٣٩.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٤١٥.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠١﴾

الـمَمسُوسُ: الـمَجنُونُ، وَالـمَسُّ الجُنُونُ [١].

يُقَالُ: مَسَّنَا طَائِفٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَهوَ إِسمُ فَاعِلٍ، مِن طَافَ يَطُوفُ، كَأَنَّهَا طَافَت بِهِم، وَدَارَت حَولَهُم، أَو: مِن طَافَ بِهِ الخَيَالُ، يَطِيفُ طَيفاً [٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ﴾ أَي: إِذَا أَصَابَهُم أَدنَى وَسوَسَةٍ مِنهُ [٣].

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَمَا نَهَى عَنهُ [٤].

وَالـمُرَادُ بِالشَّيطَانِ: جِنسٌ مِنهُ، وَهَذَا تَأكِيدٌ وَتَقرِيبٌ لِـمَا تَقَدَّمَ مِن وُجُوبِ الإِستِعَاذَةِ بِاللَّهِ عِندَ نَزغِ الشَّيطَانِ، وَإِنَّ الـمُتَّقِينَ هَذِهِ عَادَتُهُم إِذَا أَصَابَهُم أَدنَى لـمَّة مِنَ الشَّيطَانِ تَذَكَّرُوا وَأَبصَرُوا الرُّشدَ، وَدَفَعُوا الوَسوَسَةَ، وَهوَ قَولُهُ: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [٥].

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠٢﴾

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ أَي: وَإِمَّا إِخوَانُ الشَّيَاطِين، وَهُم غَيرُ الـمُتَّقِينَ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ يَمُدُّونَهُم فِي الغَيِّ؛ أَي: يَكُونُونَ مَدَداً لَهُم، وَيُزِيدُونَهُم فِيهِ، وَيُزَيِّنُونَ لَهُم مَا هُم فِيهِ [٦].

(١) تفسير الرازي: ١٤/ ٢٠٤.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٨٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤١٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣٣.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣٣.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٣٩.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤)

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (وَإِذَا قُرِئَ عِندَكَ القُرآنُ، وَجَبَ عَلَيكَ الإِنصَاتُ وَالإِسْتِمَاعُ)[1] لَهُ حِينَ قَالَ اللهُ: ﴿**وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ أَي: تُرحَمُونَ بِذَلِكَ الإِنصَات، وَهَذَا بِظَاهِرِهِ يُوجِبُ استِمَاعَ القُرآنِ، وَالإِنصَاتُ لَهُ وَقتَ قِرَاءَتِه في الصَّلَاةِ وَغَيرُهَا [2].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ (٢٠٥)

﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ**﴾ هُوَ عَامٌّ في الأَذكَارِ جَمِيعاً [3].

﴿**تَضَرُّعاً وَخِيفَةً**﴾ أَي: مُتَضَرِّعَاً وَخَائفاً [4].

﴿**وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ لأَنَّ الإِخفَاءَ أَدخَلُ في الإِخلَاصِ، وَأَبعَدُ مِنَ الرِّيَاءِ، وَأَقرَبُ إِلى القَبُولِ [5].

﴿**بِالْغُدُوِّ وَالآصالِ**﴾ أَي: بَالغَدَوَاتِ وَالعَشِيَّاتِ لِفَضلِهِمَا، وَقِيلَ: المُرَادُ دَوَامُ الذِّكرِ [6].

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٤٤ ح ١٣٢.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٤٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٧٣٦.

(٥) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣١٠.

(٦) تفسير الرازي: ١٥/ ١٠٥.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ ﴿٢٠٦﴾

﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ**﴾ أَي: مِنَ الـمَلَائكَةِ: ﴿**لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾ مَع جَلَالَةِ قَدرِهِم، وَعُلُوِّ أَمرهُم: ﴿**وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ [(١)].

وَفي الحَدِيثِ: (إِذَا قَرَأ ابنُ آدَم السَّجدَةَ فَسَجَدَ، اعتَزَلَ الشَّيطَانُ يَبكِي، فَيَقُولُ: يَا وَيلَهُ، أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّة، وَأُمِرتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيتُ فَلِي النَّارُ) [(٢)].

وَفِيهِ: (مَا مِن عَبدٍ يَسجُدُ للَّـهِ تعَالَى سَجدَةً، إِلَّا رَفَعَ اللهُ تعَالَى لَه دَرَجَةً في الجَنَّةِ، وَحَطَّ بِهَا عَنهُ خَطِيئَةً) [(٣)].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٢٠.
(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٤٤٣، سنن ابن ماجه: ١/ ٣٣٤ ح ١٠٥٢.
(٣) سنن الدارمي: ١/ ٣٤١، سنن النسائي: ٢/ ٢٢٨.



الفصل الثامن

سورة الأنفال



النَّفلُ: الزِّيَادَةُ علَى الشَّيءِ، وَالجَمعُ أَنفَالٌ [1].

وَفي الحَدِيثِ: عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (مَن قَرَأ سُورَةَ الأَنفَالِ وَبرَاءَة، فَأَنَا شَفِيعٌ لَهُ وَشَاهِدٌ يومَ القِيَامَةِ أَنَّهُ بَرِئٌ مِنَ النِّفَاقِ، وَأُعطِي مِنَ الأَجرِ بِعَدَدِ كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ فِي دَارِ الدُّنيَا عَشرَ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنهُ عَشرُ سَيئاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ العَرشُ وَحَمَلَتُهُ يُصَلُّون عَلَيهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي الدُّنيَا)[2].

عَن الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: (مَن قَرَأ سُورَة بَرَاءَة وَالأَنفَال فِي كُلِّ شَهرٍ، لَم يَدخِلهُ نِفَاقٌ أَبَدَاً، وَكَانَ مِن شِيعَةِ أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام حَقَّاً، وَأَكَلَ يومَ القِيَامَةِ مِن مَوَائِدِ الجَنَّةِ مَعَ شِيعَتِهِ، حَتَّى يَفرُغُ النَّاس مِنَ الحِسَابِ)[3].

---

(١) الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري: ٥٤٨.

(٢) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ٣٢٤.

(٣) تفسير العياشي: ٢/٤٦ح ١.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١﴾

يُقَالُ: اللَّـهُمَّ أَصلِح ذَاتَ البَينِ؛ أَي: أَصلِح الحَالَ الَّتي بِهَا يَجتَمِعُ الـمُسلِمُونَ، وَالذَّاتُ: هِي الخِلقَةُ وَالبِنيَةُ[١] وَالـمُرَادُ بِذَاتِ الصُّدُورِ: هِي مُضمَرَاتُهَا[٢].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أَي: حَقِيقَةَ أَحوَالِ بِينكُم[٣] ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾

﴿إِنَّمَا الْـمُؤْمِنُونَ الَّذينَ إذا ذُكِرَ اللهَ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أَي: هَذِه صِفَتُهُم؛ إِنَّهُم إِذَا نَظَرُوا في نِعَمِ اللَّهِ لَدَيهُم، وَمِنَنَهُ عَلَيهِم، وَمَغفِرَتَهُ وَرَحمَتَهُ، اطمَأَنَّ قَلبُهُم، وَحَسُنَ بِاللّهِ ظَنَّهُم، وَإِذَا فَكَّرُوا في عَظِيمِ مَعَاصِيهِ، بِتَركِ أَوامِرِه، وَارتِكَابِ نَواهِيَهُ؛ أَي: وَجِلَ قَلبَهُم، وَالوَجَلُ: الخَوفُ مِن شِدَّةِ الحُزنِ[٤].

﴿وَإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إيماناً﴾ أَي: زَادَ اليَقِينُ وَالقَطعُ في رَبِّهِم: ﴿وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٢٦.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٤١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤.
(٤) الصحاح، الجوهري، مادة (وجل): ٥/ ١٨٤٠.

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾

استَحَقُّوا إِطلَاقَ إِسمِ الإِيمَانِ عَلَيهِم حَقِيقَةً [١].

﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ شَرَفَاً وَكَرَامَةً: ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ خَطِيرٌ كَبِيرٌ مِن نَعِيمِ الجَنَّةِ، وَقِيلَ: الـمَعنَى لَهُم مَنَافِعَ دَائمَة [٢].

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ ﴿٥﴾

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْـمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ في مَوضِعِ الحَالِ؛ أَي: إِخرَاجُكَ في حَالِ كَرَاهَتِهِم لِذَلِكَ؛ لِلـمَشَقَّةِ الَّتِي لَحِقَتهُم [٣].

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ أَي: اذكُرُوا، وَاشكُرُوا اللهَ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ إِمَّا طَائفَةُ العِيرِ،وَإِمَّا النَّفِيرُ [٤].

وَإِذ: مَنصُوبٌ بِإِضمَارِ اذكُرُوا أَنَّهَا لَكُم، بَدَلُ إِحدَى الطَّائفَتَينِ بَدلُ إِشتِمَالٌ [٥].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٣٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٣٠.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٤٤.

الشَّوكَةُ: الحِدَّةُ، مُستَعَارَةٌ مِن حِدَّةِ الشَّوكِ [١] وقوله تعالى: ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ يَعنِي: طَائفَةُ العِيرِ؛ لأَنَّه لَمَ يَكُن فِيهَا إِلَّا أَربَعُونَ فَارِسَاً [٢].

﴿**ذاتِ الشَّوْكَةِ**﴾ ذَاتِ السِّلَاحِ [٣].

الدَّابِرُ: الآخَرُ، مِن دبرَ إِذَا أَدبرَ [٤] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ**﴾ أَي: وَيَغلِبُ الـمُؤمِنُونَ بِنَصرِه لَهُم، وَقَتلِهِم الكُفَّارُ.

وَكَانَت عَاتِكَة بِنت عَبدِ الـمُطَّلِب، رَأَت فِيمَا يَرَى النَّائمُ، قَبلَ مَقدَم ضَمضَم بِن عَمرو بِثَلَاثِ لَيَالٍ: أَنَّ رَجُلَاً أَقبَلَ على بَعِيرٍ لَهُ يُنَادِي: يَا آلَ غَالِب ! أُغدُوا إِلى مَصَارِعَكُم، ثُمَّ وَافَى بِجَمَلِهِ علَى أَبِي قُبَيسٍ، فَأَخَذَ حَجَرَاً، فَدَهدَهَهُ مِنَ الجَبَلِ، فَمَا تَرَكَ دَارَاً مِن دُورِ قُرَيشٍ إِلَّا أَصَابَتهُ مِنهُ فَلَذَّة، فَانتَبَهَت فَزِعَةً مِن ذَلِكَ [٥].

قِيلَ: دَعَا رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله في بَدرٍ بَينَ أَصحَابِهِ، وَهُم ثَلَاثُمائةٍ وَنَيِّفٍ، استَقبَلَ القِبلَةَ، وَمَدَّ يَدَيهِ يَدعُوا: (اللَّـهُمَّ أَنجِز لِي مَا وَعَدتَنِي، إِن تَهلِكَ هَذِهِ العِصَابَة لَا تُعبَدُ فِي الأَرضِ) فَمَا زَالَ كَذَلِكَ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤهُ صلى الله عليه وآله مِن مِنكَبيهِ [٦].

---

(١) كنز الدقائق، المشهدي: ٥/ ٢٨٥.

(٢) غريب القرآن، الطريحي: ٤٣٧.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٥٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٣، وقيل: هو الأصل.

(٥) تفسير القمي: ١/ ٢٥٦.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٣٧.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ﴿٩﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ رَبُّكُم، أَي: فَأَغَاثَكُم وَأَجَابَ دُعَاءَكُم، وَالإِستِجَابَةُ: هِيَ العَطِيَّةُ عَلَى مُوَافَقَةِ المَسأَلَةِ [١].

أَردَفتُهُ إِيَّاهُ؛ إِذَا أَتبَعتُهُ، يُقَالُ: أَردَفتُهُ وَأَتبَعتُهُ؛ إِذَا جِئتُ بَعدَهُ، وَأَردَفَهُ اللهُ؛ إِذَا تَبِعَهُ[٢].

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ ﴿١١﴾

وَقَولُهُ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ إِذ يَغشَاكُم بَدَلٌ ثَانٍ مِن إِذ يَعِدَكُم بِإِظهَارِ نِعمَةٍ ثَالِثَةٍ [٣] أَو: مَنصُوبٌ بِالنَّصرِ فِي قَولِهِ: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ [٤] أَو: بِمَا جَعَلَهُ اللهُ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [٥].

وَ: ﴿أَمَنَةً﴾ مَفعُولٌ لَهُ، وَ: ﴿مِنْهُ﴾ صِفَةٌ لأَمنَةٍ [٦] أَي: أَمنَةً خَالِصَةً لَكُم مِنَ اللَّهِ وَالنُّعَاسِ أَو النَّومِ، وَقِيلَ: أَن يَثقُل، وَالـمَعنَى: إِذ يَتَغَشَّونَ لأَمنِكُم الحَاصِلُ مِنَ اللَّـهِ، بِإِزَلَةِ الرُّعبِ مِن قُلُوبِكُم، كَمَا يُقَالُ: الخَوفُ مُسهِرٌ، وَالأَمنُ مُنِيمٌ [٧].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ١٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩.

(٣) زبدة التفاسير، الفيض الكاشاني: ٢/ ٢٧٠.

(٤) الأنفال: ١٠.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٢٦.

(٦) تفسير أبي السعود: ٢/ ١٠١.

(٧) زبدة التفاسير، الفيض الكاشاني: ٣/ ١٧.

يُقَالُ: لَـمَّا سَبَقَ الـمُشرِكُونَ إِلى السَماءِ في غَزوَةِ بَدرٍ، وَنَزَلَ الـمُسلِمُونَ في كَثِيبِ رَملٍ، تَسُوخُ فِيهِ الأَقدَامُ، وَنَامُوا، فَاحتَلَمَ كَثِيرٌ مِنهُم، فَتَمَثَّلَ لَهُم إِبلِيس، وَقَالَ: يَا أَصحَابَ مُحَمَّدٍ، أَنتُم تَزعُمُونَ أَنَّكُم عَلَى الحَقِّ، وَأَنتُم تُصَلُّونَ عَلَى الجَنَابَةِ، وَقَد عَطَشتُم، وَلَو كُنتُم عَلَى حَقٍّ مَا غَلَبَكُم هَؤلَاءِ عَلَى السَماءِ، وَهَا هُمُ الآن يَمشُونَ إِلَيكُم، فَيَقتُلُونكُم وَيَسُوقُونَ بَقِيَّتِكُم إِلى مَكَّة.

فَحَزَنُوا لِذَلِكَ، فَأَنزَلَ اللهُ الـمَطَرَ، فَمُطِرُوا لَيلاً، حَتَّى جَرَى الوَادِي، وَاغتَسَلُوا وَتَوَضَؤوا، وَاتَّخَذُوا الحِيَاضَ عَلَى عَدوَةِ الوَادِي، وَتَلَبَّدَ الرَّملُ الَّذِي كَانَ بَينَهُم وَبَينَ العَدُوِّ، حَتَّى ثَبَتَ عَلَيهِ الأَقدَام، وَزَالَت وَسوَسَةُ الشَّيطَانِ[١].

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢)

وَقولُهُ: ﴿**إِذْ يُوحِي**﴾ يَجُوزُ أَن يَكُونَ بَدَلاً مِن: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ**﴾ وَأَن يَنتَصِبَ بِـ: ﴿**وَيُثَبِّتَ**﴾[٢].

البَنَانُ: الأَصَابعُ[٣] وَقولُهُ تعَالَى: ﴿**وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ أَي: الأَطرَافَ مِنَ اليَدَينِ وَالرِّجلَينِ مِنَ الـمُقَاتِلينَ[٤].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٠.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٤٩.
(٣) المصباح المنير، الفيومي: ١/ ٦٢.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٨٨.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١٣﴾

الـمَشَقَّةُ: مُشتَقَّةٌ مِنَ الشَّقِّ؛ لأَنَّ كِلَا الـمُتَعَادِيَينِ في شِقٍّ خِلَافَ شِقِّ صَاحِبِهِ [1] يُقَالُ: فُلَانُ شَقَّنَا، وَهُم قَومٌ شَاقُّوا اللهَ، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَمَنْ يُشاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَديدُ الْعِقابِ**﴾ بِكُم أَيُّهَا الكَفَرَة فَذُوقُوهُ، وَهَذَا عَلَى طَرِيقِ الإِلتِفَاتِ إِلى الخِطَابِ[2].

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١٤﴾

وَقَولُهُ: ﴿**ذَلِكُمْ**﴾ مَحَلُّهُ الرَّفعُ؛ أَي: ذَلِكُم العِقَاب، أَو: العِقَابُ ذَلِكُم: ﴿**فَذُوقُوهُ**﴾ وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ في مَحَلِّ النَّصبِ، علَى تَقدِيرِ: عَلَيكُم ذَلِكُم فَذُوقُوهُ، كَقَولِكَ: زَيدَاً فَاضرِبهُ: ﴿**وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾ عَطفٌ علَى: ﴿**ذَلِكُمْ**﴾ في الوَجهَينِ، أَو: نَصبٌ علَى أَن، والوَاوُ بِمَعنَى مَعَ، أَي: ذُوقُوا هَذَا العَذَابَ العَاجِلَ مَعَ الآجِلِ الَّذِي لَكُم في الآخِرَةِ، فَوُضِعَ الظَّاهِر فِيهِ مَوضِعَ الضَّمِيرِ، وَالـمَعنَى: كُونُوا لِلعَذَابِ كَالذَّائِقِ لِلطَّعَامِ [3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/ ١١.

(٢) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ١/ ٤٢٨.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٤٨.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ ﴿١٥﴾

الزَّحفُ: الكَثرَةُ، وَالزَّحِيفُ: الكَثِيرُ، وَالزَّحفُ: مَصدَرٌ، زَحَفَ الصَّبِيُّ؛ إِذَا دَبَّ عَلَى إِستِهِ قَلِيلاً قَلِيلاً، سُمِّي بِهِ، وَجُمِعَ عَلَى زُحُوف، وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً**﴾ أَي: كَثِيرَاً، بِحَيثُ يُرَى لِكَثرَتِهِم كَأَنَّهُم زَحفُوا، وَهوَ مَصدَرٌ، وَالـمَعنَى: إِذَا لَقِيتُمُوهُم لِلقِتَالِ، وَهُم كَثِيرٌ جَمٌّ، وَأَنتُم قَلِيلٌ: ﴿**فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾ بِالإِنهِزَامِ، فَضلاً عَن أَن يَكُونُوا مِثلَكُم، أَو أَقَلُّ مِنكُم، فَيَكُونُ: ﴿**زَحْفاً**﴾ حَالاً مِنَ: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ حَالاً مِنَ الفَرِقَينِ؛ أَي: إِذَا لَقِيتُمُوهُم مُتَزَاحِفَينِ أَنتُم وَهُم، أَو: حَالاً مِنَ الـمُؤمِنِينَ كَأَنَّهُم بِمَا سَيكُونُ مِنهُم يَومَ حُنَينٍ، حِينَ تَولَّوا مُدبِرِينَ وَهُم زَحفَاً، إِثنَي عَشَرَ أَلفَاً[١].

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٦﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ**﴾ يَعنِي: مُنحَازَاً إِلى جَمَاعَةٍ أُخرَى مِنَ الـمُسلِمِينَ[٢] وَهوَ عَطفٌ عَلى مَا قَبلَهُ مُتَحَرِّفَاً أَو مُتَحَيِّزَاً، وَانتِصَابُهُمَا عَلَى الحَالِ، وَ: ﴿**إِلاَّ**﴾ لَغوٌ لَا عَمَلَ لَهَا، أَو: عَلَى الإِستِثنَاءِ مِنَ الـمُوَلِّينَ؛ أَي: وَمَن يُوَلِّهِم إِلَّا رَجُلاً مِنهُم مُتَحَرِّفَاً أَو مُتَحَيِّزَاً، وَوَزنُ مُتَحَيِّزٍ مُتَفَيعِلٌ لَا مُتَفَعِّلٌ؛ لأَنَّهُ مِن حَازَ يَحُوزُ، فَبِنَاءُ مُتَفَعِّلٍ مِنهُ مُتَحَوِّزٌ[٣].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٢.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي: ١/ ٣٢٣.
(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٢٠.

وَإِنَّما يُقالُ لِلنِّعمَةِ: بَلاءٌ، كَما يُقالُ لِلمَضَرَّةِ: بَلاءٌ؛ لأَنَّ أَصلُ البَلاءِ: مَا يَظهَرُ بِهِ الأَمرَ مِنَ الشُّكرِ وَالصَّبرِ، فَيبتَلِي اللهُ تعَالَى عِبادَهُ؛ أَي: يَختَبِرَهُم بِالنِّعَمِ، لِيَظهَرَ شُكرَهُم عَلَيها، وَبِالمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ لِيَظهَرَ عِندَهَا الصَّبرُ المُوجِبُ لِلأَجرِ[1].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٧)

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً﴾ أَي: وَلِيُعطِيهِم عَطَاءً: ﴿مِنْهُ﴾ رَاجِعٌ إِلى اللَّهِ، وَقِيلَ: إِلى النَّصرِ، وَالبَلاءُ الحَسَنُ هُنَا: النَّصرُ وَالغَنِيمَةُ، وَالأَجرُ وَالمَثُوبَةُ[2].

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٩)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أَي: وَلَن تَدفَعَ عَنكُم جَماعَتُكُم شَيئاً مِنَ المَضارِّ: ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ جَماعَتكُم: ﴿وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: بِالنَّصرِ وَالحِفظِ وَالمَعُونَةِ، وَهوَ عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي بَكرٍ: إِنَّ اللهَ بِكَسرِ الهَمزَةِ، وَهوَ الأَوجَهُ، وَقَرَأَ حَفصٌ: وَأَنَّ اللهَ بِالفَتحِ عَلَى: ﴿وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَمَعنَاهُ: وَإِن تَنتَهُوا أَيُّهَا المُسلِمُونَ عَمَّا كَانَ مِنكُم فِي الغَنَائِمِ وَالأُسَارَى مِن مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٤٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٤٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٤٨، التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٢٢٨.

﴿**وَإِن تَعُودُواْ**﴾ إلى ذَلِكَ الصَّنِيع: ﴿**نَعُدْ**﴾ إلى الإنكَارِ عَلَيهِم، وَتَركِ نُصرَتِكُم: ﴿**وَلَن تُغْنِيَ**﴾ حِينَئِذٍ عَنكُم جَمعُكُم شَيئاً إِذا مَنَعناكُم النَّصرَ [١].

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

الدَّوَابُّ: البَهَائِمُ، وَقِيلَ: مَن يَدُبُّ عَلَى وَجهِ الأَرضِ [٢].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

يُقَالُ: العِلـمُ حَيَاةٌ، وَالجَهلُ مَوتٌ [٣].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ**﴾أي: أَجِيبُوا للَّـهِ [٤] وَالرَّسُولِ فِيمَا يَأتِيكُم بِهِ، وَالـمُرَادُ بِالإِستِجَابَةِ: الطَّاعَةُ وَالإِمتِثَالُ [٥].

﴿**إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ أَي: مِن عُلُومِ الدِّينِ وَالشَّرَائِعِ وَالأَخبَارِ الـوَارِدَةِ مِن نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله خَاتَمِ الأَنبِيَاءِ وَالـمُرسَلِينَ، وَالعَمَلُ بِهَا، وَقِيلَ: الـمَعنَى إِذَا دَعَاكُم إِلَى الجِهَادِ [٦] وَلأَنَّ الشُّهدَاءَ أَحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِم.

﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ أَي: يَحُولُ بَينَ الـمرءِ وَبَينَ الإِنتِفَاعِ بِقَلبِهِ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٤٨.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٤١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٦.
(٤) عمدة القارئ، العيني: ١٨/ ٢٤٧.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٥١.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٦.

بالـموتِ، فَلَا يُمكِنَهُ إِستِدرَاكُ مَا فَاتَ مِنهُ، فَبَادِرُوا إِلى الطَّاعَاتِ قَبلَ الحَيلُولَةِ وَدَعُوا التَّسوِيفَ [(١)].

﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٥﴾

رَوَى أَبُو أَيوب الأَنصَارِي: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ لِعَمَّار: (إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعدِي هَنَاتٍ، حَتَّى يَختَلِفَ السَّيفُ فِيمَا بَينَهُم، حَتَّى يَقتُلَ بَعضُهُم بَعضاً، وَحَتَّى يَتَبَرَّأَ بَعضُهُم مِن بَعضٍ، فَإِذَا رَأَيتَ ذَلِكَ، فَعَلَيكَ بِهَذَا الأَصلَعِ عَن يَمِينِي؛ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِن سَلَكَ النَّاسُ كُلُّهُم وَادِياً فَاسلُك وَادِيَ عَلِيٍّ، وَخَلِّ عَنِ النَّاسِ، يَا عَمَّارُ، إِنَّ عَلِيّاً لَا يَرِدُكَ عَن هُدَىً، وَلَا يَرِدُكَ إِلَى رَدَىً، يَا عَمَّارُ، طَاعَةُ عَلِيٍّ طَاعَتِي، وَطَاعَتِي طَاعَةُ اللَّـهِ)[(٢)].

وَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ رَحِمَهُ اللهُ: لـمَّا نَزَلَ قَولُهُ تعالَى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ حَذَرَهُم رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مِن هَذِه الفِتنَةِ، وَأَمَرَهُم أَن يَتَّقُوهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: اتقُوا فِتنَةً وَلَا تَقرَبُوهَا فَتُصِيبَنَّكُم [(٣)].

يَعنِي: احذَرُوا أَن تُدرِكَكَمُ فِتنَةٌ؛ أَي: عَذَابٌ يُصِيبُ الظَّلَمَة مِنكُم خَاصَّة.

قَالَ [(٤)]: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَن ظَلَمَ عَلِيّاً مَقعَدِي هَذَا بَعدَ وَفَاتِي، فَكَأَنَّمَا جَحَدَ نُبُوَّتِي وَنُبُوَّةَ الأَنبِيَاءِ قَبلِي) [(٥)].

وَاختُلِفَ فِي مَعنَى الفِتنَةِ هُنَا، فَقِيلَ: هِي العَذَابُ، وَالخِطَابُ لأَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٥٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٢٠٣ عنه ٢٨/ ٦٨.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٥/ ٢٨٢.
(٤) يعني: ابن عباس.
(٥) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ١٧.

خَاصَّةً [١] وَقِيلَ: هِي البَلِيَّةُ الَّتِي يَظهَرُ بِهَا بَاطِنُ أَمرِ الإِنسَانِ [٢] وَقِيلَ: هِي الضَّلَالَةُ[٣].

ثُمَّ اختُلِفَ فِي إِصَابَةِ هَذِه الفِتنَة؛ فَقِيلَ: إِنَّهَا جَارِيَةٌ عَلَى العُمُومِ، فَتُصِيبُ الظَّالِمِ وَغَيرُهُ، أَمَّا الظَّالِمُونَ فَمُعَذَّبُونَ، وَأَمَّا الـمُؤمِنُونَ فَمُمتَحَنُونَ مُمَحَّصُونَ، وَقِيلَ: إِنَّهَا تَختَصُّ بِالظَّالِمِ؛ لأَنَّ الغَرَضَ مَنعُ النَّاسِ عَن الظُّلمِ، وَتَقدِيرُهُ: وَاتَّقُوا عَذَابَاً يُصِيبُ الظَّلَمَةَ خَاصَّةً [٤].

وَقِيلَ: لَا زَائِدَةٌ، وَيَجُوزُ أَن يُقَالَ: إِنَّ الأَلِفَ فِي لَا لِإِشبَاعِ الفَتحَةِ، عَلَى قِرَاءَةِ مَن قَرَأَ: لَتُصِيبَنَّ، وَتَقدِيرَهُ: احذَرُوا أَن يُخَصَّ الظَّالِـمَ مِنكُم بِعَذَابٍ؛ أَي: لَا تَظلِمُوا فَيَأَتِيكُم عَذَابٌ لَا يَنجُو مِنهُ إِلَّا مَن زَالَ عَنهُ إِسمُ الظُّلـمِ [٥].

﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ وَعَن ابن عبَّاسٍ أَيضَاً، أَنَّهُ سُئِلَ عَن هَذِه الفِتنَة؟ فَقَالَ: أَبهَمُوا مَا أَبهَمَ اللهُ تعَالَى [٦].

﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦)

يُقَالُ: آوَاهُ اللهُ؛ أَي: جَعَلَ لَهُ مَأَوَىً يَرجِعُ إِلَيه [٧].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/ ١٥٦.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٠٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٥٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٥٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٥٣.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٨.
(٧) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١/ ٢٨٨.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ جعلَهُم فِتنَةً؛ لأَنَّهُم سَبَبُ الوُقُوعِ فِيهَا، وَالفِتَنُ: هِيَ الإِثمُ أَو العَذَاب، أَو: يُرِيدُ مِحنَةً مِنَ اللَّهِ لِيَبلُوَكُم كَيفَ تُحَافِظُونَ فِيهِم عَلَى حُدُودِه: ﴿**وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ لِمَن أَطَاعَهُ وَلَم يَخُنهُ وَرَسُولُهُ، فَعَلَيكُم بِالزُّهدِ فِي الدُّنيَا، وَلَا تَحرِصُوا عَلَى جَمعِ المَالِ وَحُبِّ الوُلدِ، وَلَا تُؤثِرُوهُمَا عَلَى نَعِيمِ الأَبَدِ[1].

نَزَلَت فِي أَبِي لُبَابَة بِن عَبدِ المُنذِرِ الأَنصَارِي، وَقِيلَ فِي رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِينَ، حَيثُ كَتَبَ إِلَى أَبِي سُفيَانَ وَقتَ خُرُوجِهِ مِن مَكَّةَ: أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ يُرِيدَكُم، فَخُذُوا حِذرَكُم، فَنَزَلَت[2].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ**﴾ أَي: لِيُقَيِّدُوكَ وَيَحبِسُوكَ، أَو: يَقتُلُوكَ، أَو: يُخرِجُوكَ: ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[3].

لَمَّا فَتَحَ اللهُ تعَالَى سُبحَانَهُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ مَكَّةَ، مَكَرَ كُفَّارُ قُرَيشٍ بِهِ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ، لِيَشكُرَ النِّعمَةَ الجَلِيلَةَ فِي إِنجَائِهِ مِنهُم، وَاستِيلَائِه ﷺ عليهم[4].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٩.
(٢) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ٣٤٦.
(٣) الكشف والبيان، الثعلبي: ٤/ ٣٤٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٠.

يَقُولُ: وَاذكُر يَا مُحَمَّد، إِذ يَحتَالُ الكُفَّارُ عَلَى إِبطَالِ أَمرِكَ، وَيُدَبِرُونَ في إِهلَاكِكَ في دَارِ النَّدوَةِ؛ وَهي: دَارُ قُصَي بِن كِلَاب، وَذَلِكَ: إِنَّ مُشرِكِي العَرَبِ، مِثلُ: عُتبَة، وَشَيبَة إِبنَا رَبِيعَة، وَالنَّضرِ بِن الحَارِثِ، وَأَبو جَهلٍ بِن هِشَام وَغَيرَهُم، اجتَمَعُوا فِيهَا، وَتَوَامَرُوا في أَمرِ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقَالَ بَعضَهُم: نَحبِسَهُ في بَيتٍ، وَنُلقِي إِلَيهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَقَالَ بَعضَهُم: نَحمِلَهُ عَلَى جَمَلٍ، وَنُخرِجَهُ مِن بَينِ أَظهُرِنَا، وَقَالَ أَبُو جَهلٍ: نَأَخُذُ مِن كُلِّ بَطنٍ غُلَاماً، وَنُعطِيهِ سَيفَاً صَارِمَاً، يَضرِبُونَهُ ضَربَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ في القَبَائلِ وَالأَبطُنِ، فَلَا يَقوَى بَنُو هَاشِمٍ عَلَى حَربِ قُرَيشٍ كُلُّهُم، فَتَرضَي حِينَئذٍ بِالدِيَةِ.

فَقَالَ إِبلِيسُ، وَكَانَ قَد دَخَلَ عَلَيهِم في صُورَةِ شَيخٍ كَبِيرٍ مِن أَهلِ نَجدٍ: هَذَا الفَتَى أَجوَدَكُم رَأيَاً، فَاتَّفَقُوا عَلَى رَأَيِهِ، فَأَعَدُّوا الرِّجَالَ وَالسِّلَاحَ، فَجَاءَ جَبرَئِيلُ فَأَخبَرَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ فَخَرَجَ إِلى الغَارِ وَأَمَرَ عَلِيَّاً عليه السلام فَبَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَلَـمَّا أَصبَحُوا وَفَتَّشُوا عَن الفِرَاشِ، وَجَدُوا عَلِيَّاً، وَقَد رَدَّ اللهُ تعَالَى مَكرَهُم فَقَالُوا: أَينَ مُحَمَّد؟ قَالَ: لَا أَدرِي، فَاقتَفَوا عَلَي إِثرِهِ، وَأَرسَلُوا في طَلَبِهِ، فَلَـمَّا بَلَغُوا الجَبَلَ، وَجَدُوا بِالغَارِ رَادَّاً عَلَى بَابِهِ؛ نَسجُ العَنكَبُوتِ، قَالُوا: لَو كَانَ هَهُنَا لَم يَكُن نَسَجَ عَلَى البَابِ، فَمَكَثَ ﷺ فِيهِ ثَلَاثَاً، ثُمَّ قَدِمَ الـمَدِينَة [1].

---

(١) بحار الأنوار (ط – بيروت)، ج١٩، ص: ٣١.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣١﴾

ثُمَّ قُتِلَ النَّضر بن الحَارِث بن كِلدَة أَسرَاً يومَ بَدرٍ بِيَدِ عَليٍّ بن أَبي طَالِب عليه السلام وَهوَ الَّذي جَاءَ بِحَديثِ رُستُم وَإِسفَنديَار مِن بِلَادِ فَارِس، وَزَعَم أَنَّ هَذَا مِثل كَلِمَاتِ القُرآنِ، وَلِهذَا قَالَ اللهُ عَن مِثلِه عَلَى رِوَايَةٍ: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ﴾** [1].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾

﴿وَإِذْ قَالُواْ﴾ وَمِنهُم النَّضر: **﴿اللَّـهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا﴾** الَّذي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَي: القُرآنُ: **﴿هُوَ الْـحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾** دُونَ مَا نَحنُ عَلَيهِ: **﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾**.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾

وَالـمَعنَى: وَمَا كَانَ اللهُ يُعَذِّبَ أَهلَ مَكَّةَ بِعَذَابِ الإِستِئصَالِ [2].

﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ أَي: بَينَ أَظهُرِهِم لِفَضلِكَ وَاحتِرَامُكَ: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** مُسَلِّمَاً، وَقِيلَ: مَعنَاهُ: إِنَّهُم لَو استَغفَرُوا لَمْ يُعَذَّبُوا، وَفي ذَلِكَ استِدعَاءُ الإِستِغفَارِ [3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٥٨، جمع الجوامع، الطبرسي: ٢/ ٢٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٦٠.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١١٣.

وَرُوِي عَن أَمِيرُ الْـمُؤمِنِينَ عليه السلام قَالَ: (كَانَ فِي الأَرضِ أَمَانَانِ مِن عَـذَابِ اللَّـهِ سُبحَانَهُ، وَقَد رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ أَمَّا الأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهوَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وأَمَّا الأَمَانُ البَاقِي فَهوَ الإِستِغفَارُ، وَقَرَأَ هَذِه الآيَة: ﴿**وما لَـهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ**﴾[1].

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

أَي: وَلِـمَ يُعَذِبَهُم اللهُ، وَأَيُّ شَيءٍ يُوجِبُ تَركَ التَّعذِيبِ عَلَيهِم[2].

﴿**وَهُمْ يَصُدُّونَ**﴾ وَيَمنعُونَ: ﴿**عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ أَي: ﴿**أَوْلِيَاءهُ**﴾ فَحُذِف لِدلَالَةِ مَا بَعدَهُ عَلَيهِ: ﴿**وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ**﴾ أَي: وَمَا كَانَ الـمُشرِكُونَ أَولِيَاءَ الـمَسجِدِ الحَرَام، وَإِن سَعَوا فِي عِمَارَتِه؛ لأَنَّهم غَيرُ مُستَحِقِّينَ أَن يَكُونُوا أَولِيَاءَ أَمرِهِ: ﴿**إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ قِيلَ: الضَّمِيرُ يرجِعُ إِلَى الـمَسجِدِ الحَرَامِ، وَهوَ الأَحسَنُ، وَقِيلَ: كِلَا الضَّمِيرَينِ يَرجعُ إِلَى اللَّـهِ، وَهُمَا أَولِيَاءَ[3].

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿**وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً**﴾ وَالـمُكَاءُ: الصَّفِيرُ، وَالتَّصدِيَةُ: التَّصفِيقُ[4].

---

(١) نهج البلاغة: ٤٨٣ح ٨٨، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٤٧٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١١٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٦١.

(٤) معاني القرآن، النحاس: ٣/ ١٥٢.

وَهوَ: ضَربُ اليَدِ عَلَى اليَدِ، وَهوَ تَفعِلَةٌ مِنَ الصَّدَى؛ أَي: إِنَّ كُفَّارَ قُرَيش الصَّادِّينَ عَن الـمَسجِدِ الحَرَامِ، وضَعُوا الـمُكَاءَ وَالتَّصدِيَة مَوضِعَ الصَّلاَة [١].

وَذَلِكَ: أَنَّهُم كَانُوا يَطُوفُونَ بِالبَيتِ عُرَاة، مُشبِكُونَ بَينَ أَصَابِعَهُم، يُصفِّرُونَ فِيهَا وَيُصَفِّقُونَ، وَكَانُوا يَفعَلُونَ نَحوَ ذَلِكَ إِذَا قَرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في صَلَوَاتِهِ، يُخَلِّطُونَ عَلَيهِ: ﴿**فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [٢].

﴿لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

الرَّكمُ: الجَمعُ [٣].

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿**وَقَاتِلُوهُمْ**﴾ أَيُّهَا الـمُؤمِنُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ أَي: شِركٌ بِنَا [٤].

﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه**﴾ أَي: يَجتَمِعُ أَهلُ الحَقِّ وَأَهلُ البَاطِلِ عَلَى الدين الحَقِّ، يَعتَقِدُونَهُ وَيَعمَلُونَ بِهِ، فَيَكُونُ الدِّين حِينَئِذٍ كُلُّهُ بِإِجتِمَاعِ النَّاسِ عَلَيهِ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٦٣، جمع الجوامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣.
(٣) العين، الفراهيدي، مادة (ركم): ٥/ ٣٦٩.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٢١ عن ابن عباس والحسن.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٤٦.

سُئلَ الصَّادِقُ عليه السلام عَن الآيَةِ؟ فَقَالَ: (لَم يَجِيء تَأَوِيلُ هَذِهِ الآيَة، وَلَو قَامَ قَائِمُنَا بَعدُ سَيَرَى مَن يُدرِكُهُ مَا يَكُونُ مِن تَأَوِيلِ هَذِه الآيَة، وَلَيَبلُغَنَّ دِينُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مَا بَلَغَ اللَّيلُ، حَتَّى لَا يَكُونُ مُشرِكٌ عَلَى ظَهرِ الأَرضِ، كَمَا قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾)[1].

﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾

العُدوَةُ، بِالضَّمِّ وَالكَسرِ: شَفِيرُ الوَادِي[2].

الدُّنيَا وَالقُصوَى: تَأنِيثُ الأَدنَى وَالأَقصَى[3].

التَّوَاعُدُ: الإِجتِمَاعُ لِلقِتَالِ[4].

﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿٤٣﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً**﴾ العَامِلُ فِي إِذ مَا تَقَدَّمَ، وَتَقدِيرُه: آتَاكُمُ النَّصرَ، إِذ كُنتُم بِشَفِيرِ الوَادِي إِذ يُرِيكَهُمُ اللهُ، وَقِيلَ: العَامِلُ فِيهِ مَحذُوفٌ، تَقدِيرُهُ: أُذكُر يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله.

(١) النور: ٥٥، تفسير العياشي: ٢/ ٥٦ح ٤٨.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٧١.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٢٧.

وَ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُوهُمْ﴾ أَي: يُريكَ اللهُ يَا مُحَمَّد ﷺ هَؤلَاءِ الـمُشرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَكُم يَومَ بَدرٍ فِي مَنَامِكَ قَلِيلَاً، وَلَو أَرَاكَهُمْ كَثِيراً: ﴿لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ مَعنَاهُ: يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي نَومِكَ قَلِيلَاً، فَتُخبِرُ الـمُؤمِنِينَ بِذَلِكَ، فَيَجترِؤونَ عَلَى قِتَالِهِم، مُشَجِّعَاً عَلَيهِم[١].

وَقِيلَ: ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ أَي: فِي عَينِكَ؛ لأَنَّهَا مَكَانُ النَّومِ[٢].

وَالفَشَلُ: فِعلُ الجُبنِ، يُرِيدُ: وَلَو أُرِيكَهُم كَثِيراً علَى مَا كَانُوا عَلَيهِ، لَجَبنتُم عَن قِتَالِهِم وَضَعفتُم: ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ فِي أَمرِ القِتَالِ، وَالرَّأيُ فِيهِ، وَتَفَرَّقَت كَلِمَتِكُم: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ﴾ وَأَنعَمَ مِنَ الفَشَلِ وَالتَّنَازُعِ[٣].

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ مِنَ الجَرأَةِ وَالجُبنِ[٤].

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

قَولُهُ: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ فِي لِقَائِهِ العَدُوَّ، وَلَا تَختَلِفُوا فِيمَا بَينَكُم، لَتَجبَنُوا عَن عَدُوِّكُم، وَتَضعفُوا عَن قِتَالِهِم: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الرِّيحُ هُنَا: الدَّولَةُ، شُبِّهَت فِي نُفُوذِ أَمرِهَا بِالرِّيحِ وَهُبُوبِهَا، قَالُوا: هَبَّت رِيَاحُ فُلَانٍ؛ إِذَا جَرَى أَمرُهُ عَلَى مَا يُرِيدُ، وَرَكَدَت رِيحُهُ؛ إِذَا أَدبَرَ أَمرُهُ[٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٧٣.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٦١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٧٤.
(٤) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٤/ ٤٩٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٧٦.

وَقِيلَ: لَم يَكُن قَطُّ نَصرٌ إِلَّا بِرِيحٍ يَبعَثُهَا اللهُ، وَفي الحَدِيثِ: (نُصِرتُ بِالصَّبَا، وَأُهلِكَت عَادٌ بَالدَّبُورِ)[١].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٤٧)

البَطَرُ: العُلوّ، وَالفَرحِ[٢].

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤٨)

يُقَالُ: إِنِّي جَارٌ لَهُ؛ إِذَا نَصرَتَهُ[٣] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ**﴾ أَي: دَافِعٌ عَنكُم السُّوءَ، وَمُجِيرُكُم مِن بَنِي كِنَانَةَ، قَالَهُ إِبلِيسُ في صُورَةِ سُرَاقَة بِن مَالِك بِن جَشعَم الكِنَانِي، وَكَانَ مِن أَشرَافِهِم[٤].

﴿**فَلَمَّا تَراءتِ الْفِئَتَانِ**﴾ أَي: التَقَت الفِرقَتَانِ: ﴿**نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ**﴾ أَي: رَجعَ القَهقَرِّي مُنهَزِماً وَرَاءَهُ[٥].

---

(١) تفسير الرازي: ١٥/ ١٧٢.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (بطر) ٤/ ٦٨.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٣٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٧٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٧٧.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (٥٠)

قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ أَي: وَلَو عَايَنتَ وَشَاهَدتَ يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله إِعلَم: إِنَّ لَو تَرُدُّ الـمُضَارِعَ إِلَى مَعنَى الـمَاضِي، كَمَا أَن تَرُدُّ الـمَاضِي إِلى مَعنَى الإِستِقبَالِ [١].

﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْـمَلآئِكَةُ﴾ قَابِضِينَ أَروَاحَهُم عِندَ الـمَوتِ[٢].

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أَي: يَضرِبُونَ مَا أَقبَلَ مِنهُم وَمَا أَدبَرَ مِن أَجسَادِهِم، قُدَّاماً وَخَلفَاً، وَالـمُرَادُ: قَتلَى بَدرٍ، رُوِي: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيتُ بِظَهرِ أَبِي جَهلٍ مِثلَ الشِّرَاكِ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: (ذَلِكَ ضَربُ الـمَلائكَةِ) [٣].

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ الْـحَرِيقِ﴾ أَي: وَيَقُولُ الـمَلَائكَةُ بَعدَ هَذَا فِي الآخِرَةِ، وَقِيلَ: كَانَت مَعَ الـمَلَائكَةِ مَقَامِعُ مِن حَدِيدٍ، كُلَّمَا ضَرَبُوا بِهَا - يَومَ بَدرٍ - أَلَهَبَتِ النَّارُ فِي جِرَاحَاتِهِم[٤] وَقَد ثَبَت لِلكَافِرِينَ وَالعَاصِينَ أَشَدَّ مِن ذَلِكَ، وَقَانَا اللهُ وَجَمِيعَ الـمُؤمِنينَ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَت أَيدِيكُم، وَإِنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٦٣.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ١٤٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٥٨٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣١.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾ {٥٤}

الغَرِيقُ: وَاحِدُ الغَرقى، كَقتَلَى: جَمعُ قَتِيلٍ[١].

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ {٥٥}

﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أَي: في وَجهِ الأَرضِ، جَعَلَهُم سُبحَانَهُ شَرَّ الدَّوَابِ؛ لأَنَّ شَرّ النَّاس الكُفَّار، لَا سِيَّما الـمُصِرُّونَ مِنهُم، وَشَرُّ الـمُصِرِّينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ العُهُودَ[٢].

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ {٥٧}

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ**﴾ أَي: تُصَادِفَنَّهُم في الحَربِ، إِن ظَفَرتَ بِهِم وَأَدرَكتَهُم[٣] وَالثَّقفُ: الإِدرَاكُ بِسُرعَةٍ[٤].

﴿**فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ**﴾ أَي: فَفَرِّق عَن مُحَارَبَتِكَ مَن وَرَائِهِم مِنَ الكَفَرَةِ بِقَتلِهِم شَرَّ قَتلَةٍ، حَتَّى لَا يَجسُرَ عَلَيكَ بَعدَهُم أَحَدٌ، إِعتِبَاراً بِهِم وَاتِعَاظاً بِحَالِهِم[٥].

وَالتَّشرِيدُ: التَّفرِّيقُ علَى اضطِرَابٍ[٦].

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، مادة (غرق): ١٣/ ٣٧٢.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٦٤.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٣.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٤٣.
(٥) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٧٠.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٨٤.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

النَّبذُ: إِلقَاءُ الخَبَرِ إِلى مَن لَا يَعلَمَهُ [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً﴾ أَي: حَقَّت يَا مُحَمَّد ﷺ مِن قَوم بَينَكَ وَبَينَهُم العَهدَ، خَيَانَةً فِيهِم وَنَكثاً لِلعَهدِ: ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أَي: فَالقِ إِلَيهِم مَا بَينَكَ وَبَينَهُم مِنَ العَهدِ؛ وَذَلِكَ بِأَن تُخبِرَهُم بِنَبذِ العَهدِ إِخبَارَ الـمَكشُوفِ، وَتُبَيِّنَ لَهُم إِنَّكَ قَطَعتَ مَا بَينَكَ وَبَينَهُم، وَلَا تَبدَأهُم بِالقِتَالِ، وَهُم عَلَى تَوَهُّمِ بَقَاءِ العَهدِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ خِيَانَةً: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [٢].

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

السِّبقُ وَالفَوتُ: بِمَعنَىً وَاحِدٍ [٣].

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

الرِّبَاطُ: فِعَالٌ؛ إِسمٌ لِلخَيلِ، تُربَطُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ لِلجِهَادِ [٤] وَقِيلَ: الرَّبطُ الإِقتِنَاءُ لِلغَزوِ، وَهي مِن أَقوَى عُدَدِ الجِهَادِ [٥].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٤٥.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٨٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٨٧.
(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٧١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٨٧.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾

السَّلْمُ: بِمَعنَى الـمُسَالَمَةُ [١].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ أَي: مَالُوا إِلى الصُّلحِ وَتَركِ الحَربِ [٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

التَّحرِيضُ: الـمُبَالَغَةُ في الحَثِّ علَى الأَمرِ [٣].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْـمُؤْمِنينَ عَلَى الْقِتالِ﴾ أَي: ابعَثهُم عَلَيهِ، وَرَغِّبهُم فِيهِ بِسَائِرِ أَسبَابِ التَّحرِيضِ وَالتَّرغِيبِ؛ مِن ذِكرِ الثَّوَابِ الـمَوعُودِ علَى القِتَالِ، وَبَيَانِ مَا وَعَدَ اللهُ مِنَ النَّصرِ وَالظَّفَرِ، وَاغتِنَامِ الأَموَالِ [٤].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾

الإِثخَانُ: كَثرَةُ القَتلِ وَالـمُبَالَغَةُ فِيهِ [٥].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى﴾ أَي: مَا استَقَامَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٤٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٨٨.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٦٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٩١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٧.

لَهُ أَسرَى مِنَ الـمُشرِكِينَ، لِيُعَذِّبَهُم أَو يَمُنَّ عَلَيهِم [١].

﴿**حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ**﴾ أَي: حَتَّى يُذَلَّ الكُفر وَيَضعُفُ بِإِشَاعَةِ القَتلِ فِي أَهلِه، وَيُعَزُّ الإِسلَامَ [٢].

وَعَرَضُ الدُّنيَا: حُطَامُهَا، سُمِّي بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُ حَدَثٌ قَلِيلُ اللَّبثِ [٣] قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا**﴾.

﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ ﴿٦٨﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فيما أَخَذْتُمْ**﴾ أَي: استَحلَلتُم قَبلَ الإِبَاحَةِ: ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ أَي: لَو لَا مَنَّ الله سَبَقَ إِثبَاتُهُ فِي اللَّوحِ الـمَحفُوظِ، وَقِيلَ: فِي القُرآنِ، بِإِبَاحَةِ الغَنَائِمِ لَكُم لـمَسَّكُم فِيمَا استَحلَلتُم قَبلَ الإِبَاحَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [٤].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿**فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً**﴾ هَذَا إِبَاحَةٌ لِلفِدَاءِ؛ لأَنَّهُ مِن جُملَةِ الغَنَائِمِ، وَمَعنَى الفَّاءِ لِلتَّسبِيبِ؛ أَي: قَد أَبَحتُ لَكُم الغَنَائِمَ [٥].

﴿**فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً**﴾ مِنَ الـمَغنُومِ، أَو: أَكلاً حَلَالاً [٦].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٦٣.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٧٣.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٦٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٤٩٣.

(٥) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٧٤.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٨.



الفصل التاسع

سورة التوبة



﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣)

الأَذَانُ: إِيـذَانٌ وَإِعـلَامٌ، يُقَالُ: هَـذَا إِعـلَامٌ لَكَ وَإِلَيكَ يَا فُـلَانٌ، وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿**وَأَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ**﴾ وَكَمَا أَنَّ الأَمَانَ بِمَعنَى الإِيمَانَ، كَذَلِكَ الأَذَانُ بِمَعنَى الإِيذَانُ، وَفِيهِ مِعنَى الأَمرِ؛ أَي: أَذِنُوا النَّاس، يَعنِي أَهلَ العَهدِ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِالنَّاسِ: الـمُؤمِن وَالـمُشرِك؛ لأَنَّ الكُلَّ دَاخِلُونَ فِي هَذَا الإِعلَام [(١)].

﴿**يَوْمَ الْـحَجِّ الأَكْبَرِ**﴾ وَهوَ عَرَفَةُ، وَقِيلَ: يَومُ النَّحرِ؛ لأَنَّ فِيهِ تَمَامُ الحَجِّ، وَمُعظَّمُ أَفعَالِه [(٢)].

وَرُوِي: أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام أَخَذَ رَجُلٌ بِلِجَامِ دابَّتِهِ، فَقَالَ: مَا الحَجُّ الأَكبَرُ؟ فقَالَ: (يَومُكَ

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١١.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٧٤.

هَذَا، خَلِّ عَن دَابَّتِي) [١].

﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أَي: مِن عَهدِهِم، فَحَذَفَ الـمُضَاف: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أَي: رَسُولُهُ بَرِيىء أَيضاً مَن عَهدِهِم [٢].

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾

الإِنسِلَاخُ: خُرُوجُ الشَّيءِ مِمَّا لَابَسَهُ، مِن سَلخِ الشَّاةِ [٣].

﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ أَي: دَعُوهُم [٤].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ أَي: وَإِن طَلَبَ مِن الـمُشرِكِينَ الَّذِينَ اَمَرتُكَ بِقِتَالِهِم مِنكَ الأَمَانَ مِنَ القَتلِ بَعدَ الأَشهُرِ الحُرُمِ، لِيَسمَعَ دَعوَتَكَ وَاحتِجَاجَك عَلَيهِ بِالقُرآنِ فَأَمِّنهُ، وَبَيِّن لَهُ مَا يُرِيد، وَأَمهِلهُ حَتَّى يَسمَعَ كَلَامَ اللَّهِ وَيَتَدَبَّرَهُ؛ لأَنَّ مُعظَمَ الأَدِلَّة فِيهِ [٥].

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٧٦.
(٢) معالم التنزيل، البغوي: ٢/ ٢٦٨.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٧٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٧.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٤٧.

﴿**ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾ بَعدَ ذَلِكَ؛ يَعنِي: دَارُهُ الَّتِي يَأْمَن فِيهَا أَن يَسلَم، ثُمَّ قَاتِلهُ إِن شِئتَ مِن غَيرِ غَدرٍ وَلَا خِيَانَةٍ، وَهَذَا الحُكمُ ثَابِتٌ لَكَ فِي كُلِّ وَقتٍ[١].

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (١٠)

الإِلُّ: القَرَابَةُ، وَالذِّمَةُ: العَهدُ[٢] وَقِيلَ: الجِوَارُ، وَقِيلَ: الحِلفُ وَاليَمِينُ، وَقِيلَ: إِسمٌ مِن أَسمَاءِ اللَّهِ[٣] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَ لا ذِمَّةً**﴾ أَي: لَا يَحفَظُوا وَلَا يُرَاعُوا فِيكُم قَرَابَةً وَلَا عَهداً[٤].

الإِعتِدَاءُ: التَّجَاوزُ[٥].

﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ (١٢)

الأَيمَانُ: العُهُودُ[٦].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٧٥.

(٢) معاني القرآن، النحاس: ٣/ ١٨٦.

(٣) تفسير الرازي: ١٥/ ٢٣٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٨.

(٥) التفسير الصافي، الكاشاني: ٢/ ٣٢٣.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٨٩٣.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

يُقَالُ: مَا عَلِمَ اللهُ مَا قِيلَ فِي فُلَانٍ؛ أَي: مَا وُجِدَ ذَلِكَ مِنهُ، وَالمُرَادُ: بِنَفيِ العِلمِ نَفيُ المَعلُومِ [١] وَقَولُهُ تعالَى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ**﴾ أَم مُنقَطِعَةٌ، وَفِي الهَمزَةِ مَعنَى التَّوبِيخِ، وَالخِطَابُ لِلمُؤمِنينَ حِينَ كَرِهَ بَعضُهُم القِتَالَ؛ يَعنِي: إِنَّكُم لَا تُترَكُونَ عَلَى مَا أَنتُم عَلَيهِ، حَتَّى يُمَيِّزَ المُخلِصُونَ مُنكُم، وَهُم المُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [٢].

الوَلِيجَةُ: فَعِيلَةٌ مِن وَلَجَ، كَالدَّخِيلَةُ مِن دَخَلَ [٣] وَهِي: الدَّخِيلَةُ فِي القَومِ مِن غَيرِهم، وَمِثلُهُ البِطَانَةُ [٤] وَقَولُهُ تعالَى: ﴿**وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً**﴾ أَي: بِطَانَةً وَأَولِيَاءَ يُوَالُونَهُم، وَيُفشُونَ إِلَيهِم أَسرَارَهُم [٥].

وَقَولُهُ: ﴿**وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ فِيهِ دَلَالَة عَلَى تَحرِيمِ مُوَالَاةِ الكُفَّارِ وَالفُسَّاقِ، وَالإِلفِ بِهِم [٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٣.
(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٣٢٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٣.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥١.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٤.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

الـمَسجِدُ: كُلُّ مَا وُضِعَ عَلَيهِ الجَبهَة مِنَ الأَرضِ مَعَ سَائرِ الـمَسَاجِدِ، وَيَجُوزُ أَن يُجمَعَ عَلَى مَسَاجِد مَسجِدٌ وَاحِدٌ، لَا سِيَّما عَلَى مَسَاجِد مُتَعدِّدَة، وَيَجُوزُ أَن يُحمَلَ عَلَيهِ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ**﴾ وَالمُرادُ بِه: الـمَسجِدُ الحَرَام؛ لأَنَّ كُل مَوضِعٍ مِنهُ مَسجِد [(١)].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

وَفي الحَدِيثِ: (يَأتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِن أُمَّتِي يَأتُونَ المسَاجِدَ، يَقعُدُونَ فِيهَا حَلَقاً، ذِكرُهُمُ الدُّنيَا، وَحُبُّهُمُ الدُّنيَا، لَا تُجَالِسُوهُم فَلَيسَ لِلـهِ بِهِم حَاجَةٌ) [(٢)].

أَنَا أَقُولُ: أُولَئكَ حَبطَت أَعمَالُهُم وَبَطَلَت، وَلهذَا قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّـهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْـمُهْتَدينَ**﴾ أَي: إِنَّمَا يَستَقِيمُ عِمَارَة هَؤلَاءِ الـمَسَاجِد، وَهوَ يَتنَاوَلُ بِنَاهَا وَمَرَمَّةِ مَا استَرَمَّ مِنهَا، وَكَنسُهَا وَتَنظِيفُهَا، وَتَنويرُهَا بِالـمَصَابِيحِ، وَزِيَارَتُهَا لِلعِبَادَةِ وَالذِّكرِ، وَمِنَ الذِّكرِ دَرسُ العِلـمِ، بَل هُوَ أَفضَلُهُ وَأَجَلُّهُ، وَصِيَانَتُهَا عَن فُضُولِ الكَلَامِ [(٣)].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٨٨.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٢/ ٤٥٣.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٧٩.

﴿مَنْ آمَنَ﴾ أَي: أَقَرَّ: ﴿بِاللَّهِ﴾ فِيهِ وَوُحدَانِيتِه، وَاعتَرَفَ بِالقِيَامَةِ: ﴿وَأَقَامَ﴾ أَي: فِيهَا سَجَد وَدَعَا: ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ إِن وَجَبَت عَلَيهِ، وَلَم يَخَف فِي قَولِ حَقٍّ، وَفِعل حَقٍّ - سِوَى رَبِّهُ - أَحداً مِنَ الـمَخلُوقِينَ: ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إِلى الجَنَّةِ، وَنِيلِ ثَوَابِهَا[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

يُقَالُ: استَحَبَّهُ عَلَينَا؛ أَي: آثَرَهُ عَلَينَا، وَفِي التَّنزِيلِ: ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ أَي: إِن اختَارُوا وَآثَرُوهُ عَلَيهِ، قَالَ الحَسَنُ: مَن تَوَلَّى الشِّركَ فَهوَ مُشرِكٌ، وَهَذَا إِذَا كَانَ رَاضِياً بِشِركِهِ[2].

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ نُفُوسَهُم، وَالبَاخِسُونَ حَقَّهَا مِن الثَّوَابِ؛ لأَنَّهُم وَضَعُوا الـمُوَالَاةَ فِي غَيرِ مَوضِعِهَا، وَهوَ أَصلُ الإِيمَانِ[3].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ١٨٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٠.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٥٨٣.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤)

الإِقتِرَافُ: إِقتِطَاعُ الشَّيءِ مِن مَكَانِهِ [١] وَقَولُهُ تعَالَى: **﴿وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها﴾** أَي: اكتَسَبتمُوهَا وَجَمَعتمُوهَا وَاقتَطَعتمُوهَا [٢].

قَالَ اللهُ تعَالَى: **﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾** أَي: قُل يَا مُحَمَّد لِهَؤلَاءِ الكُفَّارِ المُتَخَلِّفِينَ عَن الهِجرَةِ إِلى دَارِ الإِسلَامِ، إِن كَانَ آبَاءَكُم الَّذِينَ وَلَدُوكُم، وَأَبنَاءَكُم الَّذِينَ وَلَدتمُوهُم مِن الذُّكُورِ، وَإِخوَانَكُم في النَّسَبِ، وَأَزوَاجَكُم المَعقُودَةِ في بِيُوتِكُم، وَأَقَارِبَكُم.

وَأَموَالَكُم المُكتَسَبَةِ المُجتَمِعَةِ، وَتِجَارَةٌ تَخشَونَ أَنَّهَا تُكسَرُ، إِذَا شُغِلتُم مِنهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ تعَالَى، وَالجِهَادِ، وَسَائِرِ عِبَادَاتِهِ، وَمَسَاكِنَ اختَرتُموهَا لأَنفُسكُم، وَيُعجِبكُم المَقَامَ فِيهَا، أَحَبُّ وَأَقرَبُ إِلى قُلُوبِكُم مِنَ اللَّهِ، مِن طَاعَةِ اللَّهِ الَّذِي وَصَلَكُم، وَأَعطَاكُم بِهَا.

وَرَسُولُهُ: أَي: وَطَاعَةُ رَسُولِهِ؛ مِن استِمَاعِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الأَعمَالِ المَرغُوبَةِ، فَتَرَبَصُوا وَانتَظِرُوا حَتَّى يَأَتِي اللهُ بِحُكمٍ، وَقِيلَ: بِعُقُوبَةٍ عَلَى اختِيَارَكُم هَذِه المَذكُورَاتِ، عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالجِهَادِ في سَبِيلِه، إِمَّا عَاجِلَة وَإِمَّا آجِلَة، وَفِيهِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ، لَا طَاقَة لِمَن يَخُوضُ فِيهَا تَدَبُراً: **﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقينَ﴾**.

---

(١) تفسير الآلوسي: ١٠/ ٧١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٠.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

حُنَيْنٌ: وَادٍ بَينَ مَكَّةَ وَالطَّائفَ، كَانَت فِيهِ الوَاقِعَة بَينَ الـمُسلِمِينَ وَالـمُشرِكِينَ [1].

يُقَالُ: رَجُلٌ صَيِّتٌ صَيِّحٌ، أَي: عَظِيمُ الصَّوتِ [2].

يُقَالُ: خُيولٌ بُلقٌ [3].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ**﴾ مَا مَصدَرِيَّةٌ، وَالبَاءُ بِمَعنَى مَعَ، وَالرَّحبُ: السَّعَةُ فِي الـمَكَانِ، أَي: لَا تَجِدُونَ مَوضِعاً تَستَصلِحُونَهُ لِهَرَبِكُم إِلِيهِ؛ لِفَرطِ رُعبِكُم، فَكَأَنَّهَا ضَاقَت عَلَيكُم [4].

﴿**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ أَي: عَن عَدُوِّكُم: ﴿**مُّدْبِرِينَ**﴾ مُنهَزِمِينَ، وَتَقدِيرُهُ: وَلَّيتُمُوهُم أَدبَارَكُم وَانهَزَمتُم [5].

---

(١) معجم البلدان، الحموي: ٢/ ٣١٣.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٢٠٩.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٨٢، وهي الخيول التي فيها بياض وسواد، الصحاح، الجوهري، مادة (بلق): ٤/ ١٤٥١.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٦.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٨)

النَّجَسُ: مَصدَرٌ، وَمعنَاهُ: ذُو نَجَس، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ أَي: ذُو نَجَس؛ لأَنَّ مَعَهُم الشِّركَ الَّذِي هُوَ بِمَنزِلَةِ النَّجَسِ، أَو: جُعِلُوا كَأَنَّهُم النَّجَاسَة بِعَينِهَا، مُبَالَغَةٌ في وَصفِهِم بِهَا، وَعَن ابنِ عبَّاس: أَعيَانُهُم نَجِسَةٌ كَالكِلَابِ وَالخَنَازِير [١].

وَعَن الحَسَنِ، أَنَّهُ قَالَ: لَا تُصَافِحُوا الـمُشرِكِينَ، فَمَن صَافَحَهُم فَليَتَوضَّأ [٢].

وَعَن الصَّادِقِين عليهم السلام :(مَن صَافَحَ الكَافِر وَيَدُهُ رَطبَةٌ غَسَّلَ يَدَهُ) [٣].

وَإِلَّا مَسَحَهَا بِالحَائطِ [٤].

قَالَ أَصحَابُنَا: إِنَّ الـمَجُوسَ، حُكمُهُم حُكمُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى [٥].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٥٧.
(٢) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ٢٧.
(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٩٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٨.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٠.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٢٩)

يُقَالُ: لَهُ قُدرَةٌ عَلَيَّ، كَمَا يُقَالُ: كَانَ اليَد لِفُلَانٍ [(١)].

الجِزيَةُ: فُعلَةٌ، مِن جَزَى يَجزِي، مِثلُ الجِلسَةِ؛ وَهي عَطِيَّةٌ مَخصُوصَةٌ عَلَى تَمَسُّكِهِم بِالكُفرِ عُقُوبَةً لَهُم [(٢)].

الصَّغَارُ: الذُّلُّ وَالنَّكَالُ الَّذِي يُصَغِّرُ قَدرَ صَاحِبِهِ، يُقَالُ: صَغُرَ يَصغُرُ صُغرَاً وَصَغَارَاً، فَهوَ صَاغِرٌ؛ أَي: الذَّلِيلُ الحَقِيرُ [(٣)].

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢)

الإِطفَاءُ: يَكُونُ بِالأَفوَاهِ، وَهوَ: النَّفخُ، ضِدَّ الإِقبَاسِ [(٤)].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**﴾ بِالحُجَجِ وَالبَيِّنَاتِ، وَدِينِ الإِسلَامِ، وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ [(٥)].

﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ وَيُعلِيهِ عَلَى جَمِيعِ الأَديَانِ بِالحُجَّةِ وَالغَلَبَةِ وَالقَهرِ لَهَا

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٩.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٢٠٣.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٢١١.

حَتَّى لَا يَبقَى عَلَى وَجهِ أَرضِه دِينٌ إلَّا مَغلُوبٌ [١].

عَن البَاقِرِ عليه السلام: (إنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عِندَ خُرُوجُ الـمَهدِيِّ مِن آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله) عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ [٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤)

رُوِي عَن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (كُلُّ مَالٍ لَم تُؤدِّ زَكَاتَهُ فَهوَ كَنزٌ، وَإن كَانَ ظَاهِرَاً، وَكُلُّ مَالٍ أَدَّيتَ زَكَاتَهُ فَلَيسَ بِكَنزٍ، وَإن كَانَ مَدفُونَاً في الأَرضِ) [٣].

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أَي: الَّذِينَ يَجمَعُونَ هَذِه الأَموَالَ، وَلَا يُؤدُّونَ زَكَاتَهُ، يُحتَمَلُ أَن يُرَادَ بِه: الـمُسلِمينَ الكَانِزِينَ غَيرُ الـمُنفِقِينَ، قَرنَ تعَالَى بَينَهُم وَبَينَ الـمُرتَشِينَ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصارَى، بِأَخذِهِم الرُّشَى عَن الحُكمِ [٤].

وَإنَّما خَصَّ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ مِنَ الأَموَالِ؛ لأَنَّهُما قَانُونُ التَّمَوُّلِ، وَأَثمَانُ الأَشيَاءِ [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ١٠٥.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٤٢.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٠.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٨٧.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

يُقَالُ: دِينَارٌ مُحمَاةٌ؛ أَي: إِذَا أُحرِقَ بِالنَّارِ.

الكَيُّ: إِلصَاقُ الشَّيء الحَارِّ مِنَ البَدَنِ، وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ**﴾ خُصَّت هَذِه الأَعضَاء بِالذِّكرِ؛ لأَنَّهَا مِعظَمُ البَدَنِ، وَقِيلَ: لأَنَّ الجَبهَةَ مَحَلُّ السُّجُودِ، فَلَم يُعمّ فِيهِ بِحَقِّهِ، وَالجَنبُ: يُقَابِلُ القَلبَ الَّذِي لَم يَخلُص فِي مُعتَقَدِهِ، وَالظَّهرُ: مَحَلُّ الأَوزَارِ [١].

وَقِيلَ: لأَنَّهُم كَانُوا يُعبِسُونَ وُجُوهَهُم لِلفَقِيرِ، وَيُولُّونَهُ جُنُوبَهُم وَظُهُورَهُم فِي الـمَجَالِسِ [٢].

﴿**هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ**﴾ أَي: يُقَالُ لَهُم فِي حَالِ الكَيِّ وَبَعدَهُ: هَذَا جَزَاءُ مَا كَنَزتُم وَجَمَعتُم الـمَالَ، وَلَم تُؤَدُّوا حَقَّ اللَّهِ عَنهَا، وَجَعلتُمُوهَا ذَخِيرَةً لأَنفُسِكُم، فَذُوقُوا العَذَابَ بِسَبَبِ مَا كَنَزتُم [٣].

وَرُوِي عَن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِن عَبدٍ لَهُ مَالٌ، وَلَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا جُمِعَ يومُ القِيَامَةِ صَفَائِحَ يُحمَى عَلَيهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُكوَى بِهَا جَبهَتُهُ وَجَنبَاهُ وَظَهرُهُ، حَتَّى يَقضِيَ اللهُ بَينَ عِبَادِهِ فِي يومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ أَلفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلى الـجَنَّةِ وَإِمَّا إِلى النَّارِ) [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٨.
(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٣٦٥.
(٣) مرآة العقول، المجلسي: ١٠/ ٦١.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٤٣، مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٢٦٢.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٦)

الشَّهرُ: مَأخُوذٌ مِن شُهرَةِ الأَمرِ؛ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيهِ فِي مُعَامَلَاتِهِم، وَمَحَلُّ دُيُونَهُم، وَحَجَّهُم وَصومَهُم، وَغَيرُ ذَلِكَ مِن مَصَالِحِهُم الـمُتعَلِّقَةِ بِالشُّهُورِ، وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ أَي: عَدَدِ شُهُورِ السَّنَةِ: ﴿**فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ أَي: فِي اللَّوحِ الـمَحفُوظِ، أَو: فِي القُرآنِ، أَو: فِيمَا أَثبَتَهُ فِي حُكمِ اللَّهِ وَفِي تَقدِيرِه إِثنَا عَشَرَ شَهراً؛ وَإِنَّمَا جَعَلَ السَّنَة عَلَى إِثنَي عَشرَ شَهراً وَيُعبَدُ اللهُ فِيهَا، لِيُوافِقَ ذَلِكَ عَدَدَ الأَهِلَّةِ، وَمَنَازِل القَمَرِ، دُونَ مَا دَانَ بِهِ أَهلُ الكِتَابِ [١].

﴿**يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ**﴾ هَذَا مُتَصِلٌ بِقَولِه: ﴿**عِندَ اللَّهِ**﴾ وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ يَومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ أَجرَى فِيهَا الشَّمسَ وَالقَمَرَ، وَبِسَيرِهُمَا تَكُونُ الشُّهُور وَالأَعوَام: ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾ أَي: مِنَ الأَعوَامِ الإِثنَي عَشَر أَربَعَةُ أَشهُرٍ حُرمٌ، وَهي مَعرُوفَةٌ [٢].

وَمِنهُ قَولُهُ صلى الله عليه وآله وَفِي خُطبَتِهِ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: (أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَد استَدَارَ كَهَيئَةِ يَومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ، السَّنَةُ إِثنَي عَشَرَ شَهراً، مِنهَا أَربَعَةٌ حُرُمٌ) [٣].

والـمَعنَى: رَجعَت الأَشهُر إِلَى مَا كَانَت عَلَيهِ، وَعَادَ الحَجُّ فِي ذِي الحجَّةِ، وَبَطُلَ النَّسِيء الَّذِي كَانَ فِي الجَاهِلِيَةِ ذَلِكَ؛ أَي: الأَشهُر الأَربَعَة: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٥٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٥٠.
(٣) صحيح البخاري: ٥/ ١٢٦.

الـمُستَقِيمُ مِن إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ، وَكَانَت العَرَبُ قَد تَمَسَّكَت بِهِ، وَكَانُوا يُعَظِّمُونَ الأَشهُر الحُرُم، وَيُحَرِّمُونَ فِيهَا القِتَالَ، حَتَّى لَو لَقِي الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ لَم يُهِجهُ[1].

وَشُهُورُ السَّنَةِ: الـمُحَرَّمُ؛ سُمِّي بِذَلِكَ لِتَحرِيمِ القَتلِ، وَصَفَر؛ لأَنَّ مَكَّةَ تَصفُرُ مِنَ النَّاسِ فِيهِ؛ أَي: تَخلُو، وَقِيلَ: لأَنَّهُ وَقَعَ وَبَاءٌ فِيهِ، وَاصفَرَّت وُجُوهَهُم، وَشَهرَا رَبِيعٍ؛ سُمِّيَا بِذَلِكَ لإِنبَاتِ الأَرضِ، وَإِمرَاعِهُما فِيهِما، وَجَمادَانِ؛ سُمِّيَا بِذَلِكَ لِجُمُودِ الـمِيَاهِ فِيهِما، وَرَجَب؛ لأَنَّهُم كَانُوا يُرجِبُونَهُ؛ أَي: يُعَظِّمُونَهُ، وَقِيلَ لِتَركِ القِتَالِ فِيهِ، مِن قَولهُم: رَجُلٌ أَرجَبٌ؛ إِذَا كَانَ أَقطَع، لا يُمكِنُهُ العَمَلُ، وَشَعبَانٌ: سُمِّي بِهِ لأَنَّهُ يُشعَبُ فِيهِ خَيرٌ كَثِيرٌ، وَرَمَضَانٌ: سُمِّي بِه لأَنَّهُ يَرمِضُ الذُّنُوبَ، وَقِيلَ: لِشِدَّةِ الحَرِّ، وَقِيلَ: إِنَّ رَمَضَان مِن أَسمَاءِ اللَّـهِ، وَشَوَّالٌ: سُمِّي بِهِ لأَنَّ القَبَائِلَ كَانَت تَشوُلُ فِيهِ؛ أَي: تَبرَحُ عَن أَمكِنَتِهَا، وَقِيلَ: لَشَوَلانِ النُّوقِ أَذنَابِهَا فِيهِ[2] وَذُو القِعدَة: سُمِّي بِذَلِك لِقُعُودَهُم فِيهِ عَن القِتَالِ، وَذُو الحجَّة: لِقَضَاءِ الحَجِّ فِيهِ[3]: ﴿**فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ**﴾ أَي: فِي هَذِهِ الأَشهُرِ أَنفُسَكُم.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٢.

(٢) دلالة على استعدادها للتكاثر، المصباح المنير، الفيومي: ١/ ٣٢٨.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٢.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٧)

النَّسِيء: تَأْخِيرُ حُرمَةِ الشَّهرِ إلى شَهرٍ آخَر [١] وَهذَا فِعلُ أَهلِ الجَاهِلِيَّةِ؛ الـمُوَاطَاةُ: الـمُوَافَقَةُ [٢].

وَقولُهُ: ﴿**لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ**﴾ أَي: إِنَّهُم لَم يُحِلُّوا شَهراً مِنَ الحَرَامِ إِلَّا حَرَّفُوا مَكَانَهُ شَهرَاً مِنَ الحَلَالِ، وَلَم يُحَرِّمُوا شَهراً مِنَ الحَلَالِ إِلَّا أَحَلُّوا مَكَانَهُ شَهراً مِنَ الحَرَامِ؛ لِيَكُونَ مُوَافَقَةٌ فِي العَدَدِ، وَذَلِكَ الـمُوَاطَأَة [٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٣٨)

التَّثَاقُلُ: إِظهَارُ ثِقَلِ النَّفسِ، وَمِثلُهُ: التَّبَاطِؤ [٤].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**إذا قيلَ لَكُمُ انْفِرُوا في سَبيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ**﴾ مَعنَاهُ: إِذَا دَعَاكُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ لَكُم: ﴿**انْفِرُوا**﴾ أَي: اخْرُجُوا: ﴿**فِي سَبيلِ اللَّهِ**﴾ أَي: إِلى الـمُجَاهَدَةِ مَعَ الـمُشرِكينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَزوَةِ تَبُوك، تَبَاطَأتُم، وَمِلتُم إِلى الإِقَامَة فِي الأَرضِ الَّتِي أَنتُم عَلَيهَا، وَقِيلَ: مِلتُم إِلى الدُّنيَا وَلَذَّاتِهَا، وَكَرِهتُم مَشَاقَّ السَّفرِ،

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٤٤.

(٢) المصباح المنير، الفيومي: ٢/ ٦٦٤.

(٣) معالم التنزيل، البغوي: ٢/ ٢٩٢.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٢١٩.

وَنَحوُهُ: قوله ﴿أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [(١)] وَهَذَا الإِستِبطَاءُ مَخصُوصٌ بِنَفَرٍ مِنَ الـمُسلِمِينَ؛ لأَنَّ جَمِيعَهُم لَم يَتَثَاقَلُوا عَنِ الجِهَادِ، فَهوَ عُمُومٌ يُرِيدُ بِهِ الخُصُوص [(٢)].

وَقَولُهُ: ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ أَصلُهُ: تَثَاقَلتُم، فَأُدغِمَت فِي التَّاءِ، ثُمَّ أُدخِلَت الهَمزَةُ لِلوَصلِ [(٣)].

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾

الغَارُ: النَّقبُ العَظِيمُ فِي الجَبَلِ [(٤)].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أَي: أَخرَجُوا الرَّسُولَ ﷺ مِن مَكَّةَ، فَخَرَجَ يُرِيدُ الـمَدِينَة، حِينَ هَمُّوا بِإِخرَاجِهِ، أَو قَتلِه، أَذِنَ اللهُ فِي الخُرُوجِ لَهُ قَبلَ ذَلِكَ [(٥)].

وَقَولُه: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ يَعنِي: أَحَدُ اثنَينِ، كَقَولِه: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؛ وَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبو بَكرٍ فِي غَارِ ثَورٍ؛ وَهوَ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ الرَّسُولُ ﷺ: ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ الـمَذكُورِ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ أَي: لَا تَخَف، إِنَّ اللهَ يَرَانَا، وَيَطَّلِعُ عَلَينَا، فَهوَ يَحفَظُنَا وَيَنصُرُنَا، فَلَمَّا دَخَلَاهُ بَعَثَ اللهُ حَمَامَتَينِ فَبَاضَتَا فِي أَسفَلِهِ، وَالعَنكَبُوتُ نَسَجَت بِخُيُوطٍ عَلَيهِ، فَلَمَّا جَاءَ سُرَاقَة بِن مَالِك فِي طَلَبِهِمَا، وَرَأَى بَيضَ الحَمَامِ وَبَيتَ العَنكَبُوتِ، قَالَ: لَو دَخَلَهُ أَحَدٌ لانكَسَرَ البَيض، وَانهَدَمَ البَيت بِخُيُوطِهَا، فَانصَرَفَ [(٦)].

---

(١) الأعراف: ١٧٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٥٥.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٦٤.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ١١٣.
(٥) جمع الجوامع، الطبرسي: ٢/ ٦٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٥٧.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اللَّهُمَّ إِعمِ أَبصَارَهُم عَن دُخُولِهِ) وَجَعلُوا يَضرِبُونَ حَولَ الغَارِ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَلَا يَفطَنُون [١].

وَنَزَلَ رَجُلٌ مِن قُرَيشٍ، فَبَالَ عَلَى بَابِ الغَارِ، فَقَالَ أَبو بَكرٍ: قَد أَبصَرَنَا يَا رَسُول اللَّهِ، فَقَالَ: ﷺ: (لَو أَبصَرُونَا مَا استَقبَلُونَا بِعَورَاتِهِم).

﴿**فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ**﴾ أَي: عَلَى رَسُولِه، وَهِي: الأَمَنَةُ الَّتِي سَكَنَ إِلَيهَا، وَأَيقَنَ ﷺ أَنَّهُم لَا يَصِلُونَ إِلَيهِ [٢].

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١)

الثِّقلُ: مَتَاعُ البَيتِ، وَالجَمعُ أَثقَالٌ [٣].

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦)

التَّثبِيطُ: التَّبَطُؤ وَالتَّكسِيلُ [٤].

يُقَالُ: أَعَدَّ لَهُ؛ أَي: استَعَدَّ لَهُ [٥] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ أَرادُوا الْـخُرُوجَ**﴾ أَي: لِلجِهَادِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُصرَةً لَهُ، لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً، وَالعُدَّةُ: مَا تُعِدُّ لِأَمرٍ يَحدُثُ قَبلَ وُقُوعِهِ، وَالـمُرَادُ: لَأَخَذُوا أُهبَةَ الحَربِ [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٥٧.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ١١٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٥١.
(٤) جواهر الحسان، الثعالبي: ٣/ ١٨٤.
(٥) جوامع الجامع الطبرسي: ٢/ ٦٨.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٦٣.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧)

الخَبَالُ: الفَسَادُ، أَو: المَوت وَالإِضطِرَاب في الرَّأْي [١].

يُقَالُ: وَضَعَ البَعِيرُ وَضعَاً؛ إِذَا أَسرَعَ، وَالإِيضَاعُ: الإِسرَاعُ [٢] وَمِنهُ: قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ**﴾ أَي: وَلَأَسرعُوا في الدُّخُولِ بَينكُم بِالتَّفرِيقِ وَالإِفسَادِ وَالنَّمِيمَة فِيمَا بَينكُم، وَإِفسَادُ ذَاتِ البَينِ، وَالـمُرَادُ: الإِسرَاعُ بِالفَسَادِ؛ لأَنَّ الرَّاكِب أَسرَعُ مِنَ الـمَاشِي [٣].

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ (٥٣)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً**﴾ أَمرٌ في مَعنَى الخَبَرِ؛ أَي: طَائِعِينَ أَو مُكرَهِينَ [٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٩٤.
(٢) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٤٩.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٩٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧١.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

الزَّهُوقُ: الزَّهقُ، الذِّهَابُ، وَقِيلَ: الزَّهُوقُ: الخُرُوجُ بِصُعُوبَةٍ [١].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ**﴾ أَي: أَموَالُ الكُفَّارِ، أَو: الجَمِيعُ: ﴿**وَلاَ أَوْلادُهُمْ**﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ إِستِدرَاجٌ وَوَبَالٌ لَهُم [٢] كَمَا أَفصَحَ سُبحَانَهُ بِقَولِه: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحياةِ الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ**﴾ مُشتَغِلُونَ بِالتَّمَتُّعِ عَنِ النَّظَرِ فِي العَاقِبَةِ [٣] فَيَكُونُ ذَلِكَ إِستِدرَاجٌ لَهُم، وَانحِطَاطٌ لِرُتبَتِهُم، فَيُعَذِّبُهُم بَعدَ ذَلِكَ بِمَا شَاءَ، أو:كَيفَ شَاءَ بِسَبَبِ الغَنَائِمِ.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

الـمُدَّخَلُ: مَا يُدخَلُ فِيهِ مِنَ الأَمكِنَةِ وَالـمَوَاضِعِ [٤].

الجُمَاحُ: مُضِيُّ الـمَارِّ مُسرِعَاً، وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**﴾ أَي: لأَقبَلُوا نَحوَهُ وَهُم يُسرِعُونَ فِي الذِّهَابِ إِلَيهِ [٥].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٢٣٩.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٥١.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٢.

(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ٣٧٠.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٧١.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (٥٨)

اللَّمزُ: العَيبُ [١] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ**﴾ أَي: وَمِن هَؤلاءِ الـمُنَافِقِينَ مَن يُعِيبُكَ في قِسمَةِ الصَّدقَاتِ وَيطعَنُ عَلَيكَ [٢].

وَقِيلَ: يَغضَبُونَ وَيَعِيبُونَ، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (أَهلُ هَذِهِ الآيَة أَكثَرُ مِن ثُلثَي النَّاس)[٣].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٥٩)

﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ**﴾ أَي: وَلَو أَنَّ هَؤلَاءِ الـمُنَافِقِينَ الَّذِينَ طَلَبُوا مِنكَ الصَّدَقَات، وَعَابُوكَ بِهَا، رَضَوا بِمَا أَعطَاهُم اللهُ وَرَسُولُهُ: ﴿**وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ وَقَالُوا: إِنَّا إِلى اللَّـهِ رَاغِبُونَ، لَم نَحتَج إِلى غَيرِه في أن يُوَسِّعَ عَلَينَا [٤].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (لمز): ٣/ ٨٩٥.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٧٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٧٣.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٧٣.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٠﴾

الفُقَرَاءُ: هُم الـمُتَعِفِّفُونَ الَّذِينَ لَا يَسَأَلُونَ، وَالـمَسَاكِينُ: الَّذِينَ يَسأَلُونَ، وَقِيلَ: بِالعَكسِ [١] وَالفَقِيرُ: مِنَ الفَقَارِ؛ كَأَنَّهُ أُصِيبَ فَقَارُهُ، وَالـمِسكِينُ: مِنَ السُّكُونِ؛ كَأَنَّهُ مِنَ العَجزِ أَسكَنَهُ [٢].

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾

الأُذُنُ: الرَّجُلُ الَّذِي يُصَدِّقُ كُلَّمَا يَسمَعُ، وَيَقبَلُ قَولَ كُلِّ أَحَدٍ، سُمِّي بِالعُضوِ الَّذِي هُوَ آلَةُ السَّمَاعِ لِلـمُبَالَغَةِ، كَأَنَّهُ مِن فَرطِ استِمَاعِهِ صَارَ جُملَتُهُ أُذُنٌ سَامِعَةٌ، كَمَا سُمِّي الجَاسُوسُ عَيناً لِذَلِكَ [٣] يُقَالُ: هُم قَومٌ سَمَّاعُونَ، وَرَجُلٌ سَمَّاعٌ [٤].

وَقَولُهُ تعالَى: ﴿**يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**﴾ الأَذَى: قَد يَكُونُ بِالفِعلِ، وَقَد يَكُونُ بِالقَولِ كَمَا هَهُنَا: ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ وَالـمَعنَى: إِنَّهُ يَستَمِعُ إِلَى مَا يُقَالُ لَهُ، وَيُصغِي إِلَيهِ وَيَقبَلُهُ [٥].

وَقَولُهُ: ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾ تَصدِيقٌ لَهُم بِأَنَّهُ أُذُنٌ، لَكِن لَا عَلَى الوَجهِ الَّذِي ذَمُّوا بِهِ، بَل مِن حَيثُ أَنَّه يَسمَعُ الخَيرَ وَيَقبَلُهُ، يُؤمِنُ وَيُصَدِّقُ بِاللَّهِ لِـمَا قَامَ عِندَهُ مِنَ

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٣.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٥٣.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٥.
(٤) معالم التنزيل، البغوي: ٢/ ٣٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٧٩.

الأَدِلَّةِ، وَيُصَدِّقُ لِلمُؤمِنِينَ فِيمَا يُخبِرُونَهُ، وَيَقبَلُ مِنهُم، وَاللَّامُ مَزِيدَةٌ لِلتفرِقَةِ بَينَ إِيمَانِ التَّصدِيقِ، وَإِيمَانِ الأَمَانِ[1].

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (٦٣)

الـمُحَادَّةُ: مُفَاعَلَةٌ مِنَ الحَدِّ[2].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فيها﴾** أَي: وَمَا يَعلَمُوا أَنَّهُ مَن يُجَاوِزُ حُدُودَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَحُقَّ أَنَّ لَهُ نَار جَهَنَّم دَائِمًا فِيهَا، وَيَجُوزُ أَن يَكونَ: **﴿فَأَنَّ لَهُ﴾** مَعطُوفاً عَلَى: **﴿أَنَّهُ﴾** وَيَكُونُ الجَوَابُ مَحذُوفٌ، وَالتَّقدِيرُ: أَلَم يَعلَمُوا، أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ يَهلَكُ، فَإِنَّ لَهُ نَارُ جَهَنَّم: **﴿ذَلِكَ الخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾** يَعنِي: الهَوَانَ وَالذُّلَّ، وَالهَلَاك الكَبِير الدَّائم[3].

قِيلَ: نَزَلَت فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الـمُنَافِقِينَ، وَقِيلَ: فِي رَجُلٍ مِنهُم، يُقَالُ لَهُ: نَبتَل ابن الحَارِث، وَكَانَ رَجُل مُشَوَّه الخِلقَةِ، وَهوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيِّ ﷺ: (مَن أَرَادَ أَن يَنظُرَ إِلى الشَّيطَانِ، فَليَنظُرَ إِلى نَبتَل بِن الحَارِثِ).

وَكَانَ يَنُمُّ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الـمُنَافِقِينَ، فَقِيلَ لَهُ: لَا تَفعَل، فَقَالَ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ ﷺ أُذُنٌ، مَن حَدَّثَهُ شَيئاً صَدَّقَهُ، نَقُولُ مَا شِئنَا، ثُمَّ نَأتِيهِ، وَنَحلِفُ لَهُ فَيُصَدِّقُنَا، فَنَزَلَت: **﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾**[4] أَلَم يَعلَمُوا... الآيَة، وَالخِطَابُ لِلمُؤمِنين[5].

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٥٤.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ١٩٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٦٥.
(٤) التوبة: ٦٢.
(٥) أسباب النزول، الواحدي: ١٦٨.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥)

يُقَالُ: خَاضَ الرَّكبُ؛ أَي: كَالغَارِ فِي المَاءِ، وَقَولُه تعالَى: ﴿**لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ أَي: لَقَالُوا: كُنَّا نَخُوضُ خوضَ الرَّكبِ في الطَّرِيقِ، لَا عَلَى وَجهِ الجِدِّ، وَلَكِن عَلَى طَرِيقِ اللَّهوِ وَاللَّعِب، فَكَانَ عُذرَهُم أَشَدُّ مِن جُرمِهُم، اللَّامُ لِلتَأكِيدِ وَالقَسَمِ [١].

رُوِي: أَنَّ رَكبَ المُنَافِقِينَ مَرَّوُا عَلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ في غَزوَةِ تَبُوك، فَقَالُوا: انظُرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُل، يُرِيدُ أَن يَفتَحَ قُصُورَ الشَّامِ وَحُصُونَهُ، هَيهَاتَ هَيهَاتَ، فَأَخبَرَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ فَدَعَاهُم، وَقَالَ: (قُلتُم كَذَا وَكَذَا) فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، مَا كُنَّا فِي شَيءٍ مِن أَمرِكَ وَأَمرِ أَصحَابِكَ، وَلَكِن كُنَّا فِي شَيءٍ مِمَّا يَخُوضُ فِيهِ الرَّكبُ وَنَلعَبُ، وَحلَفُوا عَلَى ذَلِكَ، فَنَزَلَت: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ...**﴾ الآيَةُ [٢].

وَقِيلَ: نَزَلَت فِي إِثنَي عَشَرَ رَجُلاً، وَقَفُوا عَلَى العَقَبَةِ لِيَفتِكُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِندَ رُجُوعِهِ مِن تَبُوك، وَقَالَ بَعضَهُم لِبَعضٍ: إِن فَطِنَ نَقُولُ: إِنَّا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلعَبُ.

فَأَخبَرَ جبرَئِيلُ رَسُول اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَن يُرسِلَ إِلَيهِم، وَيَضرِبَ وُجُوهَ رَوَاحِلَهُم، وَعَمَّارٌ كَانَ يَقُودُ دَابَتَهُ ﷺ وَحُذَيفَةُ يَسُوقُهَا، فَقَالَ ﷺ لِحُذَيفَةَ: (إِضرِب وُجُوهَ رَوَاحِلَهُم) فَضَرَبَهَا حَتَّى نَحَّاهُم، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ لِحُذَيفَةَ: (مَن عَرَفتَ مِنَ القَومِ؟) قَالَ: لَمْ أَعرِف مِنهُم أَحدَاً.

فَقَالَ ﷺ: (إِنَّهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ) حَتَّى عَدَّهُم كُلُّهُم، فَقَالَ حُذَيفَةَ: أَلَا تَبعَث إِلَيهِم

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٨٣.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ١٣٣.

فَتَقتُلَهُم: فَقَالَ ﷺ (أَكرَهُ أَن يَقُولَ العَرَبُ: لَـمَّا ظَفَرَ بِأَصحَابِهِ أَقبَلَ يَقتُلَهُم) فَنَزَلَت الآيَاتُ فِيهِم [١].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٦٨)

تَقُولُ: عَذَّبتُكَ حَسبَ مَا فَعلتَ؛ أَي: عَلَى قَدرِ فِعلِكَ [٢] وَمِنهُ قَولُهُ تعالَى: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أَي: نَارُ جَهَنَّمَ؛ أَي: لِـمَا عَصَيتُمُونِي، فَكِفَايَةُ ذُنُوبِكُم نَارُ جَهَنَّمَ أَيُّهَا الـمُنَافِقُونَ وَالـمُنَافِقَاتُ وَالكُفَّارُ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى عِظَمِ عَذَابِهَا [٣].

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٩)

الخَلَاقُ: النَّصِيبُ [٤] وَاشتِقَاقُهُ مِنَ الخَلقِ، بِمَعنَى: التَّقدِيرُ، فَإِنَّهُ مَا قُدِّرَ لِصَاحِبِهِ [٥] وَقَولُه تعالَى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾ أَي: مَا استَمتَعتُم أَنتُم أَيضاً بِحَظِّكُم مِنَ الدُّنيَا كَمَا استَمتَعُوا هُم بِحُظُوظِهِم الفَانِيَةِ [٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٨١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٨٥.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٠١.
(٤) معاني القرآن، النحاس: ١/ ١٤٢.
(٥) الفروقات اللغوية، أبي هلال العسكري: ٢٢٣.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٨٥.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ (٧٠)

الإِئتِفَاكُ: الإِنقِلَابُ[١] يُقَالُ: ائتَفَكَتِ القَريَةُ عَلَيهِم؛ إِذَا انقَلَبَت عَلَيهِم وَأَهلَكَتهُم.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (٧١)

﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ أَي: بَعضُهُم أَنصَارُ بَعضٍ، يَلزَمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم نُصرَةُ صَاحِبِهِ وَمُوَالَاتِه، وَهُم يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَن سِوَاهُم؛ يَأْمُرُونَ بِالمَعرُوفِ، وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسولَهُ صلى الله عليه وآله بِمَا يُرِيدَانِ وَيَرضَيَانِ: ﴿**أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ**﴾ تَعَالَى - لَا مَحَالَةَ - فِي الآخِرَةِ، كُتِبَ وَكَتَبَ عَلَى نَفسِه؛ لأَنَّ السِّينَ مُؤكِدَّةٌ لِلوُقُوعِ: ﴿**إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٢].

(١) تفسير الرازي: ١٦/ ١٢٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٨٧، تفسير البيضاوي: ٣/ ١٥٧.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢)

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ يَطِيبُ العَيشَ فِيهَا، بَنَاهَا اللهُ سُبحَانَهُ مِنَ اللُّؤلُؤ، وَاليَاقُوتِ الأَحمرِ، وَالزَّبرجَدُ الأَخضَرِ، لَا أَذَى فِيهَا وَلَا نَصب.

﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أَي: فِي جَنَّاتِ إِقَامَةٍ وَخُلدٍ، وَقِيلَ: هِي بُطنَانِ الجَنَّةِ، وَقِيلَ: هِي مَدِينَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَفِيهَا الرُّسُلُ وَالشُّهدَاءُ، وَأَئمَّةُ الهُدَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِم أَجمَعِينَ، وَالنَّاسُ حَولَهُم، وَالجِنَانُ حَولَهَا، وَقِيلَ: إِنَّ عَدن أَعلَى دَرَجَةً فِي الجَنَّةِ، وَفِيهَا عَينُ التَّسنِيمِ، وَالجِنَانُ حَولَهَا مُحدِقَةٌ بِهَا، وَهِي مُغَطَّاةٌ مِن يَوم خَلَقَهَا اللهُ تعَالَى، حَتَّى يَنزِلَهَا أَهلُهَا؛ الأَنبِيَاءُ وَالصِدِّيقُونَ، وَالشُّهدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَمَن شَاءَ اللهُ، وَفِيهَا قُصُورُ الدُّرِّ وَاليَوَاقِيت وَالذَّهَب، فَتَهِبُّ رِيحٌ طَيِّبَةٌ مِن تَحتِ العَرشِ، فَتَدخُل عَلَيهِم كُثبَانُ المِسكِ [١].

وَرُوِي عَن النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ قَالَ: (عَدنٌ: دَارُ اللَّهِ الَّتِي لَم تَرَهَا عَينٌ، وَلَم تَخطُر عَلَى قَلبِ بِشرٍ، لَا يَسكُنُهَا غَيرُ ثَلَاثَةٍ؛ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: طُوبَى لِـمَن دَخَلَكِ) [٢].

﴿وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أَي: رِضَا اللَّهِ تعَالَى عَنهُم أَكبَرُ مِن ذَلِك كُلِّهِ؛ لأَنَّ رِضَاه سَبَبُ كُلِّ سَعَادَةٍ، وَمُورِثُ كُلِّ فَوزٍ، وَبِه يُنَالُ تَعظِيمُهُ وَكَرَامَتُهُ، وَالكَرَامَةُ مِنهُ أَكبَرُ أَصنَافِ الثَّوَابِ: **﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٣].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٨٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٥٧.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٨٠.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٧٤﴾

إعلَم: أَنَّهُ كُلّ مَا فيهِ مجدٌ لِآلَاءِ اللَّهِ وَنِعَمِه وَأَيَادِيهِ فَهوَ كَلِمَةُ كُفرٍ، وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ قالُوا**﴾ أَي: الكُفَّارُ: ﴿**كَلِمَةَ الْكُفْرِ**﴾ أَقسمَ سُبحانَهُ بِأَنَّهُم قَالُوا ذلِكَ؛ لأَنَّ اللَّام في لَقَد لَامُ القَسَمِ، وَكَانُوا يَطعَنُونَ في الإِسلَامِ [(١)].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

يُقَالُ: أَصَّدَّقُ عَلَى الفَقِيرِ.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٨١﴾

يُقَالُ: أَقَامَ فُلَانٌ خِلَافَ الحَيِّ؛ أَي: بَعدَهُم [(٢)].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ يَعنِي: فَرِحَ المُخَلَّفُونَ الَّذِينَ خَلَّفَهُم النَّبِيُّ ﷺ وَلَم يُخرِجهُم مَعَهُ إِلى تَبو لَـمَّا استَأذَنُوهُ في التَّأَخرِ، فَأَذِنَ لَهُم بِقُعُودِهِم عَن الغزوِ: ﴿**خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ أَي: خَلفَهُ، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعنَى المُخَالَفَةِ؛ لأَنَّهُم خَالَفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيثُ قَعدُوا وَنَهَض، وَكَرِهُوا الجِهَادَ بِالأَموَالِ وَالأَنفُسِ [(٣)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٨١.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٨١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٩٨.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩٠)

التَّعذِيرُ: إِمَّا مِن عَذَرَ فِي الأَمرِ؛ إِذَا قَصَّرَ فِيهِ، مُوهِماً أَنَّ لَهُ عُذراً وَلَا عُذرَ لَهُ، أَو: مِن اعتَذَرَ؛ إِذَا مَهَّدَ العُذرَ بِإِدغَامِ التَّاءِ فِي الذَّالِ، وَيَجُوزُ فِي قَولِهِ تعَالَى: ﴿**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ**﴾ أَي: الـمُقَصِّرُونَ الَّذِينَ يَعتَذِرُونَ، وَلَيسَ لَهُم عُذرٌ، كَسرُ العَينِ لِإلتِقَاءِ السَّاكِنَينِ، وَضَمُّهَا للإِتبَاعِ، لَكِن لَا يُقرَأ بِهِمَا [١].

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٩٢)

يُقَالُ: فَاضَتِ العَينُ تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ؛ إِذَا سَالَت دُمُوعُهُ [٢].

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٤)

التَّنَبُّؤ: الإِخبَارُ [٣] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ**﴾ أَي: وَسَيَعلَمُ فِيمَا بَعدُ [٤].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٦٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٣.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٤٨١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٠٦.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧)

الأَجدَرُ: أَفعَلُ، مَأَخُوذٌ مِن جَدْرَ الحَائطِ، بِسُكُونِ الدَّالِ، وَهوَ أَصلُهُ وَأَسَاسُهُ [١].

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩٨)

الـمَغرَمُ: الغَرَامَةُ وَالخُسرَانُ [٢].

الدَّائرَةُ: في الأَصلِ مَصدَرٌ، أَو إِسمُ فَاعِلٍ، مِن دَارَ يَدُورُ، سُمِّي بِهِ عَقبَةُ الزَّمَانِ [٣] وَالدَّوَائرُ: صُرُوفُ الزَّمَانِ، وَحَوَادِثُ الأَيَّامِ، وَالعَوَاقِبُ الـمَذمُومَةِ [٤] لِيَنقَلِبَ الأَمرُ عَلَيهِ.

وَالسُّوءُ: بِالفَتحِ، مَصدَرٌ أَيضاً، وَدَائرَةُ السُّوءِ: أُضِيفَ لِلـمُبَالَغَةِ، كَقَولِكَ: رَجُلُ صِدقٍ [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٠٩.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٢٨٥.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٦٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١١٠.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١١٠.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٩٩﴾

القُرُبَاتُ: جمعُ قُربَةٌ؛ وَهي: الطَّاعَاتُ [(١)].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾

قَولُهُ تعالَى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾** المَتبُوعُونَ، المُؤتَمَنُ بِهِم، وَالمُهَاجِرُونَ: مَن سَبَقُوا في الدِّينِ وِالمِلَّةِ: **﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾** هُجِّرَ مِن مَكَّةَ إِلى المَدِينَةِ وَإِلى الحَبَشَةِ، وَالأَنصارُ: الَّذِينَ مِن أَهلِ المَدِينَةِ، إِلَى الإِسلَامِ: **﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾** شَمَلَ مَن يَلحَق إِلى يَومِ القِيامَةِ بِأَفعَالِ الخَيرِ، مُؤمِناً بِهِم: **﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾** بِنِعَمِهِ في الدَّارَينِ لَهُم [(٢)].

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خالِدِينَ فيها أَبَداً﴾ أَي: يَبقُونَ فِيهَا بِبَقَاءِ اللَّهِ مُتَنَعِمِينَ: **﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** أَي: الفَلَاحُ العَظِيمُ الَّذِي يَصغُرُ في جَنبِهِ كُلُّ نَعِيمٍ.

وَفي هَذِهِ الآيَة دَلَالَةٌ عَلَى فَضلِ السَّابِقِينَ إِلى الإِيمَانِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَمَزِيَّتَهُم عَلَى الغَيرِ لِمَا لَحِقَهُم مِن أَنوَاعِ المَشَقَّةِ في نُصرَةِ الدِّينِ وَتبعَاتَهُ.

وَاختُلِفَ في أَوَّلِ مَن أَسلَمَ مِنَ المُهَاجِرِينَ؛ فَقِيلَ: أَوَّلُ مَن آمَنَ خَدِيجَة بِنت خُوَيلِد مِنَ النِّسَاءِ، ثُمَّ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ مِنَ الرِّجَالِ.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٨٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١١١.

قَالَ أَنَس: بُعِثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يوم الإِثنَينِ، وَأَسلَمَ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِب عليه السلام يَومَ الثُّلاثَاء، وَقَالَ مُجَاهِد: إِنَّهُ أَسلَمَ وَهوَ ابنُ عَشرِ سِنِين، وَكَانَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله أَخَذَهُ عَن أَبِيهِ أَبِي طَالِب، وَضَمَّهُ إِلى نَفسِه، وَرَبَاهُ فِي حِجرِهِ، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى بُعِثَ نَبِيَّاً، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَسلَمَ وَلَهُ تِسعُ سِنِين، وَقِيلَ: لَهُ إِثنَا عَشَر سَنَة، وَقَالَ السيِّد أَبو طَالِب الهَرَوِيُّ: وَهوَ الصَّحِيحُ.

وَفِي تَفسِيرِ الثَّعلَبِي [١] وَرَوَى إِسمَاعِيلُ بِن إِيَاس بِن عَفِيف [٢] عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّه عَفِيف، قَالَ: كُنتُ امرأً تَاجِرَاً، فَقَدِمتُ مَكَّةَ أَيَّامَ الحَجِّ، فَنَزَلتُ عَلَى العَبَّاسِ بِن عَبدِ الـمُطَّلَبِ، وَكَانَ العَبَّاسُ لِي صَدِيقَاً، وَكَانَ يَختَلِفُ إِلى اليَمَنِ، يَشتَرِي القُطنَ فَيَبِيعَهُ أَيَّامَ الـمَوسِمِ.

فَبَينَمَا أَنَا وَالعَبَّاسُ بِمِنَى، إِذ جَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ حِينَ حَلَّقَت الشَّمسُ فِي السَّمَاءِ، فَرَمَى بِبَصَرِهِ إِلى السَّمَاءِ، ثُمَّ استَقبَلَ الكَعبَة، فَلَبِثَ مُستَقبِلُهَا، حَتَّى جَاءَ غُلَامٌ، فَقَامَ عَن يَمِينِهِ، فَلَم يَلبَث أَن جَاءَت امرَأَةٌ، فَقَامَت خَلفَهُمَا، فَرَكَعَ الشَّابُّ وَرَكَعَ الغُلَامُ وَالـمَرأَةُ، فَخَرَّ الشَّابُّ سَاجِدَاً فَسَجَدَا مَعَهُ، فَرَفَعَ فَرَفَعَ الغُلَامُ وَالـمَرأَةُ.

فَقُلتُ: يَا عَبَّاس، أَمرٌ عَظِيمٌ! فَقَالَ: أَمرٌ عَظِيمٌ، فَقُلتُ: وَيحَكَ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا ابنُ أَخِي مُحَمَّدٌ بن عَبدِ اللَّهِ بن عَبد الـمُطَّلِب، يَزعُمُ أَنَّ اللهَ تعَالَى بَعَثَهُ رَسُولَاً، وَأَنَّ كُنُوزَ كِسرَى وَقَيصَر سَتُفتَحُ عَلَيهِ، وَهَذَا الغُلَامُ ابنُ أَخِي عَلِيِّ بن أَبِي طَالِب، وَهَذِه الـمَرأَةُ خَدِيجَةُ بِنت خُوَيلِد زَوجَةُ مُحَمَّدٍ قَد تَابَعَاه عَلَى دِينِه، مَا عَلَى ظَهرِ الأَرضِ كُلِّهَا عَلَى هَذَا الدِّينِ غَيرُ هَؤلَاءِ [٣].

---

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ٨٤.

(٢) ينظر في ترجمته: التاريخ الكبير، البخاري: ٧/ ٧٤، الثقات، ابن حبان: ٦/ ٣٥.

(٣) مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي: ١/ ٢٦٢.

وَاأَيمَ اللَّـهِ مَا علَى الأَرضِ كُلِّهَا أَحَدٌ علَى هَذَا الدِّينِ غَيرُ هَؤلَاءِ، فَقَالَ عَفِيفٌ الكِندِيُّ بَعدَ مَا أَسلَمَ وَرَسَخَ الإِسلَامُ في قَلبِهِ: يَا لَيتَنِي كُنتُ رَابِعَاً.

وَرُوِي: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِعَلِيٍّ: أَي بُنَي، مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَنتَ عَلَيهِ؟ قَالَ: (يَا أَبَتِ، آمَنتُ بِاللَّـهِ وَرَسُولهُ، وَأُصَدِّقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَصَلَّيتُ مَعَهُ للَّـهِ) فَقَالَ لَهُ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدَاً صلى الله عليه وآله لَا يَدعُو إِلَّا إِلَى خَيرٍ فَالزَمهُ.

وَرَوى عبدُ اللَّـهِ بن مُوسى، عَن العَلَاءِ بِن صَالِح [1] عَن الـمِنهَال بِن عَمرو [2] عَن عَباد اللَّـهِ بِن عَبد اللَّـهِ [3] قَالَ: سَمِعتُ عَلِيَّاً عليه السلام يَقُولُ: (أَنَا عَبدُ اللَّـهِ وَأَخُو رَسُولُ اللَّـهِ، وَأَنَا الصِّدِّيقُ الأَكبَرُ، لَا يَقُولُهَا بَعدِي إِلَّا كَاذِبٌ مُفتَرٍ، صَلَّيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ سَبعَ سِنِينَ) [4].

وَقِيلَ: أَوَّلُ مَن أَسلَمَ بَعدَهُمَا زَيدُ بِن حَارِثَة، وَقِيلَ: عَشَرَةٌ مِن قُرَيشٍ؛ أَوَّلُهُم إِسلَامَاً عَلِيُّ بِن أَبِي طَالِب عليه السلام [5].

---

(١) محدث ثقة صدوق، تميمي كوفي، من عتق الشيعة، ينظر ترجمته في: ميزان الاعتدال، الذهبي: ٣/ ١٠١، تقريب التهذيب، ابن حجر: ١/ ٧٦٣.

(٢) كوفي، مولاهم، روى عن الإمام الحسين والسجاد والباقر والصادق عليهم السلام ينظر ترجمته في: نقد الرجال، التفريشي: ٤/ ٤٢٣، طرائف المقال، البروجردي: ٢/ ٦٤.

(٣) لم ترد له ترجمة في كتب التراجم والرجال.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ١/ ٢٩٩.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١١٢.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠١)

التمريد: التمليس [١] وقوله تعالى: ﴿**مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾ أي مرنوا عليه وتجرءوا عليه وقيل معناه اقاموا عليه [٢].

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠٢)

﴿**خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً**﴾ أَي: يَفعَلُونَ أَفعَالاً جَمِيلَةً، وَعَمَلاً آخرَ سِيئاً، وَفِيهِ دَلَالَةٌ علَى بُطلَانِ القَولِ فِي الإِحبَاطِ؛ لأَنَّهُم لَو كَانَ أَحدُ العَمَلَينِ محُبطَاً لَم يَكُن لِقَولِهِ: ﴿**خَلَطُواْ**﴾ مَعنىً، لأَنَّ الخَلطَ يُستَعمَلُ فِي الجَمعِ مَعَ امتِزَاجٍ، كَخَلطِ المَاءِ وَاللَّبَنِ، وَبِغَيرِ امتِزَاجٍ كَخَلطِ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمِ [٣].

---

(١) العين، الفراهيدي، مادة (مرد): ٨/ ٣٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٢٨٩.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٢.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣)

قَولُهُ تعالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً﴾ رَوَي: أَن أَبا لُبابَةَ بن عَبدِ الـمُنذِرِ [١] وَثعلَبَةَ بن وَدِيعَة [٢] وَأَوس بن خَدَّام [٣] الأَنصارِيُّونَ، أَنَّهُم لـمَّا أُطلِقُوا، قَالُوا: يَا رَسُول اللَّـهِ، هَذِهِ أَموالُنَا الَّتي خَلَّفتَنَا، فَتَصدَّق بِهَا وَطَهِّرنَا، فَقَالَ: (مَا أُمِرتُ أَن آخُذَ مِن أَمَوالِكُم شَيئاً) فَنَزَلَت: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [٤] الآيَاتُ.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾ أَي: تُطَهِّرهُم بِتِلكَ الصَّدَقَةِ عَن دَنَسِ الذُّنُوبِ: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ يَعنِي: تَدعُوهُم بِمَا يَصِيرُونَ بِهِ أَزكِيَاءَ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: اعطِف عَلَيهِم، وَادعُ لَهُم بِقَبُولِ صَدَقَاتِهِم، وَاستَغفِر لَهُم: ﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ﴾ أَي: تَسكُنُ إِلَيهَا نُفُوسَهُم، وَتَطمَئِنُّ بِهَا قُلُوبَهُم: ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٥].

وَهَؤلَاءِ الأَشخَاصِ لـمَّا بَلَغَهُم مَا أُنزِلَ فِيمَن تَخَلَّفَ عَن رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ عِندَ مَخرَجِهِ إِلى تَبُوكَ أَيقَنُوا بِالهَلَاكِ، أَوثَقُوا أَنفُسَهُم عَلَى سَوارِي الـمَسجِدِ، فَلَم يَزَالُوا كَذَلِك حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ فَدَخلَ الـمَسجِدَ عَلى عَادَتِهِ، فَصَلَّى رَكعَتَينِ، فَرَآهُم، فَسَأَلَ عَنهُم؟ فَذُكِرَ لَهُ: أَنَّهُم أَقسَمُوا أَن لَا يَحُلُّوا أَنفُسَهُم حَتَّى تَحلُّهُم، فَقَالَ ﷺ: (وَأَنَا أُقسِمُ أَن لَا أَحُلَّهُم حَتَّى أُومَرَ فِيهِم) فَنَزَلَت فَأَطلَقَهُم [٦].

---

(١) بشير بن عبد المنذر، وقيل: رفاعة بن عبد المنذر، صحابي، أنصاري، شهد بدراً والعقبة، ينظر: رجال الطوسي: ٢٧، الكنى والألقاب، القمي: ١/ ١٤٨.

(٢) صحابي، أنصاري، أحد الذين تخلفوا عن تبوك، ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ١/ ٢٤٥، الإصابة، ابن حجر: ١/ ٥٢٣.

(٣) لم ترد له ترجمة في كتب الرجال، سوى هذه الرواية.

(٤) عوالي اللئالئ، ابن ابي جمهور: ٢/ ٦٩ح ١٧٨.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١١٨.

(٦) الكشاف عن حقائث التنزيل، الوخشري: ٢/ ٢١١، تفسير البيضاوي: ٣/ ١٦٩.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾

﴿**أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ**﴾ أَي: وَمِن شَأنِ اللَّهِ: ﴿**هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ إِذَا صَحَّت تَوبَتَهُم، وَاستِفهَامٌ يُرَادُ بِهِ التَّنبيه: ﴿**وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ**﴾ [١].

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾

﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ أَي: إِنَّ عَمَلَكُم لَا يَخفَى عَلَى اللَّهِ، وَعلَى رَسُولِهِ، وَعلَى المُؤمِنينَ مُطلَقاً، رَوى أَصحَابُنَا: إِنَّ أَعمَالَ الأُمَّةِ تُعرَضُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ في كُلِّ إِثنَين وَخَمِيس فَيَعرِفُهَا، وَكَذَلِكَ تُعرَضُ علَى الأَئمَّة القَائِمِينَ مَقَامَهُ ﵈ فَيَعرِفُونَهَا، وَهُم المَعنِيونَ بِقَولِه تعالَى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ**﴾ أَي: السِّرُّ وَالعَلَانِيَة: ﴿**فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [٢].

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

يُقَالُ: أَرجَأتَهُ؛ إِذَا أَخرتَهُ [٣] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ**﴾ أَي: وَآخَرُونَ مِنَ المُتَخَلِّفِينَ مُؤخَرُونَ، أَي: مَوقُوفٌ أَمرُهُم، وَبِمَعنَاهُ: ﴿**مُرْجَوْنَ**﴾ وَقَرَأَ حَفصٌ بِالوَاوِ، وَهُمَا لُغتَانِ بِمَعنًى [٤].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١١٨.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٣.

(٣) الصحاح، الجوهري، مادة (رجأ): ١/ ٥٢.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٣.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (١٠٨)

يُقَالُ: إن رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ لِبَعضِ أَصحَابِه: (إِنَّ اللهَ تعَالَى قَد أثنَى عَلَيكُم، فَمَاذَا تفعَلُونَ؟) قَالُوا: نَغسِلُ أثَرَ الغَائطِ فَقَالَ ﷺ: (أَنزَلَ اللهُ فِيكُم: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾) أي يَرمِي عَنهُم، وَيُحسِنُ إِلَيهِم [١].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٩)

الشَّفَا: الشَّفِيرُ [٢] وَجُرفُ الوَادِي: جَانِبُهُ الَّذِي يَنحَفِرُ أَصلُه بِالـمَاءِ، وَتَجرِفَهُ السِّيُولُ، وَهوَ مِن الجَرَفَ وَالإِجتِرَافِ، وَاقتِلَاعُ الشَّيء مِن أَصلِهِ [٣].

الهَارُ: الهَائرُ الَّذِي أَشرَفَ عَلَى السُّقُوطِ وَالهَدَمِ [٤] يُقَالُ: تَهوَّرَ البِنَاءُ؛ أَي: تَسَاقَطَ [٥].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوىً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلَى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ**﴾ أَي: أَفَمَن أَسَّسَ بُنيَانَ دِينِهِ عَلَى قَاعِدَةٍ مُحكَمَةٍ؛ وَهوَ الحَقُّ الَّذِي هُوَ تَقوَى الله تعَالَى: ﴿**وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ**﴾ عَلَى قَاعِدَةٍ هِي أَضعَفُ القَوَاعِدَ، وَأَقَلُّهَا بَقَاءً؛ وَهوَ البَاطِلُ وَالنِّفَاقُ، الَّذِى مَثَلُهُ مَثلُ شَفَا جُرفٍ هَارٍ فِي قِلَّةِ الثَّبَاتِ، وَقَرَأَ أَبو بَكرٍ بِسُكُونِ الرَّاءِ الـمُهمَلَةِ: ﴿**فَانْهارَ بِهِ**﴾ أَي: فَهَوَى ذَلِكَ البِنَاءُ البَاطِلِ فِي: ﴿**نارِ جَهَنَّمَ**﴾ [٦].

(١) فقه القرآن، الراوندي: ١/ ٦٧.

(٢) تفسير الرازي: ١٦/ ١٩٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٣٠٣.

(٤) كنز القرآن، المشهدي: ٥/ ٥٤٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٢٣.

(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٦.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١١١﴾

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (أَيَا مَن لَيسَت لَهُ هِمَّةٌ، إِنَّهُ لَيسَ لأَبدَانِكُم ثَمَنٌ إِلَّا الجَنَّةَ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا) [(١)].

وَقَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ وَعَبَّرَ عَن إِثَابَتِهِم بِهَا عَلَى بَذلِهِم أَنفُسَهُم وَأَموَالَهُم فِي بِلَا مُضَايَقَةٍ بِالإِشتِرَاءِ، وَأَنَّ الجَنَّةَ عِوَضٌ عَن جِهَادِهُم مُطلَقٌ [(٢)].

﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ مَعنَاهُ: إِنَّ إِيجَابُ الجَنَّةِ لَهُم وَعدٌ عَلَى اللَّهِ حَقَّاً، حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ، وَتَقدِيرُهُ: وَعَدَهُم اللهُ الجَنَّةَ عَلَى نَفسِهِ وَعدَاً حَقَّاً؛ أَي: صِدقَاً وَاجِبَاً لَا خُلفَ فِيهِ: ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [(٣)].

الإِستِبشَارُ: الفَرَحُ [(٤)].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٣٠.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٧.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٣٠.
(٤) تفسير البيضاوي: ٥/ ٧٠.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾

السَّوحُ: الصَّومُ، وَالسَّائحُ: الصَّائمُ (١).

وَفي الحَدِيثِ: (إِنَّ سِيَاحَة أُمَّتِي الصِّيَام) (٢).

وَسَاحَ في الأَرضِ: سَارَ، وَالسَّائحُونَ في قَولِه تعَالَى: ﴿**التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ**﴾ الآيَة؛ هُم: الصَّائمُونَ (٣).

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**التَّائِبُونَ**﴾ رَفعٌ علَى المَدحِ؛ أَي: هُم التَّائبُونَ، وَالمُرَادُ بِهِم: المُؤمِنُونَ المَذكُورُونَ، وَيجُوزُ أَن يَكُونَ مُبتَدَأ، وَخَبرُه محَذُوفٌ، تَقدِيرُهُ: التَّائبُونَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، أَو: خَبَرُهُ مَا بَعدَهُ؛ أَي: التَّائبُونَ عَن الكُفرِ علَى الحَقِيقَةِ، هُم الجَامِعُونَ لِهَذه الصِّفَاتِ وَالخِصَالِ المَذكُورَةِ بَعدَهُ (٤).

وَ: ﴿**التَّائِبُونَ**﴾ الرَّاجِعُونَ إِلى طَاعَتِه (٥).

وَ: ﴿**الْعابِدُونَ**﴾ هُم الَّذِينَ يَعبُدُونَهُ في السَّرَّاءِ وَالضرَّاءِ، لَيلاً وَنهَاراً، حَامِدَاً علَى كُلِّ حَالٍ في الأَرضِ، فَيَعتَبِرُونَ بِعَجَائبِ اللَّهِ (٦).

وَقِيلَ: هُم طَلَبَةُ العِلمِ؛ يَسِيحُونَ في الأَرضِ بِطَلَبِهِ (٧).

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، مادة (سيح): ٤/ ٩٨.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٦٦/ ٣٥٦.
(٣) تفسير الرازي: ١٦/ ٢٠٣.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٩، تفسير البيضاوي: ٣/ ١٧٥.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٣٠٧.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٣٠.
(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٩.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١١٤﴾

الأَوَّاهُ: الَّذِي يُكثِرُ التَّأوُّهَ وَالبُكَاءَ وَالدُّعَاءَ [١] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْراهيمَ لَأَوَّاهٌ حَليمٌ﴾ الأَوَّاهُ: فَعَّالٌ؛ أَي: إِنَّ إِبرَاهِيمَعليه السلام يُكثِرُ التَّأَوُّهَ عَن فَرطِ تَرَحُّمِهِ وَرِقَّة قَلبِه [٢] وَالحَلِيمُ: الصَّبُورُ علَى الأَذَى [٣] وَمِن حُلمِهعليه السلام أَنَّ رَجُلاً قَد آذَاهُ وَشَتَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَدَاكَ اللهُ تعَالَى [٤].

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١١٨﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ﴾ وَمَا هُنَا مَصدَرِيَّةٌ، وَالمَعنَى: ضَاقَت عَلَيهِم الأَرضُ مَعَ إِتِّسَاعِهَا، وَهَذِه صِفَةُ مَن بَلَغَ غَايَةَ النَّدَمِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَا يَجِدُ لِنَفسِهِ مَذهَباً [٥].

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقينَ﴾ أَي: الَّذِينَ يَصدُقُونَ فِي أَخبَارِهِم وَلَا يُكَذِّبُونَ [٦] أَي: صَاحِبُوا مَن يَستَعمِلَ السَّدَادَ وَالإِستِقَامَةَ فِي القَولِ

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٩٩.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٧٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٣٣.
(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٥/ ١٩٥.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٣٨.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٣١٧.

وَالفِعلِ، وَرَافِقُوهُم وَلَا تَدعُوهُم، فَإِنَّه لَا يَنبَغِي لِلـمَرءِ أَن يُجَالِسَ الكَاذِبَ.

رُوِي: أَن أَبَا خَيثَمَة، تَخَلَّفَ عَن غَزوَةِ تَبُوكَ إِلى أَن مَضَى مِن مَصِيرِ رَسُول اللَّهِ ﷺ عَشَرَة أَيَّامٍ، ثُمَّ دَخَلَ يوماً بِشَأنِه، وَكَانَت لَهُ امرَأَةٌ حَسنَاءَ، فَرَشَت لَهُ في الظِّلِّ، وَبَسَطَت لَهُ الحَصِيرَ، وَقَرَّبَت إِلَيهِ الرُّطَبَ وَالـمَاءَ البَارِد.

فَنَظَرَ، وَقَالَ: ظِلٌّ ظَلِيلٌ، وَرُطَبٌ يَانِعٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ، وَامرَأَةٌ حَسنَاءَ، وَرَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الَّذِي قَد غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِه وَمَا تَأَخَّرَ في الضَّحِّ [١] وَالرِّيحِ، وَالحَرِّ وَالقَرِّ، يَحمِلُ سِلَاحَهُ علَى عَاتِقِهِ، وَأَبُو خَيثَمَةَ في ظِلَالٍ بَارِدٍ، وَطَعَام مُهَيَأ، وَامرَأَةٍ حَسنَاءَ، مَا هَذَا بِالنَّصَفِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّـهِ، لَا أُكَلِّمُ كَلِمَةً حَتَّى أَلحَقَ النَّبِيّ ﷺ.

فَقَامَ وَرَحَّلَ نَاقَتَهُ، وَأَخَذَ سَيفَهُ وَرُمحَهُ، وَمَرَّ كَالرِّيحِ، حَتَّى دَنَى مِن تَبُوك، فَمَدَّ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ طَرفَهُ إِلى الطَّرِيقِ، فَإِذَا بَرَاكِبٍ يَزهَاهُ السَّرَابُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ؟ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (هَذَا أَبُو خَيثَمَةَ) وَلـمَّا دَنَا قَالَ النَّاسُ: هَذَا أَبُو خَيثَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ، فَأَنَاخَ وَسَلَّمَ عَلَى رَسُول اللَّـهِ ﷺ فَفَرِحَ بِه النَّاسُ، فَقَالَ لَهُ خَيرَاً وَاستَغفَرَ لَهُ [٢].

---

(١) الضح: الشمس، الصحاح، الجوهري، مادة (ضحح): ١/ ٣٨٥.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٢١/ ٢٠٤.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾

قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ**﴾ أَي: ذَلِكَ النَّهيُ لَهُم وَالزَّجرُ عَن التَّخَلُّفِ، بِأَنَّهُم لَا يُصِيبُهُم عَطَشٌ: ﴿**وَلاَ نَصَبٌ**﴾ أَي: تَعَبٌ ﴿**وَلاَ مَخْمَصَةٌ**﴾ أَي: مَجَاعَةٌ؛ وَهي شِدَّةُ الجُوعِ لأَبدَانِهُم في طَاعَةِ اللَّهِ: ﴿**وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً**﴾ وَلَا يَضَعُونَ أَقدَامَهُم، وَلَا يَدُوسُونَ بِحَوَافِرِ خِيُولِهُم، وَأَحقَافِ رَوَاحِلَهُم: ﴿**يَغِيظُ الْكُفَّارَ**﴾ وَطَأْهُم إِيَّاهُ ﴿**وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً**﴾ وَلَا يُصِيبُونَ مِنَ الـمُشرِكِينَ أَمرَاً؛ مِن قَتلٍ، أَو جِرَاحَة، أَو أَسرٍ، أَو أَمرٍ يَغَمَّهُم ﴿**إِلاَّ كُتِبَ لَـهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾ وَطَاعَةٌ رَفِيعَةٌ[1].

﴿**إِنَّ اللهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْـمُحْسِنينَ**﴾ وَهَذَا تَحرِيضٌ عَلَى الجِهَادِ، وَأَعمَالِ الخَيرِ[2].

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢١﴾

﴿**وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً**﴾ أَي: في الجِهَادِ، وَلَا في غَيرِهِ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِعزَازُ دِينِ اللَّهِ، وَالتَقَرُّبُ إِلَيهِ: ﴿**إِلاَّ كُتِبَ لَـهُمْ**﴾ ثَوَابَ ذَلِكَ، بَلَ: ﴿**لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٤١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٤٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٤٣.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢)

أَي: فَهَلَّا نَفَرَ مِن كُلِّ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ؛ كَقَبِيلَةٍ، أَو أَهلِ بَلدَةٍ، جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ مِنهُم، لِيَتَكَفَّلُوا الفَقَاهَةَ، وَلِيَتَجَشَّمُوا الـمَشَاقَّ فِي تَحصِيلِهَا، لِيَجعَلُوا غَايَةَ سَعيِهِم، وَمِعظَمَ غَرَضِهِم بِالتَّفَقُّهِ، وَإِنذَارَهُم قَومَهُم وَإِرشَادَهُم: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ عِقَابَ اللَّـهِ وَيُطِيعُونَهُ، وَلَا يَعلَمُونَ بِخِلَافِهِ [١].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨)

العَزِيزُ: الشَّدِيدُ، وَمَعنَاهُ فِي صِفَاتِ اللَّـهِ تعَالَى: الـمَنِيعُ القَادِرُ [٢].

العَنَتُ: لِقَاءُ الشِّدَّةِ وَالأَذَى الَّذِي يَضِيقُ بِهِ الصَّدرُ [٣].

وَقَولُه تعَالَى: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ أَي: شَدِيدٌ عَلَيهِ عَنَتُكُم؛ أَي: مَا يَلحَقُكُم مِن الضَّرَرِ، بِتَركِ الإِيمَانِ بِاللَّـهِ [٤].

﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُم**﴾ أَي: عَلَى إِيمَانِكُم وَصَلَاحِ شَأنِكُم [٥].

(١) جمع الجوامع، الطبرسي: ٢/ ١٠٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٤٧.
(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٥/ ٢٠٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٤٩.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ١٨٤.

﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ أَي: بِالـمُؤمِنينَ فِيكُم، وَمِن غَيرِكُم [١].

﴿**رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ قَدَّمَ الأَبلَغَ فِيهِمَا، وَهوَ الرَّؤوفُ؛ لأَنَّ الرَّأْفَةَ: شِدَّةُ الرَّحمَةِ، مُحَافَظَةً عَلَى الفَوَاصِلِ [٢].

قِيلَ: الآيَتَانِ اللَّتَانِ فِي آخِرِ البَرَاءَةِ آخِر آيَة نَزَلَت مِنَ السَّمَاءِ، وَآخِرُ سُورَةٍ كَامِلَة نَزَلَت هِي سُورَة بَرَاءَة [٣] وَقِيلَ: آخِرُ القُرآن عَهداً بِالسَّمَاءِ هَاتَانِ الآيَتَانِ، خَاتِمَةُ سُورَةِ بَرَاءَة [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٠٦.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ١٨٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٤٩.

(٤) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ١١٥.



الفصل العاشر

سورة يونس



سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿إِنَّما مَثَلُ الْـحياةِ الدُّنْيا﴾ أي: صِفَةُ الحَيَاةِ الدُّنيا، وَشَبَّهَهَا في سُرعَةِ فَنائها وَزَوَالِهَا: ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ﴾ أي: بِذَلِكَ الـمَاءِ، وَهوَ: الـمَطَرُ؛ لأَنَّ الـمَطَرَ يَدخُلُ في خَلَلِ النَّبَاتِ فَيَختَلِطُ بِهِ، وَقِيلَ: مَعناهُ فَاختَلَطَ بِسَبَبِهِ بَعضُ النَّبَاتِ بِالبَعضِ: ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كَالحُبُوبِ وَالثِّمَارِ، وَالبَقُولِ وَالأَنعَامِ؛ كَالحَشِيشِ وَسَائِرِ المَرَاعِي[1].

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أَي: حُسنُهَا وَبَهجَتُها، وَتَزَيَّنَت بِأَصنَافِ النَّبَاتِ وَأَلوَانُهَا الـمُختَلِفَة، كَعرُوسٍ أَخَذَت مِن أَلوَانِ الثِّيَابِ وَالزِّينِ، فَتَزَيَّنَت بِهَا: ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ وَأَصلُ ازَيَّنَت: تَزَيَّنَت فَأُدغِمَ[2].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٦.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٩٣.

﴿**وَظَنَّ أَهْلُهَا**﴾ أَي: مَالِكُهَا: ﴿**أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**﴾ أَي: علَى الإِنتِفَاع بِهَا، وَمعنَاهُ: بَلَغَت الـمَبلَغ الَّذِي ظَنَّ أَهلُهَا أَنَّهُم يَحصِدُونهَا، وَيَقدِرُونَ علَى غِلَّتِهَا: ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً**﴾ أَي: أَتَاهَا عَذَابُنَا مِن بَردٍ، وَقِيلَ: أَتَاهَا حُكمُنَا وَقَضَاؤنَا بِإِهلَاكِهَا وَإِتلَافِهَا: ﴿**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً**﴾ أَي: مَحصُودَةٌ شَبِيهَةٌ بِمَا يُحصَدُ[١].

﴿**كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾ أَي: كَأَن لَم تَقُم عَلَى تِلكَ الصِّفَةِ بِالأَمسِ، وَمَعنَاهُ: كَأَن لَم تكُن، وَلَم تُوجَد مِن قَبلُ[٢] وَمَعنَى غَنِي بِالـمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ، وَالـمَغَانِي: الـمَنَازِل[٣].

﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ فِي مِثلِ هَذِه الآفَةِ، وَيَعتَبِرُونَ بِهَا، فَيَرجِعُونَ إِلَينَا بِالتَّوبَةِ وَالإِنَابَةِ، فَيَعبُدُونَنِي حَقَّ عِبَادَتِي[٤].

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿**وَاللهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلام**﴾ قِيلَ: إِنَّ السَّلَامَ هُوَ اللهُ تعَالَى عَزَّ اسمُهُ؛ فَإِنَّهُ يَدعُو إِلَى دَارِهِ؛ وَهي الجَنَّةُ، وَقِيلَ: دَارُ السَّلَامِ: الدَّارُ الَّذِي سَلِمَ فِيهَا مِنَ الآفَاتِ، وَقِيلَ: سُمِّيَت الجَنَّةُ دَارُ السَّلَامِ؛ لأَنَّ أَهلُهَا يُسَلِّمُ بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مُؤكَّدًا، وَالـمَلَائكَةُ تُسَلِّمُ عَلَيهِم، وَيُسَلِّمُ رَبهُم عَلَيهِم، فَلَا يَسمَعُونَ إِلَّا سَلَاماً، وَلَا يَرونَ إِلَّا سَلَامَةً، وَيُؤَيِّدَهُ قَولُه: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ**﴾[٥] وَمَا أَشبَهَهُ[٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٦.
(٣) معاني القرآن، النحاس: ٣/ ٥٥.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٧.
(٥) إبراهيم: ٢٣.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٧.

﴿**وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ أَي: إِلى الإِيمَانِ وَالدِّينِ الحَقِّ، بِالتَّوفِيقِ وَالتَّيسِيرِ وَالإِلطَافِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ يَهدِي مَن يَشَاء في الآخِرَةِ إِلى طَرِيقِ الجَنَّةِ الَّذِي يَسلُكُهُ الـمُؤمِنُونَ، وَيَعدِلُ عَنهُ الكَافِرُونَ إِلى النَّارِ [1].

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٦)

﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ**﴾ وَهِي الـمَثُوبَةُ وَالـمَنزِلَةُ الحُسنَى، جَزَاءً لِلأَعمَالِ الصَّالِحَةِ: ﴿**وَزِيَادَةٌ**﴾ أَي: وَمَا يَزِيدُ عَلَى الـمَثُوبَةِ تَفَضُّلاً [2] لِقَولِهِ: ﴿**وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ**﴾ [3] وَقِيلَ: الزِّيَادَةُ مِثلُ حَسَنَاتِهِم، وَالزِّيَادَةُ عَشرُ أَمثَالِهَا فَصَاعِدًا، إِلى سَبعُمَائِةٍ أَو أَكثَرَ [4] وَقِيلَ: الزِّيَادَةُ؛ مَغفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ [5] وَقِيلَ: الزِّيَادَةُ؛ غُرفَةٌ مِن لُؤلُؤةٍ وَاحِدَةٍ، لَهَا أَربَعَةُ أَبوَابٍ في الجَنَّةِ [6].

الرَّهَقُ: لِحَاقُ الأَمرِ، وَمِنهُ رَاهَقَ الغُلَامُ: إِذَا لَحِقَ بِالرِّجَالِ [7] وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ**﴾ أَي: وَلَا يَلحَقُ وُجُوهَهُم سَوَادٌ أَو غُبَارٌ [8].

وَالقَتَرُ: الغُبَارُ [9]: ﴿**أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٦.
(٢) جمع الجوامع، الطبرسي: ٢/ ١٢٢.
(٣) النساء: ٢/ ١٢٢.
(٤) جمع الجوامع، الطبرسي: ٣/ ١٠٤.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٣٤.
(٦) الدر المنثور، السيوطي: ٣/ ٣٠٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام وقيل: أربعة آلاف باب.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٧.
(٨) مقتنيات الدرر، الحائري: ٥/ ٢٣٨.
(٩) الصحاح، الجوهري، مادة (قتر): ٢/ ٧٨٥.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

العَاصِمُ: الحَافِظُ[1].

﴿**وَالَّذين كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها**﴾ أَي: يُجزَونَ بِمثلِ أَعمَالِها علَى قَدرِ مَا يَستَحِقُّ علَيها، مِن غيرِ زِيادةٍ؛ لأَنَّ الزِّيَادَة علَى قَدرِ الـمُستَحِّقِ مِنَ العِقَابِ ظُلمٌ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ علَى اللَّـهِ العَادِلِ فِعلُهُ، وَالـمِثلُ هُنَا: مِقدَارُ الـمُستَحَقِّ دُونَ زِيادَةٍ وَنَقِيصَةٍ[2].

﴿**وَتَرْهَقُهُمْ**﴾ أَي: وَيَلحَقُهُم هَوَانٌ: ﴿**مَّا لَـهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾ مَانِعٌ يَدفَعُ العِقَابَ عَنهُم: ﴿**كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً**﴾ كَأَنَّمَا أُلبِسَت وُجُوهُهُم ظُلمَةُ اللَّيلِ، وَالـمُرَادُ: وَصفُ وُجُوهِهِم بِالسَّوَادِ: ﴿**أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ**﴾[3].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً**﴾ أَي: الخَلَائقُ إِلى الـمَوقِفِ: ﴿**ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾ فِي عِبَادَتِهِم مَعَ اللَّـهِ غَيرَهُ، وَفِي أَموَالِهِم، فَقَالُوا: هَذَا لِلَّـهِ وَهَذَا لِشُرَكَائنَا: ﴿**مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ**﴾ أَي: اثبُتُوا وَالزَمُوا مَكَانَكُم، أَنتُم مَعَ شُرَكَائكُم؛ يَعنِي: الأَوثَانَ،

(١) الصحاح، الجوهري، مادة (عصم): ٥/ ١٩٨٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٧٩.

فَقَد صَحِبتُمُوهُم فِي الدُّنيَا، فَاصحَبُوهُم فِي الـمَحشَرِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ أَثبِتُوا مَن تَسأَلُونَ، كَقَولِه سُبحَانَهُ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾ [1].

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أَي: فَرَّقنَا بَينَهُم فِي الـمَسأَلَةِ، فَسَأَلنَا الـمُشرِكِينَ عَلَى حِدَةٍ: لِـمَ عَبَدْتُم هَذِه الجَمَادَات؟ وَسَأَلنَا الأَصنَامَ عَلَى حِدَةٍ: لِـمَ عُبِدْتُم: وَهَذَا سُؤَالُ تَقرِيعٍ وَتَبكِيتٍ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ فَزَيَّلنَا بَينَهُم وَبَينَ الأَوثَانِ، فَتَبَرَّأَ مِنهُم الشُّرَكَاءُ، وَانقَطَعَت أَسبَابُهُم، كَمَا قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ أَي: مَا كُنَّا نَشعُرُ بِأَنَّكُم إِيَّانَا تَعبُدُونَ، إِنَّمَا كُنتُم تَعبُدُونَ الشَّيَاطِينَ؛ حَيثُ أَمَرُوكُم أَن تَتَخِذُوا لِلَّهِ أَندَادَاً، وَقِيلَ: الشُّرَكَاءُ الـمَلَائِكَةُ وَالـمَسِيحُ، وَمَن عَبَدُوهُ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أُولِي العَقلِ، وَقِيلَ: الأَصنَامُ يُنطِقُهَا اللهُ تَعَالَى يَومَئِذٍ، يَتَكَلَّمُوا بِذَلِكَ مَكَانَ الشَّفَاعَةِ الَّتِي رَجَوهَا مِنهُم، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدَاً [2].

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

يُقَالُ: هُدِيتُ إِلَى الحَقِّ، وَهُدِيتُ لِلحَقِّ، بِمَعنَىً وَاحِدٍ [3] وَيُقَالُ: هُدِي بِنَفسِه؛ بِمَعنَى: اهتَدَى، كَمَا يُقَالُ: شَرَى، بِمَعنَى: اشتَرَى [4].

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أَي: فَإِن قَالُوا: لَا، عِندَ ذَلِكَ فِي جَوَابِ قَولِكَ لَهُم: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وَالرُشدِ، قُل لَهُم: اللهُ هُوَ الَّذِي

---

(١) الصافات: ٢٤، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٨١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٨٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٨٧.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٢٦.

يَهدِي النَّاسَ لِلحَقِّ، أَي: إلى طَرِيقِ الرَّشَادِ، أَي: النَّاس: ﴿**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ**﴾ وَالتَّوحِيدِ وَالرُّشدِ: ﴿**أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ**﴾ أَمرُهُ وَنَهيُهُ: ﴿**أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ**﴾ أَي: لَا يَهتَدِي بِنَفسِهِ، أَو: لَا يَهدِي غَيرَهُ، وَأَصلُ يَهِدِي يَهتَدِي فَاعِلٌ وَأُدغِمَ: ﴿**إِلاَّ أَن يُهْدَى**﴾ أَي: إِلَّا أَن يَهدِيَهُ اللهُ، وَهَذَا حَالُ شُرَكَائِهِم؛ كَالـمَسِيحِ وَعُزَيرٍ وَالـمَلَائِكَة: ﴿**فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ بِالبَاطِلِ الفَاسِدِ[1].

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً**﴾ في إِقرَارِهِم بِاللَّهِ إِلَّا ظَنًّا؛ لأَنَّهُ لَا يَستَنِدُ إِلى دَلِيلٍ: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ أَي: مِنَ العِلـمِ شَيئاً[2].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥١)

إِعلَم: إِنَّ دُخُولَ حَرفِ الإِستِفهَامِ عَلَى ثُمَّ، كَدُخُولِهِ عَلَى الفَاءِ وَالوَاوِ في نَحوِ قَولِهِ: ﴿**أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ آلآنَ**﴾[3].

﴿**وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ وَالأَوَّلُ إِستِفهَامٌ، مَعنَاهُ: الإِنكَارُ، وَالتَّقدِيرُ: أَحِينَ وَقَعَ بِكُم العِقَابُ الـمُقَدَّرِ الوَقتِ: ﴿**آمَنْتُم بِهِ**﴾ أَي: بِاللَّهِ في وَقتِ اليَأسِ، وَقِيلَ: بِالقُرآنِ، وَقِيلَ: بَالعَذَابِ الَّذِي كُنتُم تُنكِرُونَهُ، فَيُقَالُ لَكُم: ﴿**آلآنَ**﴾ أَي: الآن تُؤمِنُونَ بِهِ، وَقَد اضطَرَرتُم لِحُلُولِهِ: ﴿**وَقَدْ كُنتُم**﴾ بِالعَذَابِ: ﴿**تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ مِن قَبلُ، مُكَذِّبِينَ

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٣٧.

(٢) تفسير الرازي: ١٧/ ٩٢.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٣١.

مُستَهزِئينَ، فَتُفَظِّعُوا وَتُهَوِّلُوا [١].

قَالَ أَبُو جعفرٍ البَاقِرُ عليه السلام: (يُرِيدُ بِذَلِكَ عَذَاباً يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى فَسَقَةِ أَهلِ القِبلَةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ) [٢] نَعُوذُ بِاللَّـهِ مِنهُ.

وَقِيلَ: مَعنَاهُ أَثُمَّ إِنَّكُم سَتُؤمِنُونَ بِهِ؛ أَي: عِندَ وُقُوعِ العِقَابِ، فَلَا يَنفَعُكُم إِيمَانُكُم، وَنَظِيرُهُ قَولُهُ: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ [٣] وَدُخُولُ حَرفِ الإِستِفهَامِ عَلَى ثُمَّ كَدُخُولِهِ عَلَى الفَّاءِ وَالوَاوِ فِي قَولِه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى﴾ [٤] وَاوُ أَمِنَ الآن عَلَى إِرَادَةِ القَولِ؛ أَي: قِيلَ لَهُم، أَو: آمَنُوا بَعدَ وُقُوعِ العَذَابِ [٥].

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٣)

استَنبَأَهُ: طَلَبَ مِنهُ الخَبَرَ [٦].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿قُلْ أي وَرَبِّي﴾ أَي: قُل لَهُم: نَعَم وَحَقُّ رَبِّي اللهُ [٧] وَمَعنَى أي: نَعَم فِي القَسَمِ، كَمَا كَانَ هَل بِمَعنَى قَد فِي الإِستِفهَامِ خَاصَّةً [٨].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٩٧.
(٢) تفسير القمي: ١/ ٣١٢ عنه البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٣/ ٣٣ح ٤٩٠٦.
(٣) يونس: ٩١.
(٤) الأعراف: ٩٧.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٣١.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٣٩٢.
(٧) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٥/ ١٦٧.
(٨) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٣٢.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله: (مَن هَدَاهُ اللهُ لِلإِسلَامِ، وَعَلَّمَهُ القُرآنَ، ثُمَّ شَكَى الفَاقَةَ، كَتَبَ اللهُ الفَاقَةَ بَينَ عَينَيهِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ) ثُمَّ تَلَا قَولُهُ تعَالَى فِي سُورَةِ يُونُس: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ**...﴾[1].

لأَنَّهُ خَيرٌ لَكُم يَا أَصحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِمَّا يَجمَعُهُ هَؤلَاءِ الكُفَّارِ، مِنَ الأَموَالِ[2] وَقِيلَ: فَضلُ اللَّـهِ: الإِسلَامُ، وَرَحمَتُهُ: القُرآنُ[3].

وَقَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (فَضلُ اللَّـهِ: رَسُولُهُ، وَرَحمَتُهُ: عَلِيِّ بن أَبِي طَالِب عليه السلام)[4].

وَمَعنَى الآيَةُ: قُل يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لِيَفرَحُوا بِأَفضَالِ اللَّـهِ وَنِعمَتِهِ، أَو: القُرآنَ، ﴿**فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾ فَليَفرَح النَّاسُ؛ لأَنَّهُ خَيرٌ لَكُم يَا أَصحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِمَّا يَجمَعُهُ هَؤلَاءِ الكُفَّارُ مِنَ الأَموَالِ، يَعنِي: الفَرِحُونَ بِالدُّنيَا، الـمُغتَرِّينَ بِهَا، الجَامِعِين لَهَا، إِذَا كَانَ فَرَحُكُم بِشَيءٍ فَافرَحُوا بِفَضلِ اللَّـهِ عَلَيكُم، وَبِرَحمَتِهِ لَكُم؛ بِإِنزَالِ هَذَا القُرآنِ، وَبِإِرسَالِ هَذَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله إِلَيكُم، فَإِنَّكُم تَحصُلُونَ بِهِمَا نَعِيمَاً دَائمَاً مُقِيمَاً: ﴿**هُوَ خَيْرٌ**﴾ لَكُم مِمَّا يَجمَعُونَ مِن هَذِهِ الدُّنيَا الفَانِيَة: ﴿**بِفَضْلِ اللَّـهِ**﴾ أَي: بِإِفضَالِ اللّـهِ وَنِعمَتِهِ؛ لأَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِطلَاقُ الفَضلِ عَلَيهِ سُبحَانَهُ، فَوَضَعَ الفَضل فِي مَوضِعِ الإِفضَالِ، وَقِيلَ: إِنَّ إِضَافَةِ الفَضلِ إِلَى اللَّـهِ بِمَعنَى: الـمُلكِ، كَمَا يُضَافُ العَبدُ إِلَيهِ بِأَنَّه مَالِكٌ لَهُ[5].

(١) نور الثقلين، الحويزي: ٢/ ٣٠٧ح ٨٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٠١.
(٣) جامع البيان، الطبري: ١/ ٤٦٨ح ٩٤٨.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٣٤.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٠١.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠)

قَولُهُ: ﴿**وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ أَيُّ شَيءٍ يَظُنُّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ يُصِيبَهُم يومَ القِيامَةِ عَلَى افتِرَائهُم عَلَى اللَّهِ؛ أَي: لَا يَنبَغِي أَن يَظُنُّوا أَن يُصِيبَهُم عَلَى ذَلِكَ إِلَّا العَذَابَ الشَّدِيد، وَالعِقَاب الأَلِيم[١]: ﴿**إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ الآية.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦١)

يُقَالُ: شَأَنتُ شَأَنَهُ؛ أَي: قَصَدتُ قَصدَهُ[٢] وَمِنهُ الشَّأَنُ: الأَمرُ، يُقَالُ: مَا شَأَنُكَ[٣] وَهوَ قَولُ اللَّهِ تعالَى: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ**﴾ أَي: مَا تَكُونُ أَنتَ يَا مُحَمَّد ﷺ فِي حَالٍ مِنَ الأَحوَالِ، وَفِي أَمرٍ مِنَ أُمُورِ الدِّينِ؛ مِن تَبلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَتَعلِيمِ الشَّرِيعَةِ، وَغَيرُ ذَلِك[٤].

﴿**وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ**﴾ أَي: مَا تَقرَأ مِنَ اللَّهِ مِن قُرآنٍ، وَالقُرآنُ يَقَعُ عَلَى القَلِيلِ وَالكَثِيرِ مِنهُ[٥] وَهوَ إِضمَارٌ قَبلَ الذِّكرِ لِلتَفخِيمِ[٦] وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي: ﴿**مِنْهُ**﴾ للشَّأنِ؛

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٣٩٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٠٥.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٤٠٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٠٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٠٣.
(٦) مجمع البحرين، الطريحي: ٦/ ٢٧٠.

لأَنَّ تِلَاوَةِ القُرآنِ شَأَنٌ مِن مِعظَم شَأَنِ رَسُول اللّـهِ صلى الله عليه وآله (١).

يُقَالُ: أَفَاضَ فِي العَمَلِ؛ إِذَا اندَفَعَ فِيهِ (٢) وَالعُزُوبُ: الذِّهَابُ عَن الـمَعلُومِ، وَضِدَّهُ حُضُورُ الـمَعنَى لِلنَّفسِ (٣) وَهوَ بِالزَّاءِ الـمُعجَمَةِ.

﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أَي: تَدخُلُونَ وَتَخُوضُونَ فِيهِ (٤).

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ أَي: يَبعُدُ وَيَغِيبُ عَن عِلـمِ رَبِّكَ وَقُدرَتِهِ (٥).

﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أَي: نَملَةٌ صَغِيرَةٌ، أَو: هَبَاءً (٦).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (٧١)

أَي: عَزَمتُم عَلَى قَتلِي وَطَردِي مِن بَينِ أَظهُرِكُم: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وَفَوَّضتُ أَمرِي، وَبِهِ وَثِقتُ أَمرِي أَن يَكفِيَنِي.

وَهَذَا تَهدِيدٌ فِي صُورَةِ الأَمرِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ اعزِمُوا عَلَى أَمرِكُم وَادعُوا شُرَكَاءَكُم، فَبَيَّنَ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ لَا يَرتَدِع عَن دُعَائِهِم وَعَيبَ آلِهَتِهِم، مُستَعِيناً بِاللّـهِ عَلَيهِم، وَاثِقاً بِأَنَّهُ

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٣٥.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٣٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٠٢.

(٤) جامع البيان، الطبري: ١١/ ١٨٤.

(٥) غريب القرآن، الطريحي: ١١٢.

(٦) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٢٢٣.

يَعصِمَهُ مِنهُم: ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أَي: لَا يَكُن أَمرُكُم في قَصدِي عَلَيكُم غَمَّاً وَحُزنَاً بِأَن تَتَرَدَّدُوا فِيهِ [(١)].

وَالغُمَّةُ وَالغَمُّ بِمَعنَىً، كَالكِذبَةِ وَالكَذِب [(٢)].

وَقِيلَ: مَعنَاهُ: لَا يَكُن قَصدُكُم في إِهلَاكِي مَستُورَاً عَلَيكُم، وَلَكِن مَكشُوفَاً مَشهُورَاً تُجَاهِرُونَنَي بِهِ [(٣)] مِن غَمَتَ الشَّيء إِذَا سَتَرَهُ [(٤)].

﴿ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ﴾ أَي: مَا هُوَ حَقٌّ عِندَكُم مِن إِهلَاكِي، كَمَا يَقضِي الرَّجُلُ غَرِيمَهُ: ﴿وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ وَتُمهِلُونِي [(٥)].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾

اللَّفتُ: الصَّرفُ عَن الأَمرِ [(٦)] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ أَي: لِتَصرِفَنَا عَمَّا عَلَيهِ آبَاؤنَا مِن عِبَادَةِ الأَصنَامِ [(٧)].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢١١.
(٢) تفسير السمرقندي: ٢/ ١٢٥.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٣٩.
(٤) تاج العروس، الزبيدي، مادة (غمت): ٣/ ٩٧.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٤٦.
(٦) لسان العرب، ابن منظور، مادة (لفت): ٢/ ٨٤.
(٧) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٤١٥.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

الإِلقَاءُ: إِخراجُ الشَّيءِ عَن اليَدِ إِلى جِهَةِ الأَرضِ، وَقَولُهُ تعالَى: ﴿**قالَ لَـهُمْ مُوسى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ**﴾ فِيهِ حَذفٌ يَدُلُّ عَلَيهِ الظَّاهِرُ، وَتَقدِيرُهُ: فَلَـمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ بِالحِبَالِ وَالعِصِيِّ، قَالَ لَهُم مُوسَى عليه السلام: إِطرَحُوا مَا جِئتُم بِهِ [(١)].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

يُقَالُ: تبَوَّأَ فُلَانٌ لِنَفسِهِ بَيتاً؛ أَي: اتَّخَذَهُ [(٢)] وَقَولُه تعَالَى: ﴿**وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً**﴾ أَي: اتَّخِذَا لِـمَن آمَنَ بِكُمَا: ﴿**بِمِصْرَ بُيُوتاً**﴾ يَعنِي البَلَدَةُ الـمَعرُوفَة بُيوتاً يَسكُنُونَ وَيَأوونَ إِلَيهَا [(٣)].

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾

قَولُهُ تعالَى: ﴿**رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ**﴾ وَالـمُرَادُ بِالطَّمسِ عَلَى أَموَالِهِم: تَغيِّرُهَا عَن جِهَتِهَا إِلى جِهَةٍ لَا يُنتَفَعُ بِهَا، وَقَالَ الـمُفَسِّرُونَ: صَارَت جَمِيعُ أَموَالِهِم حِجَارَةً حَتَّى السُّكَّرُ بِدُعَاءِ مُوسَى عليه السلام ﴿**وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾ الشَّدُّ عَلَى القَلبِ: عِبَارَةٌ عَن الخُذلَانِ؛ أَي: عَدَمُ النُّصرَةِ [(٤)].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢١٥.
(٢) جامع البيان، الطبري: ١١/ ١٩٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢١٩.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي:٢/ ١٤٤.

وَرُوِي عَن الصَّادِقِ عليه السلام: (أَنَّهُ مَكَثَ فِرعَونُ بَعدَ هَذَا الدُّعَاءِ أَربَعِينَ سَنَةً) [١] عَلَيهِ اللَّعن.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠)

يُقَالُ: جَاوَزَهُ وَجَاوَزَ بِهِ؛ إِذَا خَلَّفَهُ [٢].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ أَي: عَبَرنَا بِهِم البَحرَ، حَتَّى جَاوَزُوهُ سَالِمِينَ: ﴿**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً**﴾ أَي: أَدرَكَهُم فِرعَونُ وَجُنُودَهُ بَاغِينَ عَادِينَ، أَو: لِلبَغي وَالعَدوِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ لَـمَّا أَجَابَ دُعَاءَ مُوسَى عليه السلام أَمَرَهُ بِإِخرَاجِ بَنِي إِسرَائِيلَ مِن مِصرَ البَلَد الـمَعرُوفِ، فَخَرَجَ وَتَبِعَهُم فِرعَونُ وَجُنُودَهُ مُشرِقِينَ، حَتَّى انتَهوا إِلى البَحرِ.

وَأَمَرَ اللهُ سُبحَانَهُ مُوسَى عليه السلام فَضَرَبَ البَحرَ بِعَصَاه، فَانفَلَقَ إِثنَي عَشَرَ فَرقاً، وَصَارَ لِكُلِّ سِبطٍ طَرِيقٌ يَابِسٌ، وَارتَفَعَ بَينَ كُلِّ طَرِيقَينِ الـمَاءُ كَالجَبَلِ، وَصَارَ فِي الـمَاءِ شِبهُ الخُرُوقِ، فَجَعَلَ بَعضَهُم يَنظُرُ إِلَى بَعضٍ.

فَلَـمَّا وَصَلَ فِرعَونُ بِجُنُودِه إِلى البَحرِ، وَرَأَوا البَحرَ بِتِلكَ الهَيأَةِ، فَهَابُوا دُخُولَ البَحرِ، وَكَانَ فِرعَونُ عَلَى حِصَانٍ أَدهَم، فَجَاءَ جَبرَئِيلُ عَلى فَرَسٍ وَدِيقٍ، وَخَاضَ البَحرَ، وَمِيكَائِيلُ يَسُوقُهُم، فَلَـمَّا شَمَّ أَدهَمُ فِرعَون رِيحَ فَرَسِ جَبرَئِيل عَقِبَهُ انسَلَّ خَلفَهُ فِي الـمَاءِ، فَاقتَحَمَت الخُيُولُ خَلفَهُ، فَلَـمَّا دَخَلَ آخِرَهُم البَحرَ، وَهَمَّ أَوَّلُهُم أَن

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ١٣/ ٨٦.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، مادة (جوز): ٨/ ٣٤.

يَخْرُجَ انطَبَقَ الـمَاءُ عَلَيهِم: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ أَي: فِرعَونُ، وَأَيقَنَ بِالهَلَاكِ: ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾ [(١)].

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٩٢)

النَّجوَةُ مِنَ الأَرضِ: الـمَكَانُ الـمُرتَفِعُ [(٢)].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أَي: نُلقِيكَ بِنَجوَةٍ مِنَ الأَرضِ، فِي الحَالَةِ الَّتي لَا رُوحَ فِيهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَعضَ بَنِي إِسرَائيلَ أَنكَرَ غَرَقَهُ، وَقَالَ: هُوَ أَعظَمُ شَأْنَّاً مِن أَن يَغرَق، إِنَّمَا أَخرَجَهُ اللهُ حَتَّى رَأَوهُ [(٣)].

وَقِيلَ: نُخَلِّصُك مِنَ البَحرِ، وَأَنتَ مَيِّتٌ، عَارِياً مِنَ الرُّوحِ، أَو: عُريَانَاً مِنَ اللِّبَاسِ، أَو: بِدِرعِكَ الَّذِي مِن ذَهَب يُعرَف بِهِ، وَالـمَعنَى: نَرفَعُكَ وَنَعلُوكَ فَوقَ الـمَاءِ بِدِرعِكَ، لِتَكُونَ لِـمَن خَلفَكَ مِنَ القُرُونِ آيَةً وَعَلَامَةً، عِبرَةً وَنَكَالَةً عَلَى الطُّغيَانِ، فَلَا يَفعَلُوا مِثلَ فِعَالَكَ [(٤)].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٢٣.
(٢) العين، الفراهيدي، مادة (نجو): ٦/ ١٨٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٤٦.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٢٤.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٩٨﴾

يُقَالُ: أَغَامَت السَّمَاءُ غَيمَاً أَسوَدَاً هَائلاً، يُدَخِّنُ دُخَانَاً شَدِيدَاً، ثُمَّ هَبَطَ، وَاسوَدَّت السُّطُوح [١].

قَالَ أَبُو عَبدِ اللَّهِ عليه السلام: (كَانَ فِيهُم رَجُلٌ اسمُهُ مَلِيخَا عَابِدٌ، وَآخَر اسمُهُ رُوبِيل عَالِمٌ، وَكَانَ العَابِدُ يُشِيرُ عَلَى يُونُس بِالدُّعَاءِ عَلَيهِم، وَكَانَ العَالِمُ يَنهَاهُ، وَيَقُولُ لَهُ: لَا تَدعُ عَلَيهِم، فَإِنَّ اللهَ يَستَجِيبُ لَكَ، وَلَا يُحِبُّ هَلَاكَ عِبَادِه.

فَقَبِلَ يُونُس قَولَ العَابِدِ، فَدَعَا عَلَيهِم، فَأَوحَى اللهُ تعَالَى إِلَيهِ: أَنَّهُ يَأَتِيهِم العَذَابُ فِي شَهرِ كَذَا، فِي يَومِ كَذَا، فَلَـمَّا قَرُبَ الوَقتُ، خَرَجَ يُونُس مِن بَينَهُم مَعَ العَابِدِ، وَبَقِيَ العَالِمُ فِيهِم.

فَلَـمَّا كَانَ اليَومَ الَّذِي نَزَلَ بِهِم العَذَابَ، قَالَ لَهُم العَالِمُ: افزَعُوا إِلَى اللَّهِ فَلَعَلَّهُ يَرحَمكُم، وَيَرُدُّ العَذَابَ عَنكُم، فَاخرُجُوا إِلَى الـمَفَازَةِ، وَفَرِّقُوا بَينَ النِّسَاءِ وَالأَولَادِ، وَبَينَ سَائِرِ الحَيَوَانَ وَأَولَادُهَا، ثُمَّ ابكُوا وَادعُوا، فَفَعَلُوا فَصُرِفَ عَنهُم العَذَابُ، وَكَانَ قَد نَزَلَ بِهِم، وَقَرُبَ مِنهُم.

وَفَرَّ يُونُسُ عَلَى وَجهِهِ مُغَاضِبَاً، كَمَا حَكَى اللهُ تعَالَى عَنهُ، حَتَّى انتَهَى إِلَى سَاحِلِ البَحرِ، فَإِذَا سَفِينَةٌ قَد شُحِنَت، وَأَرَادُوا أَن يَدفَعُوهَا، فَسَأَلَهُم يُونُس أَن يَحمِلُوهُ فَحَمَلُوهُ.

فَلَـمَّا تَوَسَّطُوا البَحرَ، بَعَثَ اللهُ عَلَيهِم حُوتَاً عَظِيمَاً، فَحبَسَ عَلَيهِم السَّفِينَةَ، فَتَسَاهَمُوا، فَوَقَعَ مِن بَينَهُم السَّهمُ عَلَى يُونُس، فَأَخرَجُوهُ فَأَلقَوهُ فِي البَحرِ، فَالتَقَمَهُ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٣٠.

الحُوتُ، وَمَرَّ بِهِ في الماءِ.

وَقِيلَ: إنَّ الـمَلَّاحِينَ قَالُوا: نَقتَرِع، فَمَن صَابَتهُ القُرعَةُ أَلقَيناهُ في الـمَاءِ، فَإِنَّ هَاهُنَا عَبداً عَاصِياً آبِقاً، فَوَقَعَت القُرعَةُ سَبعَ مَرَّاتٍ على يُونُس، فَقَامَ وَقَالَ: أَنَا العَبدُ الآبِق، وَأَلقَى نَفسَهُ في الـمَاءِ، فَابتَلَعَهُ الحُوتُ، فَأَوحَى اللهُ إِلى ذَلِكَ الحُوت: لَا تُؤذِ شَعرَةً مِنهُ، فَإِنِّي جَعَلتُ بَطنَكَ سِجنَهُ، وَلَم أَجعَلهُ طَعَامَكَ، فَلَبَثَ في بَطنِهِ ثَلَاثَة أَيَّامٍ، وَقِيلَ: سَبعَةَ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: أَربَعِينَ يوماً) [١].

وَقَد سَأَلَ بَعضَ اليَهُودِ أَمِيرُ الـمُؤمِنِينَ عَلِيَّاً عليه السلام عَن سِجنٍ طَافَ أَقطَارَ الأَرضِ بِصَاحِبِه؟ فَقَالَ لَهُ: (يَا يَهُودِيّ؛ هُوَ الحُوتُ الَّذِي حُبِسَ يُونُسُ في بَطنِهِ، فَدَخَلَ في بَحرِ قَلزَم، حَتَّى خَرَجَ إِلى بَحرِ مِصرَ، ثُمَّ سَارَ مِنهَا إِلى بَحرِ طَبَرستَان، ثُمَّ خَرَجَ مِن دِجلَةَ)[٢].

قَالَ عَبدُ اللَّـهِ بِن مَسعُودٍ: ابتَلَعَ الحُوتُ حُوتاً آخَر، فَأَهوَى بِهِ إِلى قَرَارِ الأَرضِ، وَكَانَ في بَطنِه أَربَعِينَ لَيلَةً: ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[٣] فَاستَجَابَ اللهُ لَهُ، فَأَمَرَ الحُوتَ، فَنَبَذَهُ عَلَى سَاحِلِ البَحرِ، وَهوَ كَالفَرخِ الـمُتَمَعِّط [٤].

فَأَنبَتَ اللهُ عَلَيهِ شَجَرَة مِن يَقطِين، فَجَعَلَ يَستَظِلُّ تَحتَهَا، وَوَكَّلَ اللهُ بِهِ وَعلاً يَشرَبُ مِن لَبَنِهَا، فَيَبَستِ الشَّجرَةُ، فَبَكَى عَلَيهَا، فَأَوحَى اللهُ تعَالَى إِلَيهِ: تَبكِي عَلَى شَجَرَةٍ يَبَسَت، وَلَا تَبكِي عَلَى مَائَةَ أَلفٍ أَو يَزِيدُونَ، أَردتَ أَن أُهلِكَهُم؟

فَخَرَجَ يُونُس، فَإِذَا هُوَ بِغُلَامٍ يَرعَى، فَقَالَ: مَن أَنتَ؟ قَالَ: مِن قَومِ يُونُس، قَالَ:

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٣٠.

(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٥/ ٢٨٥.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) وهو الممدود، العين، الفراهيدي، مادة (معط): ٢/ ٢٨.

إِذَا رَجعتَ إِلَيهِم، فَأَخبِرهُم أَنَّكَ لَقِيتَ يُونُس، فَأَخبَرَهُم الغُلَامُ، وَرَدَّ اللهُ عَلَيهِ بَدَنَهُ، وَرَجعَ إِلى قَومِهِ، وَآمَنُوا بِه، وَقِيلَ: إِنَّهُ عليه السلام أُرسِلَ إِلى قَومٍ غَير قَومِه الأَوَّلِينَ [1].

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (١٠٢)

يُقَالُ: أَيَّامُ فُلَانٍ؛ يَعنِي: أَيَّامَ دَولَتِه، أَو: أَيَّام مِحنَتِهِ، وَمِثْلُهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ وَاللَّفظُ لَفظُ الإِستِفهَام، وَالـمُرَادُ بِهِ النَّفي؛ أَي: أَفَهَل يَنتَظِرُ هَؤلَاءِ الَّذِينَ أُمِرُوا بِالإِيمَانِ فَلَم يُؤمِنُوا، وَبِالنَّظرِ فِي الأَدِلَّةِ فَلَم يَنظُرُوا، إِلَّا العَذَابَ وَالهَلَاكَ فِي مِثلِ الأَيَّامِ الَّتِي هَلَكَ مَن قَبلَهُم مِنَ الكُفَّارِ فِيهِ [2].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧)

وَالـمُرَادُ: إِن أَمسَسكَ اللهُ ضُرّاً؛ أَي: جَعَلَ الضُرَّ يَمَسُّكَ، فَالفِعلُ لِلضُرِّ، وَإِن كَانَ الظَّاهِر قَد أُسنِدَ إِلى اسمِ اللَّـهِ تعَالَى، وَالضُرُّ: إِسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُتَضَرَّرُ بِهِ مِنَ الـمَكَارِهِ، كَمَا أَنَّ الخَيرَ إِسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُنتَفَعُ بِهِ [3].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٣٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٣٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٤/ ٢٠.



الفصل الحادي عشر

سورة هود



﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١)

حَكَمَ: إِذَا صَارَ حَكِيماً، وَأَحكَمَ الدَّابَةَ: وَضَعَ عَلَيهَا الحِكمَةَ لِتَمنَعَهَا مِن الجِمَاحِ، وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿أُحْكِمَتْ آياتُهُ﴾ أَي: نُظِّمَت نَظمَاً مَخصُوصَاً لَا نَقضَ فِيهِ، وَلَا خَلَل، كَالبِنَاءِ المُحكَمِ، أَو: جُعِلَت آيَاتُهُ حِكمَةً، أَو: مَنَعَت عَن الفَسَادِ[1].

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ كَمَا تُفَصَّلُ القَلَائدَ بِدَلَائلِ التَّوحِيدِ وَالمَوَاعِظِ، وَالأَحكَامِ وَالقَصَصِ، وَمَعنَى ثُمَّ: التَرَّاخِي فِي الحَالِ لَا فِي الوَقتِ، كَمَا تَقُولُ: هِي مُحكَمَةٌ أَحسَنَ الإِحكَامِ، ثُمَّ مُفَصَّلَةٌ أَحسَنَ التَّفصِيلِ[2].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٥٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٥٤.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣)

قَولُهُ تَعالَى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**﴾ أَي: في الـمُستَأنَفِ، وَقِيلَ: إِنَّ ثُمَّ هُنَا بِمَعنَى الوَاوِ؛ لأَنَّ الاستِغفَارَ وَالتَّوبَةَ وَاحِدٌ، فَتَكُونُ التَّوبَةَ تَأكِيداً للإستِغفَارِ [(١)].

﴿**وَإِن تَوَلَّوْاْ**﴾ أَي: وَإِن تَتَوَلَّوا، فَحَذَفَ إِحدَى التَّاءينِ، وَمعَنَاهُ: تُعرِضُوا [(٢)].

﴿**فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**﴾ أَي: قُل لَهُم يَا مُحَمَّد ذَلِكَ، وَهَذَا الخَوفُ لَيسَ في مَعنَى الشَّكِّ، بَل هُوَ في مَعنَى اليَقِينِ؛ أَي: وَقُل لَهُم: إِنِّي أَعلَمُ إِنَّ لَكُم عَذَاباً عَظِيماً يومَ القِيَامَةِ [(٣)].

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥)

الإستِغشَاءُ: طَلَبُ خَفَاءِ الشَّيء، وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ**﴾ أَي: يَتَغطَونَ بِهَا؛ كَرَاهَةً لإِستِمَاعِ كَلَامِ اللَّـهِ [(٤)].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٤١.
(٢) جمع الجوامع، الطبرسي: ٢/ ١٥٥.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٤٢.
(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ١٤٦.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨)

قَولُه تعَالَى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ**﴾ أَي: لَا وَقت مَعلُوم [١] وَالأُمَّةُ هُنَا بِمَعنَى الحُسَين عليه السلام.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢)

قَالَ الإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام: (إِنَّ رَسُول اللَّـهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَلِيٍّ عليه السلام: يَا عَلِيُّ، إِنِّي سَأَلتُ رَبِّي أَن يُوَالِيَ بَينِي وَبينَكَ فَفعَلَ، وَسَأَلتُ رَبِّي أَن يُؤاخِي بَينِي وَبَينَكَ فَفعَلَ، وَسَأَلتُ رَبِّي أَن يَجعَلَكَ وَصِيِّي فَفَعَل) [٢].

فَقَالَ بَعضُ القَوم: وَاللَّـهِ، لَصَاعُ مِن تَمرٍ فِي شَنٍّ بَالٍ، أَحَبُّ إِلَينَا مِمَّا سَأَلَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رَبَّهُ، فَهَلَّا سَأَلَ رَبَّهُ مُلكاً يَعضِدَهُ عَلَى عَدُوِّهُ، أَو كَنزاً يَستَعِينُ بِهِ عَلَى فَاقَتِهِ، فَنزَلَت [٣].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٤٥٢.
(٢) تفسير العياشي: ٢/ ١٤١ح ١١.
(٣) الكافي، الكليني: ٨/ ٣٧٨ح ٥٧٢.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾

قَولُهُ تعالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ معنَاهُ: بَل أَيَقُولُونَ افترَى القُرآنَ وَاخترَعَهُ، وَأَتَى بِهِ مِن عِندِ نَفسِهِ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ عَلَى اللَّهِ فِي البَيَانِ، وَحُسنِ النَّظمِ وَالفَصَاحَةِ، فَإِنَّ القُرآنَ نَزَلَ بِلُغَتِكُم، وَقَد نَشَأتُ أَنَا بَينَ أَظهُرِكُم بِزَعمِكُم، فَإِن لَمْ يُمكِنكُم ذَلِكَ فَاعلَمُوا أَنَّه مِن عِندِ اللَّهِ [١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

الخَبتُ: الأَرضُ المُستَوِيَةُ الوَاسِعَةُ [٢] وَمِنهُ قَولُهُ تعالَى: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أَي: اطمَأَنُّوا إِلَيهِ، وَخَشَعُوا لَهُ، وَانقَطَعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ وَذِكرِهِ [٣].

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾

وَالإِزدِرَاءُ: الإِحتِقَارُ [٤] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أَي: لَا أَقُولُ لِهَؤُلَاءِ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ تُحَقِّرُهُم أَعيُنُكُم لِمَا تَرَونَ عَلَيهِم مِنَ الفَقرِ [٥].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٥٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٥٩.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٦٢.
(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٢٠٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٦٧.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤)

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ**﴾ شَرطٌ جَزَاؤهُ مَا دَلَّ عَلَيهِ قولُه: ﴿**وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي**﴾ وَهذَا الدَّالُّ في حُكمِ مَا دَلَّ عَلَيهِ، فَوصِلَ بِشَرطٍ، كَمَا يُوصَلُ الجَزَاءُ بِالشَّرطِ في قَولهِم: إن أَحسَنتَ إِلَيَّ أَحسَنتُ إِلَيكَ إِن أَمكَنَني، وَأَمَّا الـمَعنَى في قَولِه: ﴿**إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ**﴾ فهوَ: أَنَّ الكَافِرَ إِذَا عَلِمَ اللهُ مِنهُ الإِصرَارَ عَلَى الكُفرِ، فَخَلَّاهُ وَشَأنَهُن وَلَم يَقسِرهُ علَى الإِيمَانِ، سُمِّي ذَلِكَ إِغوَاءً وَإِضلالاً، كَمَا أَنَّهُ إِذا عَرَفَ مِنهُ الإِرعِوَاءَ إِلى الإِيمَانِ، فَلَطَفَ بِه سُمِّي إِرشَاداً وَهِدَايَةً [1].

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

قَولُهُ: ﴿**فَلاَ تَبْتَئِسْ**﴾ أَي: فَلَا تَحزَنَ حُزنَ بَائسٍ مِسكِينٍ [2].

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (٣٧)

﴿**وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ**﴾ أَي: لَا تَشفَعَ لَهُم، فَـ: ﴿**إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾ عَن قَرِيبٍ، وَهَذَا غَايَةٌ في الوَعِيدِ، كَمَا يَقُولُ الـمَلِكُ لِوَزِيره: لَا تَذكُر حَدِيث فُلَانٍ بَينَ يَدَي [3].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٦٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٦٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٧١.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ ﴿٤٠﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**قُلْنَا احْمِلْ فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**﴾ أَي: قُلنَا لِنُوحٍ عليه السلام لـمَّا فَارَ الـمَاءُ مِنَ التَّنُّورِ: احمِل فِيهَا مِن كُلِّ جِنسٍ مِنَ الحَيوَانِ زَوجَينِ؛ أَي: ذَكَرٍ وَأُنثَى [1].

وَحَذَفَ الـمُضَاف إِلَيهِ مِن كُلٍّ، وَالـمُرَادُ: مِن كُلِّ شَيءٍ زَوجَينِ، فَعَلَى هَذَا انتَصَب اثنَين علَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِزَوجَينِ [2].

﴿**وَأَهْلَكَ إلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ**﴾ أَي: وَاحمِل أَهلَكَ وَولدُكَ إِلَّا مَن سَبَقَ الوَعدُ بِإِهلَاكِهِ، وَالإِخبَارُ بِأَنَّهُ لَا يُؤمِنُ؛ وَهِي امرَأَتهُ الخَائِنَة وَاسمُهَا وَاغِلَة، وَابنُه كَنعَان: ﴿**وَمَنْ آمَنَ**﴾ أَي: وَاحمِل مِن غَيرِ أَهلِكَ: ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ**﴾ وهُم ثَمَانُونَ إِنسَانَاً، وَقِيلَ: إِثنَان وَسَبعُونَ رَجُلَاً وَامرَأَةً، وَبَنُوهُ الثَّلَاثَة [3].

﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡر۪ىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ﴿٤١﴾

الرُّسُوّ: الوُقُوفُ، ضِدَّ الجَرَي [4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٩٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥/ ٤٨٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٧٩.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٣/ ١٠٧.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (٤٣)

الإِعتِصَامُ: طَلَبُ النَّجَاةِ[١].

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٤)

الإِقلَاعُ: الإِمسَاكُ[٢].

البَلعُ: النَّشفُ[٣].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ أَي: أَنشِفِيهِ وَتَشَرَّبِي مَاءَكَ الَّذِي انبَعَثَت بِهِ العُيُونُ، لَا تُبقِي عَلَى وَجهُكِ شَيء مِنهُ، وَجَرَى مجَرَى أن قِيلَ لَهَا: وَابلَعِي فَبلَعَت: ﴿وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي﴾ أَي: أَمسِكِي عَن المَطَرِ فَأَقلَعَت؛ أَي: أَمسَكَت: ﴿وَغِيضَ الْمَاء﴾ أَي: ذَهَبَ، مِن غَاضَهُ إِذَا نَقَّصَهُ[٤].

وَيُقَالُ: إِنَّ الأَرضَ ابتَلَعَت جَمِيعَ مَائهَا بَعدَ الطُّوفَانِ، وَمَاءُ السَّمَاءِ لِقَولِه: ﴿وَغِيضَ الْمَاء﴾ وَقِيلَ: لَم تَبتَلِع مَاءَ السَّمَاءِ لِقَولِه: ﴿وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي﴾ وَإِنَّمَا السَّمَاء صَارَ بِحَارَاً وَأَنهَارَاً، وَهوَ المَروِيُّ عَن أَئمَّتِنَا عليهم السلام[٥].

(١) معاني القرآن، النحاس: ٣/ ٣٥٣.
(٢) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٥/ ٢٢٥.
(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ٦/ ١٧١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٨١.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٨١.

الجُودِي: جَبَلٌ بِالـمَوصِلِ، وَقِيلَ: بِالشَّامِ [(١)].

يُقَالُ: بَعُدَ بُعداً؛ إِذَا أَرَادُوا البُعدَ البَعِيد، مِن حَيثُ الهَلَاكَ وَالـمَوت وَنَحوِ ذَلِكَ [(٢)] وَفِيهِ مَعنَى الدَّعَاءِ الَّذِي اختَصَّ بِالسُّوءِ.

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ أَي: قَالَ اللهُ تعَالَى ذَلِكَ، وَمَعنَاهُ: ابعَدَ اللهُ الظَّالِمِينَ مِن رَحمَتِه، وَنصبُهُ عَلَى الـمَصدَرِ، التَّنحِيَةُ: التَّبعِيدُ[(٣)].

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٦)

الغَبَاوَةُ: الجَهلُ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٧)

وَمَعنَى العِيَاذُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ.

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٢٨٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٧١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٨٢.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾

المِدرَارُ: المَطَرُ المُتَتَابِعُ المُتَوَاتِرُ [1].

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

يُقَالُ: عَرَاهُ يَعرُوهُ؛ إِذَا أَصَابَهُ [2] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ**﴾ أَي: مَا نَقُولُ فِيكَ إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَكَ [3].

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٥٩﴾

الجَبَّارُ: الرُّؤسَاءُ، وَقِيلَ: الجَبَّارُ؛ مَن يَقتُل وَيَضرِب عَلَى غَضَبِه، وَالعَنِيدُ: الكَثِيرُ العِنَادِ، الَّذِي لَا يَقبَلُ الحَقَّ [4].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٤/ ٨١.

(٢) المصباح المنير، الفيومي: ٢/ ٤٠٦.

(٣) كنز الدقائق، المشهدي: ٦/ ١٨٦.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٩٢.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٦١)

﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ**﴾ مِن العُمرِ، نَحوَ: استبقَاكُم، مِنَ البَقَاءِ، وَقِيلَ: هُوَ مِن العُمرَى، فَيَكُونُ: ﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ**﴾ بِمَعنَى: أَعمَرَكُم؛ أَي: أَعمَرَكُم فِيهَا دِيَارَكُم، ثُمَّ هُوَ وَارِثُهَا مِنكُم إِذَا انقَضَت أَعمَارَكُم، وَبِمعَنَى: جَعَلَكُم مُعَمِّرِينَ دِيَارَكُم فِيهَا؛ لأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَرَّثَ دَارَهُ غَيرُهُ مِن بَعدِهِ فَكَأَنَّمَا أَعمَرَهُ إِيَّاهَا؛ لأَنَّهُ يَسكُنُهَا عُمرُهُ، ثُمَّ يَترُكُهَا لِغَيرِهِ [١].

وَقَولُهُ: ﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ أَي: جَعَلَكُم عُمَّارَ الأَرضِ، وَاستِعمَارَهُم فِيهَا هُوَ: أَمرُهُم بِعِمَارَتِهَا، وَقِيلَ: استَعمَرَكُم: مِنَ العُمرِ، كَمَا مَرَّ نَحوَ استَبقَاكُم [٢].

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢)

يُقَالُ: أَرَابَهُ؛ إِذَا أَوقَعَهُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَرَابَ الرَّجُلُ؛ إِذَا كَانَ ذَا رِيبَةٍ، وَمِنهُمَا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيب**﴾ [٣].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٧٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٩٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٧٧.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (٦٣)

يُقَالُ: خَسَّرَهُ؛ إِذَا نَسَبَهُ إِلى الخُسرَانِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ خَسِرتَ [١].

﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٦٤)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَيا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ**﴾ أَي ذَلِكُم، انتَصَبَ آيَة عَلَى على الحَالِ وَعَامِلُهَا مَعنَى الإِشَارَةِ، وَ: ﴿**لَكُمْ**﴾ حَالٌ أَيضاً مِن آيَةٍ تَقَدَّمَت عَلَيهَا لِتَنكِيرِهَا [٢] وَالـمَعنَى: إِن شَكَكّتُم فِي نُبُوَّتِي، فَهَذِهِ النَّاقَةُ مُعجِزَةٌ لِي، وَإِضَافَتُهَا إِلى اللَّهِ تَشرِيفاً لَهَا، كَمَا يُقَالُ: بَيتُ اللَّهِ [٣].

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (٦٥)

تُسَمَّى البَلَدُ: الدَّارُ؛ لأَنَّهُ يُدَارُ فِيهِ بِالتَّصَرُّفِ، يُقَالُ: دِيَارُ بَكرٍ لِبلَادِهُم [٤].

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤٣.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٢٩٨.
(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٠٤.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾

الخِزيُ: الذُّلُ وَالفَضِيحَةُ [١] وَخِزيُ اللَّهِ: غَضَبُهُ وَبَأسُهُ وَنَكَالُهُ [٢].

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿**قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ**﴾ قِيلَ: ذَلِكَ قَولُهم: أَهلاً وَمرحَباً، وَ: ﴿**سَلاَمٌ**﴾ أَي: أَمرُكُم سَلَامٌ [٣].

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧٠﴾

الإِيجَاسُ: الإِدرَاكُ، وَقِيلَ: الإِضمَارُ [٤].

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿٧٢﴾

قَولُهُ تعالَى: ﴿**يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾ أَي: قَالَت سَارَة: يَا عَجَبَاً، يَعنِي: هَذَا شَيءٌ عَجِيبٌ، أَن أَلِدَ ـ وَقَد شِختُ ـ مِن زَوجٍ شَيخٍ، وَأَصلُهُ فِي الشَّرِّ، وَأُطلِقَ فِي كُلِّ أَمرٍ

(١) تفسير أبي السعود: ٣/ ٣٢.
(٢) التفسير الأصفى، الكاشاني: ١/ ٥٤٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٧٩.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٢٩٥.

فَظِيعٍ، وَلَمْ تُرِدْ بِقَولِهَا: ﴿يَا وَيْلَتَى﴾ الدُّعَاءَ عَلَى نَفسِهَا بِالوَيلِ، وَلكِنَّهَا كَلِمَةٌ تَجرِي عَلَى أَفوَاهِ النِّسَاءِ إِذَا طَرَأَ عَلَيهِنَّ مَا تعَجَّبنَ مِنهُ، وَقِيلَ: إِنَّهَا لَمْ تَتَعَجَّب مِن قُدرَةِ اللَّـهِ، وَلَكِنَّهَا أَرَادَت أَن تَعرِف أَتَتَحَوَّلُ شَابَّةً أَم تَلِد عَلَى تِلكَ الحَالِ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَجَبٌ[١].

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ (٧٣)

الـمَجِيدُ: الكَرِيمُ الـمُعَظَّمُ[٢].

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ (٧٥)

الحَلِيمُ: ضِدَّ العَجُولِ[٣].

يُقَالُ: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ أَي: كَثِيرُ التَّأَوُّه؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لـمَا رَأى الخَلَقَ الكَثِير فِي النَّارِ تَأَوَّه لَهُم[٤].

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ (٧٧)

الذَّرعُ: القَلبُ[٥].

يُقَالُ: عَصَبَهُ اليَومَ وَالأَمرَ؛ إِذَا شَدَّهُ[٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٠٨.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٩/ ٢٣٤.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٤٧.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣١٣.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٨٣.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ ﴿٧٨﴾

الإِهرَاعُ: الإِسرَاعُ في الـمَشي [١] وَمِنهُ قَولُهُ تعالَى: ﴿وَجاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أَي: يُسرِعُونَ إِلَيهِ، كَأَنَّهُم يُدفَعُونَ دَفعاً لِطَلَبِ الفَاحِشَةِ مِن أَضيَافِ لُوطٍ [٢].

يُقَالُ: (مَن أَلقَى جِلبَابَ الحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ) فِيهِ تَعرِيضٌ [٣].

الخِزَايَةُ: الحَيَاءُ، وَقَولُهُ تعالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ﴾ أَي: مِنَ الخِزيِّ؛ أَي: تُخجِلُونِي في حَقِّ أَضيَافِي، فَإِنَّ اختِزَاءُ ضَيفُ الرَّجُلِ إِخزَاؤه [٤].

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٨٠﴾

قَولُهُ تعالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ أَي: لَو قَدِرتُ عَلَى دَفعِكُم: ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أَي: أَو أَنضَمُّ إِلى عَشِيرَةٍ شَدِيدَةٍ مَنِيعَةٍ، شُبِّه بِرُكنِ الجَبَلِ في شِدَّتِهِ، وَجَوَابُ لَو مَحذُوفٌ، يَعنِي: لَو قَوِيتُ عَلَيكُم بِنَفسِي، أَو: أَويتُ إِلى قَويٍّ أَتَمَنَّعُ بِهِ مِنكُم لَدَفَعتكُم عَن أَضيَافِي، وَلَكِن لَا يُمكِنِي أَن أَفعَلَ ذَلِكَ [٥].

---

(١) تفسير الرازي: ٢٦/ ١٤٣.

(٢) غريب القرآن، الطريحي: ٣٧٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٧٦٨ وهو حديث.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٨٤.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٨٤.

﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١)

رُوِي: إِنَّهُ أَغلَقَ بَابَهُ دُونَ أَضيَافَهُ، وَأَخذَ يُجَادِلُهم مِن وَرَاءِ البَابِ، فَتَسَوَّرُوا الجِدَارَ، فَلَـمَّا رَأَت الـمَلَائكَةُ مَا عَلَى لُوطٍ مِنَ الكَربِك: ﴿**قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ**﴾ لَن يَصِلُوا إِلى إِضرَارِكَ بِإِضرَارِنَا، فَهَوِّن عَلَيكَ، وَدَعنَا وَإِيَّاهُم، فَخَلَّاهُم أَن يَدخُلُوا، فَضَرَبَ جَبرَئِيلُ عليه السلام بِجَنَاحِهِ وُجُوهَهُم، فَطَمَسَ أَعيُنَهُم وَأَعمَاهُم، فَخَرَجُوا يَقُولُونَ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَإِنَّ فِي بَيتِ لُوطٍ سَحَرَة [١].

﴿**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ**﴾ القِطعُ: القِطعَةُ العَظِيمَةُ تَمضِي مِنَ اللَّيلِ، كَأَنَّهُ قُطِعَ نِصفَينِ [٢].

﴿**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ**﴾ أَي: وَلَا يَتَخَلَّفُ مِنكُم وَاحَدٌ، أَو: لَا يَنظُرَ اَحَدٌ مِنكُم خَلفَهُ وَوَرَاءَهُ، وَالأَوَّلُ أَوجَهُ [٣].

﴿**إِلاَّ امْرَأَتَكَ**﴾ استِثنَاءٌ مِن قَولِهِ تعَالَى: ﴿**وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ**﴾ [٤] وَلِذَلِكَ عَلَّلَهُ عَلَى طَرِيقَةِ الاستِئنَافِ [٥] بِقَولِهك ﴿**إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ**﴾ أَي: يُصِيبُهَا مِنَ العَذَابِ مَا أَصَابَ القَومَ،فَأَمَرُوُهُ أَن يُخَلِّفَهَا فِي الـمَدِينَةِ [٦].

فَلَـمَّا سَمِعَت صَوتَ العَذَابِ التَفَتَت، وَقَالَت: وَا قَومَاهُ، فَأَدرَكَهَا حَجَرٌ فَقَتَلَهَا [٧].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤٨.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣١٢.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٨٤.
(٤) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٢٩.
(٥) كنز الدقائق، المشهدي: ٦/ ٢٠٥.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣١٦.
(٧) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ١٨٤.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ ﴿٨٢﴾

السِّجِيلُ: كَلِمَةٌ مُعَرَّبَةٌ، يُقَالُ بِالفَارِسِيَّةِ: سَنك وَكل [١].

قَولُهُ: ﴿حِجَارَةً﴾ مِن طِينٍ: ﴿مَّنضُودٍ﴾ الـمَنضُودُ: مِن نَضَدتُّ الشَّيء بَعضُهُ عَلَى بَعضٍ [٢].

أَي: نُضِّدَ بَعضُهُ عَلَى بَعضٍ، حَتَّى صَارَ حَجَرَاً، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَصفُوفٌ بَعضُهُ فِي إِثرِ بَعضٍ فَتَتَابَعَا، مُعَلَّمَةٌ لِلعَذَابِ [٣].

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ﴿٨٣﴾

وَالـمُسَوَّمَةُ: مِنَ السِّيمَاءِ؛ وَهِي الـمُعلَّمَةُ [٤] وَهُمَا صِفَتَانِ لِلسِّجِّيلِ [٥].

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يَعنِي: فِي عِلمِهِ، وَقِيلَ: فِي خَزَائِنِ رَبِّكَ الَّتِي لَا يَملِكُهَا غَيرُه، وَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا بِأَمرِه، وَرُوِي: كَانَ مَكتُوبَاً عَلَى كُلِّ حَجَرَةٍ مِنهَا اسمُ صَاحِبِهَا[٦].

وَقِيلَ: إِنَّ حَجَرَاً بَقِي مُعَلَّقَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ أَربَعِينَ يَومَاً، يُتَوقَّعُ بِه مِن رَجُلٍ مِن قَومِ لُوطٍ كَانَ فِي الحَرَمِ، حَتَّى خَرجَ مِنهُ فَأَصَابَهُ [٧].

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (سجل): ٣/ ٣٩٤.

(٢) العين، الفراهيدي، مادة (نضد): ٧/ ٢٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣١٧.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٤١٢.

(٥) يعني كلمتي: (منضود ومسمومة).

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣١٧.

(٧) بحار الأنوار، المجلسي: ١٢/ ١٤٤.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ ﴿٨٤﴾

مَديَنُ: اسمُ القَبيلَةِ، أَو: الـمَدِينَةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَنصَرِف، وَقِيلَ: أَولَادُ مَديَن بِن إِبرَاهِيمَ، نُسِبُوا إِلَيهِ [(١)].

يُقَالُ: أَحَاطَ العَدُوّ، وَمِنهُ: ﴿يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أَي: يُحِيطُ عَذَابُهُ بِجَمِيعِ الكُفَّارِ [(٢)] وَقِيلَ: مُحِيطٌ؛ أَي: مُهلِكٌ، مِن قَولِه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ مِن إِحَاطَةِ العَدُوِّ، كَمَا مَرَّ [(٣)].

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ ﴿٨٥﴾

العُثُوّ: أَنوَاعُ الفَسَادِ فِي الأَرضِ [(٤)].

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ ﴿٨٧﴾

يُقَالُ: إِنَّ شُعَيباً كَانَ كَثِيرُ الصَّلَاةِ [(٥)].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٤٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٢١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٨٥.
(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٠٥.
(٥) تفسير الرازي: ١٨/ ٤٣.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ (٩٩)

﴿فِي هَـٰذِهِ لَعْنَةً﴾ أي: وَأُلحِقوا في الدُّنيا لَعنَةً؛ وَهي: الغَرَقُ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: وَلَعنَةٌ يَومَ القِيَامَةِ؛ وَهي عَذَابُهُ: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْـمَرْفُودُ﴾ أَي: بِئسَ العَطَاءُ الـمُعطَى النَّارُ وَاللَّعنَةُ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ رِفدَاً؛ لأَنَّهُ في مُقَابَلَةِ مَا يُعطَى أَهلُ الجَنَّةِ مِن أَنواعِ النِّعَمِ [١].

وَسُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ عَن قَولِهِ: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْـمَرْفُودُ﴾؟ قَالَ: هُوَ اللَّعنَةُ بَعدَ اللَّعنَةِ [٢] رَفَدَت أَحدَهُمَا الأُخرَى [٣].

﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ (١٠١)

يُقَالُ: تَبَّبهُ؛ أَي: أَوقَعَهُ في الخُسرَانِ [٤] وَمِنهُ: قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَمَا زادُوهُـمْ غَيْرَ تَتْبِيب﴾ وَالـمَعنَيك لَم تَزِيدَهُم تِلكَ الأَصنام شَيئاً غَيرَ الهَلاكِ وَالخَسَارِ، وَالضَّمِيرُ الـمَرفُوعِ يَرجِعُ إِلى الآلِهَة، وَإِنَّمَا أَضَافَ الهَلاك إِلَى الأَصنَامِ؛ لأَنَّهَا السَّبَبُ في ذَلِكَ، وَلَو لَم يَعبُدُوهَا لَم يَهلَكُوا [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٢٧.

(٢) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١/ ٣٦١.

(٣) جامع البيان، الطبري: ١٢/ ١٤٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٩٠.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٢٨.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾

قَولُهُ: ﴿**أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرَى**﴾ أَي: أَخذَ أَهلِها ﴿**وَهِيَ ظَالِمَةٌ**﴾ حَالٌ في: ﴿**الْقُرَى**﴾ وَهي في الحَقِيقَةِ لأَهلِهَا، لَكِنَّهَا لـمَّا أُقِيمَت مَقَامُهَا أُجرِيَت عَلَيهَا، وَفَائدَتُهَا الإِشعَارُ بِأَنَّهُم أُخِذُوا بِظُلمِهِم، وَإِنذَارٌ لِكُلِّ ظَالِمٍ ظَلَمَ نَفسَهُ، أَو غَيرُه مِن وَخَامَةِ العَاقِبَةِ [(١)].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

الزَّفِيرُ: إِخرَاجُ النَّفسِ، وَالشَّهِيقُ: رَدُّهُ [(٢)] وَاستِعمَالُهَا في أَوَّلِ النَّهِيقِ وَآخِرَهُ، وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**لَـهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾ فِيهِ تَشبِيهُ صُرَاخ أَهلِ النَّارِ بِصَوتِ الحَمِيرِ، وَالـمُرَادُ مِنهُمَا: الدِّلَالَةُ عَلَى شِدَّةِ كَربِهِم وَغَمِّهِم [(٣)].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٠٧﴾

﴿**دَامَتِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ أَي: سَمَاوَاتُ الآخِرَةِ وَأَرضُهَا، وَهي مَخلُوقَةٌ لِلأَبَدِ، وَكُلُّ مَا عَلَاكَ وَأَظَلَّكَ فَهوَ سَمَاءٌ، وَلَا بُدَّ لأَهلِ الآخِرَةِ مِمَّا يُظِلُّهُم وَيُقِلُّهم، وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةُ التَّأبِيدِ، كَقَولِ العَرَبِ: مَا لَاحَ كَوكَبٌ، وَمَا أَقَامَ ثَبِيرٌ

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٦٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٩٣.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني:٣/ ٣١٧.

وَرَضوَى، وَغَيرُ ذَلِكَ مِن كَلِمَاتِ التَّأبِيدِ [١].

﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ هُوَ استِثنَاءٌ مِنَ الخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ، وَمِنَ الخُلُودِ فِي نَعِيمِ الجَنَّةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَهلَ النَّارِ لَا يُعَذَّبُونَ بِالنَّارِ وَحدُهَا، بَل بِأَنوَاعٍ مِنَ العَذَابِ، وَبِمَا هُوَ أَغلَظُ مِنَ الجَمِيعِ؛ وَهوَ سَخَطُ اللَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ عَلَيهِم، وَإِهَانَتُهُ إِيَّاهُم، وَكَذَلِكَ أَهلُ الجَنَّةِ، لَهُم سِوَى الجَنَّة فِيهَا هُوَ أَكبَرُ مِنهَا؛ وَهوَ رِضوَانُ اللَّهِ تعَالَى وَإِكرَامُهُ وَتَبجِيلُهُ إِيَّاهُم، وَهوَ المُرَادُ بِالاستِثنَاءِ، قَالَت العَرَبُ عِندَ سَمَاعِ الرَّعدِ: سُبحَانَ مَا سَبَّحَت لَهُ، الإِستِثنَاءُ مِنَ الأَعيَانِ [٢].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (١٠٨)

الجَذُّ: القَطعُ [٣] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أَي: غَيرُ مَقطُوعٍ [٤].

﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ (١٠٩)

المِريَةُ: الشَّكُّ [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٩٣.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٩٣.

(٣) العين، الفراهيدي، مادة (جذذ): ٦/ ١١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٧١.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادة (مري): ١٥/ ٢٧٨.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١١٠)

وَالرَّيبُ: أَقوَى الشَّكُّ[1].

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١١)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَإِنَّ كُلاً لَـمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَـهُمْ**﴾ اللَّامُ في لَـمَّا مُوَطِّئَةٌ لِلقَسَمِ، وَمَا مَزِيدَةٌ، وَليُوَفِينَّهُم جَوابُ قَسَمٍ مَحذُوفٍ، وَاللَّامُ فِيهِ لِلتَأْكِيدِ[2].

وَالـمَعنَى: وَإِنَّ جَمِيعَهُم وَاللَّـهِ لَيُوَفِّيَنَّهُم رَبُّكَ أَعمَالَهُم؛ مِن حَسَنٍ وَقَبِيحٍ، وَإِيمَانٍ وَكُفرٍ[3].

وَقُرِئ لَـمَّا بِالتَّشدِيدِ، عَلَى أَنَّ أَصلَهُ لَمِن مَا، فَقُلِبَت النُّونُ مِيمَاً لِلإِدغَامِ، فَاجتَمَعَت ثَلَاثُ مِيمَاتٍ، فَحُذِفَت أُولَاهُنَّ، وَالـمَعنَى: لَمِنَ الَّذِينَ يُوَفِّيَنَّهُم رَبُّكَ أَعمَالَهُم[4].

وَقِيلَ: هَاهُنَا مَحذُوفٌ، وَتَقدِيرُهُ: وَإِن كُلَّاً لَـمَّا عَمِلُوا لَيُوَفِّيَنَّهُم رَبُّكَ أَعمَالَهُم، وَالحَذفُ فِي كَلَامِ العَرَبِ كَثِيرٌ[5].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٧٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٦٥.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٤٧٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٦٥.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٤٠.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢)

قَولَهُ: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ أَي: عَلَى الوَعظِ وَالإِنـذَارِ وَالنُّصحِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالطَّاعَةِ وَالأَمرِ بِهَا، وَالدُّعَاءُ إِلَيهَا إِستِقَامَةً مِثلَ الإِستِقَامَةِ الَّتِي أُمِرتَ بِهَا عَلَى جَادَّةِ الحَقِّ، غَيرَ عَادِلٍ عَنهَا: ﴿**وَمَن تَابَ مَعَكَ**﴾ عَطفٌ عَلَى الضَّمِيرِ الـمُستَكِنِّ فِي استَقِم، وَجَازَ ذَلِكَ مِن غَيرِ تَأكِيدٍ بِالضَّمِيرِ الـمُنفَصِلِ؛ لأَنَّ الفَاصِلَ قَامَ مَقَامَهُ، فَالـمَعنَى: فَاستَقِم أَنتَ وَليَستَقِم مَن تَابَ مِنَ الكُفرِ وَآمَنَ مَعَكَ [١].

﴿**وَلَا تَطْغَوْا**﴾ أَي: لَا تَجَاوَزُوا عَن أَمرِ اللَّهِ بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقصَانِ، فَتَخرُجُوا عَن حَدِّ الإِستِقَامَةِ [٢].

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣)

الرُّكُونُ إِلى الشَّيءِ: السُّكُونُ إِلَيهِ بِالـمَحَبَّةِ إِلَيهِ [٣] وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أَي: لَا تَمِيلُوا إِلَيهِم، وَهَذَا نَهيٌ مِنَ اللَّهِ سُبحَانَهُ فِي الدِّينِ وَالـمَيلِ إِلى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ وُجِدَ مِنهُمُ الظُّـلمُ، وَالنَّهيُ مُتَنَاوِلٌ لِلدُّخُولِ مَعَهُم فِي ظُلـمَهُم، وَإِظهَارُ الرِّضَا بِفِعلَهُم، أَو: إِظهَارُ مُوَالَاتِهِم وَمُصَاحَبَتَهُم وَمُصَادَقَتهُم، فَأَمَّا الدُّخُولُ عَلَيهِم، أَو مُخَالَطَتَهُم وَمُعَاشَرَتَهُم دَفعاً لِشَرِّهِم فَجَائِزٌ، فَتَمَسَّكُم النَّارُ، وَيُصِيبَكُم عَذَابُ النَّارِ [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٩٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٤٢.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٧٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٤٤.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

الزُّلفَةُ: وَاحِدَةُ الزُّلَفُح وَهي: السَّاعَاتُ، وَصَلَاةُ الزُّلَف: العِشَاءُ[1].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**إِنَّ الْـحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ**﴾ قِيلَ: إنَّ الصَّلَوات الخَمس تُكَفِّرُ مَا بَينَهَا مِنَ الذُّنُوبِ؛ لأَنَّ الحَسنَاتَ مُعَرَّفَةٌ بِاللَّامِ، وَقَد تَقَدَّمَ ذِكرُ الصَّلَوَاتِ[2] بِقَولِهِ: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ**﴾ أَي: وَسَاعَاتٌ مِنَ اللَّيلِ؛ وَهي سَاعَاتُهُ القَرِيبَةُ مِن آخِرِ النَّهَارِ، يُقَالُ: أَزلَفَهُ؛ إذَا قَرَّبَهُ وَازدَلَفَ إِلَيهِ[3].

رَوَى أَبي حَمزَة الثُّمَالِي، قَالَ: سَمِعتُ أَحدِهمَا يَقُولُ: (إِنَّ عَلِيّاً ﵇ أَقبَلَ علَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَرجَى عِندَكُم؟ فَقَالَ بَعضَهُم: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ * وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِـمَنْ يَشاءُ**﴾[4] قَالَ: حَسَنَةٌ، وَلَيسَت إِيَّاهَا.

وَقَالَ بَعضُهُم: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ...**﴾ الآيَة[5] قَالَ: حَسَنَةٌ وَ لَيسَت إِيَّاهَا، فَقَالَ بَعضُهُم: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ...**﴾[6] قَالَ: حَسَنَةٌ وَلَيسَت إِيَّاهَا، وَقَالَ بَعضُهُم: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ...**﴾[7] قَالَ حَسَنَةٌ وَلَيْسَت إِيَّاهَا.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٤٤.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٥/ ٣٤٥.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٢٩٦.
(٤) النساء: ٤٧ـ٤٨.
(٥) النساء: ١١٠.
(٦) الزمر: ٥٣.
(٧) آل عمران: ١٣٥.

قَالَ: ثُمَّ أَحجَمَ النَّاسُ، فَقَالَ: مَا لَكُم يَا مَعشَرَ الْـمُسْلِمِينَ؟ قَالُوا لَا وَاللَّـهِ، مَا عِندَنَا شَيءٌ، قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: أَرجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّـهِ: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ**﴾ وَقَرَأَ الآيَةَ كُلَّهَا.

وَقَالَ: يَا عَلِيُّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً، إِنَّ أَحَدَكُم لَيَقُومُ إِلَى وُضُوئِهِ، فَتَسَاقَطُ عَن جَوَارِحِهِ الذُّنُوبُ، فَإِذَا استَقبَلَ اللهَ بِوَجهِهِ وَقَلبِهِ، لَم يَنفَتِل عَن صَلَاتِهِ وَعَلَيهِ مِن ذُنُوبِهِ شَيءٌ كَمَا وَلَدَتهُ أُمُّهُ، فَإِن أَصَابَ شَيئاً بَينَ الصَّلَاتَينِ، كَانَ لَهُ مِثلُ ذَلِكَ، حَتَّى عَدَّ الصَّلَوَاتِ الخَمسَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّمَا مَنزِلَةُ الصَّلَوَاتِ الخَمسِ لِأُمَّتِي، كَنَهَرٍ جَارٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُم، فَمَا ظَنَّ أَحَدُكُم لَو كَانَ فِي جَسَدِهِ دَرَنٌ، ثُمَّ اغتَسَلَ فِي ذَلِكَ النَّهَرِ خَمسَ مَرَّاتٍ فِي اليَومِ، أَكَانَ يَبقَى فِي جَسَدِهِ دَرَنٌ؟ فَكَذَلِكَ وَاللَّـهِ الصَّلَوَاتُ الخَمسُ لِأُمَّتِي) [(١)] .

وَقِيلَ: مَعنَى الآيَة؛ إِنَّ الدَّوَامَ عَلَى فِعلِ الحَسَنَاتِ يَدعُو إِلَى تَركِ السَّيئاتِ، وَقِيلَ: الـمُرَادُ بِالحَسَنَاتِ: التَّوبَةُ؛ فَإِنَّهَا تُذهِبُ السَّيئاتِ، بِأَن تُسقِط عِقَابُهَا؛ لأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ العِقَابَ يَسقُطُ عِندَ التَّوبَةِ [(٢)] .

سُمِّي الفَضلُ وَالجُودُ: بَقِيَّةٌ؛ لأَنَّ الرَّجُلَ يَستَبقِي مِمَّا يُخرِجُهُ أَجوَدُهُ وَأَفضَلُهُ، فَصَارَ هَذَا اللَّفظُ مَثَلاً فِي الجَودَةِ، فَيُقَالُ: فُلَانٌ مِن بَقِيَّةِ الجُودِ؛ أَي: مِن خِيَارِهِم [(٣)] .

---

(١) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٠٣ح ١٤١، عن تفسير العياشي: ٢/ ١٦١ح ٧٤.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٢٧.

(٣) تفسير الرازي: ١٨/ ٧٥.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦)

قَولُهُ تعالَى: ﴿**يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ**﴾ أَي: لَكِن قَلِيلاً مِنهُم أَنجينَا، وَالإِستِثنَاءُ مُنقَطِعٌ مِنَ البَيَانِ، وَالمُرَادُ بِالقَلِيلِ هُنَا: الأَنبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ الرَّسُولِ، فَأَنجَينَاهُم مِنَ العَذَابِ الَّذِي نَزَلَ بِهِم وَبِقَومِهُم[١].

التَّرَفُّهُ: عَادَةُ النِّعمَةِ[٢] وَقَولُهُ تعالَى: ﴿**وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ**﴾ أَي: وَاتَّبَعَ المُشرِكُونَ مَا عَوَّدُوهُ مِنَ النِّعَمِ وَالتَّنَعُّمِ، وَإِيثَارُ اللَّذَاتِ عَلَى أُمُورِ الآخِرَةِ وَاشتَغَلُوا بِذَلِكَ عَنِ الطَّاعَاتِ[٣].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨)

قَولُهُ تعالَى: ﴿**وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً**﴾ أَي: لاضطَرَّهُم إِلَى أَن يَكُونُوا أَهلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَهي مِلَّةُ الإِسلَامِ، وَلَكِنَّهُ مَكَّنَهُم مِنَ الإِختِيَارِ حَتَّى لِيَستَحِقُّوا الثَّوَابَ، فَاختَارَ بَعضُهُم الحَقَّ، وَبَعضُهُم البَاطِلَ فَاختَلَفُوا: ﴿**وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ فِي الدِّيَانَاتِ بَينَ يَهُودِيٍّ وَنَصرَانِيٍّ وَمَجُوسِيٍّ وَغَيرُ ذَلِكَ[٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٤٧.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٨٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٤٧.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ١٩٩.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩)

﴿**إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**﴾ مِنَ الـمُؤمِنِينَ، فَإِنَّهُم لَا يَختَلِفُونَ، بَل يَجتَمِعُونَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَزَالُونَ مُختَلِفِينَ بِالبَاطِلِ، إِلَّا مَن رَحِمَ اللهُ، وَهَدَاهُم وَلَطَفَ بِهِم، وَاتَّفَقُوا عَلَى دِينِ الحَقِّ غَيرَ مُختَلِفِينَ: ﴿**وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ إِشَارَةً إِلَى القَولِ الأَوَّلِ[1].

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٣١.



الفصل الثاني عشر

سورة يوسف



سورة يوسف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾

عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: (أَحِبُّوا العَرَبَ لِثَلَاثٍ؛ لأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالقُرآنُ عَرَبِيٌّ، وَكَلَامُ أَهلِ الجَنَّةِ عَرَبِيٌّ) [1].

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾

إِسرَائِيلُ: هُوَ يَعقُوبُ، وَمَعنَاهُ: عَبدُ اللَّهِ الخَالِصُ، ابنُ إِسحَاقَ بن إِبرَاهِيمَ عليهم السلام خَلِيلُ اللَّهِ، وَفِي الحَدِيثِ: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: (الكَرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنُ الكَرِيمِ ابنُ الكَرِيمِ، يُوسُفُ بِنُ يَعقُوبَ بِنِ إِسحَاقَ بنِ إِبرَاهِيمَ خَلِيلُ الرَّحمَنِ) [2].

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٤/ ٨٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٥٩.

﴿**يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ يَا أَبَتِ: أَصلُهُ يَا أَبِي، فَعُوِّضَ عَنِ اليَاءِ تَاءُ التَّأنِيثِ؛ لِتَنَاسُبِهِمَا فِي الزِّيَادَةِ قَلبُهَا هَاءً فِي الوَقفِ، وَكَسرُهَا لأَنَّهَا عِوَضُ حَرفٍ يُنَاسِبُهَا: ﴿**إِنِّي رَأَيْتُ**﴾ مِنَ الرُّؤيَا لَا مِنَ الرُّؤيَةِ، لِقَولِهِ: ﴿**لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ**﴾[1] وَلِقَولِهِ: ﴿**هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ**﴾[2].

وَعَن ابنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ يُوسُفَ عليه السلام رَأَى فِي المَنَامِ لَيلَةُ الجُمعَةِ، لَيلَةُ القَدرِ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً نَزَلْنَ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَجَدنَ لَهُ، وَرَأى الشَّمسَ وَالقَمَرَ نَزَلَا مِنَ السَّمَاءِ فَسَجَدَا لَهُ؛ فَالشَّمسُ وَالقَمَرُ أَبَوَاهُ، وَالكَوَاكِبَ إِخوَتُهُ.

وَقِيلَ: الشَّمسُ أَبُوهُ، وَالقَمَرُ خَالَتُهُ، لأَنَّ أُمَّهُ رَاحِيل قَد مَاتَت، وَيَجُوزُ أَن تَكُونَ الوَاوُ فِي: ﴿**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ بِمَعنَى: مَعَ؛ أَي: رَأَيتُ الكَوَاكِبَ مَعَ الشَّمسِ وَالقَمَرِ، وَأَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ لِيَعطِفَهُمَا عَلَى الكَوَاكِبِ، عَلَى طَرِيقِ الإِختِصَاصِ، بَيَاناً لِفَضلِهِمَا، وَاستِبدَادُهُمَا بِالمَزِيَّةِ عَلَى غَيرِهِمَا مِنَ الطَّوَالِعِ[3].

وَ: ﴿**رَأَيْتُهُمْ**﴾ كَلَامٌ مُستَأنَفٌ عَلَى تَقدِيرِ سُؤَالٍ وَقَعَ جَوَاباً لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ لَهُ يَعقُوبُ: كَيفَ رَأَيتَهَا؟ فَقَالَ: ﴿**رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[4].

وَكَانَ يُوسُفُ رَأى وَهوَ ابنُ إِثنَي عَشرَة سَنَة، وَبَينَ رُؤيَاهُ وَبَينَ مَصِيرِ أَبِيهِ وَإِخوَتِه أَربَعِينَ سَنَة[5].

وَاختُلِفَ فِي مَعنَى هَذَا السُّجُودِ؛ فَقِيلَ: إِنَّهُ السُّجُود المَعرُوف عَلَى الحَقِيقَةِ، لِتكرِمَتِهِ

---

(١) يوسف: ٥.

(٢) يوسف: ١٠٠، تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٧٣.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٣٩.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٠٣.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ٥٨/ ١٥٣.

لَا لِعِبَادَتِهِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ الخُضُوعُ لَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّ إِخوَتَهُ لـمَّا بَلَغَهُم رُؤيَاهُ، قَالُوا: مَا رَضِي أَن يَسجُدَ لَهُ إِخوَتُهُ حَتَّى يَسجُدَ لَهُ أَبَوَاهُ، وَذَلِكَ أَنَّ رُؤيَا الأَنبِيَاءَ وَحيٌّ، وَعَلِمَ يَعقُوبُ أَنَّ إِخوَةَ يُوسُف يَعرِفُونَ تَأوِيلَهَا، وَيَخَافُونَ عُلُوَّ يُوسُف عَلَيهِم، فَيَحسِدُونَهُ وَيَبغُونَهُ الغَوَائِلَ [(١)].

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٥)

﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ خَافَ عَلَيهِ حَسَدَ إِخوَتِه لَهُ وَبَغيَهُم عَلَيهِ، لِمَا عَرَفَ مِن دَلَالَةِ رُؤيَاهُ عَلَى أَنَّ اللهَ يُبَلِّغُهُ مِن شَرَفِ الدَّارَينِ أَمرَاً عَظِيمَاً [(٢)].

وَالرُّؤيَا: إِمَّا حَدِيثُ نَفسٍ، أَو مَلَك، أَو شَيطَان، وَهوَ إِسمُ جَمعٍ لِلحَدِيثِ [(٣)].

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦)

أَصلُ: ﴿آلِ﴾ أَهلُ، وَلِذَلِكَ صُغِّرَ بِأُهَيلٍ، فَأُبدِلَت هَاؤهُ أَلِفَاً، وَخُصَّ استِعمَالُهُ بِأُولِي الخَطَرِ وَالشَّأنِ، كَالمُلُوكِ وَأَشبَاهِهُم [(٤)].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٦٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٠٣.

(٣) غريب القرآن، الطريحي: ١٤٤.

(٤) غريب القرآن، الطريحي: ١٤٤.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (١٥)

نُقِلَ: أَنَّهُم لـمَّا بَرَزُوا بِهِ إِلى الصَّحرَاءِ، أَخَذُوا يُؤذُونَهُ وَيضرِبُونَهُ، حَتَّى كَادُوا يَقتُلُونَهُ، فَجعَلَ يَصِيحُ وَيَستَغِيثُ، فَقَالَ يَهُوذَا: أَمَا عَاهَدتُمُونِي أَن لَا تَقتُلُوهُ!؟ فَأَتَوا بِهِ إِلى البِئرِ، فَدَلَّوهُ فِيهَا، فَتَعَلَّقَ بِشَفِيرِهَا، فَرَبَطُوا يَدَيهِ، وَنَزَعُوا قَمِيصَهُ لِيُلَطِّخُوهُ بِالدَّمِ، وَيَحتَالُوا بِهِ عَلَى أَبِيهِم، وَقَالَ: يَا إِخوَتَاه، رُدُّوا عَلَيَّ قَمِيصِي أَتوَارَى بِهِ، فَقَالُوا: أُدعُ الأَحدَ عَشَرَ كَوكَبَاً وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ يُلبِسُوكَ وَيُؤنِسُوكَ، فَلَـمَّا بَلَغَ نِصفَهَا أَلقَوهُ، وَكَانَ فِيهَا مَاءً، فَسَقَطَ فِيهِ، ثُمَّ آوَى إِلى صَخرَةٍ كَانَت فِيهَا، فَقَامَ عَلَيهَا يَبكِي، فَجَاءَهُ جَبرَئِيلُ بِالوَحِي[١].

وَقِيلَ: إِنَّ الجُبَّ أَضَاءَ لَهُ، وَعَذَبَ مَاؤُهُ، حَتَّى أَغنَاهُ عَن الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَقِيلَ: كَانَ المَاءُ كَدِرَاً، فَصَفَا وَعَذبَ، وَوَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكَاً يَحرِسُهُ وَيُطعِمَهُ، وَقِيلَ: إِنَّ جَبرَائِيل كَانَ يُؤنِسَهُ[٢].

وَفِي كِتَابِ النُّبُوَّةِ، عَن الصَّادِقِ عليه السلام إِنَّهُ قَالَ: (لَـمَّا أَلقَى إِخوَةُ يُوسُفَ يُوسُفَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيهِ فِي الجُبِّ، نَزَلَ عَلَيهِ جَبرَئِيلُ عليه السلام وَقَالَ: يَا غُلَامُ، مَن طَرَحَكَ فِي هَذَا الجُبِّ؟ فَقَالَ: إِخوَتِي؛ لِـمَنزِلَتِي مِن أَبِي حَسَدُونِي، قَالَ: أَ تُحِبُّ أَن تَخرُجَ مِن هَذَا الجُبِّ؟ قَالَ: ذَاكَ إِلَى إِلَهِ إِبرَاهِيمَ وَإِسحَاقَ وَيَعقُوبَ، قَالَ جَبرَئِيلُ: فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ لَكَ، قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنَّ لَكَ الحَمدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، الحَنَّانُ المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْـجَلَالِ وَالإِكرَامِ، أَن تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَن تَجعَلَ لِي مِن أَمرِي فَرَجاً

---

(١) كنز الدقائق، المشهدي: ٦/ ٢٨٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٧٢.

وَمخرَجاً، وَ ترزُقَنِي مِن حَيث أَحتَسِبُ، وَمِن حَيثُ لَا أَحْتَسِبُ، فَقَالَهَا يُوسُفُ، فَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنَ الجُبِّ يومَئذٍ فَرَجاً، وَمِن كَيدِ المَرأةِ مَخرَجاً، وَآتاهُ مُلكَ مِصرَ، مِن حَيثُ لَم يَحتسِب) [١].

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨)

﴿سَوَّلَتْ﴾ سَهَّلَت، مِن السَّولِ؛ وَهوَ الإِستِرخَاءُ في الأَمرِ، وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمراً فَصَبْرٌ جَميلٌ﴾ أَي: سَهَّلَت: ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرَاً﴾ عَظِيمَاً ارتَكَبتُمُوهُ مِن يُوسُف، وَهَوَّنتُهُ في أَعيُنكُم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فَامرِي صَبرٌ جَمِيلٌ، أَو: فَصَبرٌ جَمِيلٌ أَمثَلُ وَأَحسَنُ وَاولَى مِنَ الجَزَعِ الَّذِي لَا يُغنِي شَيئاً، وَفِي الحَدِيثِ: (إِنَّ الصَّبرَ الجَمِيل هُوَ الَّذِي لَا شَكوَى فِيهِ إِلَى الخَلقِ) [٢].

رُوِي: إِنَّهُم ذَبَحُوا سَخلَةً، وَجَعَلُوا دَمَهَا عَلَى قَمِيصِهِ، وَقِيلَ: ظَبياً، وَلَم يُمَزِّقُوا ثَوبَهُ، وَلَم يَخطُر بِبَالِهِم أَنَّ الذِّئبَ إِذَا أَكَلَ إِنسَانَاً، فَإِنَّهُ يُمَزِّقَ ثَوبَهُ، وَقِيلَ: إِنَّ يَعقُوبَ عليه السلام قَالَ: أَرُونِي القَمِيصَ؟ فَأَرَوهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ لَـمَّا رَأى القَمِيصَ صَحِيحَاً: يَا بَنِيِّ، وَاللَّـهِ مَا رَأَيتُ كَاليَومَ ذِئبَاً أَحلَمُ مِن هَذَا! أَكَلَ إِبنِي، وَلَم يُمَزِّقَ قَمِيصَهُ [٣].

وَرُوِي: أَنَّهُ أَلقَى ثَوبَهُ عَلَى وَجهِهِ، وَقَالَ: يَا يُوسُف، لَقَد أَكَلَكَ ذِئبٌ رَحِيمٌ، أَكَلَ لَحمَكَ، وَلَم يَشُقَّ قَمِيصُكَ؟! [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٧٣.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٠٨.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٧٤.
(٤) نور الثقلين، الحويزي: ٢/ ٤١٧ ح ٢٩.

وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي قَمِيصِ يُوسُف ثَلَاثُ آيَاتٍ؛ حِينَ: ﴿**قُدَّ مِن دُبُرٍ**﴾ (١) وَحِينَ أُلقِي عَلَى وَجهِ أَبِيهِ فَارتَدَّ بَصِيرَاً، وَحِينَ ﴿**وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ فَتَنَبَّهَ يَعقُوبُ: أَنَّ الذِّئبَ لَو أَكَلَهُ لَخَرَقَ قَمِيصَهُ (٢).

وَقِيلَ: إِنَّهُ لَـمَّا قَالَ لَهُم يَعقُوبُ ذَلِكَ، قَالُوا: بَل قَتَلَهُ اللُّصُوصُ، فَقَالَ: كَيفَ قَتَلوهُ وَتَركُوا قَمِيصَهُ، وَهُم إِلَى قَمِيصِهِ أَحوَجُ مِنهُ إِلى قَتلِهِ؟! (٣).

وَقِيلَ: إِنَّ البَلَاءَ نَزَلَ بِيَعقُوبَ عَلَى كِبرِه، وَبِيُوسُفَ عَلَى صِغَرِهِ بِلَا ذَنبٍ كَانَ مِنهُمَا، وَكُلُّ ذَلِكَ إِختِبَارٌ (٤).

﴿**وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ أَي: أَستَعِينُ عَلَى دَفعِ مَا تَصِفُونَ، أَو: بِهِ أَستَعِينُ عَلَى تَحَمُّلِ مَرَارَة الصَّبرِ عَلَيهِ، وَهوَ عَلَى إِحتِمَالِ مَا تَصِفُونَهُ مِن هَلَاكِ يُوسُف (٥).

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: (أُعطِي يُوسُفُ شَطرَ الحُسنِ، وَالنِّصفُ الآخَرَ لِسَائِرِ النَّاسِ) (٦).

وَقَالَ كَعبُ الأَحبَارِ: كَانَ يُوسُف حَسَنُ الوَجهِ، جَعدُ الشَّعرِ، ضَخمُ العَينِ، مُستَوِي الخَلقِ، أَبيَضُ اللَّونِ، غَلِيظُ السَّاقَينِ وَالعَضُدَينِ، خَمِيصُ البَطنِ، صَغِيرُ السُّرَّةِ، وَكَانَ إِذَا تَبَسَّمَ رَأَيتَ النُّورَ فِي ضَوَاحِكِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ رَأَيتَ فِي كَلَامِهِ شُعَاعَ النُّورِ يَلتَهِبُ عَن ثَنَايَاه، وَلَا يَستَطِيعُ أَحَدٌ وَصفَهُ، وَكَانَ حُسنُهُ كَضَوءِ النَّهَارِ عِندَ اللَّيلِ، وَكَانَ يَشبَهُ آدَم يَومَ خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَصَوَّرَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ قَبلَ أَن يُصِيبَ المَعصِيَة،

---

(١) يوسف: ٢٧.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٤٩.

(٣) تفسير الرازي: ١٨/ ١٠٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٧٥.

(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ١١.

(٦) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ٢٠٤.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ وَرِثَ ذَلِكَ الجَمَال مِن جَدَّتِهِ سَارَة زَوجَة إِبرَاهِيم، وَكَانَت أُعطِيَت سُدسَ الحُسنِ[١].

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

وقوله ﴿يَا بُشْرَى﴾ بالسكون على قصد الوقف[٢] وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه[٣].

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٠)

﴿وَشَرَوْهُ﴾ بَاعُوهُ: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ مَبخُوسٍ نَاقِصٍ عَن القِيمَةِ نُقصَانَاً ظَاهِرَاً: ﴿دَرَاهِمَ﴾ لَا دَنَانِيرَ: ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قَلِيلَةٌ، تُعَدُّ عَدَّاً، وَلَا تُوزَنُ، وَعَن ابنِ عبَّاسٍ: كَانَت عِشرِينَ دِرهَمًا[٤].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٧٨.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٧٩.
(٣) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٦١.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢١٠.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١)

المثوى: موضع الاقامة [١] قال الله تعالى: ﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**﴾ أي قال العزيز لامرته راعيل الملقبة بزليخا [٢].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢)

الأَشُدُّ: مُنتَهَى الشَّبَابِ وَالقُوَّةِ، وَكَمَالُ العَقلِ، وَقِيلَ: الأَشُدُّ؛ مِن ثَمَانِي عَشرَةَ سَنَةٍ إلى ثَمَانِينَ سَنَةٍ، أَو: إلى ثَلَاثِينَ سَنَةٍ، وَقِيلَ: إنَّ أَقصَى الأَشُدَّ أَربَعُونَ سَنَةً، وَقِيلَ: سِتُّونَ سَنَة، وَقِيلَ: إنَّ ابتَداءَ الأَشُدَّ مِن ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةٍ، وَقِيلَ: مِن عِشرِينَ سَنَةٍ [٣].

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣)

يُقَالُ: رَادَهُ يَرُودُهُ؛ إِذَا جَاءَ وَذَهَبَ لِطَلَبِ الشَّيء، وَمِنهُ الرَّائِدُ [٤].

وَالمُرَاوَدَةُ: مُفَاعَلَةٌ، وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ**﴾ أَي: وَطَالَبَت يُوسُف المَرأَةُ الَّتي كَانَ يُوسُف في بَيتِهَا عَن نَفسِهِ؛ وَهي زُلَيخَا امرَأَةُ العَزِيزِ،

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٨٠.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٥٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٨١.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٨١.

وَالمَعنَى: طَلَبَت مِنهُ أَن يُوَاقِعُهَا؛ أَي: خَادَعَت أَن يُوَاقِعَها: ﴿وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ عَلَى نَفسِهَا وَعَلَيهِ، بَابَاً بَعدَ بَابٍ، وَالتَّشدِيدُ لِلتكثِيرِ، أَو لِلمُبَالَغَةِ فِي الإِيثَاقِ[1].

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤)

يُقَالُ: هَمَّهُ؛ أَي: قَصَدَهُ، الهَمُّ بِالشَّيءِ: قَصدُهُ وَالعَزمُ عَلَيهِ[2] وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ وَالمُرَادُ بِهَمِّهِ: مَيلُ الطَّبعِ، وَمُنَازَعَةُ الشَّهوَةِ، لَا القَصد الإِختِيَارِي، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَدخُلُ تَحتَ التَّكلِيفِ[3] وَلَو كَانَ هَمُّهُ كَهَمِّهَا لَمَا مَدَحَهُ اللهُ تعالَى بِأَنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ، وَيَجُوزُ أَن يُرَادَ بِقَولِهِ: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ شَارَفَ أَن يَهِمَّ بِهَا، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: قَتَلتُهُ لَو لَم أَخِفِ اللَّـهِ[4].

وَمِن حَقِّ القَارِئِ أَن يَقِفَ عَلَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ وَيَبتَدِئ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[5].

وَأَمَّا البُرهَانُ الَّذِي رَآهُ؛ فَقَد اختُلِفَ فِيهِ عَلَى وُجُوهٍ؛ أَحَدُهَا: أَنَّهُ حُجَّةُ اللَّـهِ سُبحَانَهُ وَتعَالَى فِي تَحرِيمِ الزِّنَا، وَالعِلمُ بِالعِقَابِ الَّذِي يَستَحِقُّهُ الزَّانِي.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ مَا آتَاهُ اللهُ مِن آدَابِ الأَنبِيَاءِ، وَأَخلَاقُ الأَصفِيَاءِ فِي العَفَافِ، وَصِيَانَةُ النَّفسِ عَنِ الأَدنَاسِ.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٨٣.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٥٥.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٨٢.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣١١.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢١٣.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ النُّبُوَّةُ المَانِعَةُ مِن إِرتِكَابِ الفَوَاحِشِ وَالحِكمَةِ الصَّارِفَةِ عَن القَبَائِحِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ كَانَ فِي البَيتِ صَنَمٌ، فَأَلقَت المَرأَةُ عَلَيهِ ثَوبَاً، فَقَالَ: إِن كُنتِ تَستَحِينَ مِنَ الصَّنَمِ، فَأَنَا أَحَقُّ أَن أَستَحِي مِنَ اللَّـهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ اللُّطفُ الَّذِي لَطَفَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِي تِلكَ الحَالِ أَو قَبلِهَا، فَاختَارَ عِندَهُ الإِمتِنَاعَ عَن المَعَاصِي، وَهوَ مَا يَقتَضِي كَونُهُ مَعصُومَاً؛ لأَنَّ العِصمَةَ هِيَ اللُّطفُ الَّذِي يُختَارُ عِندَهُ التَّنَزُّه عَن القَبَائِحِ، وَالإِمتِنَاعُ مِن فِعلِهَا، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الرُّؤيَة هَهُنَا بِمَعنَى: العِلم، كَمَا يَجُوزُ أَن يَكُونَ بِمَعنَى الإِدرَاكَ [١].

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾

قَولُهُ: ﴿وَ اسْتَبَقَا الْبابَ﴾ أَي: تَسَابَقَا إِلَى البَابِ، عَلَى حَذفِ الجَارِ، أو علَى تَضَمُّنِه مَعنَى ابتَدَرَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ يُوسُفَ عليه السلام فَرَّ مِنهَا لِيَخرُجَ، حَذَرَاً مِن رُكُوبِ الفَاحِشَةِ، فَأَسرَعَت تَركُضُ وَرَاءَهُ لِتَمنَعَهُ الخُرُوجَ، وَتُرَاوِدَهُ ثَانِيَاً عَن نَفسِهِ [٢].

القَدُّ: شَقُّ الشَّيء طُولَاً [٣] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أَي: لَحِقَت يُوسُفَ عليه السلام فَجَذَبَت قَمِيصَهُ، وَشَقَّتهُ طُولَاً مِن خَلفِهِ؛ لأَنَّ يُوسُفَ عليه السلام كَانَ هَارِبَاً، وَقِيلَ: بَل أَخَذَ بِفتحِ البَابِ فَأَدرَكَتهُ، فَتَعَلَّقَت بِقَمِيصِهِ مِن خَلفِه فَشَقَّتهُ [٤].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٨٨.
(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٥٩.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٦٥٧.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٩٠.

يُقَالُ: أَلفَاهُ؛ إِذَا صَادَفَهُ [١].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**مَا جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ**﴾ أَي: قَالَت لِزَوجِهَا وَسِيِّدُهَا، الَّذِي هُو مَالِكُ أَمرِهَا: أَلَيسَ جَزَاءُ مَن أَرَادَ بِأَهلِكَ خِيَانَةً: ﴿**إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ أَي: أَو يُضرَبَ بِالسِّيَاطِ ضَربَاً وَجِيعَاً عِندَ ذَلِكَ، مَا نَافِيَةٌ، أَو إِستِفهَامِيَّةٌ بِمَعنَى: أَيُّ شَيءٍ جَزَاءً إِلَّا السِّجنَ [٢].

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

الكَيدُ: الحِيلَةُ [٣].

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠)

النِّسوَةُ: اسمُ مُفرَدٍ لِجَمعِ المَرأَةِ، وَتَأنِيثُهُ غَيرُ حَقِيقِيٍّ [٤].

العَزِيزُ: بِلِسَانِ العَرِبِ المَلِكُ [٥].

الشِّغَافُ: حِجَابُ القَلبِ [٦] وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ أَي: أَحَبَتهُ حُبَّاً دَخَلَ فِي شِغَافِ قَلبِهَا، حَتَّى وَصَلَ الفُؤَادَ [٧].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩/ ١٧١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٩٠.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٧٢٨.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢١٥.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢١٥.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٢٩.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٩٦.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾

الإتِّكَاءُ: المَيلُ إلى أَحَدِ الشُّقَّتَينِ [١] وَقيلَ: المُتَّكأ: هُو الأَترُجُّ [٢] وَكُل شَيءٍ يُجَزُّ بالسِّكِين [٣] وَالأُترُجُّ: التَّرنجُ، وَالسِّكِينُ: وَاحِدُ السَّكَاكِين.

الحَشَا: النَّاحِيَةُ، يُقَالُ: فُلَانٌ أَمَرَ مِن حَشِّ اللَّهِ، أَي: مِن جَانِبِ اللَّهِ، وَحَاشَ: أَصلُهُ حَاشَا حُذِفت أَلِفِهِ الأَخِيرَة تَخفِيفاً، وَهوَ حَرفٌ يُفِيدُ مَعنَى التَّنزِيهُ في بَابِ الإستِثنَاءِ، وَقَولُكَ: قَلبتُ حَاشَ لله؛ أَي: تَنزِيهاً لَهُ مِن صِفَاتِ العَجزِ، وَتَعَجُّباً مِن قُدرَتِه علَى مِثلِ مَا يُتَعَجَّبُ مِنهُ، فَوُضِعَ حَاشَ مَوضِعَ التَّنزِيهِ، وَاللَّامُ لِلبَيَانِ، كَمَا في قَولِك: سُقيَاً لَكَ، وَقِيلَ: حَاشَا فَاعِلٌ مِنَ الحَشَا، الَّذِي هُوَ النَّاحِيَةُ، وَالمَعنَى: صِرتُ في نَاحِيَةٍ إِلَيهِ مِمَّا يُتَوَهَّمُ فِيهِ [٤].

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (وكأ): ١/ ٢٠٠.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٣١.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٩٦.

(٤) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٦٣.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (٣٢)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرينَ**﴾ الأَصلُ: مَا آمرُ بِه، فَحُذِفَ الجَارُّ، كَمَا في قَولِهِ: أَمَرتُكَ الخَيرَ: ﴿**وَلَيَكُوناً**﴾ بِالنُّونِ الخَفِيفَةِ؛ وَلِذَلِكَ كُتِبَت في المُصحَفِ أَلِفاً [(١)].

الصَّاغِرُ: الذَّلِيلُ [(٢)].

رُوِي: إِنَّ النِّسوَة لَـمَّا خَرَجنَ مِن عِندِ زُلَيخَا، أَرسَلَت كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنهُنَّ إِلى يُوسُف ـ وَهُنَّ أَربَعِينَ نِسَاءَاً ـ سِرًّا تَسأَلُهُ الزِّيَارَةَ، وَقِيلَ: إِنَّهُنَّ قُلنَ لَهُ: أَطِع مَولاَتك، فَإِنَّهَا مَظلُومَةٌ، وَأَنتَ تَظلِمُهَا [(٣)].

وَقِيلَ: إِنَّهُنَّ لَـمَّا رَأَينَ يُوسُف استَأذَنَّ زُلَيخَا بِأَن تَخلُو كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنهُنَّ بِهِ، وَتَدعُوهُ إِلى مَا أَرَادَتهُ مِنهُ إِلَى طَاعَتِهَا، فَلَمَّا خَلَونَ بِهِ، دَعَونَهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنهُنَّ إِلى نَفسِهَا؛ فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿**مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ [(٤)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢١٧.

(٢) معاني القرآن، النحاس: ٣/ ٢٠٠.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢١٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٩٨.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)

الصَّبوَةُ: لَطَافَةُ الهَوَى [١] يُقَالُ: صَباهُ بِصَبوَةٍ؛ إِذَا مَالَ إِلَى قَولِهِ بِهَوَاهُ [٢] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ**﴾ وَضَرَرُ كَيدَهُنَّ الَّذِي حَصَلَ وَوَقَعَ: ﴿**أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**﴾ أَي: أَمِيلُ إِلَى قَولِهِنَّ بِهَوَايَ [٣].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي**﴾ وَهِي حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ: ﴿**أَعْصِرُ خَمْراً**﴾ يَعنِي: عِنَباً؛ تَسمِيَةٌ لِلعِنَبِ بِمَا يَؤولُ إِلَيهِ [٤].

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ**﴾ يُرِيدُ: يَا صَاحِبَيَ فِي السِّجنِ، فَأَضَافَهُمَا إِلَى السِّجنِ، كَقَولِهِ: يَا سَارِقَ اللَّيلَةَ أَهلَ الدَّارِ، فَكَمَا إِنَّ اللَّيلَةَ مَسرُوقٌ فِيهَا غَيرُ مَسرُوقَةٍ، فَكَذَلِكَ السِّجنُ مَصحُوبٌ فِيهِ غَيرُ مَصحُوبٍ، وَإِنَّمَا المَصحُوبُ غَيرُهُ؛ وَهوَ يُوسُفُ عليه السلام وَيَجُوزُ أَن يُرِيدَ: يَا سَاكِنَي السِّجنِ، كَقَولِهِ عَزَّ اسمُهُ: ﴿**أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ [٥] وَ: ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾ [٦] أَي: يَا سُكَانَهُنَّ [٧].

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ٢٨.
(٢) كنز الدقائق، المشهدي: ٦/ ٣٠٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٩٨.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣١٩.
(٥) البقرة: ٣٩.
(٦) البقرة: ٨٢.
(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٢٠.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّآ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠)

قَولُهُ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ﴾ أَي: مَا الحُكمُ في أَمرِ الدِّينِ وَالعِبَادَةِ إِلَّا للَّهِ[1].

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٤١)

العُنقُودُ: وَاحِدُ العَنَاقِيدِ.

يُقَالُ: فُلَانٌ أَصلَبَهُ الأَمرَ، فَأَكَلَ الطَّيرُ رَأسَهُ[2].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (٤٢)

قَولُهُ تعالَى: ﴿وَقَالَ لِلَّذي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ أَي: قَالَ يُوسُفُ لِصَاحِبِه الَّذِي عَلِمَ مِن طَرِيقِ الوَحيِ أَنَّهُ نَاجٍ؛ أَي: مُتَخَلِّصٌ، كَمَا في قَولِهِ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[3].

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (عَجِبتُ مِن أَخِي يُوسُفَ عليه السلام كَيفَ استَغَاثَ بِالمَخلُوقِ دُونَ الخَالِقِ)[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٠٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٤٣.

(٣) الحاقة: ٢٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٠٤.

(٤) نور الثقلين، الحويزي: ٢/ ٤٢٧ ح ٧٧.

رُوِي عَن أَبي عَبدِ اللَّـهِ عليه السلام قَالَ: (جَاءَ جَبرَائيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا يُوسُفُ، مَن جَعَلَكَ أَحسَنَ النَّاسِ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: فَمَن حَبَّبَكَ إِلى أَبِيكَ دُونَ إِخوَانُكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: فَمَن سَاقَ إِلَيكَ السَّيَّارَةُ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: فَمَن صَرَفَ عَنكَ الحِجَارَةَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: فَمَن أَنقَذَكَ مِنَ الجُبِّ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: فَمَن صَرَفَ عَنكَ كَيدَ النِّسوَةِ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: فَإِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: مَا دَعَاكَ إِلى أَن تُنزِلَ حَاجَتِكَ بِمَخلُوقٍ دُونِي؟ إِلبَث في السِّجنِ بِمَا قُلتَ لِصَاحِبِكَ: ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾ وَسَيُّدُكَ: بِأَنِّي مَحبُوسٌ ظُلَماً بِضعَ سِنِينٍ) [1].

وَعَنهُ عليه السلام في رِوَايَـةٍ أُخرَى، قَالَ: (فَبَكَى يُوسُفُ عِندَ ذَلِكَ، حَتَّى بَكَى بِبُكَائهِ الحِيطَانُ، فَتَأَذَّى بِبُكَائِهِ أَهلُ السِّجنِ، فَصَالَحَهُم عَلَى أَن يَبكِي يَوماً وَيَسكُتُ يَوماً، فَكَانَ في اليَومِ الَّذِي يَسكُتُ أَسوَأَ حَالاً) [2].

وَالقَولُ في ذَلِكَ: إِنَّ الإِستِعَانَة بِالعِبَادِ في دَفعِ المَضَارِّ، وَالتَّخَلُّص مِنَ المَكَارِهِ، جَائزٌ غَيرُ مُنكَرٍ وَلَا قَبِيحٍ، بَل رُبَّمَا يَجِبُ ذَلِكَ، وَكَانَ نَبِيُّنَا صلى الله عليه وآله يَستَعِينُ فِيمَا يَنُوبُهُ بِالمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَغَيرَهُم، وَلَو كَانَ قَبِيحاً لَم يَفعَلهُ، فَلَو صَحَّت هَذِهِ الرِّوَايَات فَإِنَّمَا عُوتِبَ يُوسُفُ عليه السلام في تَركِ عَادَتِهِ الجَمِيلَة في الصَّبرِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّـهِ سُبحَانَهُ [3].

وَعَنهُ عليه السلام قَالَ: (أَعلَمَ جَبرَئِيلُ يُوسُفَ عليه السلام في مَحبَسِهِ، فَقَالَ: قُل في دُبرِ كُلِّ صَلَاةِ فَرِيضَةٍ: اللَّـهُمَّ إِجعَل لِي فَرَجاً وَمَخرَجاً، وَارزُقنِي مِن حَيثُ أَحتَسِبُ وَمِن حَيثُ لَا أَحتَسِبُ) [4].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٧٢.

(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ٣٥.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٠٥.

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ٥٤٩ح ٧.

وَعَنهُ عليه السلام قَالَ: (لـمَّا انقَضَت العِدَةُ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُ في دُعَاءِ الفَرَجِ، وَضَعَ خَدَّهُ على الأَرضِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّـهُمَّ، إن كَانَت ذُنُوبِي قَد أَخلَقَت وَجهِي عِندَكَ، فَإِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيكَ بِوَجهِ آبَائي الصَّالِحِينَ؛ إِبرَاهِيمَ وَإِسحَاقِ وَيَعقُوب، فَفَرَّجَ اللهُ عَنهُ...) الخَبر [١].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

السِّمَن: وَاحِدُ السِّمَانِ [٢].

يُقَالُ: عَبَرتُ النَّهرَ؛ إِذَا قَطَعتُهُ حَتَّى بَلَغتُ آخِرَ عَرضِه، وَقَولُكَ: عَبَرتُ الرُّؤيَا: ذَكَرتُ عَاقِبَتُهَا [٣] وَقَولُهُ: ﴿**إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ أَي: إِن كُنتُم لِلرُّؤيَا عَابِرِينَ، وَقِيلَ: إِنَّ اللَّام تُفِيدُ مَعنَى إِلى؛ أَي: إِن كُنتُم تُوَجِّهُونَ العِبَارَةُ لِلرُّؤيَا [٤].

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾

الضِّغثُ في الأَصلِ: مَا جُمِعَ مِن أَخلَاطِ النَّبَاتِ وَالحُزَم، وَالجَمعُ: أَضغَاثٌ [٥] وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلَام**﴾ أَي: هَذِهِ أَبَاطِيلُ أَحلَامٍ، أَو: تَخَالِيطُ أَحلَامٍ؛ يَعنِي: هَذِهِ مَنَامَاتٌ كَاذِبَةٌ، لَا يَصِحُّ تَأوِيلُهَا [٦].

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ١٧٨ح ٢٩.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٢٤٣.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٢/ ٤١٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٠٩.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٢٤.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤١٠.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

الصِّدِّيقُ: فَعِيلٌ، كَثِيرُ الصِّدقِ [١].

سُنُونٌ عِجَافٌ؛ أَي: جَدبَةٌ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

يُقَالُ: غَاثَهُ؛ إِذَا نَجَّاهُ مِنَ القَحطِ [٢].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٥١﴾

الخَطبُ: الشَّأنُ، يُقَالُ: مَا خَطبُك؛ أَي: مَا شَأنُكَ [٣].

يُقَالُ: حَصحَصَ الأَمرُ؛ أَي: حَصَلَ وَحُقَّ وَاستَقَرَّ، وَحَصحَصَ البَعِيرُ: إِذَا أَلقَى ثَفنَاتُهُ لِلإِنَاخَةِ [٤].

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ١٩٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤١١.
(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (خطب): ١/ ٦٢.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٩٤.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾﴿٥٤﴾

يُقَالُ: أَنتَ عِندِي مَكِينٌ أَمِينٌ؛ أَي: ذُو مَكَانَةٍ وَمَنزِلَةٍ، وَمُؤتَمَنٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ[1].

وَرُوِي: أَنَّ يُوسُف لـمَّا خَرَجَ مِنَ السِّجنِ، دَعَا لأَهلِهِ، وَقَالَ: اللَّـهُمَّ أَعطِف عَلَيهِم بِقُلُوبِ الأَخيَارِ، وَلَا تُعْمِ عَلَيهِم الأَخبَار؛ فَلِذَلِكَ يَكُونُ أَصحَابُ السِّجنِ أَعرَفُ النَّاسِ بِالأَخبَارِ فِي كُلِّ بَلدَةٍ.

وَكَتَب عَلَى بَابِ السِّجنِ: هَذَا قُبُورُ الأَحيَاءِ، وَبَيتُ الأَحزَانِ، وَتَجرِبَةُ الأَصدِقَاءِ، وَشَمَاتَةُ الأَعدَاءِ.

قَالَ وَهَب: وَلـمَّا وَقَفَ بِبَابِ المَلِكِ، قَالَ: حَسبِيَ رَبِّي مِن دُنيَاي، وَحَسبِي رَبِّي مِن خَلقِهِ، عَزَّ جَارُهُ، وَجَلَّ ثَنَاؤهُ، وَلَا إِلَهَ غَيرُهُ.

وَلـمَّا دَخَلَ عَلَى المَلِك، قَالَ: اللَّـهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِخَيرِكَ مِن خَيرِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهِ، وَشَرِّ غَيرِه.

وَلـمَّا نَظَرَ إِلَيهِ المَلِكُ، سَلَّمَ عَلَيهِ يُوسُف بِالعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا هَذَا اللِّسَان؟ قَالَ: لِسَانُ عَمِّي إِسمَاعِيلَ، ثُمَّ دَعَا لَهُ بِالعِبرَانِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا هَذَا اللِّسَانُ؟ قَالَ: لِسَانُ آبَائي.

قَالَ وَهَبُ: وَكَانَ المَلِكُ يَتَكَلَّمُ بِسَبعِينَ لِسَانَاً، فَكُلَّمَا كَلَّمَ يُوسُفُ بِلِسَانٍ، أَجَابَهُ بِذَلِكَ اللِّسَانُ، فَأَعجَبَ المَلِكُ مَا رَأَى مِنهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أُحِبُّ أَن أَسمَعَ رُؤيَاي مِنك شِفَاهَاً.

فَقَالَ يُوسُف: نَعَم أَيُّهَا المَلِكُ، رَأَيتَ سَبعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ شُهبٍ، غُرٍّ حِسَانٍ، كَشَفَ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن،الطبرسي: ٥/ ٤١٦.

لَكَ عَنهُنَّ النِّيلَ، فَطَلَعنَ عَلَيكَ مِن شَاطِئِهِ، تَشخَبُ أَخلَافُهُنَّ لَبَنَاً، فَبَينَا تَنظُرُ إِلَيهُنَّ، وَيُعجِبُكَ حُسنِهُنَّ، إِذ نَضَبَ النِّيلُ فَغَارَ مَاؤُهُ، وَبَدَا يَبَسَهُ، فَخَرَجَ مِن حَمِئِهِ وَوَحلِهِ سَبعَ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ، شُعثٍ غُبرٍ مُقَلَّصَاتِ البُطُونِ، لَيسَ لَهُنَّ ضُرُوعٍ، وَلَا أَخلَافٍ، وَلَهُنَّ أَنيَابٌ وَأَضرَاسٌ، وَأَكُفٌّ كَأَكُفِّ الكِلَابِ، وَخَرَاطِيمَ كَخَرَاطِيمِ السِّبَاعِ.

فَاختَلَطنَ بِالسِّمَانِ، فَافتَرَستهُنَّ إِفتِرَاسَ السَّبُعِ، فَأَكَلنَ لُحُومَهُنَّ، وَمَزَّقنَ جُلُودَهُنَّ، وَحَطَّمنَ عِظَامَهُنَّ، وَتَمَشمَشنَ مُخَّهُنَّ.

فَبَينَا أَنتَ تَنظُرَ وَتَتَعَجَّبُ، إِذَا سَبعُ سَنَابِلَ خُضرٍ، وَأُخَرُ سُودٍ فِي مَنبِتٍ وَاحِدٍ، عُرُوقَهُنَّ فِي الثَّرَى وَالمَاءِ، فَبَينَا أَنتَ تَقُولُ فِي نَفسِكَ: أَنَّى هَذَا وَهَؤُلَاءِ خُضرٍ مُثمِرَاتٍ، وَهَؤُلَاءِ سُودٍ يَابِسَاتٍ، وَالمَنبَتُ وَاحِدٌ، وَأُصُولُهُنَّ فِي المَاءِ ؟ إِذ هَبَّت رِيحٌ، فَذَرَّت الأَرفَاتِ مِنَ اليَابِسَاتِ السُّودِ عَلَى الثَّمَرَاتِ الخُضرِ، فَاشتَعَلَت فِيهُنَّ النَّارُ وَأَحرَقَتهُنَّ، وَصِرنَ سُودَاً مُتَغَيِّرَاتٍ، فَهَذَا آخِرُ مَا رَأَيتَ مِنَ الرُّؤيَا، ثُمَّ انتَبَهتَ مِن نَومِكَ مَذعُورَاً.

فَقَالَ المَلِكُ: وَاللَّهِ، مَا شَأنُ هَذِهِ الرُّؤيَا، وَإِن كَانَت عَجَبَاً بِأَعجَبِ مِمَّا سَمِعتُهُ مِنكَ، فَمَا تَرَى فِي رُؤيَايَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ؟.

فَقَالَ يُوسُفُ: أَرَى أَن تَجمَعَ الطَّعَامَ، وَتَزرَعَ زَرعَاً كَثِيرَاً فِي هَذِه السِّنِينَ المُخصِبَة، وَتبنَي الأَهرَامَ وَالخَزَائِنَ، فَتَجمَعَ الطَّعَامَ فِيهَا بِقَصَبِهِ وَسُنبُلِهِ، لِيَكُونَ قَصَبُهُ وَسُنبُلُهُ عَلَفَاً لِلدَوابِّ، وَتَأمُرَ النَّاسَ فَيَرفَعُونَ مِن طَعَامِهُم الخُمسَ، فَيَكفِيكَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جَمَعتَهُ لِأَهلِ مِصرَ، وَمَن حَولَهَا، وَيَأتِيكَ الخَلقُ مِنَ النَّوَاحِي، فَيَمتَارُونَ مِنكَ بِحُكمِكَ، وَيَجتَمِعُ عِندَكَ مِنَ الكُنُوزِ مَا لَم يَجتَمِعَ لِأَحَدٍ ذَلِكَ.

فَقَالَ المَلِكُ: وَمَن لِي بِهَذَا؟ وَمَن يَجمَعُهُ وَيَبِيعَهُ، وَيَكفِي الشُّغلَ فِيهِ؟ فَعِندَ ذَلِكَ قَالَ

يُوسُفُ: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ**﴾ [١] الأَلِفُ وَاللَّامُ، فَرُبَّ الأَرضِ لِلعَهدِ دُونَ الجِنسِ، يَعنِي: اجعَلنِي عَلَى خَزَائنَ أَرضِكَ، حَافِظَاً وَوَالِيَاً، وَاجعَل تَدبِيرَهَا إِلَيَّ[٢].

وَهذَا إِنَّهُ استَفتَى مِن يُوسُف حَيثُ قَالَ: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**﴾ أَنَا أَعرِفُ صِدقَكَ فِي تَأَوِيلِ الرُّؤيَا: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ**﴾ [٣] أَي: فِي رُؤيَا ذَلِكَ، فَإِنَّ المَلِكَ رَأَى هَذِهِ الرُّؤيَا، وَاشتَبَهَ تَأَويلُهَا عَلَيهِ، وَعَبَّرَ فِي السِّجنِ عَن الرُّؤيَا.

وَقَالَ فِي جَوَابِ الرَّسُولِ مُعَبِّرَاً: أَمَّا البَقَرَاتُ السَّبع العِجَاف، وَالسَّنَابِل السَّبع اليَابِسَاتِ: فَالسُّنُونُ الجَدبَةِ، وَأَمَّا السَّبعُ السِّمَان وَالسَّنَابِلُ السَّبع الخُضرِ؛ فَإِنَّهُنَّ سَبعُ سِنِينٍ مُخصِبَاتٍ، ذَوَاتُ نِعمَةٍ، وَأَنتُم تَزرَعُونَ فِيهَا، وَذَلِكَ حِينَ: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبَاً**﴾ أَي: مُتَوَالِيَةٌ، وَقِيلَ: ﴿**دَأَبَاً**﴾ أَي: بِجِدٍّ وَاجتِهَادٍ فِي الزِّرَاعَةِ، وَ: ﴿**تَزْرَعُونَ**﴾ خَبَرٌ فِي مَعنَى الأَمرِ كَقَولِهِ: تَوَضونَ بِاللّـهِ، وَيَدُلُّ عَلَيهِ قَولُه تعَالَى: ﴿**فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ**﴾ [٤] فَمَا حَصَدتُّم مِنَ الزَّرعِ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ[٥].

قِيلَ: زَوَّجَ المَلِكُ يُوسُف رَاعِيلَ امرَأَة فَطفِير، وَهي زُلَيخَا، فَدَخَلَ بِهَا يُوسُف فَوَجَدَهَا عَذرَاءَ، وَلـمَّا دَخَلَ عَلَيهَا، قَالَ لَهَا: أَلَيسِ هَذَا خَيرَاً مِمَّا كُنتِ تُرِيدِينَ؟ فَقَالَت: أَيُّهَا الصِّدِّيقُ، لَا تَلُمنِي، فَإِنِّي كُنتُ امرَأَةً حَسنَاءً نَاعِمَةً كَمَا تَرَى، فِي مُلكٍ وَدُنيَاً، وَكَانَ

(١) يوسف: ٥٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن،الطبرسي: ٥/ ٤١٦.

(٣) يوسف: ٤٦.

(٤) يوسف: ٤٧.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤١٠.

صَاحِبِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ، وَكُنتَ كَمَا جَعَلَكَ اللهُ فِي حُسنِكَ وَهَيئَتِكَ، فَغَلَبتنِي نَفسِي، فَوَجَدَهَا يُوسُف عَذرَاءَ، فَأَصَابَهَا فَوَلَدَت لَهُ رَجُلَينِ: أفرَائيم بن يوسف، ومنشأ بن يُوسُف [١].

وَفِي تَفسِيرِ عَلِيِّ بن إِبرَاهِيمَ [٢] قَالَ: لـمَّا مَاتَ العَزِيزُ، وَذَلِكَ فِي السِّنِينِ الجَدبَةِ، افتَقَرَت امرَأَةُ العَزِيزِ، وَاحتَاجَت حَتَّى سَأَلَت النَّاسَ، فَقَالُوا لَهَا: مَا يَضُرُّكِ لَو قَعَدتِّ لِلعَزِيزِ، وَكَانَ يُوسُف يُسَمَّى العَزِيزُ، فَقَالَت: أَستَحِي مِنهُ، فَلَم يَزَالُوا بِهَا، حَتَّى قَعَدَت لَهُ.

فَأَقبَلَ يُوسُف فِي مَوكِبِهِ، فَقَامَت إِلَيهِ زُلَيخَا، وَقَالَت: سُبحَانَ مَن جَعَلَ المُلُوكَ بِالمَعصِيَّةِ عَبِيداً، وَالعَبِيدَ بِالطَّاعَةِ مُلُوكاً، فَقَالَ لَهَا يُوسُف: أَنتِ هَاتِيك؟ قَالَت: نَعَم، وَكَانَ اسمُهَا زُلَيخَا، فَقَالَ لَهَا: هَل لَكِ فِيَّ؟ قَالَت: دَعنِي، بَعدَمَا يَئستُ أَتَهزَأ بِي؟ قَالَ: لَا، قَالَت: نَعَم.

قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا فَحُوِّلَت إِلَى مَنزِلِهِ، وَكَانَت هَرِمَةً، فَقَالَ لَهَا يُوسُف: أَلَستِ فَعَلتِ بِي كَذَا وَكَذَا؟ قَالَت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَا تَلُمنِي، فَإِنِّي بُلِيتُ فِي بَلَاءٍ لَم يُبلَ بِهِ أَحَدٌ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَت: بُلِيتُ بِحُبِّكَ، وَلَم يَخلُقَ اللهُ لَكَ فِي الدُّنيَا نَظِيرَاً، وَبُلِيتُ بِأَنَّهُ لَم تَكُن بِمِصرَ امرَأَةً أَجمَلُ مِنِّي، وَلَا أَكثَرُ مَالاً مِنِّي، وَبُلِيتُ بِزَوجٍ عِنِّينٍ، فَقَالَ لَهَا يُوسُف: فَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَت: تَسأَلُ اللهَ أَن يَرُدَّ عَلَيَّ شَبَابِي، فَسَأَلَ الله فَرُدَّ عَلَيهَا، فَتَزَوَّجَهَا وَهِي بِكرٌ وَعَذرَاءٌ.

(١) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ٢٣٢.

(٢) تفسير القمي: ١/ ٣٥٧.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: فَأَقَامَ فِي بَيتِ المَلِكِ سَنَةً، فَلَمَّا انصَرَمَت السَّنَةُ مِن يَومِ سَأَلَ الإِمَارَةِ، دَعَاهُ الأَمِير، فَتَوَّجَهُ وَرَداهُ بِسَيفِه، وَأَمَرَ بِأَن يُوضَعَ لَهُ سَرِيرٌ مِن ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، وَيُضرَبُ عَلَيهِ كُلَّةٌ مِن إِستَبرَقٍ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَن يَخرُجَ مُتَوَّجاً، لَونُهُ كَالثَّلجِ، وَوَجهُهُ كَالقَمَرِ، يَرَى النَّاظِرُ وَجهَهُ فِي صَفَاءِ لَونِ وَجهِهِ، فَانطَلَقَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ، وَدَانَت لَهُ المُلُوكَ، فَعَدَلَ بَينَ النَّاسِ، فَأَحَبَّهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ [(١)].

فَذَلِكَ قَولُه عَزَّ شَأنُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أَي: يَنزِلُ مِن بِلَادِهَا حَيثُ يَشَاءُ؛ أَي: يَهوَى [(٢)] يَعنِي: كُلُّ مَكَانٍ أَرَادَ أَن يَتَّخِذهُ مَنزِلاً لَم يُمنَعَ مِنهُ، لاستِيلَائِهِ عَلَى جَمِيعِهَا [(٣)].

وَقِيلَ: قَالَ لَهُ المَلِكُ: إِنَّ ذَلِكَ لَزِينَتِي وَفَخرِي، أَن لَا أَسِيرَ إِلَّا بِسِيرَتِكَ، وَلَا أَحكُمَ إِلَّا بِحُكمِكَ، وَلَو لَاكَ مَا قَوِيتُ عَلَيهِ وَلَا اهتَدَيتُ لَهُ، وَلَقَد جَعَلتُ سُلطَانِي عَزِيزاً لَا يُرَامُ، وَأَنَا أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُهُ، فَأَقِم عَلَى مَا وَلَّيتُكَ، فَإِنَّكَ لَدَينَا مَكِينٌ أَمِينٌ [(٤)].

وَقِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ كَانَ لَا يَمتَلِئ شَبَعاً مِنَ الطَّعَامِ فِي تِلكَ الأَيَّامِ المُجدِبَةِ، فَقِيلَ لَهُ: تَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الأَرضِ؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَن أَشبَعَ، فَأَنسَى الجِيَاعَ مِن عِبَادِ اللَّهِ عَلَى أَرضِهِ [(٥)].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٨٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٩٦.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ١٩٤.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٣/ ١٧٤.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٢١.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (٥٨)

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: وَكَانَ بَينَ أَن قَذَفُوهُ في الجُبِّ، وَبَينَ دُخُولِهُم عَلَيهِ أَربَعُونَ سَنَةً، فَلِذَلِكَ أَنكَرُوهُ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ وَلِأَنَّهُم رَأَوهُ مَلِكاً جَالِساً عَلَى السَّرِيرِ، عَلَيهِ ثِيَابُ المُلُوكِ، وَلَم يَكُن يَخطُرُ بِبَالِهِم أَنَّهُ يَصِيرُ إِلى تِلكَ الحَالَةِ [١].

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (٦٠)

الكَيلُ: مَا يُكَالُ بِهِ [٢] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ أَي: لَيسَ لَكُم عِندِي طَعَامٌ أَكِيلُهُ عَلَيكُم، فَالمُرَادُ بِالكَيلِ: المَكِيلُ [٣].

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦٢)

الرَّحلُ: وَاحِدُ الرِّحَالِ، يُقَالُ: في الوُعَاءِ رَحلٌ، وَللمَسكَنِ رَحلٌ، وَأَصلُهُ: الشَّيءُ المُعَدُّ لِلرَّحِيلِ [٤] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أَي: قَالَ يُوسُف لِعَبِيدِه وَغِلمَانِهِ الَّذِينَ يَكِيلُونَ الطَّعَامَ، عَن قَتَادَة وَغَيرُهُ، وَقِيلَ: لِأَعوَانِه: اجعَلُوا ثَمَنَ طَعَامِهُم، وَمَا كَانُوا جَاؤوا بِهِ فِي أَوعِيَتِهُم [٥].

الإِنقِلَابُ: الرُّجُوعُ [٦].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٢٢.
(٢) المصباح المنير، الفيومي: ٢/ ٥٤٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٢٧.
(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٥/ ٣٨٠.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٢٣.
(٦) زاد المسير، ابن الجوزي: ٢/ ٥٨.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤)

يُقَالُ: وَعَدَ فُلَانٌ وَضَمِنَ، وَلَم يَفِ بِضَمَانِهِ.

وَفي الخَبَرِ: (إِنَّ اللهَ سُبحَانَهُ، قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لأَرُدَّنَّ عَلَيكَ ابنَيكَ كِلَيهِمَا بَعدَمَا تَوَكَّلت عَلَيَّ) [١].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ أَي: حِفظُ اللهُ خَيرٌ مِن حِفظِكُم [٢] وَ: ﴿حَافِظًا﴾ نَصبٌ عَلَى التَّمييزِ، كَقَولِهِم: لله دَرُّهُ فَارِسَاً، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ حَالَاً، وَقَرَأَ أَبُو بَكرٍ: حِفظَاً: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٣].

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ (٦٥)

المَيرُ: جَلبُ الشَّيءِ إِلَى الشَّيء، يُقَالُ: مَارَهُ يَمِيرُ مَيرَاً [٤].

الوُسقُ: المَكِيلُ، وَاحِدَةُ الأَوسَاقِ، كَالبَعِيرِ، وَاحِدُ الأَبَاعِرِ [٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩/ ٢٢٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٢٦.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٢٩.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٦٥.
(٥) وأصله: الحمل المحمول على ظهر البعير، مفردات ألفاظ القرآن، الراغب: ٢٥٨.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٦٦)

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: قَالَ يَعقُوبُ لِبَنِيه: لَا أَرسِلُ بَنيَامِينَ مَعَكُم حَتَّى تُؤتُونِي مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ أَتَوَثَّقُ بِهِ: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ يَعنِي: تَحلِفُوا لِي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّنَ ﷺ وَسَيِّدُ المُرسَلِينَ؛ أَي: لَا تَغدِرُوا بِأَخِيكُم: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ اللَّامُ فِيهِ لِجَوَابِ القَسَمِ [١].

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٨)

يُقَالُ: تَجَهَّزَ لِلمَسِيرِ، وَيُسَمَّى حِملُ التَّاجِرِ جِهَازًا؛ إِذَا عَدَّ أَسبَابَهُ [٢] قَولُهُ تعَالَى:

﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ أَي: لَم يَكُن دُخُولُهُم مِصرَ مُتَفَرِّقِينَ يُغنِي عَنهُم شَيئاً أَرَادَ اللهُ إِيقَاعُهُ بِهِم؛ مِن حَسَدٍ أَو إِصَابَةُ عَينٍ، وَهوَ عليه السلام كَانَ عَالِمًا أَنَّهُ لَا يَنفَعُ حَذَرٌ مِن قَدَرٍ، وَلَكِن كَانَ مَا قَالَهُ عليه السلام لِبَنِيهِ حَاجَةً فِي قَلبِه، فَقَضَى تِلكَ الحَاجَةَ؛ أَي: أَزَالَ بِهِ اضطِرَابَ قَلبِه؛ لأَنَّ لَا يُحَالُ عَلَى العَينِ مَكرُوهٌ يُصِيبُهُم [٣].

وَالإِستِثنَاءُ مُنقَطِعٌ عَلَى مَعنَى: وَلَكِن حَاجَةً فِي نَفسِ يَعقُوبَ قَضَاهَا، وَهيَ إِظهَارُ الشَّفَقَةِ عَلَيهِم بِمَا قَالَهُ لَهُم، أَدَّى إِلَيهِ زَيدٌ؛ إِذَا ضَمَّ إِلَيهِ إِيَّاهُ [٤].

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٢٧.
(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٥/ ٤٣٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٣٠.
(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٢٩٠.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

السِّقَايَةُ: مَشرَبَةٌ يُستَقَى بِهَا، وَهي الصُّوَاعُ؛ أَي: جُعِلَت صَاعاً يُكَالُ، وَقد يَكُونُ مِن فِضَّةٍ، وَرُبَّمَا يَكُونُ مِن ذَهَبٍ مُرَصَّعَة بِالجَوَاهِرِ [١].

يُقَالُ: أَذَّنَ المُؤَذِّنُ: أَعلَمَ، وَأَذَّنَ: أَكثَرَ الإِعلَام [٢].

العِيرُ: الإِبِلُ الَّتي عَلَيهَا الأَحمَالُ وَالأَثقَالُ؛ لأَنَّهَا تَعيرُ؛ أَي: تَجيء وَتَذهَبُ [٣] وَقِيلَ: هِي قَافِلَةُ الحَمِيرِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ لِكُلِّ قَافِلَةٍ: عِيرٌ، وَالمُرَادُ: أَصحَابُ العِيرِ، وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ**﴾ [٤].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

وَقَولُهُم إِذ أَقسَمُوا ﴿**تَاللَّهِ**﴾ أَيُّهَا القَوم، قَسَمٌ فِيهِ مَعنَى التَّعَجُّب، وَالتَّاءُ بَدَلٌ مِنَ البَاءِ، مُختَصَّةٌ بِاسمِ اللَّهِ الكَرِيمِ، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم**﴾ [٥].

الإِستِرقَاقُ: أَخذُ الرَّجُلِ لِيَخدِمَهُ كَالعَبِيدِ، يُقَالُ: استَرَقَ السَّارِقُ سَنَة.

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٢.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٣٤.
(٣) غريب القرآن، الطريحي: ٢٦٥.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٦٩.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٣٩٦.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَهُوَ جَزاؤُهُ**﴾ يَجُوزُ أَن يَكُونَ جَزَاؤهُ مُبتَدَأً، وَالجُملَةُ الشَّرطِيَّةُ خَبَرُهُ، وَالأَصلُ جَزَاؤهُ مَن وُجِدَ في رَحلِهِ فَهوَ هُوَ، فَوُضِعَ الجَزَاءُ موضِعُ هُوَ، إقَامَةً لِلظَّاهِرِ مَقَامَ المُضمَرِ[1].

وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مَعنَاهُ: فَهوَ جَزَاؤهُ لَا غير، كَقَولِكَ: حَقُّ فُلَانٌ أَن يُكَرَّمُ وَيُنعَمُ عَلَيهِ، فَذَلِكَ حَقُّهُ؛ أَي: فَهوَ حَقُّهُ[2].

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

الإِسرَارُ: الإِخفَاءُ، يُقَالُ: أَسَرَّ الحَدِيثَ في نَفسِهِ، إِذَا لَم يُبدِهِ[3].

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٣٤.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ١٩.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٠)

النِّجِيُّ: ذُو النَّجوَى [١].

﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ وَهَذَا مِن أَلفَاظِ القُرآنِ الَّتي هِي في الغَايَةِ القُصوَى مِنَ الفَصَاحَةِ، وَالإِيجَازِ في اللَّفظِ، مَعَ كَثرَةِ المَعنَى [٢].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ فِيهِ وُجُوهٌ: أَن تَكُونَ مَا صِلَةٌ؛ أَي: وَمِن قَبلِ هَذَا قَصَّرتُم في شَأنِ يُوسُف، وَلَم تَحفَظُوا عَهدَ أَبِيكُم، وَأَن تَكُونَ مَصدَرِيَّةٌ عَلَى أَنَّ مَحَلَّ المَصدَرِ الرَّفعُ علَى الإِبتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ الظَّرفُ، وَهوَ مِن قَبل، وَمَعنَاهُ: وَوَقَعَ مِن قَبلِ تَفرِيطُكُم في يُوسُف، أَو: النَّصبَ عَطفاً عَلَى مَفعُولِ أَلَم تَعلَمُوا، وَهوَ أَنَّ أَبَاكُم، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَلَم تَعلَمُوا أَخذَ أَبِيكُم عَلَيكُم مَوثِقَاً، وَتَفرِيطُكُم مِن قَبل في يُوسُف، وَأَن تَكُونَ مَوصُولَةً بِمَعنَى: وَمِن قَبل هَذَا مَا فَرَّطتُمُوهُ؛ أَي: قَدَّمتُمُوهُ في حَقِّ يُوسُف مِنَ الجِنَايَةِ العَظِيمَةِ، وَمَحَلُّهُ الرَّفعُ، أَو النَّصبُ علَى الوَجهَينِ [٣].

قَولُهُ تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ وَهَذَا قَولُ كَبِيرَهُم سِنَّاً، وَهوَ رُوبِين ابنُ خَالَةِ يُوسِف، وَهوَ الَّذِي نَهَى إِخوَتُهُ عَن قَتلِهِ، وَقِيلَ: شَمعُون، وَهوَ كَبِيرُهُم في العَقلِ وَالعِلمِ لَا في السِّنِّ، وَكَانَ رَئِيسَهُم، وَقِيلَ: يَهُوذَا، وَكَانَ أَعقَلَهُم، وَقِيلَ: لَاوي [٤].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٦/ ٦٢٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٤٠.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٣٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٤٠.

وَالمَعنَى: أَي أَلَمَ تَعلَمُوا أَنَّ أَخذَ أَبِيكُم مَوثِقاً عَلَيكُم، وَتَفرِيطَكُم مِن قَبل فِي يُوسُف، وَأَن تَكُونُ مَوصُولَةً، بِمَعنَى: وَمِن قَبل هَذَا مَا فَرَّطتمُوهُ؛ أَ: قَدَّمتُمُوهُ فِي حَقِّ يُوسُف مِنَ الخِيَانَةِ العَظِيمَةِ، وَمَحَلُّهُ الرَّفعُ أَو النَّصبُ عَلَى الوَجهَينِ [(١)].

قَالُوا: لَم نَشعُر أَسَرَق فُلَانٌ أَم دُسَّ الصَّاعُ فِي رَحلِهِ [(٢)].

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

الأَسَفُ: شِدَّةُ الحُزنِ وَالحَسرَةِ، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**يَا أَسَفِى عَلَى يُوسُفَ**﴾ أَضَافَ الأَسَفَ إِلَى نَفسِه تعَالَى، وَالأَلِفُ بَدلٌ مِن يَاءِ الإِضَافَةِ، وَتَأَسُّفَهُ عَلَى يُوسُف دُونَ غَيرِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّه لَم يَقَع فَائتٌ عِندَهُ مَوقِعَهُ [(٣)].

يُقَالُ: بَكَى فُلَانٌ حَتَّى ابيَضَّت عَينَاهُ مِنَ الحُزنِ؛ أَي: حَتَّى أَشرَفَ عَلَى العَمَى، فَلَا يَرَى إِلَّا رُؤيَةً ضَعِيفَةً [(٤)].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٣٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٦.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٦.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥)

﴿تَفْتَأُ﴾ أَي: لَا تَفتأ، حُذِفَ حَرفُ النَّفي؛ لأَنَّهُ لَا يَلتِبس بِالإِثبَاتِ، لأَنَّهُ لَو كَانَ إِثبَاتاً لَم يَكُن بُدٌّ مِنَ اللَّامِ وَالنُّونِ، وَنَحوَهُ: فَقُلتُ: يَمِينَ اللَّـهِ أَبرَحُ قَاعِدَاً، وَمَعنَى: **﴿تَفْتَأُ﴾** لَا تَزَالُ [1].

يُقَالُ: رَجُلٌ حَرِضٌ؛ أَي: فَاسِدٌ مَرِيضٌ، يُحدِثُ فِي ثِيَابِهِ، وَاحِدُهُ وَجَمعُهُ سَوَاءٌ [2] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: **﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾** أَي: مُشرِفاً عَلَى الهَلَاكِ، وَأَحرَضَهُ المَرَضُ: أَفسَدَهُ [3].

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

يُقَالُ: تَنَغَّصَ العَيشُ؛ إِذَا اختَلَطَ بِالحُزنِ.

البَثُّ: الهَمُّ الَّذِي لَا يَقدِرُ صَاحِبَهُ عَلَى كِتمَانِه فَيَبُثُّهُ [4] وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: **﴿إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾** أَي: قَالَ يَعقُوبُ فِي جَوَابِهِم: لَا أَشكُو إِلَى أَحَدٍ مِنَ الخَلقِ يَا بَنِيِّ، وَإِنَّمَا أَشكُو هَمِّي إِلَى اللَّهِ تعَالَى فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي وَأَوقَاتِ الخَلَوَاتِ [5].

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: (إِنَّ جبرَئِيلَ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا يَعقُوب، إِنَّ اللهَ يَقرَأُ عَلَيكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: أَبشِر، وَلِيَفرَحَ قَلبُكَ، فَوَعِزَّتِي، لَو كَانَا مَيِّتَينِ لَنَشَرتُهُمَا لَكَ، فَاصنَع طَعَاماً

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٧.

(٢) الصحاح، الجوهري، مادة (حرض): ٣/ ١٠٧٠.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٤٠٤.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٤٢.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٧.

لِلمَسَاكِين؛ فَإِنَّ أَحبَّ عِبَادِي إِلَى الأَنبِيَاءِ المَسَاكِينَ، أَوَ تَدرِي لِمَ أَذهَبتُ بَصَرَكَ، وَقَوَّستُ ظَهرَكَ؟ لأَنَّكُم ذَبَحتُم شَاةً، وَأَتَاكُم فُلَانٌ المِسكِينَ، وَهوَ صَائمٌ، فَلَم تُطعِمُوهُ شَيئاً، فَكَانَ يَعقُوبَ بَعدَ ذَلِكَ، إِذَا أَرَادَ الغَدَاءَ، أَمرَ مُنَادِيا فَنَادَى: أَلَا مَن أَرَادَ الغَدَاءَ مِن المَسَاكِينِ فَليَتَغَدَّ مَعَ يَعقُوبَ، وَإِذَا كَانَ صَائمَاً أَمرَ مُنَادِياً يُنَادِي: مَن كَانَ صَائمَاً فَليُفطِر مَعَ يَعقُوبَ) [١].

وَرُوِي: أَنَّهُ عليه السلام رَأَى مَلَكَ المَوتِ عليه السلام فَسَأَلَهُ: هَل قَبَضتَ رُوحَ يُوسُفَ النَّبِيِّ؟ فَقَالَ: لَا، فَعَلِمَ أَنَّهُ حَيٌّ، فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ﴾ بِالحَاءِ المُهمَلَةِ، مِنَ الإِحسَاسِ؛ وَهوَ المَعرِفَةُ بِالحَاسَّةِ ﴿مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [٢].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨)

يُقَالُ: أَصَابَنَا بِهِم سِنِينَ شِدَادٌ قِحَاطٌ [٣].

الضُّرُّ: الهُزَالُ مِن الجُوعِ وَالشِّدَّةِ [٤].

يُقَالُ: فُلَانٌ أَزجَيتُه وَطَرَدتُهُ، وَ: ﴿مُّزْجَاةٍ﴾ بِضَمِّ المِيم، وَسُكُونِ الزَّاءِ المُعجَمَةِ: المَدفُوعَةُ، يَدفَعُهَا كُلُّ تَاجِرٍ رَغبَةً عَنهَا، وَقِيلَ: المُزجَاةُ؛ كَانَت مِن مَتَاعِ الأَعرَابِ؛ الصُّوفُ وَالسَّمَنُ، وَقِيلَ: كَانَت دَرَاهِمَ زُيُوفَاً، لَا تُنفَقُ فِي ثَمَنِ الطَّعَامِ [٥].

---

(١) نور الثقلين، الحويزي: ٢/ ٤٥٤ح ١٦٣.
(٢) يوسف: ٨٧، جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٧.
(٣) البحر المحيط، أبي حيان الاندلسي: ٥/ ٣١٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٣٨.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٠٦.

وَفِي كِتَابِ النُّبُوَّةِ: بِالإِسنَادِ عَن الصَّادِقِ عليه السلام فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ: (أَنَّ يَعقُوبَ عليه السلام كَتَبَ إِلى عَزِيزِ مِصرَ، وَهوَ يُوسُفَ:

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ، إِلَى عَزِيزِ مِصرَ، وَمَظهَرِ العَدلِ، وَمُوفِي الكَيلِ، مِن يَعقُوبَ بن إِسحَاقَ بن إِبرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، صَاحِبِ نُمرُودَ الَّذِي جَمَعَ لِإِبرَاهِيمَ الحَطَبَ وَالنَّارَ لِيُحرِقَهُ بِهَا، فَجَعَلَهَا اللهُ عَلَيهِ بَرداً وَسَلَاماً، وَأَنجَاهُ مِنهَا.

أُخبِرُكَ أَيُّهَا العَزِيزُ، أَنَّا أَهلُ بَيتٍ قَدِيمٍ، لَم يَزَلِ البَلَاءُ إِلَينَا سَرِيعاً مِنَ اللَّهِ؛ لِيَبلُوَنَا بِذَلِكَ عِندَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَأَنَّ مَصَائِبَ تَتَابَعَت عَلَيَّ مُنذُ عِشرِينَ سَنَةً:

أَوَّلُهَا: أَنَّهُ كَانَ لِيَ ابنٌ سَمَّيتُهُ يُوسُفَ، وَكَانَ سُرُورِي مِن بَينِ وُلدِي، وَقُرَّةَ عَينِي، وَثَمَرَةَ فُؤَادِي، وَأَنَّ إِخوَتَهُ مِن غَيرِ أُمِّهِ سَأَلُونِي أَن أَبعَثَهُ مَعَهُم يَرتَعُ وَيَلعَبُ، فَبَعَثتُهُ مَعَهُم بُكرَةً، وَإِنَّهُم جَاؤونِي عِشَاءً يَبكُونَ، وَجَاؤونِي عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ، فَزَعَمُوا: أَنَّ الذِّئبَ أَكَلَهُ، فَاشتَدَّ لِفَقدِهِ حُزنِي، وَكَثُرَ عَلَى فِرَاقِه بُكَائِي، حَتَّى ابيَضَّت عَينَايَ مِنَ الحُزنِ.

وَأَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخٌ مِن خَالَتِهِ، وَكُنتُ بِهِ مُعجَباً، وَعَلَيهِ رَفِيقاً، وَكَانَ لِي أَنِيساً، وَكُنتُ إِذَا ذَكَرتُ يُوسُفَ ضَمَمتُهُ إِلَى صَدرِي، فَيَسكُنُ بَعضُ مَا أَجِدُ فِي صَدرِي.

وَأَنَّ إِخوَتَهُ ذَكَرُوا لِي: إِنَّكَ أَيُّهَا العَزِيزُ سَأَلْتَهُمْ عَنهُ؟ وَأَمَرتَهُم أَن يَأتُوكَ بِهِ، وَإِن لَم يَأتُوكَ بِهِ مَنَعتَهُمُ المِيرَةَ لَنَا مِنَ القَمحِ مِن مِصرَ، فَبَعَثتُهُ مَعَهُم لِيَمتَارُوا لَنَا قَمحاً، فَرَجَعُوا إِلَيَّ فَلَيسَ هُوَ مَعَهُم، وَذَكَرُوا أَنَّهُ سَرَقَ مِكيَالَ المَلِكِ، وَنَحنُ أَهلُ بَيتٍ لَا نَسرِقُ، وَقَد حَبَستَهُ، وَفَجَعتَنِي بِهِ، وَقَدِ اشتَدَّ لِفِرَاقِهِ حُزنِي، حَتَّى تَقَوَّسَ لِذَلِكَ ظَهرِي، وَعَظُمَت بِهِ مُصِيبَتِي، مَعَ مَصَائِبَ مُتَتَابِعَاتٍ عَلَيَّ.

فَمُنَّ عَلَيَّ بِتَخلِيَةِ سَبِيلِهِ، وَإِطلَاقِهِ مِن مَحبَسِهِ، وَطَيِّب لَنَا القَمحَ، وَاسمَح لَنَا فِي

السِّعرِ، وَعَجِّل سَرَاحَ آلِ يَعقُوبَ.

فَلَمَّا مَضَى وُلدُ يَعقُوبَ مِن عِندِهِ نَحوَ مِصرَ بِكِتَابِهِ، نَزَلَ جَبرَئِيلُ عَلَى يَعقُوبَ، فَقَالَ لَهُ: يَا يَعقُوبُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: مَنِ ابتَلَاكَ بِمَصَائِبِكَ الَّتِي كَتَبتَ بِهَا إِلَى عَزِيزِ مِصرَ؟ قَالَ يَعقُوبُ: أَنتَ بَلَوتَنِي بِهَا، عُقُوبَةً مِنكَ وَأَدَباً لِي، قَالَ اللهُ: فَهَل كَانَ يَقدِرُ عَلَى صَرفِهَا عَنكَ أَحَدٌ غَيرِي؟ قَالَ يَعقُوبُ: اللَّهُمَّ لَا، قَالَ: أَفَمَا استَحيَيتَ مِنِّي حِينَ شَكَوتَ مَصَائِبَكَ إِلَى غَيرِي، وَلَم تَستَغِث بِي، وَتَشكُو مَا بِكَ إِلَيَّ؟ فَقَالَ يَعقُوبُ: أَستَغفِرُكَ يَا إِلَهِي وَأَتُوبُ إِلَيكَ، وَأَشكُو بَثِّي وَحُزنِي إِلَيكَ.

فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قَد بَلَغتُ بِكَ يَا يَعقُوبُ وَبِوُلدِكَ الخَاطِئِينَ الغَايَةَ فِي أَدَبِي، وَلَو كُنتَ يَا يَعقُوبُ شَكَوتَ مَصَائِبَكَ إِلَيَّ عِندَ نُزُولِهَا بِكَ وَاستَغفَرتَ، وَتُبتَ إِلَيَّ مِن ذَنبِكَ لَصَرَفتُهَا عَنكَ بَعدَ تَقدِيرِي إِيَّاهَا عَلَيكَ، وَلَكِنَّ الشَّيطَانَ أَنسَاكَ ذِكرِي، فَصِرتَ إِلَى القُنُوطِ مِن رَحمَتِي، وَأَنَا اللهُ الجَوَادُ الكَرِيمُ، أُحِبُّ عِبَادِيَ المُستَغفِرِينَ التَّائِبِينَ، الرَّاغِبِينَ إِلَيَّ فِيمَا عِندِي يَا يَعقُوبُ.

أَنَا رَادٌّ إِلَيكَ يُوسُفَ وَأَخَاهُ، وَمُعِيدٌ إِلَيكَ مَا ذَهَبَ مِن مَالِكَ وَلَحمِكَ وَدَمِكَ، وَرَادٌّ إِلَيكَ بَصَرَكَ، وَ يَقُوِّمُ لَكَ ظَهرُكَ، فَطِب نَفساً، وَقُرَّ عَيناً، وَإِنَّ الَّذِي فَعَلتُهُ بِكَ كَانَ أَدَباً مِنِّي لَكَ، فَاقبَل أَدَبِي.

وَمَضَى وُلدُ يَعقُوبَ بِكِتَابِهِ نَحوَ مِصرَ، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ فِي دَارِ المملَكَةِ، فَـ ﴿**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا**﴾ بِأَخِينَا ابن يَامِين، وَهَذَا كِتَابُ أَبِينَا يَعقُوبَ إِلَيكَ فِي أَمرِهِ، يَسأَلُكَ أَن تَمُنَّ بِهِ عَلَيهِ.

قَالَ: فَأَخَذَ يُوسُفُ كِتَابَ يَعقُوبَ فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى عَينَيهِ، وَبَكَى وَانتَحَبَ، حَتَّى

بَلَّت دُمُوعُهُ القَمِيصَ الَّذِي عَلَيهِ، ثُمَّ أَقبَلَ عَلَيهِم، فَـ: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ مِن قَبْلُ: ﴿وَأَخِيهِ﴾ [١] مِن بَعدُ: ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا * قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا﴾ [٢] فَلَا تفضَحنَا، وَلَا تُعَاقِبنَا اليَومَ، وَاغفِر لَنَا: ﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ﴾ [٣]) [٤].

قَالَ ابنُ الأَنبَارِيُّ: هَذَا استِفهَامٌ، يَعنِي بِهِ تَعظِيمُ القِصَّةِ، وَمَعنَاهُ: مَا أَعظَمَ مَا ارتَكَبتُم، وَمَا أَقبَحَ مَا آتَيتُم بِهِ؛ مِن قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَتَضيِيعِ حَقِّهِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: هَل تَدرِي مَن عَصَيتَ إِذ أَنتُم جَاهِلُونَ لَا تَعلَمُونَ قُبحَهُ؛ يَعنِي: هَل عَلِمتُم قُبحَهُ، فَتُبتُم إِلى اللَّهِ مِنهُ؟ لأَنَّ عِلمَ القَبحِ يَجُرُّ إِلى التَّوبَةِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ أَنتُم صِبيَانٌ أَو شُبَّانٌ حِينَ يَغلِب عَلَى الإِنسَانِ الجَهلُ؟ ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ هَذَا استِفهَامُ تَقرِيرٍ؛ وَلِذَلِكَ حُقِّقَ بِأَن وَاللَّامُ عَلَيهِ [٥].

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾

قِيلَ: إِنَّ يُوسُف لـمَّا قَالَ لَهُم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ ثُمَّ تَبَسَّمَ، وَكَانَ إِذَا تَبَسَّمَ كَأَنَّ ثَنَايَاهُ اللُّؤلُؤ المَنظُوم، فَلَمَّا أَبصَرُوا ثَنَايَاهُ شَبَّهُوهُ بِيُوسُف، فَقَالُوا لَهُ استِفهَامًا: ﴿أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾؟ [٦] وَقِيلَ: رَفَعَ التَّاجَ عَن رَأسِهِ فَعَرَفُوهُ [٧].

---

(١) يوسف: ٨٩.
(٢) يوسف: ٩٠-٩١.
(٣) يوسف: ٩٢.
(٤) تفسير العياشي: ٢/ ١٩٠ح ٦٥.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥١.
(٦) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ٢٥٣.
(٧) تفسير الرازي: ١٨/ ٢٠٣.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٩١)

يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ لِمَن تُحِبَّهُ: آثَرَكَ اللهُ عَلَى العَالَمِينَ بِالتَّقوَى وَالصَّبرِ وَسِيرَةُ المُحسِنِينَ[١].

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢)

التَّثرِيبُ وَالتَّوبِيخُ وَالتَّعيِيرُ وَالتَّقرِيعُ بِمَعنَىً وَاحِدٍ[٢] قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾.

﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣)

قِيلَ: إنَّ يُوسُف قَالَ: إنَّمَا يَذهَبُ بِقَمِيصِي مَن ذَهَبَ بِهِ أَوَّلاً، فَقَالَ يَهوذَا: أَنَا ذَهَبتُ بِهِ وَهوَ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ، قَالَ: فَاذهَب بِهَذَا أَيضاً، وَأَخبِرهُ أَنَّهُ حَيٌّ، وَأَفرِحهُ كَمَا أَحزَنتَهُ، فَحَمَلَ القَمِيصَ، وَخَرَجَ حَافِيَاً حَاسِرَاً، حَتَّى أَتَاهُن وَكَانَ مَعَهُ سَبعَةُ أَرغِفَةٍ، وَكَانَت المَسَافَةُ ثَمَانِينَ فَرسَخاً، فَلَم يَستَوفِ الأَرغِفَةَ فِي الطَّرِيقِ[٣].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤)

﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ**﴾ أَي: وَلَمَّا خَرَجَت القَافِلَةُ وَانفَصَلَت مِن مِصرَ، مُتَوَجِهَةً نَحوَ الشَّامِ: ﴿**قَالَ أَبُوهُمْ**﴾ لأَولَادِ أَولَادِهِ وَمَن حَولَهُ: ﴿**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٩٠.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ١٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥٢.

أَوجَدَهُ اللهُ رِيحَ قَمِيصِ يُوسُف حِينَ فَصَلَت العِيرُ مِن مِصرَ وَهوَ بِفَلسطِينَ، مِن مَسِيرَةِ عَشَرَةِ لَيَالٍ، أَو ثَمانٍ، وَقِيلَ: مَائتَينِ فرسَخاً، وَقِيلَ: مِن مَسِيرَةِ شَهرٍ (١).

رُوِي: أَنَّ الصَّبَا استَأذَنَت رَبَّهَا في أَن تَأتِي يَعقُوبَ بِرِيحِ يُوسُف قَبلَ أَن يَأتِيَهُ البَشِيرُ بِالقَمِيصِ، فَأَذِنَ لهَا فَأَتَتهُ بِهَا، وَلِذَلِكَ يَسترَوحُ كُلُّ محَزُونٍ بِرِيحِ الصَّبَا (٢).

﴿لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ أَي: تَنسِبُونِي إِلى الفَنَدِ؛ وَهوَ: الخَرَفُ، وَالمَعنَى: لَو لَا تَفنِيدُكُم إِيَّاي لَصَدَّقتُمُونِي (٣).

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أَي: في ذَلِكَ، لَم يَكُن عَن الحَقِّ وَالصَّوَابِ قُدُماً في إِفرَاطِ محَبَّتِكَ لِيُوسُف، وَرَجَائكَ لِقَائهِ، وَكَانَ عِندَهُم أَنَّه قَد مَاتَ (٤).

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٩٨﴾

قِيلَ: إِنَّ يَعقُوبَ أَخَّرَ الاستِغفَارَ إِلى وَقتِ السَّحَرِ؛ لأَنَّهُ أَقرَبُ إِلى إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَقِيلَ: إِلى سَحَرِ لَيلَةِ الجُمعَةِ (٥).

وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ، وَيَصُفُّ أَولَادَهُ خَلفَهُ عِشرِينَ سَنَةً، يَدعُو وَيُؤمِنُونَ عَلَى دُعَائهِ

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ٦٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥٣.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٤٠.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٩٣.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٤٣.

وَاستِغفَارِه لهُم، حَتَّى نَزَلَ قَبُولُ تَوبَتِهُم [١].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠)

عَن أَبي جَعفَرٍ عليه السلام: (إِنَّ يَعقُوبَ قَالَ لَولدِه: تَحَمَّلُوا إِلى يُوسُف مِن يَومِكُم هَذَا بِأَهلِكُم أَجمَعِينَ، فَسَارُوا إِلَيهِ وَيعقُوب مَعَهُم، وَخَالَةُ يُوسُف أُمُّ يَامِين، فَحَثُّوا السَّيرَ فَرَحَاً وَسُرُوراً تِسعَةَ أَيَّامٍ إِلى مِصرَ.

فَلَمَّا دَخلُوا عَلَى يُوسُفَ في دَارِ المَلِكِ، اعتَنَقَ أَبَاهُ وَقَبَّلَهُ وَبَكَى، وَرَفَعَهُ وَرَفَعَ خَالَتَهُ عَلَى سَرِيرِ المُلكِ.

ثُمَّ دَخَلَ مَنزِلَهُ، وَاكتَحَلَ وَادَّهَنَ، وَلَبِسَ ثِيَابَ العِزِّ وَالمُلكِ، فَلَمَّا رَأوهُ سَجَدُوا جَمِيعَاً إِعظَامَاً لَهُ، وَشُكرَاً للَّـهِ عِندَ ذَلِكَ.

وَلَم يَكُن يُوسُف في تِلكَ العِشرِينَ سَنَةً يُدهِنُ وَلَا يَكتَحِل وَلَا يَتَطَيَّبُ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَينَهُ وَبَينَ أَبِيهِ وَإِخوَتِه.

وَقِيلَ: إِنَّ يُوسُف بَعَثَ مَعَ البَشِيرِ مَائتِي رَاحِلَةً، مَعَ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ في السَّفَرِ، وَسَأَلهُم أَن يَأتُوهُ بِأَهلِهِم أَجمَعِينَ.

فَلَمَّا دَنَا يَعقُوبَ مِن مِصرَ، تَلَقَّاهُ يُوسُف في الجُندِ وَأَهلِ مِصرَ، فَقَالَ يَعقُوبُ: يَا يَهُوذَا، هَذَا فِرعَونُ مِصرَ؟ قَالَ: لَا، هَذَا إِبنُكَ، ثُمَّ تَلَاقَيَا) [٢].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥٦.

قَالَ أَكثَرُ المُفَسِّرِينَ: سَمَّى الخَالَةُ أُمَّا كَمَا سَمَّى العَمُّ أَبَاً في قَولِهِ: ﴿**وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ [١] وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّهُ كَانَت مَاتَت في نَفَاسِهَا بِابِن يَامِين، فَتزَوَّجَها أَبُوهُ [٢].

قَالَ البَاقِرُ عليه السلام: (... فَلَـمَّا دَخلُوا عَلَى يُوسُف في دَارِ المَلِكِ، اعتَنَق أَبَاهُ، فَقبَّلَهُ وَبكَى، وَرَفَعهُ وَرَفَعَ خَالَتَهُ عَلَى سَرِيرِ المُلكِ، ثُمَّ دَخَل مَنزِلَهُ فَادَّهَنَ وَاكتَحَلَ، وَلَبِسَ ثِيَابِ العِزِّ وَالمُلكِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيهِم، فَلَـمَّا رَأَوهُ سَجَدُوا جَمِيعَاً لَهُ؛ إِعظَامَاً لَهُ، وَشُكرَاً للَّـهِ، فَعِندَ ذَلِكَ، قَالَ: ﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ**﴾...) [٣].

وَالعَرشُ: السَّرِيرُ الرَّفِيعُ [٤].

التَّكرِمَةُ: التَّحِيَّةُ.

يُقَالُ: أَحسِن بِهِ وَإِلَيهِ، وَأَسَاءَ بِهِ وَإِلَيهِ [٥].

وَمِنهُ قَولُه تعَالَى: ﴿**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ**﴾ أَي: وَقَد أَحسَنَ رِبِّي إِلَيَّ؛ حَيثُ أَخرَجَنِي مِنَ السِّجنِ، وَأَنعَمَ عَلَيَّ بِهِ [٦].

البَدوُ: البَادِيَةُ [٧] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ**﴾

وَفي كِتَابِ النُّبوَّةِ: بِالإِسنَادِ عَن الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: (قَالَ يَعقُوبُ لِيُوسُف: يَا بُنَي،

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥٧.

(٣) تفسير العياشي: ٢/ ١٩٧ ح ٨٣.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ١٩٧.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٤١.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٥٨.

(٧) زاد المسير، ابن الجوزي: ٤/ ٢١٧.

حَدِّثني كَيفَ صَنعَ بِكَ إِخوَتُكَ؟قالَ: يَا أَبَتِ دَعنِي، فَقَالَ: أَقسَمتُ عَلَيكَ إِلَّا مَا أَخبَرتَنِي، فَقَالَ لَهُ:

أَخَذُونِي وَأَقعَدُونِي عَلَى رَأسِ الجُبِّ، ثُمَّ قَالُوا: إِنزَع قَمِيصُكَ، فَقُلتُ لَهُم: إِنِي أَسأَلُكُم بِوَجهِ يَعقُوبَ أَلَّا تَنزَعُوا قَمِيصِي عَنِّي، وَلَا تُبدُوا عَورَتِي، فَرَفَعَ فُلَانٌ السِّكِّينَ عَلَيَّ، فَقَالَ: إِنزَع.

فَصَاحَ يَعقُوبُ، وَسَقَطَ مَغشِيّاً عَلَيهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: يَا بُنَي، كَيفَ صَنَعُوا بِكَ؟

فَقَالَ يُوسُف: إِنِّي أَسأَلُكَ بِإِلهِ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ، إِلَّا أَعفَيتَنِي، قَالَ: فَتَرَكَهُ[1].

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾﴿١٠١﴾

وَقَولُهُ تعالَى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ مِن فِيهِمَا لِلتَبعِيضِ؛ لأَنَّه لَم يُؤتَ إِلَّا بَعضَ مُلكِ الدُّنيَا، أَو مُلكَ مِصرَ، وَبَعضَ التَّأوِيلِ[2].

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾﴿١٠٥﴾

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ بِمَعنَى: كَم[3] وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ أَي: وَكَم مِن لَهُ دَلَالَةٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى تَوحِيدِ اللَّهِ[4].

---

(١) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ٦٥.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٢٠٦.

(٣) غريب القرآن، الطريحي: ٥٨٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٤٦٢.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

قَولُهُ تعالَى: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ﴾ أَي: يَقِينٍ وَمَعرِفَةٍ، وَحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ، لَا عَلَى وَجهِ التَّقلِيدِ وَالظَّنِّ[١].

﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني﴾ ﴿أَنَا﴾ تَأكِيدٌ لِلضَمِيرِ المُستكِّنِ في: ﴿أَدْعُوا﴾ وَ: ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عَطفٌ عَلَيهِ؛ أَي: أَدعُوا إِلَيهَا أَنَا، وَيَدعُوا إِلَيهَا مَن اتَّبَعَنِي وَآمَنَ بِي، وَيَجوزُ أَن يَتُمَّ الكَلَامَ عِندَ قَولِه: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ ثُمَّ ابتَدَأَ وَقَالَ: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ لأَنَّهُم كَانُوا عَلَى أَحسَنِ طَرِيقَةٍ[٢].

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ١٨/ ١٦٠.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٤٤



الفصل الثالث عشر

سورة الرّعد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

رُوِي: إِنَّ قَولَهُ تعالَى: ﴿المر﴾ أنا اللهُ أَعلَمُ وَأَرَى[1].

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢)

قَولُهُ تعَالَى: **﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾** **﴿اللهُ﴾** مُبتَدَأ، وَ: **﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾** خبَرُهُ، بِدَلِيلِ: **﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾**[2] وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ صِفَةً، وَقولُهُ: **﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾** خَبَرٌ بعدَ خبَرٍ: **﴿تَرَوْنَهَا﴾** كَلامٌ مُستَأنَفٌ، بِمَعنَى: وَأَنتُم تَرونَهَا كَذَلِكَ، لَيسَ دُونَهَا دِعَامَةٌ، وَلَا فَوقَهَا عُلَّاقَةٌ، وَقِيلَ: **﴿تَرَوْنَهَا﴾** صِفَةٌ لِـ: **﴿عَمَدٍ﴾**[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٦.
(٢) الرعد: ٣.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٤٨.

وَيُرِيدُ بَالعَمَدِ: وَهوَ جَمعُ عِمَادٍ؛ السَّوَارِي وَالدَّعَائم، وَمَعنَاهُ: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيرِ عَمَدٍ، وَأَنتُم تَرَونَهَا كَذَلِكَ، يَعنِي: لَيسَ مِن دُونِهَا دَعَامَةٌ تَدعَمُهَا، وَلَا فَوقَهَا عُلَّاقَةٌ تُمسِكُهَا [١].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾

يُقَالُ: رَسِى الشَّيء؛ إِذَا ثَبَتَ، وَالرَّاسِيَّةُ: وَاحِدَةُ الرَّوَاسِي، وَقَولُهُ تعالَى: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾ أَي: جِبَالاً ثَوَابِتَ، جَمعُ رَاسِيَةٍ، وَالتَّاءُ لِلتَأنِيثِ، عَلَى أَنَّهَا صِفَةُ أَجبُلٍ أَو لِلمُبَالَغَةِ [٢].

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾

الصِّنوُ: الأَصلُ [٣] يُقَالُ: هَذَا صِنوُهُ؛ أَي: أَصلُهُ، وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**صِنْوَانٌ**﴾ أَي: نَخِيلاً مِن أَصلٍ وَاحِدٍ: ﴿**وَغَيْرُ صِنْوَانٍ**﴾ أَي: نَخلَاتٍ مِن أُصُولٍ شَتَّى، وَقِيلَ: إِن الصِّنوَانَ؛ أَنَّ النَّخلَةَ تَكُونُ حَولَهَا النَّخلَاتُ: ﴿**وَغَيْرُ صِنْوَانٍ**﴾ النَّخلُ المُتَفَرِّقُ، وَقِيلَ: الصِّنوُ: المِثلُ، وَالصِّنوَانُ: الأَمثَالُ.

﴿**وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ**﴾ أَي: وَبَسَاتِينَ، فِيهَا مِن أَنوَاعِ الأَشجَارِ وَالكُرُومِ، وَالزُّرُوعِ وَالنَّخِيلِ، وَقَرَأَ حَفصٌ: وَزُرعٌ وَنَخِيلٌ بِالرَّفعِ، عَطفٌ عَلَى:

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧ عن ابن عباس.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣١٧.
(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ٧٦.

﴿وَجَنَّاتٌ﴾ وَقَرَأَ أَبُو بَكرٍ بِالجَرِّ، عَطفٌ عَلَى: ﴿أَعْنَابٍ﴾.

﴿صِنْوَانٌ﴾ أَي: نَخلَاتٌ مِن أَصلٍ وَاحِدٍ: ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ أَي: نَخلَاتٌ مِن أُصُولٍ شَتَّى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ أَي: يُسقَى مَا ذَكَرنَاهُ مِنَ القِطَعِ المُتَجَاوِرَاتِ وَالجَنَّاتِ وَالنَّخِيلِ المُختَلِفَةِ بِمَاءِ الأَنهَارِ، أَو: بِمَاءِ الآبَارِ، أَو: بِمَاءِ السَّمَاءِ[1].

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ أَي: نُفَضِّلُ نَحنُ بَعضَهَا عَلَى بَعضٍ فِي الطَّعمِ وَاللَّونِ وَالرَّائحَةِ، مَعَ أَنَّ البِئرَ وَاحِدَةٌ، وَالشُّربُ وَاحِدٌ، وَالجِنسُ وَاحِدٌ، حَتَّى يَكُونُ بَعضُهَا حَامِضاً، وَبَعضٌ حُلواً، وَبَعضُهَا مُرّاً، فَلَو كَانَت بِالطَّبعِ لَمَا اختَلَفَت أَلوَانُهَا وَطُعُومُهَا، مَعَ كَونِ الأَرضِ وَالمَاءِ وَاحِداً، وَفِي هَذَا أَوضَحُ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ لِهَذِه الأَشيَاءَ صَانِعَاً قَادِراً، أَحدَثَهَا وَدَبَّرَهَا وَأَبدَعَهَا بِحَسَبِ اقتِضَاءِ الحِكمَةِ مِن خَالِقِهَا جَلَّ شَأنُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أَي: يَستَعمِلُونَ عُقُولَهُم بِالتَّفكرِ فِيهَا، وَيَستَدِلُّونَ بِهَا عَلَى صُنعِ صَانِعِهَا[2].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١.

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (٥)

﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ**﴾ أَي: وَإِن تَعجَب يَا مُحَمَّد مِن قَولِ هَؤلَاءِ الكُفَّارِ، في إِنكَارِ البَعثِ وَالنُّشُورِ، مَعَ إِقرَارَهُم بِابتِدَاءِ اللَّـهِ الخَلقِ، فَقَولُهُم عَجَبٌ، حَقِيقٌ لَئن يُتَعَجَّبُ مِنهُ؛ لأَنَّ مَن قَدِرَ عَلَى إِنشَاءِ مَا عَدَّدَ عَلَيكَ مِنَ الصَّنَائعِ العَجِيبَةِ، وَالفِطَرِ البَدِيعَةِ، كَانَت الإِعَادَةُ عَلَيهِ أَهوَنُ[(١)].

﴿**أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ بَدَلٌ مِن قَولِه: ﴿**قَوْلُهُمْ**﴾ أَو: مَفعُولٌ لَهُ، وَالعَامِلُ في: ﴿**إِذَا**﴾ مَحذُوفٌ دَلَّ عَلَيهِ: ﴿**أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[(٢)].

يَعنِي: أَنُبعَثُ وَنُعَادُ بَعدَمَا صِرنَا تُرَاباً، هَذَا مِمَّا لَا يُمكِنُ، وَهَذَا مِنهُم نِهَايَةٌ في الأُعجُوبَةِ، فَإِنَّ المَاءَ إِذَا حَصَلَ في الرَّحِمِ، استَحَالَ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضغَةً، ثُمَّ لَحمَاً، فَإِذَا مَاتَ وَدُفِنَ استَحَالَ تُرَاباً، فَإِذَا أَن جَازَ يَتعَلَّق الإِنشَاءُ بِالإِستِحَالَةِ الأُولَى فَلِمَ لَا يَجُوزُ تَعَلُّقُهُ بِالإِستِحَالَةِ الثَّانِيَةِ، وَهي ذَلِكَ أَهوَنُ مِنهُ عَلَينَا، وَسَمَّى اللهُ سُبحَانَهُ الإِعَادَةَ خَلقَاً جَدِيدَاً[(٣)].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٤٢٨.

(٢) تفسير البضاوي: ٣/ ٣١٨.

(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٤٢٨.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦)

المَثُلُ: بِفَتحَتَينِ، وَاحِدُ المِثلِ، وَسُمِّيَت العُقُوبَةُ: مُثلَةٌ؛ لأَنَّ بَينَ العِقَابِ وَالمُعَاقَبِ عَلَيهِ مِنَ المُمَاثَلَةِ [١].

قَولُهُ: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾ أَي: مَعَ ظُلمَهُم أَنفُسَهُم بِالذُّنُوبِ، وَمَحَلُّه النَّصبُ عَلَى الحَالِ، بِمَعنَى: ظَالِمِينَ لأَنفُسَهُم: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ أَي: لِـمَن استَحَقَّهُ [٢].

وَعَن سَعِيد بِن المُسَيَّب [٣] أَنَّهُ قَالَ: لـَمَّا نَزَلَت هَذِه الآيَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: (لَو لَا عَفوُ اللَّهِ وَتَجَاوُزَهُ، مَا هَنَأَ أَحَدٌ العَيشَ، وَلَو لَا وَعِيدُ اللَّهِ وَعِقَابُهُ، لَاتَّكَلَ كُلُّ وَاحِدٍ) [٤].

وَتَلا مُطرِف [٥] يَومَاً هَذِه الآيَة، فَقَالَ: لَو يَعلَمُ النَّاسَ قَدرَ رَحمَةِ اللَّهِ، وَعَفوِ اللَّهِ، وَتَجَاوزِ اللَّهِ، لَقَرَّت أَعيُنَهُم، وَلَو يَعلَمُ النَّاسَ قَدرَ عَذَابَ اللَّهِ، وَبَأسَ اللَّهِ، وَنَكَالَ اللَّهِ، وَنِقمَةَ اللَّهِ، مَا رَقَأَ لَهُم دَمعٌ، وَلَا قَرَّت أَعيُنَهُم بِشَيءٍ [٦].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٥١.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٥٠.
(٣) ابن حزن، أبو محمد المخزومي، من حواري الإمام السجاد عليه السلام وروى عن الإمام الباقر عليه السلام وقيل: إن أمير المؤمنين عليه السلام رباه، ينظر: رجال الطوسي: ١١٤، خلاصة الأقوال، العلامة الحلي: ١٥٦.
(٤) معاني القرآن، النحاس: ٣/ ٤٧٣.
(٥) مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري، أبو عبد الله البصري، حدث عن أبي ذر وعمار بن ياسر وعثمان، كان فقيهاً محدثاً، توفي سنة ٩٥ هـ، ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٧/ ١٤١، المعارف، ابن قتيبة: ٢٤٨.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٤.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾

يُقَالُ: غَاضَ المَاءُ؛ إِذَا نَقَصَ، وَمِنهُ قَولُه تعالَى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ وَالمَعنَى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مَا فِي بَطنِ كُلِّ حَامِلٍ، مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى، تَامٍّ وَغَيرُهُ، وَيَعلَمُ لَونَهُ وَصِفَاتَهُ، وَيَعلَمُ الوَقتَ الَّذِي تُنقِصَهُ الأَرحَامُ مِنَ المُدَّةِ الَّتِي هِيَ تِسعَةُ أَشهُرٍ، وَمَا تَزدَادُ عَلَى ذَلِكَ [١].

وَمَا فِي: ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ وَ: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ إِمَّا مَوصُولَةٌ، وَإِمَّا مَصدَرِيَّةٌ، فَإِن كَانَت مَوصُولَةٌ، فَالمَعنَى: إِنَّهُ يَعلَمُ مَا تَحمِلَهُ مِنَ الوَلَدِ عَلَى أَيِّ حَالٍ هُوَ؛ مِن ذُكُورَةٍ أَو أُنُوثَة، وَتَمَامٌ وَخُدَاجٌ، وَحَسَنٌ وَقُبِيحٌ، وَغَيرُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، وَيَعلَمُ: ﴿مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ أَي: تُنقِصُهُ، أَي: تَأخُذُهُ زَائداً، أَو: مِمَّا تُنقِصَهُ الرَّحِمُ وَتَزدَادَهُ عَدَدَ الوَلَدِ؛ فَإِنَّ الرَّحِمَ تَشتَمِلُ عَلَى وَاحِدٍ فَصَاعِداً.

وَإِن كَانَت مَصدَرِيَّةٌ، فَالمَعنَى: إِنَّهُ يَعلَمُ حَمَلَ كُلِّ أُنثَى، وَيَعلَمُ غَيضَ الأَرحَامِ وَازدِيَادُهَا، لَا يَخفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِن ذَلِكَ، وَيَجُوزُ أَن يُرَادَ غُيُوضَ مَا فِي الأَرحَامِ وَزِيَادَتُهُ، فَأَسنَدَ الفِعلَ إِلَى الأَرحَامِ، وَهوَ لِمَا فِيهَا، عَلَى أَن يَكُونَ الفِعلَانِ غَيرُ مُتَعَدِّيَّن، وَيَعضِدُهُ قَولُ الحَسَنَ: الغَيضُوضَةُ؛ أَن تَضَعَ لِثَمَانِيَةِ أَشهُرٍ، أَو أَقَلَّ مِن ذَلِكَ، وَالإِزدِيَادُ: أَن تَزِيدَ عَلَى تِسعَةِ أَشهُرٍ.

وَعَنهُ: الغَيضُ؛ أَن يَكُونَ سَقطَاً لِغَيرِ تَمَامٍ، وَالإِزدِيَادُ: مَا وُلِدَ لِتَمَامٍ [٢].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٥٢.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (٩)

المُتَعَال: المُستَعِلي عَلَى كُلِّ شَيءٍ بِقُدرَتِه، أَو: الَّذِي كَبُرَ عَن نَعتِ المَخلُوقِينَ (١).

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠)

السَّربُ: الطَّرِيقَةُ وَالمَذهَبُ (٢).

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١)

المُعَقِّبَةُ: وَاحِدَةُ المُعَقِّبَاتُ، وَالأَصلُ: مُعتَقِبَاتٌ، فَأُدغِمَت التَّاءُ في القَافِ، أَو: مُفتَعِلَاتٌ، مِن عَقَّبَهُ؛ إِذَا جَاءَ عَلَى عَقِبِهُ، كَمَا يُقَالُ: قَفَّاهُ؛ لَأَنَّهُ يُعقِّبَهُ أَو يُعقِّبَ عَمَلِه وَفِعلِه فَيُدرِكَهُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ (٣).

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣)

المِحَالُ: المُمَاحَلَةُ؛ وَهي: المُمَاكَرَةُ وَالمُكَايَدَةُ، وَمِنهُ تَمَحَّلَ لِكَذَا: إِذَا تَكَلَّفَ استِعمَالُ الحِيلَةِ وَاجتَهَدَ فِيهِ، وَمُحِلَ بِفُلَانٍ: إِذَا سُعِيَ بِهِ إِلى السُّلطَانِ، وَمِنهُ الحَدِيثُ: (وَلَا تَجعَلَهُ بِنَا مَاحِلاً مُصَدَّقاً) يَعنِي: القُرآنَ، وَالمَعنَى: إِنَّهُ شَدِيدُ المَكرِ بِأَعدَائِه، يَأتِيهُم بِالهَلَاكِ مِن حَيثُ لَا يَشعُرُونَ (٤).

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٢٠.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٢٦.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٥٢.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٥٤.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٤)

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أَي: للَّهِ سُبحَانَهُ دَعوَةُ الحَقِّ؛ يَعنِي: إِنَّهُ يُدعَى فَيستَجِيبُ الدَّعوَةَ، وَأُضِيفَت الدَّعوَةُ إِلى الحَقِّ لِكَونِهَا مُختَصَّةٌ بِهِ، وَعَن الحَسَنِ: الحَقُّ هُوَ اللهُ، وَكُلُّ دُعَائهِ إِلَيهِ دَعوَةُ الحَقِّ، يُقَالُ فِي المَثَلِ: ضَرَبَهُ اللهُ تعَالَى لِكُلِّ مَن عَبَدَ غَيرُ اللَّهِ وَدَعاهُ رَجَاءَ أَن يَنفَعَهُ[1].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١٥)

الأَصِيلُ: وَاحِدُ الآصَالِ، وَهوَ: مَا بَينَ العَصرِ وَالمَغرِبِ[2].

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧)

الأَودِيَةُ: جَمعُ وَادٍ؛ وَهوَ: المَوضِعُ الَّذِي يَسِيلُ المَاءُ فِيهِ بِكَثرَةٍ[3] وَقَولُهُ تعَالَى:

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ يَعنِي: احتَمَلَ الأَنهَارَ المَاءَ، كُلُّ نَهرٍ بقَدَرِهِ؛ الصَّغِيرُ عَلَى قَدرِ صِغرِهِ، وَالكَبِيرُ عَلَى قَدرِ كِبَرِهِ[4] وَقِيلَ: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ يَعنِي: عَلِمَ اللهُ بِمقدَارِهَا

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٥٤.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٢٤.
(٣) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٤٤١.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٢٩.

الَّذي عَلِمَ اللهُ إِنَّهُ نَافِعٌ غَيرُ ضَارٍّ [١].

الزَّبَدُ: خَبَثُ الغَلَيَانِ، وَمِنهُ: زَبَدُ القِدرِ، وَالرَّابِي: مِنَ الرَّبوَةِ، وَمِنهُ رَبَا؛ إِذَا زَادَهُ وَعَلَا [٢].

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠)

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أَي: مَا عَقَدُوهُ عَلَى أَنفُسَهُم مِنَ الإِعتِرَافِ بِرُبُوبِيتِهِ حِينَ قَالُوا: بَلَى، أَو: مَا عَهِدَ اللهُ عَلَيهِم فِي كُتُبِهِم: **﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾** مَا وَثَّقُوهُ مِنَ المَوَاثِيقِ بَينَ اللَّهِ تعَالَى وَبَينَ العِبَادِ، وَهوَ تَعمِيمٌ بَعدَ تَخصِيصٍ [٣].

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١)

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ أَي: مِنَ الرَّحِمِ وَمُوَالَاتِ المُؤمِنِينَ، وَالإِيمَانُ بِجَمِيعِ الأَنبِيَاءِ، وَيَدخُلُ فِيهِ وَصلُ قَرَابَةِ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَقَرَابَةُ المُؤمِنِينَ الثَّابِتَةُ بِسَبَبِ الإِيمَانِ بِالإِحسَانِ إِلَيهِم عَلَى حَسَبِ الطَّاقَةِ، وَنُصرَتهُم وَالنَّصِيحَةُ لَهُم، وَعِيَادَةُ مَرضَاهُم، وَحُضُورُ جَنَائزَهُم، وَمِنهُ: مُرَاعَاةُ حَقِّ الخَدَمِ، وَالجِيرَانِ، وَالرُّفَقَاءُ فِي السَّفَرِ: **﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾** أَي: عِقَابَهُ فِي قَطعِهَا: **﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾** يُحَاسِبُونَ أَنفُسَهُم قَبلَ أَن يُحَاسَبُوا [٤].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٤٠.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٤٠.

(٤) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٢١٦.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا**﴾ أي: عَلَى القِيَامِ بِأَوَامِرِ اللَّـهِ، وَمَشَاقِّ التَّكْلِيفِ، وَعَلَى المَصَائبِ فِي النُّفُوسِ وَالأَمـوَالِ، وَعَن مَعَاصِي اللَّـهِ: ﴿**ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**﴾ لَا لِغَرَضٍ مِنَ الأَغْرَاضِ الدُّنيَوِيَةِ (١).

وَذِكرُ الوَجهِ هُنَا، عِبَارَةٌ عَن الإِخلَاصِ، وَتَركِ الرِّيَاءِ (٢).

﴿**وَأَقَامُوا**﴾ أَي: سَجدُوا: ﴿**وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**﴾ مِنَ الحَلَالِ؛ لأَنَّ الحَرَامَ لَا يَكُونُ رِزقَاً، وَلَا يُسنَدُ إِلى اللَّـهِ: ﴿**سِرّاً وَعَلانِيَةً**﴾ وَ السِّرُّ أَيضاً يَتَنَاوَلُ النَّافِلَةَ؛ لأَنَّ إِسرَارُهَا أَفضَلُ، بِخِلَافِ الفَرَائضِ، نَفياً لِلتُهمَةِ: ﴿**وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**﴾ أَي: يَدفَعُونَ بِفعلِ الطَّاعَةِ المَعصِيَة، وَالدَّرء: الدَّفعُ (٣).

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: يَدفَعُونَ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ السَّيِّء مِنَ العَمَلِ (٤).

وَقَالَ أَيضَاً: أَي؛ يَدفَعُونَ بِالحَسَنِ مِنَ الكَلَامِ مَا يَرِدُ عَلَيهِم مِن سُوءِ غَيرَهُم (٥).

عَن الحَسَنِ: إِذَا حُرِمُوا أَعطَوا، وَإِذَا ظُلِمُوا عَفَوا، وَإِذَا قُطِعُوا وَصَلُوا (٦).

﴿**أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ أَي: عَاقِبَةُ الدُّنيَا؛ وَهي الجَنَّة؛ لأَنَّهَا الَّتي أَرَادَ اللهُ أَن تَكُونَ عَاقِبَةُ الدُّنيَا، وَمَرجعُ أَهلِهَا (٧).

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٥٩.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٤.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٦٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩/ ٣١١.
(٥) تفسير أبي السعود: ٥/ ١٧.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٥٢.
(٧) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٦٠.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾ أَي: بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ تَدومُ وَلَا تَفنى، وَهي بَدَلٌ مِن: ﴿**عُقْبَى الدَّارِ**﴾ ثُمَّ بَيَّنَ سُبحانَهُ مَا يَتَكَامَلُ بِهِ سُرُورَهُم مِن اجتِمَاعِ قَولِهُم مَعَهُم، فَقَالَ: ﴿**يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ وَيَلحَقُ بِهِم مَن صَلُحَ بِالإِيمَانِ مِن آبَائهم وَأَزوَاجِهُم وَأَولَادهُم، جَعلَ سُبحَانَهُ مِن ثَوَابِ المُطِيعِ سُرُورَهُ بِمَا يَرَاهُ فِي هَؤلَاءِ مِنَ النِّعمَةِ، وَإِلحَاقَهُم بِه فِي الجَنَّةِ: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ**﴾ مِن أَبوَابِ قُصُورَهُم بِالتَّحِيَّةِ مِنَ اللَّهِ، وَالتُّحَفِ وَالهَدَايَا، وَيَقُولُونَ: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ**﴾[(١)].

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ فِي مَوضِعِ الحَالِ؛ لأَنَّ المَعنَى: قَائِلينَ: سَلَامٌ عَلَيكُم، أَو: مُسَلِّمِينَ، وَتَعَلَّقَ قَولُهُ: ﴿**بِمَا صَبَرْتُمْ**﴾ بِمَحذُوفٍ، وَتَقدِيرُهُ: هَذَا بِمَا صَبَرتُم، يَعنِي: هَذَا الثَّوَابُ بِمَا احتَمَلتُم مِن مَشَاقِّ الصَّبرِ، وَالمَعنَى: لَئِن تَعِبتُم فِي الدُّنيَا، لَقَد استَرَحتُم السَّاعَة، وَيَجُوزُ أَن يَتعَلَّقَ بِـ: ﴿**سَلَامٌ**﴾ أَي: نُسَلِّمُ عَلَيكُم، وَنُكَرِّمَكُم بِصَبرِكُم[(٢)].

﴿**فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ أَي: فَنِعمَ عَاقِبَةُ الدَّارِ مَا أَنتُم فِيهِ مِنَ الكَرَامَةِ[(٣)].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٦٠.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٥.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿**اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ مِن عِبَادِهِ: ﴿**وَيَقْدِرُ**﴾ يُوَسِّعهُ وَيُضَيِّقهُ بِحَسبِ مَا يَعلَمُ مِنَ المَصلَحَةِ [١].

﴿**وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ أَي: فَرِحَ الَّذِينَ بُسِطَ لَهُم في الرِّزقِ بِالرِّزقِ في الحَيَاةِ الدُّنيَا، فَنَسَوا فَنَاءَهُ وَبَقَاءُ أَمرِ الآخِرَةِ [٢].

﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ**﴾ أَي: في جَنبِ الآخِرَةِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ذَاهِبٌ؛ يَعنِي: قَلِيلٌ نَفعُهُ، سَرِيعٌ زَوَالُهُ، يُتَمَتَّعُ بِهِ كَعُجَالَةِ الرَّاكِبِ، ثُمَّ يَفنَى وَيَضمَحِلُّ، وَخَفِي عَلَيهِم ذَلِكَ، حَتَّى آثَرُوهُ عَلَى النَّعِيمِ الدَّائِمِ [٣].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بَدَلٌ مِن مَا قَبلَهُ مِمَّن أَنَابَ: ﴿**وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أَي: بِذِكرِ رَحمَتِهِ وَمَغفِرَتِهِ، وَبِذِكرِ دَلَائِلِهِ الدَّالَّةُ عَلَى وُجُودِهِ وَوُحدَانِيَتِهُ، أَو: بِكَلَامِهِ؛ يَعنِي: القُرآنُ الَّذِي هُوَ المُعجِزَاتُ وَالآيَاتُ القَاطِعَةُ [٤].

﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ وَهَذَا حَثٌّ لِلعِبَادِ عَلَى تَسكِينِ القَلبِ إِلَى مَا وَعَدَ اللهُ تَعَالَى مِنَ النَّعِيمِ وَالثَّوَابِ؛ فَإِنَّ وَعدُهُ سُبحَانَهُ صَادِقٌ، وَلَا شَيء تَطمَئِنُّ النَّفسُ إِلَيهِ أَبلَغُ مِن وَعدِهِ سُبحَانَهُ [٥].

---

(١) التفسير الأصفى، الكاشاني: ١/ ٦٧٨.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٤٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٦١.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٥٩.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٦.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾﴿٢٩﴾

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مُبتَدَأ، خَبرُهُ: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ بِأَنَّهُ جُملَةٌ فِي مَوضِعِ الرَّفعِ، وَ: ﴿طُوبَىٰ﴾ فُعلَى مِن الطِّيبِ، قُلِبَت يَاؤُهُ وَاواً؛ لِضَمَّةِ مَا قَبلهَا، مَصدَرٌ لِطَابَ، كَبُشرَى وَزُلفَى [1].

وَمَعنَى: طُوبَى لَكَ؛ أَصبتَ خَيرَاً وَطِيباً، وَاللَّامُ لِلبَيَانِ، وَمِثلُهَا فِي: سُقياً لَكَ، وَالمَعنَى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللَّـهِ، وَيَعمَلُونَ مَا يَجِبُ مِنَ الطَّاعَاتِ [2].

﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ أَي: وَلَهُم حُسنُ مَرجِع [3].

رُوِي عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه: (أَنَّ طُوبَى شَجَرَةٌ، أَصلُهَا فِي دَارِي، وَفَرعُهَا عَلَى أَهلِ الجَنَّةِ) وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه مَرَّةً أُخرَى: (فِي دَارِ عَلِيٍّ عَلَيهِ السَّلَام وَفَرعُهَا عَلَى أَهلِ الجَنَّةِ) فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: (إِنَّ دَارِي وَدَارُ عَلِيٍّ فِي الجَنَّةِ بِمَكَانٍ وَاحِدٍ) [4].

وَعَن البَاقِرِ عَلَيهِ السَّلَام أَنَّهُ قَالَ: (... لَو أَنَّ رَاكِبَا مُجِدَّاً سَارَ فِي ظِلِّهَا مَائة عَام مَا خَرَجَ مِنهَا، وَلَو أَنَّ غُرَابَاً طَارَ مِن أَصلِهَا مَا بَلَغَ أَعلاهَا، حَتَّى يَبيَضَّ هَرَماً...) الحَدِيثُ [5]

وَعَن الصَّادِقِ عَلَيهِ السَّلَام: (كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه يُكثِرُ مِن تَقبِيلِ فَاطِمَة عَلَيهَا السَّلَام فَأَنكَرَت عَلَيهِ بَعضُ نِسَائهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَـمَّا أُسرِي بِي إِلى السَّمَاءِ، وَدَخلتُ الجَنَّةَ، فَأَدنَانِي جَبرَئِيلُ عَلَيهِ السَّلَام مِن شَجَرَةِ طُوبَى، وَنَاوَلَنِي مِنهَا تُفَّاحَةً، فَأَكَلتُهَا، فَحَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ فِي ظَهرِي مَاءً، فَهَبَطتُّ

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٢٩.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٦٢.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٨٨.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ٢١٠ح ٢٨٢، الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ٢٦١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٧.

إلى الأَرضِ، وَوَاقَعتُ خَدِيجَةَ، فَحَمَلَت بِفَاطِمَةَ، فَكُلَّمَا اشتَقتُ إِلَى الجَنَّةِ قَبَّلتُهَا، وَمَا قَبَّلتُهَا إِلَّا وَجَدتُّ رَائحَةَ شَجَرَةِ طُوبَى مِنهَا؛ فَهي حَورَاءُ إِنسِيَّة)[1].

وَلِلمُفَسِّرِينَ في مَعنَى طُوبَى لَهُم أَقوَالٌ؛ أَحدُهَا: إِنَّ بَينَهُمَا فَرَحٌ لَهُم وَقُرَّةَ عَينٍ، وَمِنهَا: أَنَّ المُرَادَ غِبطَةٌ لَهُم، وَمِنهَا: خَيرٌ لَهُم وَكَرَامَةً، وَمِنهَا: أَطيَبُ الأَشيَاءَ لَهُم وَهوَ الجَنَّة، وَمِنهَا: الجَنَّةُ لَهُم، وَأَمثَالُ ذَلِكَ[2].

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿**كَذلِكَ أَرْسَلْنَاكَ**﴾ أَي: كَمَا أَنعَمنَا عَلَى المَذكُورِينَ بِالثَّوَابِ وَالجَنَّةِ، أَنعَمنَا عَلَى المُرسَلِ إِلَيهِم بِإِرسَالِكَ[3].

وَقِيلَ: إِنَّ مَعنَى التَّشبِيه؛ أَي: إِنَّا كَمَا أَرسَلنَا الأَنبِيَاءَ إِرسَالاً لَه فَضلٌ عَلَى غَيرِه مِنَ الإِرسَالَاتِ: ﴿**فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ**﴾ كَثِيرَةٌ، وَهي آخِرُ الأُمَمِ، وَأَنتَ خَاتَمُ الأَنبِيَاءِ: ﴿**لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ**﴾ الكِتَابَ العَظِيم: ﴿**الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ**﴾ لِيَتَدبَرُوا آيَاتِه وَيَتَّعِظُوا بِهَا[4].

المَتَابُ: مَن إِلَيهِ التَّوبَةُ[5].

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٢١٢ح ٤٦، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ١٤٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٣٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٠.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٦٢.

(٥) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٦/ ٤٧٣.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢)

الإِملَاءُ: الإِمهَالُ [١].

وَمِنهُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أَي: لِوَفَاءِ مُهلَتِهِم، وَأَطَلتُ مُدَّتَهُم لِيَتُوبُوا: وَلِيُتِمَّ عَلَيهِم الحُجَّةُ [٢].

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (مهل): ١٥/ ٢٩٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٤٢.



الفصل الرابع عشر

سورة إبراهيم



﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٢)

الوَيلُ: نَقِيضُ الوَألِ، وَهوَ النَّجَاةُ[١].

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً**﴾ أَي: يَطلِبُونَ سَبيلَ اللَّهِ عِوَجاً؛ أَي: عُدُولاً عَن الإِستِقَامَةِ[٢] وَالأَصلُ: يَبغُونَ لَهَا، فَحذَف الجَارّ، وَأَوصَلَ الفِعل[٣].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٤٦٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٥٧.

(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٣.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤)

قَوْلُهُ تعالَى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ أَي: بِلُغَةِ قَومِهِ الَّذِي هُوَ مِنهُم، وَبُعِثَ فِيهِم: ﴿**لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ مَا أُمِرُوا بِهِ فَتفقَهُوهُ عَنهُ بِيُسرٍ وَسُرعَةٍ، ثُمَّ يَنقُلُوهُ وَيُترجِمُوهُ لِغَيرِهُم، فَإِنَّهُم أَدنَى النَّاسِ إِلَيهِ بِأَن يَدعُوهُم، وَأَحَقُّ بِأَن يُنذِرَهُم[١].

﴿**فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ وَهوَ مِثل قَولِهِ: ﴿**فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**﴾[٢] لأَنَّهُ سُبحَانَهُ لَا يُضِلُّ إِلَّا مَن يَعلَم أَنَّهُ لَن يُؤمِنَ بِكتَابِه وَنَبِيِّه، وَدَلَائلَهُ الوَاضِحَةُ بِلسَانِ العُلَمَاءِ وَالْمُهتَدِينَ، وَلَا يَهدِي إِلَّا مَن يَعلَم أَنَّه مُؤمِنٌ[٣] يُؤثِّرُ في قَلبِه آيَاتُ كِتَابِ وَأَحَادِيثِ نَبِيِّهِ ﷺ وَأَولِيَاءُ نَبِيِّهِ صَلَوَاتُ اللَّـهِ عَلَيهِم.

وَالْمُرَادُ بِالإِضلَالِ: التَّخلِيَةُ، وَمَنعُ الأَلطَافِ، وَالْمُرَادُ بِالهِدَايَةِ: التَّوفِيقُ وَاللُّطفُ، كِنَايَةٌ عَن الكُفرِ وَالإِيمَانِ: ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٤].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٥)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَنْ أَخْرِجْ**﴾ أَن هِي المُفَسِّرَةُ؛ لأَنَّ في الإِرسَالِ مَعنَى القَولِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَرسَلنَاهُ، وَقُلنَا لَهُ: أَخرِج قَومَك مِنَ الكُفرِ إِلَى الإِيمَانِ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ أَن

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٣٧.

(٢) التغابن: ٢/ ٢٧٤.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٦٧.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٣.

النَّاصِبَةُ لِلفِعلِ، وَالتَّقدِيرُ: بِأَن أَخرِج قَومَكَ، وَيَجُوزُ أَن يُوصَلُ أَن بِفِعلِ الأَمرِ؛ لأَنَّ الغَرَضَ وَصلُهَا بِمَا يَكُونُ مَعَهُ فِي تَأوِيلِ المَصدَرِ وَهوَ الفِعلُ وَالأَمرُ، وَغَيرُهُ سَوَاءٌ فِي الفِعلِيَّةِ (١).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦﴾

قَولُهُ تَعَالَى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾** إِذ أَنجَاكُم: ظَرفٌ لِلنِّعمَةِ؛ بِمَعنَى الإِنعَامِ؛ أَي: إِنعَامُهُ عَلَيكُم ذَلِكَ الوَقتُ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ بَدَلاً مِن: **﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾** أَي: اذكُرُوا وَقتَ أَنجَاكُم، وَهوَ بَدَلُ الإِشتِمَالِ (٢).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾

يُقَالُ: تَأَذَّنَ وَأَذِنَ بِمَعنًى، مِثلَ تَوَعَّدَ وَأَوعَدَ، وَتَفَضَّلَ وَأَفضَلَ، وَلَا بُدَّ فِي تَفعُّلِ مِن زِيَادَةِ مَعنًى لَيسَ فِي أَفعَلِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَذِنَ إِيذَانَاً بَلِيغَاً يَنتَفِي عِندَهُ الشُّكُوكُ (٣).

قَولُهُ تعالَى: **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾** وَهوَ مِن جُملَةِ مَا قَالَ مُوسَى عليه السلام لِقَومِه؛ أَي: فَاذكُرُوا إِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُم، كَأَنَّهُ تعالَى قَالَ: إِذ أَذِن رَبُّكُم إِذنَاً بَلِيغَاً يَنتَفِي عِندَهُ الشُّكُوك، وَالمَعنَى: وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُم (٤).

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٤.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٦٧.
(٣) مدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٢٢٤.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٤.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٨)

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أَي: مِنَ الخَلقِ، لَن تَضُرَّ اللهَ شَيئاً، وَإِنَّمَا يَضُرُّكُم ذَلِكَ بَأَن تَستَحِقُّوا عَلَيهِ العِقَابَ: ﴿فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أَي: غَنِيٌّ عَن شُكرِكُم، حَمِيدٌ فِي أَفعَالِه، وَكَثرَة النِّعمَة وَإِن لَم يَحمِدُهُ حَامِدٌ[١].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٩)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾ أَي: الَّذِينَ مِن قَبلِ قَومِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ، لَا يَعلَمُ تَفَاصِيلَ أَحوَالِهِم وَعَدَدهُم، فَلَيسَ يَعرِفَهُم إِلَّا اللهُ، قَالَ ابنُ الأَنبَارِي: إِنَّ اللهَ تعَالَى أَهلَكَ أُمَماً مِنَ العَرَبِ وَغَيرُهَا، فَانقَطَعَت أَخبَارَهُم، وَعَفَت آثَارَهُم، فَلَيسَ أَحَدٌ يَعرِفَهُم إِلَّا اللهُ.

وَكَانَ ابنُ مَسعُودٍ إِذَا قَرَأَ هَذِه الآيَة، قَالَ: كَذِبَ النَّسَّابُونَ، وَقِيلَ: إِنَّ بَينَ عَدنَان وَإِسمَاعِيلَ ثَلَاثِينَ أَبَاً لَا يُعرَفُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ لَا يُجَاوِزُ فِي انتِسَابِهِ مِن عَدنَان، فَعلَى هَذَا يَكُونُ قَولُهُ: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ مُبتَدَأ وَخَبرُهُ: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾[٢].

وَهِي جُملَةٌ اعتِرَاضِيَّةٌ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ: ﴿وَالَّذِينَ﴾ فِي مَحَلِّ جَرٍّ، عَطفاً عَلَى: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وَ: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ﴾ اعتِرَاضٌ[٣].

الرِّيبَةُ: قَلَقُ النَّفسِ، وَأَن لَا تَطمَئِنَّ بِشَيءٍ إِلَى شَيءٍ[٤].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٧٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٦١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٥.
(٤) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ١٠٨.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٠)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**﴾ أُدخِلَت هَمزَةُ الإنكَارِ عَلَى الظَّرفِ؛ لأَنَّ الكَلَامَ في المَشكُوكِ فِيهِ لَا في الشَّكِّ؛ أَي: إِنَّمَا تَدعُوهُم إِلى اللَّهِ، وَهوَ لَا يَحتَمِلُ الشَّكَّ لِكَثرَةِ الأَدِلَّةِ، وَظُهُورِ دَلَالَتِهَا عَلَيهِ، وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ بِقَولِه تعَالَى: ﴿**فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ لَا يَقدِرُ عَلَى ذَلِك غَيرُهُ: ﴿**يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ**﴾ [١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣)

قَولُهُ تعَالَى: ﴿**فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ**﴾ أَي: فَأَوحَى اللهُ إِلى رُسُلِه لـمَّا ضَاقَت صُدُورَهُم بِمَا لَقَوا مِن قَومِهم: أَن لَا تَحزَنُوا، إِنَّا نُهلِكَ هَؤلَاءِ الظَّالِمِينَ الكَافِرِينَ[٢].

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (١٤)

﴿**وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ يُرِيدُ: اصبِرُوا يَا أَنبِيَائي وَرُسُلِي، فَإِنِّي أُهلِكُ عَدَوَّكُم، وَأُورِثَكُم أَرضَهُم، وَفي مَعنَاهُ مَا جَاءَ في الحَدِيثِ: (مَن آذَى جَارَهُ وَرَّثَهُ اللهُ تعَالَى دَارَهُ) [٣].

---

(١) كنز الدقائق، المشهدي: ٧/ ٣٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٦٦.
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٧٠.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿١٥﴾

الفَتحُ: الحُكمُ، وَالفَتَّاحُ: الحَاكِمُ [١].

﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾

الصَّدِيدُ: هُوَ مَا يَسِيلُ مِن جُلُودِ أَهلِ النَّارِ مِنَ الدَّمِ وَالقَيحِ [٢].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ**﴾ أَي: مِن بَينِ يَدَي الكُفَّارِ وَالجَبَابِرَةِ، نَارُ جَهَنَّم يَلقَى فِيهَا مَا يَلقَى: ﴿**وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ**﴾ هُوَ عَطفُ بَيَانٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَيُسقَى مِن مَائِهِ، فَأَبهَمَهُ إِبهَامَاً، ثُمَّ بَيَّنَهُ بِقَولِه: ﴿**صَدِيدٍ**﴾ [٣].

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿**يَتَجَرَّعُهُ**﴾ أَي: يَتَكَلَّفُهُ جُرعَةً جُرعَةً [٤].

﴿**وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ**﴾ دَخَلَ كَادَ لِلمُبَالَغَةِ، وَلَا يُقَارِبُ أَن يَشرَبَهُ تَكَرُّهَاً لَهُ، فَكَيفَ يَكُونُ الشُّربُ؟ كَقَولِه: ﴿**لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾ [٥] أَي: لَم يَقرُب مِن رُؤيَتِهَا، فَكَيفَ يَرَاهَا [٦].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٨٢.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٨.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٨.
(٤) مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٣١٠.
(٥) النور: ٤٠.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٧١.

﴿وَيَأْتِيهِ الْـمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يَأتِيهُ شَدَائدُ المَوتِ وَسَكَرَاتُهُ مِن كُلِّ مَوضِعٍ مِن جَسَدِهِ؛ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، حَتَّى تَأتِيهُ مِن أَطرَافِ شَعرِهِ، وَقِيلَ: يَحضُرُهُ المَوتُ مِن كُلِّ مَوضِعٍ، وَيَأخُذُهُ مِن كُلِّ جَانِبٍ؛ مِن فَوقِهِ وَتَحتِهِ، وَعَن يَمِينِهِ، وَعَن شِمَالِه، وَمِن قُدَّامِهِ وَخَلفِهِ: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فَيَستَرِيحُ: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أَي: مِن بَينِ يَدَي هَذَا الكَافِرِ، وَعَذَابٌ اَشَدُّ وَأَغلَظُ مِمَّا قَبلَهُ[1].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ مُبتَدَأ مَحذُوفٌ، وَالتَّقدِيرُ: فِيمَا يَقُصُّ عَلَيكُم:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾، ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ جُملَةٌ مُستَأنَفَةٌ، عَلَى تَقدِيرِ جَوَابِ سَائِلٍ يَقُولُ: كَيفَ مَثَلُهُم؟ فَقِيلَ: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ أَو: يَكُونُ: ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ بَدَلاً مِن: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذ التَّقدِيرُ: مِثلُ أَعمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ فَذَرَّتهُ وَسَفَّتهُ: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ جعلَ العَصف لِليَومِ، وَهوَ لِـمَا فِيهِ، كَمَا تَقُولُ: يَومٌ مَاطِرٌ[2].

وَالعَاصِفُ: أَي؛ شَدِيدُ الرِّيحِ، فَكَمَا لَا يَقدِرُ أَحَدُ عَلَى جَمعِ ذَلِكَ الرَّمَادِ الْمُتَفَرِّقِ، وَالإِنتِفَاعُ بِهِ، فَكَذَلِكَ هَؤلَاءِ الكُفَّارِ[3].

﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ أَي: لَا يَقدِرُونَ عَلَى الإِنتِفَاعِ بِأَعمَالِهِم[4].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٦٧.

(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٧٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٦٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٦٨.

وَ: ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ هِي: المَكَارِمُ الَّتي كَانَت لَهُم؛ مِن صِلَةِ الأَرحَامِ، وَعِتقِ الرِّقَابِ، وَإِعَانَة المَلهُوفِينَ، وَإِكرَامُ الأَضيَافِ، وَغيرِ ذَلِكَ مِن صَنَائعَهُم، شُبِّهَت خُيُوطُهَا ذِهَابُهَا هَبَاءً مَنثُوراً لِبنَائها عَلَى غَيرِ أَسَاسٍ مِن مَعرِفَةِ اللَّهِ وَاللإِيمَانُ بِهِ بِرَمَادٍ طَيَّرَتهُ الرِّيحُ العَاصِفُ: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يومَ القِيَامَةِ مِنهَا: ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ كَمَا لَا يَقدِرُونَ مِنَ الرَّمَادِ المُطَيَّرَةِ: ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ يَعنِي: لَا يَرونَ لِشَيءٍ مِنهَا ثَوَابَاً: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ أَي: ذَلِكَ الأَعمَال الحَسنَةُ مِنهُم هُو الذَّهَابُ البَعِيدُ عَن النَّفعِ، وَقِيلَ: مَعنَاهُ؛ إِنَّ عَمَلَهُم ذَلِكَ هُوَ الخَطَأَ البَعِيدُ عَن الثَّوابِ[(١)].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩)

قَولُهُ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أَي: أَلَمْ تَعلَم يَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لأَنَّ الرُّؤيَة قَد تَكُونُ بِمَعنَى العِلمِ، كَمَا تَكُونُ بِمَعنَى الإِدرَاكَ بِالبَصرِ، وَهَا هُنَا لَا يُمكِن أَن يَكُونَ بِمَعنَى الرُّؤيَةِ بِالبَصرِ، وَالخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَالمُرَادُ بِهِ أُمَّتهُ صلى الله عليه وآله[(٢)].

(١) التفسير الأصفى، الكاشاني: ١/ ٦١٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٦٩.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٢١)

التَّابِعُ: وَاحِدُ الأَتبَاعِ، وَالتَّبَعُ: جَمعُ تَابِعٍ، مِثلُ: خَدَمٍ جَمعُ خَادِمٍ [(١)].

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تبَعاً﴾، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنا أَجزِعْنا أَمْ صَبَرْنَا﴾ أي: مُستَوِيَانِ عَلَينَا الجَزَعُ وَالصَّبرُ [(٢)].

الحَيصُ: العُدُولُ عَن جِهَةِ الفَرَارِ، وَمِنهُ المَحِيصُ [(٣)].

وَفي التَّنزِيلِ: ﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي: لَيسَ لَنَا مَهرَبٌ مِن عَذَابِ اللَّـهِ، يَعنِي: انقَطَعَت حِيلَتُنَا، وَأَيسنَا مِنَ النَّجَاةِ [(٤)].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢)

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ وَهوَ إِبلِيسُ بِاتِّفَاقِ المُفَسِّرِينَ: ﴿لَـمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أُحكِمَ وَفُرِغَ مِنهُ، وَدَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهلُ النَّارِ النَّارَ، قَامَ خَطِيباً في الأَشقِيَاءِ مِنَ الثَّقَلَينِ:

﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْـحَقِّ﴾ وَعداً مِن حِقِّهِ أَن يُنجَزَ، أَو: وَعداً أَنجَزَهُ، وَهوَ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٨٨.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٤٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حيص): ٧/ ١٩.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧٠.

الوَعدُ بِالبَعثِ وَالجَزَاءِ: ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ وَعدَ البَاطِلِ، وَهوَ: أَن لَا بَعثَ وَلَا حِسَابَ، وَإِن كَانَا فَالأَصنام تَشفَعُ لَكُم: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ لَم أُوفِ بِمَا وَعَدتُكُم، جَعلَ تَبيِّن خُلفَ وَعدِهِ كَالإِخلَافِ مِنهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تَسلَّط، فَأَقسَرَكُم عَلَى الكُفرِ وَالمَعَاصِي، وَأَلجَأَكُم إِليهَا: ﴿إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ إِلَّا دُعَائي إِيَّاكُم إِلى الضَّلَالَةِ بِوَسوَسَتِي وَتَزيِيِّني، وَلَيسَ الدُّعَاءُ مِن جِنسِ السُّلطَانِ وَالقَهرِ وَالقَسرِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ قَولهُم ـ تَحِيَّةٌ بَينَهُم: ضَربٌ وَجِيعٌ، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ الإِستِثنَاءُ مُنقَطِعَاً: ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ أَسرَعتُم إِجَابَتِي: ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بِوَسوَسَتِي، فَإِنَّ مَن صَرَّحَ العَدَاوَة لَا يُلَامُ بِأَمثَالِ ذَلِكَ: ﴿وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حَيثُ أَطَعتمُونِي، إِذ دَعَوتُكُم مِن غَيرِ دَلِيلٍ وَبُرهَانٍ [١].

وَالإِصرَاخُ: الإِغَاثَةُ [٢] إِلى الآنِ: ﴿كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: بِمَا كَانَ مِن إِشرَاكِكُم إِيَّاي مَع اللَّهِ فِي الطَّاعَةِ، يَعنِي: جَحَدتُ أَن أَكُونَ شَرِيكَاً للَّهِ تعَالَى فِيمَا أَشرَكتُمُونِي فِيهِ مِن قَبلِ هَذَا اليَوم: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣].

قِيلَ: إِنَّهُ مِن تَمَامِ قَولِ إِبلِيس لأَهلِ النَّارِ.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤)

قَولُ اللَّهِ تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾ أَي: تَعلَم كَيفَ بَيَّنَ اللهُ شُبهَهَا، ثُم قَالَ ذَلِكَ المَثَل، فَقَالَ: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وَهي: كَلِمَةُ التَّوحِيدِ، وَقِيلَ: هِي كَلِمَةٌ حَسَنَةٌ؛ كَالتَّحمِيدِ وَالتَّسبِيحِ، وَالتَّوبَةِ وَالإِستِغفَارِ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: كَشَجَرَةٍ زَاكِيَةٍ نَامِيَةٍ رَاسِخَةٍ فِي الأَرضِ، عَالِيَةٌ أَغصَانُهَا وَثِمَارُهَا فِي

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٤٧٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧١.

(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ١١٣.

جَانِب السَّمَاءِ، وَأَرَادَ بِه المُبَالَغَةُ فِي الرِّفعَةِ [١] وَهي: كُلُّ شَجَرَةٍ مُثمِرَة طَيِّبَة كَالنَّخلَةِ وَالتِّينِ وَالرُّمَّانِ وَغَيرُ ذَلِكَ [٢].

وَرُوِي عَن النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّ هَذِه الشَّجَرَة الطَّيِّبَة هِي النَّخلَةُ) [٣] وَقِيلَ: إِنَّهَا شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ [٤].

وَرَوَى ابن عُقدَة [٥] عَن أَبِي جَعفرٍ عليه السلام:(أَنَّ الشَّجَرَةَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفرعُهَا عَلِيٌّ عليه السلام وَغُصنُ الشَّجَرَةِ فَاطِمَةُ عليها السلام وَثِمَارُهَا أَولَادُهَا، وَأَورَاقهَا شِيعَتُنَا، ثُمَّ: قَالَ عليه السلام إِنَّ الرَّجُلَ مِن شِيعَتِنَا، لَيَمُوتُ فَتَسقُطُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَرَقَةٌ، وَإِنَّ الْـمَولُودَ مِن شِيعَتِنَا لَيُولَدُ فَيُورَقُ مَكَانَ تِلكَ الوَرَقَةِ وَرَقَةٌ) [٦].

رُوِي عن ابن عبَّاس، قَالَ: قَالَ جَبرَئِيلُ عليه السلام لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنتَ الشَّجَرَةُ، وَعَلِيٌّ غُصنُهَا، وَفَاطِمَةُ وَرَقهَا، وَالحَسَنُ وَالحُسَينُ ثِمَارُهَا، وَالشِّيعَةُ أَورَاقُهَا [٧].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧٣.

(٢) تفسير الرازي: ١٩/ ١٢٠.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٩١.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧٤.

(٥) أحمد بن محمد بن سعيد، ابن عقدة، راو جليل، حافظ مشهور به، زيدي العقيدة، له كتب كثيرة، توفي سنة ٣٣٠ هـ، ينظر: رجال النجاشي: ٩٤، معالم العلماء، ابن شهرآشوب: ٥٢.

(٦) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ١١٣.

(٧) بحار الأنوار، المجلسي: ٢٤/ ١٣٧.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي: تُؤتِي هَذِهِ الشَّجَرَة مَا يُؤكَلُ مِنهَا كُلَّ وَقتٍ وَقَّتَهُ اللهُ لإِثمَارِهَا بِغَيرِ خَالِقِهَا وَتَكوينِ رَبِّهَا [١].

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لِكي يَتَدَبَّرُوا فَيُعرَف الغَرَضُ بِالمَثَلِ.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ سُبحَانَه شَبَّهَ الإِيمَان بِالنَّخلَةِ؛ لِثَبَاتِ الإِيمَانِ فِي قَلبِ المُؤمِنِ، كَثَبَاتِ النَّخلَةِ فِي مَنبَتِهَا، وَشَبَّهَ ارتِفَاعَ عَمَلِهِ إِلَى السَّحَابَةِ بِارتِفَاعِ فُرُوعِ النَّخلَةِ، وَشَبَّه مَا يَكسبهُ مِن المُؤمنِينَ مِن بَرَكَةِ الإِيمَانِ وَثَوَابُهُ فِي كُلِّ وَقتٍ وَحِينٍ، بِمَا يُنَالُ مِن ثَمرَةِ النَّخلَةِ فِي أَوقَاتِ السَّنَةِ كُلِّهَا مِنَ الرُّطَبِ وَالتَّمرِ [٢].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي: كَلِمَةُ الكُفرِ وَالشِّركِ، وَقِيلَ: الكَلِمَةُ القَبِيحَة كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ، وَقِيلَ: أَي كُلُّ شَجَرَةٍ لَا يَطِيبُ ثَمرُهَا؛ كَشَجَرَةِ الحَنظَلِ وَالكَشُوثِ [٣].

وعن أَبِي جعفرٍ عليه السلام: (إِنَّ هَذَا مَثَلُ بَنِي أُمَيَّةَ) [٤].

﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ أَي: اقتُلِعَت وَاقتُطِعَت، وَأُخِذَت جُثَّتُه بِالكَلِمَة مِنَ الأَرضِ، وَهي مُقَابِلَة قَولُه تعالَى: **﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾** وَالإِجتِثَاثُ: إِقتِلَاع مِن أَصلِه:

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧٤.

(٢) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٤٨٣.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧٥.

(٤) التفسير الأصفى، الكاشاني: ٣/ ٨٦.

﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: مَا لِتلكَ الشَّجَرَةِ مِن استِقرَارٍ، يُقَالُ: قَرَّرَ قَرَاراً مِثل ثَبت ثَباتاً، شَبَّهَ القَولَ الَّذِي لَم يَحُصَّه بِالحُجَّةِ، فَهوَ دَاحِضٌ غَيرُ ثَابِتٍ، يَضمَحِلُّ عَن قَرِيبٍ[1].

وَرُوِي عَن ابنِ عبَّاسٍ: أَنَّهَا شَجَرَةٌ لَم يَخلقهَا اللهُ بَعدُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَثلٌ ضَرَبَهُ سُبحَانَهُ[2].

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧)

وَهَذَا القَولُ حَسَنٌ، لأَنَّ الحَنظَلَ وَغَيرُهُ قَد يَنتَفَعُ بِهِ فِي الأَدوِيَةِ [3].

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: يُثَبِّتَهُم فِي كَرَامَةٍ وَثَوَابٍ مِنهُ، بِقَولِهِم الثَّابِتُ الَّذِي وُجِدَ فِيهِم فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَالقَولُ الثَّابِتُ الَّذِي يَثبُتُ بِالحُجَّةِ وَالبُرهَانِ فِي قَلبِ صَاحِبِهِ، وَتَمَكَّنَ فِيهِ، وَاطمَأَنَّت إِلَيهِ نَفسُهُ، أَنَّهُم إِذَا فُتِنُوا فِي دِينِهِم لَم يَزِلُّوا: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أَنَّهُم إِذَا سُئلوا فِي القَبرِ عَن مُعتَقَدِهِم وَدِينِهِم وَنَبِيِّهِم يَقُولُ كُلٌّ مِنهُم: اللهُ رَبِّي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّ فِي جَوَابِ المَلَكَانِ [4].

قَالَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عليه السلام: (... فَإِن كَانَ لِلهِ وَلِيّاً، أَتَاهُ أَطيَبُ النَّاسِ رِيحَاً، وَأَحسَنُهُم مَنظَراً، وَأَزيَنُهُم رِيَاشَاً، فَيَقُولُ أَبشِر بِرَوحٍ مِنَ اللَّهِ وَرَيحَانٍ، وَجَنَّة نَعِيمٍ، وَقَد قَدِمتَ خَيرَ مَقدَمٍ، فَيَقُولُ: مَن أَنتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، ارتَحِل مِنَ الدُّنيَا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَعرِفُ غَاسِلَهُ، وَيُنَاشِدُ حَامِلَهُ أَن يُعَجِّلَه) [5].

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٣/ ٣٧٧.

(٢) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ١١٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ٧٦.

(٥) تفسير القمي: ١/ ٣٧٠ عنه بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ٢٢٤.

رُوِي عَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ اثنَتَانِ؛ اتِّبَاعُ الهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنسِي الآخِرَة) [(١)].

(١) نهج البلاغة: ١/ ٩٢ح ٤٢.



الفصل الخامس عشر

سورة الحجر



﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

أَي: وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا**﴾ أَي: دَعهُم عَن النَّهي عَمَّا هُم عَلَيهِ، وَاقطَع طَمَعَكَ مِنهُم: ﴿**يَأْكُلُوا**﴾ في الدُّنيَا أَكلَ الأَنعامِ، وَيَستَمتِعُوا فِيهَا بِمَا يُرِيدُونَ: ﴿**وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ**﴾ أَي: تَشغَلُهُم آمَالُهُم الكَاذِبَة عَن إِتبَاعِكَ، يُقَالُ: أَلهَاهُ الشَّيء؛ أَي: أَشغَلَهُ وَأَنسَاهُ: ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[1].

رُوِي: أَنَّ الكُفَّارَ إِذَا رَأَوا المُسلِمِينَ يُخرَجُونَ مِنَ النَّارِ إِلى الجَنَّة: قَالُوا: يَالَيتَنَا كُنَّا مُسلِمِينَ[2].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٠٢.

(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣/ ١٠٠، المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٢/ ٢٤٢.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿٤﴾

قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ الْمُستَثنَى جُملَةٌ وَاقِعَةٌ صِفَةٌ لِقَريَةٍ، وَالقِيَاسُ أَن لَا يَتوسَّط الوَاوُ بَينَهُما، كَمَا في قَولِهِ: ﴿وما أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [1] لَكِن لَـمَّا شُبِّهَت صُورَتُهَا صُورَة الحَالِ أُدخِلَت عَلَيهَا تَأكِيداً لِلصُوقِهَا بِالمَوصُوفِ، كَمَا تَقُولُ: في الحَالِ جَاءنِي زَيدٌ عَلَيهِ وَجَاءنِي وَعَلَيهِ ثَوبٌ، بَالوَاوِ [2].

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٧﴾

وَاعلَم: إِنَّه قَد تُرَكَّبُ لَو مَعَ مَا، كَمَا تُرَكَّبُ مَعَ لَا؛ لِمَعنَيَّنِ: إِمتِنَاعُ الشَّيءِ بِوُجُودِ غَيرِهِ وَالتَّحضِيضُ [3].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٠﴾

وَالشِّيعَةُ: الفِرقَةُ إِذَا اتَّفَقُوا في مَذهَبٍ وَطَرِيقَةٍ، مِن شَاعَهُ؛ إِذَا اتَّبَعَهُ، وَأَصلُ الشِّيَاعِ: هُوَ الحَطَبُ الصِّغَارُ، تُوقَدُ بِهِ النَّار الكِبَار، وَجَمعُهُ عَلَى شِيَع [4].

---

(١) الشعراء: ٢٠٨.

(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٦٢.

(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٦٢.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٦٣.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾

اعلَم: إِنَّ مَا لَا تَدخُل عَلَى فِعلٍ مُضَارِعٍ إِلَّا وَهوَ فِي مَعنَى الحَالِ، وَلَا عَلَى مَاضٍ إِلَّا وَهوَ قَرِيبٌ مِنَ الحَالِ[١].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ**﴾ هُوَ حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ لِـمَا قُلنَا، وَهَذَا تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِذ أَخبَرَهُ أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ كَانَ مُبتَلَىً بِقَومِه، وَاستِهزَاؤهُم بِالرُّسُلِ[٢].

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

يُقَالُ: سَلَكتُ الخَيطَ فِي الإِبرَةِ؛ إِذَا أَدخَلتُهُ فِيهَا وَنَظَمتُه، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**كَذلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْـمُجْرِمِينَ**﴾ الضَّمِيرُ فِي: ﴿**نَسْلُكُهُ**﴾ لِلذِكرِ؛ أَي: مِثلُ ذَلِكَ السَّلكِ وَنَحوَهُ: ﴿**نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْـمُجْرِمِينَ**﴾ عَلَى مَعنَى: إِنَّهُ نُلقِيهِ فِي قُلُوبِهِم مُكَذَّباً بِهِ غَيرُ مَقبُولٍ[٣].

وَالمُرَادُ: إِنَّ إِعرَاضَهُم مِنَ القُرآنِ لَا يَمنَعُنَا مِن أَن نُدخِلهُ فِي قُلُوبِهِم تَأكِيداً لِلحُجَّةِ عَلَيهِم[٤] وَإِن كَانُوا لَا يُؤمِنُونَ بِهِ.

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٩٦.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٠٥.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٨٨.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٠٦.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣)

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ هُوَ في مَحَلِّ نَصبٍ عَلَى الحَالِ؛ أَي: غَيرُ مُؤمِنينَ بِالقُرآنِ، أَو: هُوَ بَيَانٌ لِقَولِه: ﴿**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ**﴾ [١].

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٨)

السِّرقَةُ عِندَ العَربِ: أَن يَأتِيَ الإِنسَانُ إِلَى حِرزٍ خَفِيَّةٍ، فَيَأَخُذ مَا لَيسَ لَهُ [٢].

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١٩)

الرَّاسِيَةُ: وُحدَةُ الرَّوَائسِ؛ وَهوَ: الجِبَالُ [٣].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (٢٠)

المَعَايِشُ: يُكتَبُ وَيُلفَظُ بِيَاءٍ صَرِيحَةٍ لَا غَير، بِخِلَافِ الشَّمَائل وَنَحوُهَا، فَإِنَّهَا تُهمَزُ [٤].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٩٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٠٧.
(٣) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ١/ ٦٢٨.
(٤) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٥/ ٤٣٨.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٢٢)

اللَّقحُ: وَاحِدَةُ اللَّوَاقِحُ؛ وَهي الرِّيَاحُ الَّتي تُلَقِّحُ السَّحَابَ حَتَّى تَحمِلُ مَاءً، يُقَالُ: لَقِحَت النَّاقَةُ إذَا حَمَلَت [١].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَواقِحَ**﴾ أَي: أَجرَينَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ؛ أَي: مُلَقِّحَةٌ لِلسَّحَابِ، مُحَمِّلَةٌ لِلمَطَرِ [٢].

وَفي قَولِهم: لَقِحَت النَّاقَةُ، فِيهِ قَولَانِ؛ أَحدِهمَا: أَنَّ مَعنَاهَا المَلَاقِح، جَمعُ مُلقِحَة، وَالثَّاني: إِنَّهُ يُقَالُ: رِيحٌ لَاقِحٌ؛ إِذَا جَاءَت بِخَيرٍ، وَضِدُّهَا العَقِيمُ، وَنَحوَهُ: سَحَابٌ مَاطِرٌ [٣].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٣٢٨.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٩٩.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ۝٢٤﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْـمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْـمُسْتَأْخِرِينَ**﴾ أَي: مَن استَقدَمَ وُلَادَةً وَموتاً، وَمَن استَأخَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، أَو: مَن خَرَجَ مِن أَصلَابِ الرِّجَالِ وَمَن لَم يَخرُج بَعدُ، أَو: مَن تَقَدَّمَ في الإِسلَامِ، أَو: مَن تَقَدَّمُ في صَفِّ الجَمَاعَةِ وَمَن تَأَخَّرَ، ذَلِك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ النَّاسُ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ في الصَّلَاةِ[1].

وَقَالَ ﷺ: (خَيرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَ شَرُّهَا أَوَّلُهَا)[2].

وَقَالَ ﷺ: (إِنَّ اللهَ وَمَلَائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُتَقَدِّمِ، فَازدَحَمَ النَّاسُ، وَكَانَت دُورُ بَنِي عُذرَة بَعِيدَةٌ عَن المَسجِدِ، فَقَالُوا: لَنَبِيعَنَّ دُورَنَا، وَلَنشتَرِيَّنَ دُوراً قَرِيبَةً مِنَ المَسجِدِ؛ حَتَّى نُدرِكَ الصَّفّ الْمُقَدَّم، فَنَزَلَت هَذِه الآيَة) عَن الرَّبِيعِ بِن أَنَس، فَعَلَى هَذَا، يَكُونُ المَعنَى: إِنَّا نُجَازِي النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِم[3].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ۝٢٥﴾

﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ**﴾ أَي: وَحدُهُ هُوَ القَادِرُ عَلَى حَشرِهِم مَعَ كَثرَتِهِم، وَوُفُورِ عُدَّتِهُم: ﴿**إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ وَاسِعُ العِلمِ[4].

---

(١) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٥١٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٢٤٧، سنن ابن ماجة: ١/ ٢١٩ح ١٠٠٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٢.

(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٠.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ (٢٦)

الصَّلصَالُ: الطِّينُ اليَابِسُ الَّذِي يُصَلصِلُ وَهوَ غَيرُ مَطبُوخٍ، فَإِذَا طُبِخَ فَهوَ فَخَّارٌ[١] وَيُقَالُ لِصَوتِ الحَدِيدِ وَلِصَوتِ الرَّعدِ: صَلصَلَةٌ؛ وَهوَ صَوتٌ شَدِيدٌ مُتَرَدِّدٌ في الهوَاءِ[٢].

الحَمَأ: جَمعُ حَمَاءة، وَهوَ الطِّينُ المُتَغَيِّرُ إِلَى السَّوَادِ[٣].

المَسنُونُ: المَصبُوبُ، كَأَنَّهُ أُفرِغَ حَتَّى صَارَ صُورَةً، كَمَا يُصَبُّ الذَّهبُ وَالفِضَّةُ، وَقِيلَ: مَسنُونٌ مُصَوَّرٌ، أُخِذَ مِن سَنَةِ الوَجهِ[٤].

وَقَولُهُ تعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ**﴾ يَعنِي آدَمَ: ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾ يَعنِي: خَلَقنَا الإِنسَانَ مِن طِينٍ يَابِسٍ، يُصَوِّتُ إِذَا نُقِرَ، مِن طِينٍ تَغَيَّرَ وَاسوَدَّ مِن طُولِ مُجاوَرَةِ المَاءِ، وَهوَ صِفَةٌ لِصَلصَالٍ، أَو كَائِنٌ مِن حَمَأ مُصَوَّرٍ، أَو: مَصبُوبٌ في القَوَالِبِ، كَمَا يُصَبُّ الذَّهَبَ وَالفِضَّة فِيهَا، كَأَنَّهُ أُفرِغَ الحَمَأ، فَصُوِّرَ مِنهَا تِمثَالُ إِنسَانٍ أَجوَفٍ فَيَيبَسُ، حَتَّى إِذَا نُقِرَ صَلصَلَ، ثُمَّ غُيِّرَ ذَلِكَ طَوراً بَعدَ طَورٍ، حَتَّى سَوَّاهُ وَنَفخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ[٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٠.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٢.
(٣) جامع البيان، الطبري: ١٤/ ٣٨.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٤.
(٥) بحار الأنوار، المجلسي: ١١/ ١٣٤.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

الجَانُّ: قِيلَ: إِبلِيسُ، وقِيلَ: هُوَ أَبُ الجِنِّ، كَمَا إِنَّ آدَم أَبُو البَشَرِ، وَيَجُوزُ أَن يُرَادُ بِهِ الجِنسَ؛ وَهُم نَسلُ إِبلِيس، وَهوَ مَنصُوبٌ بِفِعلٍ مُضمَرٍ، أَي: وَخَلَقنَا الجَانَّ مِن قَبلِ خَلقِ آدَم مِن نَارِ الحَرِّ الشَّدِيدِ، النَّافِذُ في المَسَامِّ، وَالسَّمُومُ: الرِّيحُ الحَارَّةِ، أُخِذَ مِن دُخُولِهَا بِلُطفِهَا في مَسَامِّ البَدَنِ، وَمِنهُ: السُّمُّ القَاتِلُ [١].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ**﴾ بِإِتمَامِ خَلقِهِ وَإِكمَالِهِ، أَو: عُدِّلَت صُورَتُهُ [٢].

﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾ حَتَّى جَرَى آثَارُهُ في تَجَاوِيفِ أَعضَائِهِ، فَحَيَا، وَأَصلُ النَّفخِ: إِجرَاءُ الرِّيحِ في تَجوِيفِ جِسمٍ آخَر [٣].

فَالنَّفخُ: الإِجرَاءُ لِلرِيحِ في الشَّيء بِاعتِمَادٍ، نَفَخَ يَنفَخُ؛ إِذَا أَجرَى الرِّيحَ بِاعتِمَادٍ، فَلَمَّا أَجرَى اللهُ الرُّوحَ عَلَى هَذِه الصِّفَة في البَدَنِ، كَانَ قَد نَفَخَ الرُّوحَ فِيهِ، وَأَضَافَ رُوحَ آدَم إِلى نَفسِه تَكرِمَةً لَهُ [٤].

﴿**فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ أَي: فَاسقُطُوا لَهُ سَاجِدِينَ [٥] أَو: فَخُرُّوا لَهُ سَاجِدِينَ [٦].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٤.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٤.
(٣) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٦٨.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٣٣٢.
(٥) زبدة التفاسير، الكاشاني: ٣/ ٥١٩.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٤.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٣٢﴾

قَولُهُ تعالَى: ﴿**مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ حُذِفَ حرفُ الجَرِّ مع أَن، وَالتَّقدِيرُ: مَالَكَ يَا إِبلِيسُ فِي أَن لَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ، وَالمَعنَى: أَيُّ غَرَضٍ لَكَ فِي إِبَائِكَ السُّجُودَ، وَأَيُّ دَاعٍ لَكَ إِلَيهِ؟ (١).

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

قَالَ اللهُ تعَالَى لِلشَّيطَانِ: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ هَذَا إِخبَارٌ مِنهُ تعَالَى بِأَنَّ عِبَادَةِ الَّذِينَ يُطِيعونَهُ، وَيَنتَهُونَ إِلَى أَوَامِرِهُ، لَا سُلطَانَ لِلشَّيطَانِ عَلَيهِم، وَلَا قُدرَةَ لَهُ عَلَى أَن يُكرِهَهُم عَلَى المَعصِيَةِ، وَيَحمِلَهُم عَلَيهَا، وَلَكِن مَن تَبِعَهُ فَإِنَّمَا يَتَّبِعهُ بِاختِيَارِه، ثُمَّ استَثنَى سُبحَانَهُ مِن جُملَةِ العِبَادِ مَن يَتَّبِع إِبلِيسَ عَلَى إِغوَائِهِ، فَقَالَ: ﴿**إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ إِذَا قَبِلَ مِنهُ صَارَ لَهُ عَلَيهِ سُلطَانٌ بِعُدُولِه عَن اللَّهِ تعَالَى، وَعَن رَسُولِهِ ﷺ وَعَن كِتَابِه، وَعَن الأَحَادِيثِ، وَالدَّلَائِلُ الوَاضِحَةُ إِلَى الهُدَى مَا يَدعُوهُ إِلَيهِ الشَّيطَانُ مِن إِتِّبَاعِ الهَوَى وَالإِهلَاكِ، وَقِيلَ: الإِستِثنَاءُ مُنقَطِعٌ، وَالمُرَادُ: لَكِن مَن اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفسِه سُلطَاناً (٢).

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ أَي: إِبلِيسُ وَمَن تَبِعَهُ مِنَ الغَاوِينَ (٣).

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٨.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٤٥.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (٤٤)

﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ**﴾ وَأَبوَابُ جهَنَّم: أَطباقُها، بَعضُها فوقَ بَعضٍ [١].

كَمَا رُوِي عَن أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام: (إِنَّ جهَنَّم لَهَا سَبعَةُ أَبوَابٍ، أَطبَاقٌ بَعضُهَا فَوقَ بَعضٍ، وَوَضَعَ إِحدَى يَدَيهِ عَلَى الأُخرَى، فَقَالَ: هَكَذَا، وَإِنَّ اللهَ وَضَعَ الجِنَانَ عَلَى العَرضِ، وَوَضَعَ النِّيرَانَ بَعضُهَا فَوقَ بَعضٍ؛ فَأَسفَلُهَا جهَنَّم، وَفَوقُهَا لَظَىً، وَفَوقُهَا الحُطَمَة، وَفَوقُهَا سَقَر، وَفَوقُهَا الجَحِيمُ، وَفَوقُهَا السَّعِيرُ، وَفَوقُهَا الهَاوِيَةُ) [٢].

وَقِيلَ: أَسفَلُهَا الهَاوِيَةُ، وَأَعلاهَا جهَنَّم [٣].

وَاختَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ: ﴿**لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾ أَي: لِكُلِّ بَابٍ مِنَ الأَتبَاعِ نَصِيبٌ مَعرُوفٌ مَفرُوزٌ أُفرِزَ لَهُ، فَأَعلاهَا لِلمُوَحِّدِين العُصَاة، وَالثَّانِي لِليَهُودِ، وَالثَّالِثُ لِلنَّصَارَى، وَالرَّابِعُ لِلصَّابِئِين، وَالخَامِسُ لِلمَجُوسِ، وَالسَّادِسُ لِلمُشرِكِينَ، وَالسَّابِعَةُ لِلمُنَافِقِينَ [٤] وَذَلِكَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٥)

ثُمَّ ذَكَرَ سُبحَانَهُ حَالَ الْمُخلِصِين، فَقَالَ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَذَابَ اللَّهِ تعَالَى بِاجتِنَابِ مَعَاصِيهِ فِي بَسَاتِينَ خُلِقَت لَهُم، وَعُيُونٌ مِن مَاءٍ وَخَمرٍ وَعَسَلٍ، تَفُورُ مِنَ الفَوَّارَةِ، ثُمَّ يَجرِي فِي مَجَارِيهَا [٥].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٣.
(٢) نور الثقلين، الحويزي: ٤/ ٥٠٤ح ١٢٤.
(٣) مقتنيات الدرر، الحائري: ٦/ ١٤١ عن الكلبي.
(٤) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٧٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٩.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ (٤٦)

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ أَي: يُقَالُ لَهُم: ادخُلُوا الجَنَّات بِسَلَامَةٍ مِنَ الآفَاتِ، آمِنِينَ مِنَ الإِخرَاجِ مِنهَا [١].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٧)

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ وَالغِلُّ: الحِقدُ الكَامِنُ فِي القَلبِ؛ يَعنِي: وَأَزَلنَا مَا كَانَ فِي قُلُوبِهِم مِن أَسبَابِ العَدَاوَةِ فِي الدُّنيَا، وَقِيلَ: مَعنَاهُ طَهَّرنَا قُلُوبَهُم مِن أَن يَتَحَاسَدُوا عَلَى الدَّرَجَاتِ فِي الجَنَّةِ [٢].

﴿إِخْوَانًا﴾ وَهوَ مَنصُوبٌ عَلَى الحَالِ؛ أَي: وَهُم يَكُونُونَ إِخوَانًا مُتَوَادِّينَ، يُرِيدُ: مَثل الإِخوَانِ، فَيَصفُوا لِذَلِكَ عَيشَهُم: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ أَي: كَائنِينَ عَلَى مَجَالِسِ السُّرُورِ، مُتَوَاجِهِينَ، يَنظُرُ بَعضُهُم إِلَى وَجهِ بَعضٍ، وَقِيلَ: إِنَّ الرَّجُلَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ لَا يَرَى قَفَا زَوجَتِهُ، وَلَا تَرَى زَوجَتُهُ قَفَاهُ؛ لأَنَّ الأَسِرَّة تَدُورُ بِهِم كَيفَمَا شَاؤوا حَتَّى يَكُونُوا مُتَقَابِلِينَ فِي عُمُومِ أَحوَالِهِم فِي الزِّيَارَةِ إِذَا تَزَاوَرُوا استَوَت مَجَالِسَهُم وَمَنَازِلُهُم، وَإِذَا افتَرَقُوا كَانَت مَنَازِلَ بَعضَهُم أَرفَعُ مِن بَعضٍ [٣].

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٨٨.
(٢) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٣.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٩.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أَي: تَعَبٌ وَعَنَاءٌ[١] وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ وَالوَهنُ الَّذِي يَلحَقُ مِنَ العَمَلِ، مُشتَقٌّ مِنَ الإنتِصَابِ؛ لأَنَّ صَاحِبَهُ يَنتَصِبُ بِالإِنقِطَاعِ عَنِ العَمَلِ لِلوَهنِ الَّذِي يَلحَقُهُ[٢].

﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أَي: يَبقُونَ فِيهَا مُؤَبَّدِينَ[٣].

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾

ثُمَّ أَمَرَ سُبحَانَهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله أَن يُخبِرَ عِبَادَهُ بِكَثرَةِ عَفوِهِ، وَمَغفِرَتِهِ وَرَحمَتِهِ لأَولِيَائِهِ، وَشِدَّةِ عَذَابِهِ لأَعدَائِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وآله **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** أَي: كَثِيرُ السَّترِ لِذُنُوبِ المُؤمِنينَ، كَثِيرُ الرَّحمَةِ لَهُم[٤].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

الخَطبُ: الأَمرُ الجَلِيلُ الَّذِي لَهُ رَسُولٌ إِلَى أَحَدٍ[٥] حَكَى اللهُ تَعَالَى عَن إِبرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ: **﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾**.

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٣٧٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٩.
(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٣٤٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١١٩.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩/ ٣٨٩.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٥٨)

﴿**قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ**﴾ مُذنِبِينَ، وَقِيلَ: كَافِرِينَ، أَخبَرُوهُ بِهَلَاكِهِم، وَاقتَصَرُوا عَلَى هَذَا لأَنَ مِنَ المَعلُومِ أَنَّ المَلَائكَةَ إِنَّمَا يُرسَلُونَ إِلَى المُجرِمِينَ لِلهَلَاكِ [١].

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٩)

﴿**إِلاَّ آلَ لُوطٍ**﴾ استَثنَى مِنهُم آلَ لُوطٍ وَهُم خَاصَّتُهُ وَعَشِيرَتُهُ؛ وَإِنَّمَا استَثنَاهُم مِنهُم، وَإِن لَم يَكُونُوا مُجرِمِينَ مِن حَيثُ كَانُوا مِن قَومِ لَوطٍ، وَمِمَّن بُعِثَ إِلَيهِم، وَقِيلَ: مَعنَاهُ: لَكِن آلَ لُوطٍ.

﴿**إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ**﴾ أَي: نُخَلِّصُهُم: ﴿**أَجْمَعِينَ**﴾ مِنَ العَذَابِ [٢].

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٦٠)

﴿**إِلاَّ امْرَأَتَهُ**﴾ استَثنَى إِمرَأَةَ لُوطٍ مِن آلِهِ لأَنَّهَا كَانَت كَافِرَةً بـ: ﴿**قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ**﴾ أَي: البَاقِينَ فِي المَدِينَةِ مَعَ المُهلَكِينَ؛ يَعنِي: قَضَينَا أَنَّهَا تَهلِكُ كَمَا يُهلَكُونَ [٣].

وَهَذَا تَعلِيقٌ؛ لأَنَّ التَّقدِيرُ يَتَضَمَّنُ مَعنَى العِلمِ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ العُلَمَاءُ تَقدِيرَ اللَّهِ تَعَالَى بِالعِلمِ [٤].

وَقَرَأَ أَبُو بَكرٍ: قَدَرنَا، بِالتَّخفِيفِ، وَكَذَلِكَ فِي النَّملِ، والبَاقُونَ بِالتَشدِيدِ [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٢.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٢.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٢.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٥.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٠.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿**قالُوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فيهِ يَمْتَرُونَ**﴾ أَي: يَشِكُّونَ [١].

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

وَفِيهِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ**﴾ أَي: سِر بِأَهلِكَ بَعدَ مَا يَمضِي أَكثَرُ اللَّيلِ، وَيَبقَى قِطعَةً مِنهُ [٢] وَالإِسرَاءُ: سَيرُ اللَّيلِ، مِن سَرَى وَأَسرَى [٣].

﴿**وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ**﴾ أَي: إِقتَفِ آثَارَهُم، وَكُن وَرَاءهُم، لِتَكُونَ عَيناً عَلَيهِم، فَلَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنهُم [٤].

﴿**وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ**﴾ إِلَى مَا خَلَّفَ وَرَاءَهُ فِي المَدِينَةِ، أَو هُوَ كِنَايَةٌ عَن إِتِّصَالِ السَّيرِ، وَتَركِ التَّوَقُّفِ؛ لأَنَّ مَن يَلتَفِت لَا بُدَّ لَهُ ذَلِكَ أَو أَدنَى وَقفَةً [٥].

﴿**وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**﴾ أَي: إِذهَبُوا إِلَى: ﴿**حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**﴾ يَعنِي: إِلَى المَوضِعِ الَّذِي أَمَرَكُم اللهُ بِالذِّهَابِ إِلَيهِ وَهوَ الشَّامُ، وَعُدِّيَ: ﴿**وَامْضُوا**﴾ إِلَى: ﴿**حَيْثُ**﴾ كَمَا يُعَدَّى إِلَى الظَّرفِ المُبهَمِ؛ لأَنَّ ﴿**حَيْثُ**﴾ مُبهَمٌ فِي الأَمكِنَةِ، وَكَذَلِكَ الضَّمِيرُ فِي تَؤمَرونَهُ [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٦.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٤.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٣.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٤.
(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٦.
(٦) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٧.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ﴾ وَأَوحَينَا إِلَيهِ ذَلِكَ الأَمرَ مَقضِيّاً، وَلِذَلِكَ عُدِّيَ بِإِلَى، وَ: **﴿الْأَمْرَ﴾** مُبهَمٌ، يُفَسِّرُهُ قَولُهُ: **﴿أَنَّ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾** وَفِي إِبهَامُهُ وَتَفسِيرُهُ تَعظِيمٌ لِلأَمرِ [١].

وَدَابِرُهُم: آخِرُهُم، يَعنِي: يُستَأصَلُونَ عَن آخِرِهِم حَتَّى لَا يَبقَى مِنهُم أَحَدٌ [٢].

﴿مُصْبِحِينَ﴾ دَاخِلِينَ فِي وَقتِ الصُّبحِ [٣].

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾

يُقَالُ: لَعَمرُكَ يَا فُلَانُ؛ أَي: وَحَيَاتُكَ وَمُدَّةُ بَقَائِكَ، وَهوَ قَسَمٌ بِحَيَاةِ المُخَاطَبِ، وَقِيلَ: دُعَاءٌ، وَمَعنَاهُ: أَسأَلُ اللهُ تَعَالَى عُمرُكَ، وَتَقدِيرُ وَ: **﴿لَعَمْرُكَ﴾** مَا أُقسِمُ بِهِ، وَالعُمرُ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُم خَصُّوا القَسَمَ بِالمَفتُوحِ لِخِفَّةِ الفَتحَةِ [٤].

وَفِي التَّنزِيلِ: **﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** أَي: وَحَيَاتُكَ يَا مُحَمَّد، وَمُدَّةُ بَقَائِكَ [٥].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ: مَاخَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا ذَرأ، وَلَا بَرأ نَفساً أَكرَمَ عَلَيهِ مِن مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَمَا سَمِعتُ اللهَ أَقسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ، فَقَالَ: **﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [٦].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٧.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٩٥.
(٣) معالم التنزيل، البغوي: ٣/ ٥٦.
(٤) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣٠٨.
(٥) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٧٨.
(٦) الكشف والبيان، الثعلبي: ٥/ ٣٤٦.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

يُقَالُ: فُلَانٌ جَاءَ مُشرِقاً؛ أَي: دَاخِلِينَ في الشُّرُوقِ؛ وَهوَ طُلُوعُ الشَّمسِ [(١)].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

المُتوَسِّمُ: المُتَفَرِّسُ، المُتَثَبِّتُ في نَظَرِهِ حَتَّى يَعرِفَ حَقِيقَةَ الشَّيءِ [(٢)].

وَقَد صَحَّ عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (اتَّقُوا فَرَاسَةَ الْـمُؤمِنِ فَإِنَّهُ يَنظُرُ بِنُورِ اللَّـه) [(٣)].

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: (إِنَّ للَّـه تَعَالَى عِبَاداً يَعرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ) [(٤)].

ثُمَّ قَرَأَ صلى الله عليه وآله قَولَهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ**﴾ أَي: مَا سَبَقَ ذِكرُهُ مِن إِهلَاكِ قَومِ لُوطٍ: ﴿**لَآيَاتٍ لِلْـمُتَوَسِّمِينَ**﴾.

وَعَن الصَّادِقِ عليه السلام أَنَهُ قَالَ: (نَحنُ الْـمُتَوَسِّمُونَ، وَالسَّبِيلُ فِينَا مُقِيمٌ) [(٥)].

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣٠٨.

(٢) مجمع البحرين، الطريحي: ٦/ ١٨٣.

(٣) بصائر الدرجات، الصفار: ٣٧٥ح ٤، الكافي، الكليني: ١/ ٢١٨ح ٣.

(٤) المعجم الأوسط، الطبراني: ٣/ ٢٠٧، مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٠/ ٢٦٨، بحار الأنوار، المجلسي: ٢٤/ ١٢٣.

(٥) الاختصاص، المفيد: ٣٠٣، الكافي، الكليني: ١/ ٢١٨ح ١.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

وَالسَّبِيلُ: طَرِيقُ الجَنَّةِ [١].

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ مَعنَاهُ: إِنَّ مَدِينَةَ لَوطٍ لَبِطَرِيقٍ مَسلُوكٍ، يَسلِكُهَا النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِم، فَيَنظِرُونَ إِلَى آثَارِهَا، وَيَعتَبِرُونَ بِهَا؛ لأَنَّ الآثَارَ الَّتِي يُستَدَلُّ بِهَا مُقِيمَةٌ ثَابِتَةٌ بِهَا [٢].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً﴾ أَي: عِبرَةً وَدِلَالَةً: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَخَصَّ المُؤمِنِينَ لأَنَّهُم هُم الَّذِينَ انتَفَعُوا بِهَا [٣].

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

الأَيكَةُ: الشَّجَرُ المُتَكَاثِفُ.

وَأَصحَابُ الأَيكَةِ، هُم: أَهلُ الشَّجَرِ الَّذِينَ أُرسِلَ إِلَيهِم شُعَيبٌ عليه السلام [٤].

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

الإِنتِقَامُ: هُوَ المُجَازَاةُ عَلَى جِنَايَةٍ سَابِقَةٍ [٥].

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٣٧٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٦.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٧.
(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٣٤٩.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٧.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٨٠)

الحِجرُ: إِسمُ البَلَدِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ثَمُود، أَو: إِسمٌ لِوَادٍ كَانَ يَسكُنُهَا هَؤلَاءِ، وَهوَ بَينَ المَدِينَةِ وَالشَّامِ [١].

وَاعلَم: أَنَّهُ مَن كَذَّبَ رَسُولٌ مِن رُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ الجَمِيعَ، فَيَصِحُّ أَن يُقَالَ: كَذَّبَ القَومُ المُرسَلِينَ [٢].

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ (٨٢)

يُقَالُ: فُلَانٌ نَحتَ مِنَ الجِبَالِ بَيتاً يَنحَتُ: إِذَا صَنعَهَا فِيهِ لِيَسكُنَهُ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أَي: فَأَعرِض عَنهُم يَا مُحَمَّدﷺ وَاحتَمِل مَا تَلقَى مِنهُم إِعرَاضاً جَمِيلاً بِحُلُمٍ وَإِغضَاءٍ [٣] وَلَا تَعجَل بِالإِنتِقَامِ مِنهُم، وَعَامِلهُم مُعَامَلَةَ الصَّفُوحِ الحَلِيمِ [٤].

رُوِي عَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَعليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ الصَّفحَ الجَمِيل هُوَ العَفوَ مِن غَيرِ عِتَابٍ) [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٧.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٨٠.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣١٠.
(٤) كنز الدقائق، المشهدي: ٧/ ١٥٤.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٢٩، وورد ذلك عن الإمام الرضاعليه السلام كما في أمالي الصدوق: ١٣١ح ١٢١، وعيون الأخبار: ١/ ٢٦٤ح ٥٠.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧)

﴿الْمَثانِي﴾ مِن التَّثنِيَةِ، بِمَعنَى: التَّكرِيرُ

وَقَولُهُ: **﴿سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي﴾** مِنهُ؛ لأَنَّ الفَاتِحَةَ تُكَرَّرُ في مَوضِعَينِ مِنَ القُرآنِ، أَو تُكَرَّرُ في الصَّلاَةِ، أَو مِنَ الثَّنَاءِ، لاشتِمالِهَا عَلى الثَّناءِ عَلى اللَّـهِ تَعالَى، وَالوَاحِدَةُ مُثَنَّاةُ مفعَلَة، أَو مَوضِعُ ثَناءٍ، أَو تَثنِيَةٌ، و: **﴿مِنَ﴾** إِمَّا لِلبَيانِ أَو لِلتَبعِيضِ[١].

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨)

يُقَالُ: مَدَّ يَمِدُّ عَينَهُ إِلَينا، إِذَا طَمَحَ بِبَصَرِهِ إِلَينا.

يُقَالُ: فُلَانٌ خَافِضُ الجَنَاحِ، إِذَا كَانَ وَقُوراً حَلِيماً[٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** أَي: تَوَاضَع لِـمَن مَعَكَ مِن فُقَرَاءِ المُؤمِنِينَ، وَأَلِن لَهُم جَناحَكَ وَارفُق، وَطِب نَفسَكَ عَن إِيمَانِ الأَغنِيَاءِ وَالأَقوِيَاءِ.

وَالعَرَبُ تَقُولُ: فُلَانٌ خَافِضُ الجَنَاحِ؛ إِذَا كَانَ وَقُوراً حَلِيماً، وَأَصلُهُ: أَن الطَّائِرَ إِذَا ضَمَّ فَرخَهُ إِلَى نَفسِهِ بَسَطَ جَنَاحَهُ، ثُمَّ خَفَضَهُ[٣].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣١٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٠.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٠.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (٩٠)

يُقَالُ: كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الَّذِينَ اقتَسَمُوا مَدَاخِلَ مَكَّةَ أَيَّامَ المَوسِمِ، وَهُم سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلَاً، بَعَثَهُم الوَلِيدُ بن المُغِيرَة، فَقَعَدُوا فِي كُلِّ مَدخَلٍ يُنَفِّرُونَ النَّاسَ عَن الإِيمَانِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُونَ: لَا تَغتَرُوا بِالخَارِجِ مِنَّا، وَالمُدَّعِي لِلنُبُوَّةِ، فَأَهلَكَهُم اللهُ يَومَ بَدرٍ، وَمَاتُوا شَرَّ مِيتَةٍ، ثُمَّ وَصَفَهُم بِقَولِهِ تَعَالَى[١]:

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٩١)

﴿عِضِينَ﴾: أَجزَاءٌ، جَمعُ عِضَة، وَأَصلُهَا عِضوَةٌ فُعلَةٌ، مِن عِضَى الشَّاةِ: إِذَا جَعَلَهَا أَعضَاءً[٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أَي: أَجزَاءً أَجزَاءً، فَيَقُولُ بَعضُهُم: سِحرٌ، وَيَقُولُ الآخَرُ: أَسَاطِيرُ الأَوَلِينَ، وَالآخَرُ: مُفتَرَىً، وَالمَعنَى: أَي فَرَّقُوهُ وَجَعَلُوا أَعضَاءَه كَأَعضَاءِ الجَزُورِ، فَآمَنُوا بِبَعضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعضِهِ؛ إِذ قَالُوا: بَعضُنَا، وَبَعضُه مُوَافِقٌ لِلتَورَاةِ وَالإِنجِيلِ، وَبَعضُهُ بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لَهُمَا، فَاقتَسَمُوهُ إِلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَعَضَوهُ[٣].

---

(١) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣١١.
(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٩٩.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣١.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢)

﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أَقسَمَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَفسِهِ النَّفِيسَة، وَأَضَافَ نَفسَهُ إِلَى نَبِيِّهُ ﷺ تَشرِيفَاً وَتكرِمَةً لَهُ، وَتَنبِيهَاً لِلخَلقِ عَلَى عَظِيمِ مَنزِلَتِه عِندَهُ، لَنَسأَلَنَّ هَؤلَاءِ الكُفَّارَ، بَأَن نَقُولَ لَهُم: لِـمَ عَصَيتُم، وَمَا حُجَّتُكُم فِي ذَلِكَ؟ فَيَظهَرُ عِندَ ذَلِكَ خِزيَهُم وَفَضِيحَتَهُم عِندَ تَعَذُّرِ الجَوَابِ، وَهوَ سُؤالُ تَوبِيخٍ وَتقرِيعٍ بِما كَانُوا يَعمَلُون [١].

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤)

يُقَالُ: صَدَعَ فُلَانٌ بِالحُجَّةِ، إِذَا تَكَلَّمَ بِهَا جِهَارَاً، مِنَ الصَّدِيعِ؛ وَهوَ الفَجرُ [٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ﴾** أَي: أَظهِر وَأَعلِن وَصَرِّح بِمَا أُمِرتَ بِهِ غَيرَ خَائفٍ [٣].

وَالأَصلُ: بِمَا تُؤمَرُ بِهِ، فَحَذَفَ الجَارَّ، كَمَا فِي قَولِه: أَمَرتُكَ الخَيرَ [٤] وَ: **﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْـمُشْرِكِينَ﴾** وَلَا تَخَف مِنهُم [٥].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٢.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري: ٢/ ٣٩٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٣.

(٤) قطعة من شاهد شعري مختلف في نسبته، وهو:

(أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب)، خزانة الأدب، المرزباني: ١/ ٣٣٩.

(٥) جوامع الجامع، الطبرسي: ٣/ ٣١١.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بِقمعِهِم وَإِهلاكِهِم.

وَ: ﴿الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ خَمسَةُ نَفَرٍ مِن قُرَيشٍ، يُبَالِغُونَ الإِيذَاءَ، وَهُم: العَاص ابنُ وَائلٍ، وَالوَلِيدُ بنُ المُغِيرَة، وأَبُو زُمعَة وَهوَ الأَسوَدُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ، وَالأَسوَدُ بِن عَبدِ يَغُوث، وَالحَارِثُ بن قَيس.

وَقِيلَ: كَانُوا سِتَّةَ رَهطٍ، وَسَادِسَهُم الحَارِثُ بن الطَلَاطِلَة، وَأُمَّه عَيطَلة، يُبَالِغُونَ في إِيذَاءِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالإِستِهزَاءِ بِهِ، فَقَالَ جَبرَئِيلُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهوَ قَائمٌ في جَنبِه: أُمِرتُ أَن أَكفِيكَهُم، فَأَومَأ ﷺ إِلى سَاقِ الوَلِيد وَهوَ يَجُرُّ ثِيَابَهُ، فَتعَلَّقَت بِثَوبِه شَوكَةٌ، فَمَنَعَهُ الكِبرُ أَن يَخفِضَ رَأسَهُ وَينزَعُهَا، فَجَعَلَت تَضرِبُ سَاقَهُ، فَخُدِشَ خدشَةً، فَلَم يَزَل مَرِيضاً حَتَّى مَاتَ.

وَمَرَّ بِهِ العَاصُ بن وَائل السَّهمِيُّ، فَأَشَارَ جَبرَئِيلُ إِلى رِجلِهِ فَوَطَأَ العَاصُ عَلى شَوكَةٍ، فَدَخَلَت في أَخمَصِ رِجلِه، فَلَم يَزَل يَحُكُّهَا إِلى أَن مَات.

وَمَرَّ بِه الأَسوَدُ بن عَبدِ المُطَّلِب بن عَبد مَنَاف، فَأَشَارَ إِلى عَينهِ فَعَمِيَ، وَجَعَلَ يَضرِبُ رَأسَهُ عَلى الجِدَارِ، حَتَّى أَسرَعَ إِلى دَارِ البَوَارِ.

وَمَرَّ بِه الأَسوَدُ بن عَبدِ يَغُوث، فَأَشَارَ إِلى بَطنِهِ، فَاستَسقَى فَمَاتَ، وَقِيلَ: أَصَابَهُ السُّمُومُ فَاسَوَدَّ، فَأَتَى أَهلَهُ وَهوَ يَقُولُ: قَد قَتَلنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ.

وَمَرَّ بِه الحَارِثُ بن الطَلاطِله، فَأَومَأ إِلى رَأسِه، فَامتَخَطَ قَيحاً فَمَات.

وَقِيلَ: إِنَّ الحَارِث بِن قَيسٍ، أَخَذَ حُوتاً فَأَصَابَهُ العَطَشُ، فَمَا زَالَ يَشرَبُ حَتَّى انقَدَّ بَطنُهُ فَمَات [1].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٣.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٦)

ثُمَّ وَصفَهُم سُبحَانَهُ بِالشِّركِ بِهِ بِقَولِهِ: ﴿**الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ هَذَا وَعِيدٌ وَتَهدِيدٌ لَهُم [1].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧)

﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ**﴾ نَحنُ، أَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وآله: ﴿**يَضِيقُ صَدْرُكَ**﴾ أَي: قَلبُكَ: ﴿**بِمَا يَقُولُونَ**﴾ مِن تَكذِيبِكَ وَالإِستِهزَاءُ بِكَ، وَالطَّعنُ فِيكَ وَفِي القُرآنِ [2].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨)

﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ أَي: فَافزَع إِلَى اللَّهِ سُبحَانَهُ فِيمَا نَابَكَ بِالتَّسبِيحِ وَالتَّحمِيدِ، يَكشِفُ عَنكَ الغَمَّ وَيَكفِكَ المُهِمَّ [3].

فَقُل: سُبحَانَ اللَّهِ وَبِحَمدِهِ: ﴿**وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾ وَكَانَ صلى الله عليه وآله: (إِذَا حَزَنَهُ أَمرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ) [4].

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩)

﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ يَعنِي: المَوتَ، وَقِيلَ: حَتَّى يَأتِيكَ اليَقِينُ مِنَ الخَيرِ وَالشَّرِّ عِندَ المَوتِ، وَسُمِّي المَوت يَقِيناً؛ لأَنَّهُ صلى الله عليه وآله مُوقِنٌ بِهِ [5].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٣.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٣.
(٣) جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٣١٢.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٦/ ١٣٣.


فهرس المحتويات

الفصل الأول (سورة الفاتحة)

الفصل الثاني(سورة البقرة)

الفصل الثالث(سورة آل عمران)

الفصل الرابع (سورة النساء)

الفصل الخامس (سورة المائدة)

الفصل السادس (سورة الأنعام)

الفصل السابع (سورة الأعراف)

الفصل الثامن (سورة الأنفال)

الفصل التاسع (سورة التوبة)

الفصل العاشر (سورة يونس)

الفصل الحادي عشر (سورة هود)

الفصل الثاني عشر (سورة يوسف)

الفصل الثالث عشر (سورة الرعد)

الفصل الرابع عشر (سورة إبراهيم)

الفصل الخامس عشر (سورة الحجر)